قوله فالشيخ للمريد صورة يستشف المريد
من وراء هذه الصورة المطالبات الإلهية
والمراضي النبوية في الباب بكذا

كون الإخلاص فرضاً وفاموطن

وضد التوكل والا...

حديث الإخلاص في باب ٢٦

على الاشتغال بالعلم فقرء الحديث عن جماعة واشتغل بالنظامية على المهني وغيره وحفظ
كتبا عديدة في الفقه واصوله واصول الدين وحفظ الوسيط في التفسير ولم يزل كذلك الى ان افتى وناظر
واملى ثم هبت له نسيم الاقبال والتوفيق فندبه الى سلوك الطريق فانقطع عن الناس ودوام العمل
ثم رجع الى الوعظ والتذكير [illegible] الى الله والتحذير ثم دعي الى التدريس بالنظامية سنة خمس
واربعين فاجاب ودرس بها مدة ثم خرج عنها بعد سنتين وظهرت بركته على اصحابه وصار شيخ
العراق في وقته وبنى للغرباء الذي كان ياوي اليه رباطا وسكنه جماعة من صالحي اصحابه وبنى الى جانبه
مدرسة وصار ملاذا يعتصم به الخائفون من الخليفة والسلطان فمن دونهما وتوجه الى الشام سنة سبع وخمسين
وخمسمائة لزيارة بيت المقدس فلم يتفق له ذلك لانفساخ الهدنة بين المسلمين والفرنج خذلهم الله تعالى
فاقام بدمشق مدة يسيرة وعقد له مجلس الوعظ واكرم الملك العادل مورده وعاد الى بغداد
فتوفي بها يوم الجمعة وقت العصر سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وخمسمائة
ودفن بكرة الغد في مدرسته قال ابن السمعاني وكان له اخ يقال له ابو حفص عمر سمع وتفقه وتصوف
واعتزل الى ان توفي في ربيع الاول سنة اثنين وثلثين وخمسمائة وسهرورد ذكرها ابن خلكان
بضم السين المهملة وفتح الراء الاولى وسكون الراء الثانية وهي بلدة من عراق العجم قريبا من زنجان
وكان للشيخ ابي النجيب رحمه الله ولدان احدهما ابو الرضى عبد الرحيم تفقه على ابيه
ودرس بعده بمدرسته وسمع الحديث من جماعة ووعظ وخرج الى الشام قاصدا بيت المقدس
فتوفي بدمشق سنة سبع [illegible] وخمسمائة ذكره التفليسي والثاني ابو محمد عبد اللطيف ولد سنة اربع
وثلثين وخمسمائة [illegible] على ابيه وسمع من جماعة وسافر الكثير ولما قدم الشام ولاه الملك
الناصر صلاح الدين كل بلد افتتحه من السواحل وغيرها ثم اقام باربل وتوفي بها في جمادى الاولى
سنة عشر وستمائة [illegible] رضي عنهم ونفعنا ببركتهم في الدنيا والآخرة يا ارحم الراحمين امين امين

من كتب نوبة افقر العباد الى الله سيد محمد الرزاق
الموسوم بسيد صالح [illegible] البغدادي غفر الله له
ولوالديه ولكل المسلمين اجمعين
1

كتاب عوارف المعارف

تصنيف الشيخ الامام شيخ الاسلام
قطب الاوليا سيد الاصفياء
عادم فضل شهاب الدين ابي حفص
عمر بن محمد السهروردي
قدس الله

الله الي نوبة الفقير
الى الله تعالى محمد
ابن الشيخ عبد الكافي ابن الحاج
ابراهيم ابن محمد ابن ابراهيم
ابن الشيخ احمد غفر الله له

الحمد لله في نوبة فقير عفو الله تعالى [illegible]
عبيد الكافي بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم [illegible]
البقاعي غفر الله لهم [illegible]
2 سنة [illegible] الحمد لله وحده

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين
وامام المتقين سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين
وبعد فقد قرا علي الشيخ العالم الصالح اخي الفقير الصوفي
ابو الرضى عجلان بن محمد [illegible] الشعراني [illegible] جميع
هذا الكتاب وانا ممسك نسخة بيدي [illegible]
وكان [illegible]
في شهور سنة [illegible] وسبعين [illegible]
[illegible]
[illegible]

الحمد لله رب العالمين
ولد المولود المبارك ان شاء الله محمد بن احمد بن علي بن احمد [illegible] وتسعمائة
المعروف بمخدوم زاده يوم الخميس خامس عشر جمادى الاولى سنة سبع [illegible]
انشاه الله نشوا صالحا بمحمد وآله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله

تاريخ [illegible] نهار الثلاثاء [illegible] جمادى الآخرة سنة 938 [illegible]

القصاد القدر سبحان لا ينزلان على همة ما إذا
نزل لا يكن

حامده مصليا عبد علي ٢٢ ق ١١٠ لتعنه ٣٠

الحمد لله

من نظم سيدي الشيخ الإمام أرانا الله وجهه ورحمه الله تعالى

تبارك الواحد في الواحد
تعدد الفرد بلا قسمة
تبارك الله الذي قد بدا
وحقق الحق به ظاهرا
فلا إله غيره هو الذي
... في كل شيء كاين
سبحانه ميز أطواره
فكم له من عابد طائع
... على ألسنة
هو الذي ... حمده
... تغفر أنه
ذا ... به منه في

تبارك الموجد في الفاقد
كنسبة المولود للوالد
في رتبة المعبود والعابد
في صورة المشهود والشاهد
يحكم في الصادر والوارد
يكون في الفاقد والواجد
بنسبة الصالح والفاسد
وكم له من مارق مارد
محقق المحمود في الحامد
في مظهر الشاكر والجاحد
يقيه من حظه كاسد
مظاهر الشامت والحاسد

II

الحمد لله لسيدي الشيخ محي الدين رزقنا الله تعالى معرفته

سيد الناس كلهم أنت يا حاشر الأمم فاتح أنت خاتم طبت فتحا ومختتم
ممكن الكون واجب جامع العلم والحكم ظاهر أنت باطن معلن السر مكتتم
أول أنت آخر واضح النور في الظلم أظلم اليوم ما نشا كل من عز قد حكم
يا أمانا لكل شي وعياذا من النقم أنت لله مظهر بيته أنت والحرم

وله أيضا

هذا الذي أهواه مثل جماله بين البرية ما رأيته ولا يرى
كتب الجمال على جلالة خده بالحسن في لوح الملاحة أسطرا
هذا كتاب الله جل جلاله قد جاء بالحسن البديع مبشرا
أوحى لأرباب البصائر حسنه صورا فهللا البصير وكبرا

وقال

أوجبت بالذات ذاته القدم في صفات العلم روح الكلم
قائم بالقيوم في عين الهوى قائلا من غير نطق بفم
قوله التكوين في أكوانه أمره يوجدها في عدم
أزلي أبدي واضع نونه في عين القلم
عينه في عين ما يعلمه في عمى تنظره كالعلم

قال الشيخ عبد الله العباس [illegible] قدس الله تعالى [illegible] وهو

ملازم مكانا حين تعتزل الورى ... اذ القلب مجموع وصدرك يشرح
فقد قال اشياخ الطريقة من يجد ... بخلوته جمعا فلا نطق يسرح
وكم عالم قد كان يعتزل الورى ... ويلقى علوما يجد فيه وتشرح
وفي مثل هذا الوقت جاءت صحيحة ... لحاديثه في مدح اعتزال أبرح

لامامنا الشافعي رضي الله عنه

على ثياب لو تباع جميعا بفلس لكان الفلس منهن اكثرا
وفيهن نفس لو تقاس ببعضها نفوس الورى كانت اجل واكبرا

ومن شعر السهروردي رحمه الله

تصرمت وحشة الليالي واقبلت دولة الوصال
وصار بالوصل لي حسودا من كان في هجركم رثا لي
فما صنعتكم تلوب فيا لسرور حلا [illegible] لي
وحقكم بعد اذ حصلتم بكل مرنات لا ابالي
فما على عادم اجاجا وعنده اعين الزلال

وله ايضا لما قدم على الحجرة الشريفة عفي

الروح في كل عام كنت ارسلها تقبل الارض عني وهي نائبتي
وهذه نوبة الاشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

[illegible]

سهروردي بضم السين وسكون الهاء وفتح الراء والواو وسكون الراء الثانية والدال

لقايله ... علم التصوف علم ليس يعرفه الا اخو فطنة بالفهم موصوف
فليس يعرفه من ليس يشهده فكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

لابي اسحق الشيرازي ... سألت الناس عن خل وفي فقالوا ما الى هذا سبيل
تمسك ان ظفرت بود حر فان الحر في الدنيا قليل

غيره ... ليس التصوف بالخرق من قال ذاك فقد خرق
ان التصوف يا فتى ذوب الفؤاد من الحرق

السهروردي صاحب العوارف واهل بيته

ابو نصر عمر بن محمد بن عبد الله البكري من ولد الصديق رضي الله عنه السهروردي كان شيخ الطريقة معدن الحقيقة امام وقته لسانا رحالا علما وعملا ولد في سنة تسع وثلثين وخمسمائة بسهرورد ونشأ بها الى ان بلغ قريبا من ستة عشر سنة ثم توجه الى بغداد وصحب عمه الاتي ذكره وتفقه عليه وقرأ الخلاف ولزمه الى ان توفي فصحب بن فضلان فقيه العراق واشتغل عليه الى ان تميز ثم اقبل على الاشتغال بالله واستغرق اوقاته بالعبادة والوعظ ولازم باب الله فتح عليه حتى صار اوحد زمانه وصنف كتابه المشهور المسمى عوارف المعارف واسمعه وانتفع الناس به واقبل عليه الخليفة الناصر لدين الله وارسله الى عدة اقاليم فما ارسله في شئ الا حصل ببركته وعمي في اخر عمره واقعد ومع ذلك ما اخل بشئ من اوراده واستمر على حضور الجمعة في محفة وحج ايضا على تلك الحالة ولم يزل على ذلك الى ان توفي في ليلة الاربعاء مستهل المحرم سنة اثنين وثلثين وستمائة ببغداد ولم يخلف كتبنا ذكره بن النجار وغيره

ابو النجيب السهروردي عم الشيخ المذكور

ابو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد البكري السهروردي عم الشيخ الاتي ذكره وشيخه وانما قدمناه عليه لكونه اشهر منه في هذه الاعصار ولد بسهرورد سنة تسعين واربعمائة تقريبا ثم قدم بغداد واقام مدة يتقوت من اجرة ما يستقيه بالقربة ويأوي الى خربة في الجانب الشرقي من الدجلة وصحبه اقوام ينتفعون بهم اقبل

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن يا كريم

الحمد لله العظيم شانه القوي سلطانه الظاهر احسانه الباهر
حجته وبرهانه المحتجب بالجلال والمنفرد بالكمال والمرتدي بالعظمة في الاباد
والازال الذي لا يصوره وهم وخيال ولا يحصره حد ومثال ذي العز الدايم
السرمدي والملك القايم الديمومي والقدرة الممتنع ادراك كنهها والسطوة
المستوعر طرق استيفا وصفها نطقت الكاينات بانه الصانع المبدع
ولاح من صفحات ذرات الوجود بانه الخالق المخترع وسم عقل الانسان
بالعجز والنقصان والزم فصحات الالسن وصف الحصر في حلية البيان واحرقت
سبحات وجهه الكريم اجنحة طاير الفهم وكلت تعززا واجلالا مسالك
الوهم واطرق طامح البصيرة تعظيما واجلالا ولم يجد من فرط الهيبة في
فضا الجبروت مجالا فعاد البصر كليلا ولم يتنهج الى كنه الكبريا سبيلا
فسبحان من عزت معرفته لولا تعريفه وتعذر على العقول تحديده
وتكييفه ثم البس قلوب الصفوة من عباده ملابس العرفان وخصهم من
بين عباده بخصايص الاحسان فصارت ضمايرهم من مواهب الانس مملوة
ومرايي قلوبهم بنور القدس مجلوة فتهيات لقبول الامداد القدسية
واستعدت لورود الانوار العلوية واتخذت من الانفاس العطرة بالاذكار
جلاسا واقامت على الظاهر والباطن من التقوي حراسا واشعلت في ظلم
البشرية من اليقين نبراسا واستحقرت فوايد الدنيا ولذاتها وانكرت مصايد
الهوي وتبعاتها وامتطت غوارب الرغبوت والرهبوت واستفرشت
بعلو همتها بساط الملكوت وامتدت الى المعالي اعناقها وطمحت الى اللامع
العلوي احداقها واتخذت من الملا الاعلى مسامرا ومجاورا ومن النور

الاغر

2 الاغر الاضفي منا اورا ومجاورا اجسادا ارضية بقلوب سماوية واشباح
فرشية بارواح عرشية نفوسهم في منازل الخدمة سيارة وارواحهم
في فضا القرب طيارة ومذاهبهم في العبودية مشهورة واعلامهم في
اقطار الارض منشورة يقول الجاهل بهم فقدوا وما فقدوا ولكن
سمت احوالهم فلم يدركوا وعلا مقامهم فلم يملكوا كاينين بالجثمان باينين
بقلوبهم عن اوطان الحدثان لارواحهم حول العرش تطواف ولقلوبهم
من خزاين البر اسعاف يتنعمون بالخدمة في الدياجر ويتلذذون
من وهج الطلب بظماء الهواجر تسلوا بالصلوات عن الشهوات وتعوضوا
بحلاوة التلاوة عن اللذات يلوح من صفحات وجوههم بشر الوجدان
وينم على مكنون سرايرهم نضارة العرفان لا يزال في كل عصر وزمان
منهم علما قايمون بالحق داعين للخلق نحو احسن المتابعة رتبة الدعوة
وجعلوا للمتقين قدوة فلا تزال تظهر في الخلق اثارهم وتزهر في الافاق
انوارهم من اقتدي بهم اهتدي ومن انكرهم ضل واعتدي فلله الحمد
على ما هيا للعباد من بركة خواص حضرته من اهل الوداد والصلوة
على نبيه ورسوله محمد واله واصحابه الاكرمين الامجاد ثم ان ايثاري
لهدي هولاء القوم ومحبتي لهم علما بشرف حالهم وصحة طريقتهم المبنية على
الكتاب والسنة المتحقق بها من الله الكريم الفضل والمنة حدا بي
على ان اذب عن هذه العصابة بهذه الصبابة واولف ابوابا في الحقايق
والاداب معربة عن وجه الصواب فيما اعتمدوه مشعرة بشهادة صريح
العلم لهم فيما اعتقدوه حيث كثر المتشبهون واختلفت احوالهم وتستر
بزيهم المتسترون وفسدت اعمالهم وسبق الى قلب من لا يعرف اصول سلفهم

سوء ظن وكاد لا يسلم من وقيعة فيهم وطعن ظنًا منه ان حاصلهم راجع
الى مجرد رسم وتخصصهم عائد الى مطلق اسم وما حضرني فيه من النية ان
اكثر سواد القوم بالاعتزاء الى طريقهم والاشارة الى احوالهم وقد ورد
من كثر سواد قوم فهو منهم وارجوا من الله الكريم صحة النية فيه وتخليصها
من شوايب النفس وكلما فتح الله علي فيه منح من الله الكريم وعوارف
واجل المنح عوارف المعارف والكتاب يشتمل على نيف وستين بابا والله
المعين واليه المآب

في

 فهذه الابواب
تحررت بعون الله تعالى مشتملة على بعض علوم الصوفيه واحوالهم
ومقاماتهم وآدابهم واخلاقهم وغرائب مواجيدهم وحقائق معرفتهم
وتوحيدهم ودقيق اشاراتهم ولطيف اصطلاحاتهم فعلومهم كلها انبا
عن وجدان واعتزا الى عرفان وذوق تحقق بصدق الحال ولم يف
باستيفا كنهه صريح المقال لانها مواهب ربانية ومنايح حقانية استنزلها
صفا السراير وخلوص الضماير فاستعصت بكنهها على الاشارة وطمحت
على العبارة وتهادتها الارواح بدلالة التشام والايتلاف وكرعت
حقايقها من بحر الالطاف وقد اندرس كثير من دقيق علومهم كما انطمس
كثير من حقايق رسومهم وقد قال الجنيد رحمه الله علمنا هذا طوي
بساطه منذ كذي سنه ونحن نتكلم في حواشيه هذا القول منه في
وقته مع قرب العهد بعلما السلف وصالحي التابعين فكيف بنا ذلك مع بعد
العهد وقلة العلما الزاهدين والعارفين بحقايق علوم الدين والله
المامول ان يقابل جهد المقل بحسن القبول والحمد لله رب العالمين

الباب الاول في ذكر منشا علوم الصوفية حدثنا شيخنا
شيخ الاسلام ابو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردي املا
من لفظه في شوال سنة ستين وخمسماية قال انا الشريف نور الهدى
ابو طالب الحسين بن محمد الزينبي قال اخبرتنا كريمة بنت احمد بن محمد المروزية

المجاورة بمكة حرسها الله تعالى قالت اخبرنا ابو الهيثم محمد بن مكي الكشميهني
قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن يوسف الفربري قال اخبرنا ابو عبد الله محمد
بن اسمعيل البخاري رضي الله عنه قال حدثنا ابو كريب قال حدثنا ابو
اسامة عن بريد عن ابي بردة عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما
فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجا النجا
فاطاعه طايفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طايفة
منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني
فاتبع ما جيت به ومثل من عصاني وكذب بما جيت به من الحق يعني اجتاحهم
اي استاصلهم ومن ذلك الجايحة التي تفسد الثمار وقال صلى الله عليه وسلم
مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت
طايفة منها طيبة قبلت الما فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها
طايفة اخاذات امسكت الما فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا
واصاب منها طايفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ما ولا تنبت كلا فذلك
مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعمل وعلم ومثل
من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به اعد الله تعالى
لقبول ما جا به رسول الله صلى الله عليه وسلم اصفى القلوب وازكى النفوس
وظهر تفاوت الصفا والتزكية في تفاوت الفايدة والنفع فمن القلوب
ما هو بمثابة الارض الطيبة التي انبتت الكلا والعشب الكثير وهذا مثل
من انتفع بالعلم في نفسه واهتدى ونفعه علمه وهداه الى الطريق القويم
من متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن القلوب ما هو بمثابة الاخاذات

اي

اي الغدران جمع اخاذة وهو المصنع والغدير الذي يجتمع الما فيه فنفوس
العلما الزاهدين من الصوفية والشيوخ تزكت وقلوبهم صفت فاختصت
بمزيد الفايدة فصاروا الاخاذات قال مسروق صحبنا اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوجدتهم كالاخاذ لان قلوبهم كانت واعية فصارت اوعية
للعلوم بما رزقت من صفا الفهوم اخبرنا رضي الدين ابو الخير احمد بن
اسمعيل القزويني اجازة قال اخبرنا ابو سعد محمد الخليلي قال اخبرنا
القاضي ابو سعيد محمد الفرخزادي قال اخبرنا ابو اسحق احمد بن محمد
الثعلبي قال انا ابن فنجويه قال حدثنا ابن حبان قال حدثنا اسحق
بن محمد قال حدثنا ابي قال حدثنا ابرهيم بن عيسى قال حدثنا علي بن
علي قال حدثنا ابو حمزة الثمالي قال حدثني عبد الله بن الحسن قال
حين نزلت هذه الاية وتعيها اذن واعية قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعلي سالت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي فما نسيت شيا
بعد وما كان لي ان انسا قال ابو بكر الواسطي اذان وعت عن الله اسراره
وقال ايضا واعية في معادنها ليس فيها غير ما شاهدها شي فهي الخالية
عما سواه فما اضطراب الطبايع الا من الجهل فقلوب الصوفية وعت
لانهم زهدوا في الدنيا بعد ان احكموا اساس التقوى فبالتقوى زكت
نفوسهم وبالزهد صفت قلوبهم فلما عدموا شواغل الدنيا بتحقيق الزهد
انفتحت مسام بواطنهم وسمعت اذان قلوبهم واعانهم على ذلك زهدهم في
الدنيا فعلما التفسير وايمة الحديث وفقها الاسلام احاطوا علما بالكتاب
والسنة واستنبطوا منهما الاحكام وردوا الحوادث المتجددة الى
اصول من النصوص وحمى الله تعالى بهم الدين ثم عرف علما التفسير وجه

التفسير وعلم التاويل ومذهب العرب في اللغة وغرايب النحو والتصريف
واصول القصص واختلاف وجوه القراآة وصنفوا في ذلك الكتب فاتسع
بطريقهم علوم القران على الامة وايمة الحديث ميزوا بين الصحاح
والحسان وتفردوا بمعرفة الرواة واسامي الرجال وحكموا بالجرح والتعديل
ليتبين الصحيح من السقيم ويتميز المعوج من المستقيم فيحفظ بطريقهم
طريق الرواية والسند حفظا للسنة واستدب الفقها لاستنباط الاحكام
والتفريع في المسايل ومعرفة التعليل ورد الفروع الى الاصول بالعلل الجوامع
واستيعاب الحوادث بحكم النصوص وتفرع من علم الفقه والاحكام علم اصول
الفقه وعلم الخلاف وتفرع من علم الخلاف علم الجدل واحوج علم اصول
الفقه الى شي من علم اصول الدين وكان من علمهم علم الفرايض ولزم منه علم الحساب
والجبر والمقابلة والى غير ذلك فتمهدت الشريعة وتايدت واستقام الدين
الحنيفي وتفرع وتاصل الهدي النبوي المصطفوي فانبتت اراضي قلوب العلما
الكلا والعشب بما قبلت من مياه الحيوة من الهدي والعلم قال الله تعالى انزل
من السما ما فسالت اودية بقدرها قال ابن عباس رضي الله عنهما الما العلم
والاودية القلوب وقال ابو بكر الواسطي خلق الله تعالى درة صافية فلاحظها
بعين الجلال فذابت حيا منه فسالت فقال انزل من السما ما فسالت اودية
بقدرها فصفا القلوب من وصول ذلك الما اليها وقال ابن عطا انزل
من السما ما هذا مثل ضربه الله تعالى للعبد اذا سال السيل في الاودية
لا تبقي في الاودية نجاسة الا كنسها وذهب بها وكذلك اذا سال النور الذي
قسم الله تعالى للعبد في نفسه لا تبقى فيه غفلة ولا ظلمة انزل من السما ما يعني
قسمة النور فسالت اودية بقدرها يعني في القلوب الانوار على ما قسم لها

في الازل فاما الزبد فيذهب جفا فتصير القلوب منورة لا تبقى فيها جفوة
واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض تذهب البواطل وتبقى الحقايق وقال
بعضهم انزل من السما انواع الكرامات فاخذ كل قلب بحظه ونصيبه فسالت
اودية قلوب علما التفسير والحديث والفقه بقدرها وسالت اودية قلوب
الصوفية من العلما الزاهدين في الدنيا المتمسكين بحقايق التقوى بقدرها فمن
كان في باطنه لوث محبة الدنيا من فضول المال والجاه وطلب المنازل
والرفعة سال وادي قلبه بقدره فاخذ من العلم طرفا صالحا ولم يحظ
بحقايق العلوم ومن زهد في الدنيا اتسع وادي قلبه فسالت فيه مياه العلوم
واجتمعت وصارت اخاذات قيل للحسن البصري هكذا قال الفقها قال
وهل رايت فقيها قط انما الفقيه الزاهد في الدنيا فالصوفية اخذوا حظا
من علم الدراسة فافادهم علم الدراسة العمل بالعلم فلما عملوا بما علموا افادهم
العمل علم الوراثة فهم مع ساير العلما في علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زايدة هي
علوم الوراثة وعلم الوراثة هو الفقه في الدين قال الله تعالى فلولا نفر من
كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
فصار الانذار مستفادا من الفقه والانذار احيا المنذر بما العلم والاحيا
بالعلم رتبة الفقيه في الدين فصار الفقه في الدين من اكمل الرتب واعلاها
وهو علم العالم الزاهد في الدنيا المتقي الذي بلغ رتبة الانذار بعلمه فمورد
الهدي والعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وورد عليه الهدي والعلم
من الله عز وجل فارتوى بذلك ظاهرا وباطنا فظهر من ارتوا ظاهره
الدين والدين هو الانقياد والخضوع وهو مشتق من الدون فكل شي اتضع
فهو دون والدين ان يضع الانسان نفسه لربه عز وجل قال الله تعالى

ترتيب

شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم
وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فبالتفريق في الدين يستولي
الذبول على الجوارح ويذهب عنها نضارة العلم والنضارة في الظاهر بتزيين
الجوارح بالانقياد في النفس والمال مستفادة من ارتواء القلب والقلب في ارتوائه
بالعلم بمثابة البحر فصار قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والهدى بحرًا
مواجًا ثم وصل من بحر قلبه الى النفس وظهر على نفسه الشريفة نضارة العلم وريه
فتبدلت نعوت النفس واخلاقها ثم وصل الى الجوارح جدول فصارت ريانة
ناضرة فلما اشتمل نضارة وامتلاءً بعثه الله تعالى الى الخلق واقبل على الامة
بقلب مواج بمياه العلوم واستقبله جداول الفهوم وجرى من بحره في كل جدول
قسط ونصيب وذلك القسط الواصل الى الفهوم هو الفقه في الدين وروى
عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عبد الله بشيء افضل من
فقه في الدين ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شيء عماد
وعماد هذا الدين الفقه حدثنا شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب املاءً قال
اخبرنا ابو طالب الزينبي قال اخبرتنا كريمة قالت اخبرنا ابو الهيثم قال اخبرنا
الفربري قال اخبرنا البخاري قال حدثنا سعيد بن عفير قال حدثنا ابن
وهب عن حميد بن عبد الرحمن قال سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم
والله يعطي اذا وصل ماء العلم الى الفهم انفتح بصر القلب فابصر الحق والباطل وتبين
له الرشد من الغي ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاعرابي فمن يعمل
مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره قال الاعرابي حسبي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل وروى عبد الله بن عباس

افضل

6

افضل العبادة الفقه في الدين والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة
القلب فقال لهم قلوب لا يفقهون بها فلما فقهوا علموا ولما علموا عملوا ولما
عملوا عرفوا ولما عرفوا اهتدوا فكل من كان افقه كانت نفسه اسرع اجابة
واكثر انقيادًا لمعالم الدين واوفر حظا من نور اليقين فالعلم جملة موهوبة
من الله للقلوب والمعرفة تمييز الجملة والهدى وجدان القلوب ذلك
فالنبي صلى الله عليه وسلم قال مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم اخبر
انه وجد القلب النبوي العلم فكان هاديا مهديا وعلمه صلوات الله وسلامه
عليه منها وراثة معجونة فيه من آدم ابي البشر صلوات الله وسلامه عليه
حيث علم الاسماء كلها والاسماء سمة الاشياء فكرمه الله تعالى بالعلم وقال
علم الانسان ما لم يعلم فآدم بما ركب فيه من العلم والحكمة صار ذا فهم وفطنة
ومعرفة ورافة ولطف وحب وبغض وفرح وغم ورضا وغضب وكياسة
ثم اقتضاه استعمال كل ذلك وجعل لقلبه بصيرة واهتدى الى الله تعالى بالنور
الذي وهب له فالنبي عليه الصلاة والسلام بعث الى الامة بالنور الموروث
والموهوب له خاصة وقيل لما خاطب الله السموات والارض بقوله سبحانه
وتعالى ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين نطق من الارض واجاب موضع
الكعبة ومن السماء ما يحاذيها وقد قال عبد الله بن عباس اصل طينة رسول
الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة فقال بعض العلماء هذا يشعر بان
ما اجاب من الارض الا ذرة المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام ومن موضع
الكعبة دحيت الارض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاصل في التكوين
والكائنات تبع له والى هذا الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام كنت نبيا
وآدم بين الماء والطين وفي رواية بين الروح والجسد وقيل لذلك سمي اميا

مطلب

لان مكة ام القرى وذرته ام الخليقة وتربة الشخص مدفنه فكان يقتضي ان
يكون مدفنه بمكة حيث كانت تربته منها ولكن قيل الما لما تموج رمى الزبد الى
النواحي فوقعت جوهرة النبي عليه الصلاة والسلام الى ما يحاذي تربته بالمدينة
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكيا مدنيا حنينه الى مكة وتربته بالمدينة
والاشارة فيما ذكرنا من ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ما قال الله تعالى
واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى
وورد في الحديث ان الله تعالى مسح ظهر ادم واخرج ذريته منه كهيئة الذر
استخرج الذر من مسام شعر ادم فخرج الذر كخروج العرق وقيل كان المسح من
بعض الملايكة فاضاف الفعل الى المسبب وقيل معنى القول بانه مسح اي احصى كما تحصى
الارض بالمساحة وكان ذلك ببطن نعمان واد بجنب عرفة بين مكة والطايف
فلما خاطب الله الذر واجابوا ببلى كتب العهد في رق ابيض واشهد عليه الملايكة
والقمه الحجر الاسود فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المجيبة من الارض
والعلم والهدى فيه مخزونا فبعث بالعلم والهدى موروثا له موهوبا وقيل لما
بعث الله جبريل وميكايل ليقبضا قبضة من الارض فابت حتى بعث الله تعالى
عزرايل فقبض قبضة من الارض وكان ابليس قد وطي الارض بقدميه فصار
بعض الارض بين قدميه وبعض الارض موضع اقدامه فخلقت النفس مما مس
قدم ابليس فصارت ماوى الشر وبعضها لم يصل اليه قدم ابليس فمن تلك التربة
اصل الانبيا والاوليا فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع نظر الله
تعالى من قبضة عزرايل لم يمسها قدم ابليس فلم يصبه حظ الجهل بل صار منزوع
الجهل موفرا حظه من العلم فبعثه الله تعالى بالهدى والعلم وانتقل من قلبه الى القلوب
ومن نفسه الى النفوس فوقعت المناسبة في اصل طهارة الطينة ووقع التاليف

بالتعارف

بالتعارف الاول فكل من كان اقرب مناسبة بنسبة طهارة الطينة كان اوفر حظا
من قبول ما جا به فكانت قلوب الصوفية اقرب مناسبة فاخذت من العلم حظا
وافرا وصارت بواطنهم اخاذات فعلموا وعلموا كالاخاذ الذي يسقى منه ويزرع منه
وجمعوا بين فايدة علم الدراسة واحكام اساس التقوى فانجلى فيها صور الاشيا
على هيئتها وماهيتها فبانت الدنيا بقبحها فرفضوها وظهرت الاخرة بحسنها فطلبوها
فلما زهدوا في الدنيا انصبت الى بواطنهم اقسام العلوم انصبابا وانضاف الى علم
الدراسة علم الوراثة واعلم ان كل حال شريف نعزيه الى الصوفي في هذا الكتاب هو
حال المقرب والصوفي هو المقرب وليس في القران اسم الصوفي واسم الصوفي ترك
ووضع للمقرب على ما سنشرح ذلك في بابه ولا يعرف في طرفي بلاد الاسلام شرقا
وغربا هذا الاسم لاهل القرب وانما يعرف للمترسمين وكم من الرجال المقربين في
بلاد المغرب وبلاد تركستان وما ورا النهر لا يسمون صوفية لانهم لا يتزيون
بزي الصوفية ولا مشاحة في الالفاظ فيعلم انا نعني بالصوفية المقربين
مشايخ الصوفية الذين اسماوهم في الطبقات وغير ذلك من الكتب كلهم كانوا في
طرق المقربين وعلومهم علوم احوال المقربين ومن تطلع الى مقام المقربين من
جملة الابرار فهو متصوف ما لم يتحقق بحالهم فاذا تحقق بحالهم صار صوفيا وما عداهما
ممن تميز بزي ونسب اليهم فهو متشبه وفوق كل ذي علم عليم

الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع

حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام ابو النجيب السهروردي املا قال اخبرنا الشيخ ابو منصور المقري قال
اخبرنا الامام الحافظ ابو بكر الخطيب قال اخبرنا ابو عمر الهاشمي قال اخبرنا ابو علي
اللولوي قال اخبرنا ابو داود السجستاني قال حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى
عن شعبة قال حدثني عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب عن عبد الرحمن بن ابان

عن ابيه عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر
الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه الى من هو افقه منه
ورب حامل فقه غير فقيه اساس كل خير حسن الاستماع قال الله تعالى ولو علم الله فيهم
خيرا لاسمعهم يقول بعضهم علامة الخير في السماع ان يسمع العبد نعتا اوصافه
ونعوته ويسمعه بالحق من الحق وقال بعضهم لو علمهم اهلا للسماع لفتح اذانهم
للاستماع لمن تملكه الوساوس وغلب على باطنه حديث النفس لا يقدر على حسن
الاستماع فالصوفية واهل القرب لما علموا ان كلام الله تعالى رسايله الى عباده
ومخاطبته اياهم راوا كل اية من كلام الله عز وجل بحرا من بحار العلم مما يتضمن
من ظاهر العلم وباطنه وخفيه وجليه وبابا من ابواب الجنة باعتبار ما يتنبه
او تدعوا اليه من العمل وراوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى من عند الله يتعين الاستماع اليه فكان من اهم ما
عندهم الاستعداد للاستماع وراوا ان حسن الاستماع قرع باب الملكوت واستنزال
بركة الرغبوت والرهبوت وراوا ان الوساوس دخنة نايرة من نار النفس الامارة
بالسوء وقتام يتراكم من نفث الشيطان وان الحظوظ العاجلة والاقسام الدنيوية
التي هي مناط الهوى ومثار الردى بمثابة الحطب التي تزداد النار بها تاججا وبرد
القلب بها تحرجا فرفضوا الدنيا وزهدوا فيها فلما انقطعت عن نار النفس احطابها
وفترت نيرانها وقل دخانها شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم فهيأوا
مواردها بصفا الفهوم فلما شهدوا سمعوا قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد قال الشبلي موعظة القران لمن قلبه
حاضر مع الله لا يغفل عنه طرفة عين قال يحيى بن معاذ الرازي القلب قلبان
قلب قد احتشى باشغال الدنيا حتى اذا حضر امر من امور الطاعة لم يدر ما يصنع

به

به من شغل قلبه بالدنيا وقلب قد احتشى باحوال الاخرة حتى اذا حضر امر من
امور الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب قلبه في الاخرة فانظروا كم بين بركة تلك
الافهام وشوم هذه الاشغال الفانية التي اقعدتك عن الطاعة قال بعضهم
لمن كان له قلب سليم من الاعراض والامراض قال الحسن لمن كان له قلب لا
يخطر فيه الا شهود الرب وانشد شعر اني اليك قلوبا طالما
هطلت سحايب الوحي فيها ابحر الحكم وقال ابن عطا قلب لاحظ الحق
بعين التعظيم فذاب له وانقطع اليه عما سواه وقال الواسطي اي لذكرى
لقوم مخصوصين لا لساير الناس لمن كان له قلب اي في الازل وهم الذين
قال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وقال ايضا المشاهدة تذهل والحجة
تفهم لان الله تعالى اذا تجلى لشيء خضع له وخشع هذا الذي قاله الواسطي صحيح
في حق اقوام وهذه الاية تحكم على خلاف هذا لاقوام اخرين وهم ارباب التمكين
يجمع الله لهم بين المشاهدة والفهم فموضع الفهم محل المحادثة والمكالمة وهو
سمع القلب وموضع المشاهدة بصر القلب وللسمع حكمة وفايدة وللبصر حكمة
وفايدة لمن هو في سكر الحال يغيب سمعه في بصره ومن هو في حال الصحو
والتمكين لا يغيب سمعه في بصره لتملكه ناصية الحال ويفهم بالوعاء الوجود
المستعد لفهم المقال لان الفهم مورد الالهام والسماع والالهام والسماع
يستدعيان وعاء وجوديا وهذا الوجود يكون موهوبا منشأ انشاء ثانيا للتمكين
في مقام الصحو وهو غير الوجود الذي يتلاشى عند لمعان نور المشاهدة
لمن لم يخرج على ممر الفنا الى مقام البقا وقال ابن سمعون ان في ذلك
لذكرى لمن كان له قلب يعرف آداب الخدمة وآداب القلب لانه اشياء
فالقلب اذا ذاق طعم العبادة عوتب في الشهوة فمن وقف عن شهوته وجد

تلك الادب ومن افتقر الى ما لم يجد من الادب بعد الاشتغال بما وجد فقد
وجد تلقي الادب والثالث امتلاء القلب بالذي بدا بالفضل عند الوفاء
تفضلا وقال محمد بن علي موت القلب من شهوات النفس فكلما رفض
شهوة نال من الحياة بقسطها فالسماع للاحيا لا للاموات قال الله تعالى
انك لا تسمع الموتى قال سهل بن عبد الله القلب رقيق تؤثر فيه الخطرات
المذمومة واثر القليل عليه كثير قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
له شيطانا فهو له قرين فالقلب عيا لا يفتر والنفس يقظانة لا ترقد فان
كان العبد مستمعا الى الله تعالى والا فهو مستمع الى الشيطان والنفس
فكل سد باب الاستماع من حركة النفس وفي حركتها تطرق الشيطان وقد
ورد لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السموات
وقال الحسين بصاير المبصرين ومعارف العارفين ونور العلماء الربانيين
وطرق السابقين الناجين والازل والابد وما بينهما من الحدث لمن كان له قلب
او القى السمع وهو شهيد وقال ابن عطاء هو القلب الذي يلاحظ الحق ويناهله
ولا يغيب عنه خطرة ولا فترة فيسمع به بل يسمع منه ويشهد به بل يشهده
فاذا لاحظ القلب الحق بعين الجلال فزع وارتعد واذا طالعه بعين الجمال
هدأ واستقر وقال بعضهم لمن كان له قلب بصير يقوى على التجريد مع الله
تعالى والتفريد له حتى يخرج من الدنيا والخلق والنفس فلا يشتغل بغيره
ولا يركن الى سواه فقلب الصوفي مجرد عن الاكوان التي سمعه وشهد بصره
فسمع المسموعات وابصر المبصرات وشاهد المشهودات لتخلصه الى الله تعالى
واجتماعه بين يديه والاشيا كلها عند الله تعالى وهو عنده فسمع وشاهد
فابصر وسمع جملها ولم يسمع ولم يشاهد تفاصيلها لان الجمل تدرك لسعة عين

حسن م

الشهود

الشهود والتفاصيل لا تدرك لضيق وعاء الوجود والله تعالى هو العالم
بالجمل والتفاصيل وقد مثل بعض الحكماء تفاوت الناس في الاستماع
وقال ان الباذر خرج ببذره فملأ منه كفه فوقع منه شي على ظهر الطريق
فلم يلبث ان انحط عليه الطير فاختطفه ووقع منه شي على الصفوان
وهو الحجر الاملس عليه تراب يسير وندى قليل فنبت حتى اذا وصلت
عروقه الى الصفوان لم تجد مساغا ينفذ فيه فيبس ووقع منه شي
على ارض طيبة فيها شوك نابت فنبت فلما ارتفع خنقه الشوك فافسده
واختلط به ووقع منه شي على ارض طيبة ليس على ظهر الطريق ولا على
صفوان ولا فيها شوك فنبت ونما وصلح فمثل الباذر مثل الحكيم ومثل
البذر مثل صواب الكلام ومثل ما وقع على ظهر الطريق مثل الرجل يسمع الكلام
وهو لا يريد ان يسمعه فما يلبث الشيطان ان يختطفه من قلبه فينساه
ومثل الذي وقع على الصفوان مثل الرجل يستمع الى الكلام فيستحسنه ثم تفضي
الكلمة الى قلب ليس فيه عزم على العمل فينسخ من قلبه ومثل الذي وقع
في ارض طيبة فيها شوك مثل الرجل الذي يسمع الكلام وهو ينوي ان يعمل
به فاذا اعترضت له الشهوات فيذته عن النهوض بالعمل فيترك ما نوى
عمله بغلبة الشهوة كالزرع يختنق بالشوك ومثل الذي وقع في ارض طيبة
مثل المستمع الذي ينوي عمله فيفهمه ويعمل به ويجانب هواه وهذا الذي
جانب الهوى واتبع سبل الهدى هو الصوفي لان للهوى حلاوة والنفس
تتزين بحلاوة الهوى فهي تركن اليه وتستلذه واستلذاذ الهوى هو الذي
يخنق النبت كالشوك وقلب الصوفي نازله حلاوة الحب الصافي
والحب الصافي تعلق الروح بالحضرة الالهية ومن قوة انجذاب الروح

مطلب

يخنق القلب كالشوك الذي

الي الحضرة الالهية بداعية الحب تستتبع القلب النفس وحلاوة الحب
للحضرة الالهية بتغلب حلاوة الهوي لان حلاوة الهوي كشجرة خبيثة اجتثت
من فوق الارض ما لها من قرار لكونها لا ترتقي عن النفس وحلاوة الحب كشجرة
طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما لانها متاصلة في الروح فرعها عند الله
وعروقها ضاربة في ارض النفس فاذا سمع الكلمة من القران او من كلام
رسول الله صلي الله عليه وسلم يتشربها بالروح والقلب والنفس ويتغذيها
بكليته ويقول شعر امسي كتيما لست اعرفه اظن لميا جرت
فيك اردانا ⊙ فتعم الكلمة وتشمله وتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة
منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول شعر
ان تذكرتكم فكلي قلوب او تاملتكم فكلي عيون قال الله تعالي فبشر عباد
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله
واولئك هم اولوا الالباب قال بعضهم اللب والعقل ما به جزء تسعة
وتسعون في النبي عليه الصلوة والسلام وجزء في ساير المومنين والجزء الذي
في ساير المومنين احد وعشرون سهما فيهم تساوي المومنون كلهم فيه وهو
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وعشرون سهما يتفاضلون
فيها علي مقادير حقايق ايمانهم قيل في هذه الاية اظهار فضيلة رسول الله
صلي الله عليه وسلم اي الاحسن ما ياتي به لانه لما وقعت له صحة التمكين
ومقارنة الاستقرار قبل خلق الكون ظهرت عليه الانوار في الاحوال كلها
لا جرم كان معه احسن الخطاب وله السبق في جميع المقامات الا تراه صلي
الله عليه وسلم يقول نحن الاخرون السابقون يعني الاخرون وجودا
والسابقون في الخطاب الاول في الفضل في محل القدس وقال الله تعالي

بايها

يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال الجنيد
تسموا ارواح ما دعاهم اليه فاسرعوا الي محو العلايق المشغلة وهجموا بالنفوس
علي معانقة الحذر وتجرعوا امرارة المكابدة وصدقوا الله في المعاملة
واحسنوا الادب فيما توجهوا وهانت عليهم المصايب وعرفوا قدر ما يطلبون
وسجنوا هممهم عن التلفت الي مذكور سوي وليهم فحيوا حياة الابد بالحي
الذي لم يزل ولا يزال وقال الواسطي حيوتها تصفيتها عن كل معلول
لفظا وفعلا وقال بعضهم استجيبوا لله بسرايركم وللرسول بظواهركم فحياة
النفوس بمتابعة الرسول وحياة القلوب بمشاهدة الغيوب وهو الحيا
من الله تعالي برؤية التقصير وقال ابن عطا في هذه الاية الاستجابة
علي اربعة اوجه اولها اجابة التوحيد والثاني اجابة التحقيق والثالث
اجابة التسليم والرابع اجابة التقريب فالاستجابة علي قدر السماع والسماع
من حيث الفهم والفهم علي قدر المعرفة بقدر الكلام والمعرفة بالكلام علي
قدر المعرفة والعلم بالمتكلم ووجوه الفهم لا تنحصر لان وجوه الكلام لا
تنحصر قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
فلله تعالي في كل كلمة من القران كلمات التي ينفد البحر دون نفادها
وكل الكلام كلمة نظرا الي ذات التوحيد وكل كلمة كلمات نظرا الي سعة
علم الازلي حدثنا شيخنا ابو النجيب السهروردي قال اخبرنا الرئيس
ابو علي بن نبهان قال اخبرنا الحسن بن شاذان قال اخبرنا دعلج بن
احمد قال اخبرنا ابو الحسن علي بن عبد العزيز البغوي قال اخبرنا ابو
عبيد القاسم ابن سلام قال حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن علي
بن زيد عن الحسن يرفعه الي النبي صلي الله عليه وسلم قال ما نزل من القران

آية الا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع قال فقلت يا ابا
سعيد ما المطلع قال يطلع قوم يعملون به قال ابو عبيد احسب ان قول
الحسن هذا انما ذهب الى قول عبد الله بن مسعود قال ابو عبيد حدثني
حجاج عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال
ما من حرف او آية الا وقد عمل بها قوم او لها قوم سيعملون بها فالمطلع
المصعد يصعد اليه من معرفة علمه فيكون المطلع الفهم يفتح الله على
كل قلب بما يرزق من النور واختلف الناس في معنى الظهر والبطن قال
قوم الظهر لفظ القران والبطن تاويله وقيل الظهر صورة القصة
مما اخبر الله تعالى عن غضبه على قوم وعقابه اياهم فظاهر ذلك اخبار
عنهم وباطنه عظة وتنبيه لمن يقرا ويسمع من الامة وقيل ظاهره تنزيله
الذي يجب الايمان به وباطنه وجوب العمل به وقيل ظهره تلاوته كما انزل الله
قال الله تعالى ورتل القران ترتيلا وبطنه التدبر والتفكر قال الله تعالى
كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب وقيل قوله
لكل حرف حد اي في التلاوة لا يجاوز المصحف الذي هو الامام وفي التفسير
لا يجاوز المسموع المنقول وفرق بين التفسير والتاويل فالتفسير علم نزول
الآية وشانها وقصتها والاسباب التي نزلت فيها وهذا محظور على الناس
كافة القول فيه الا بالسماع والاثر واما التاويل فصرف الآية الى معنى
تحتمله اذا كان المحتمل الذي يراه يوافق الكتاب والسنة فالتاويل يختلف
باختلاف حال المأول على ما ذكرناه من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ونصيب
القرب من الله تعالى قال ابو الدرداء لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى
للقران وجوها كثيرة فما اعجب قول عبد الله بن مسعود ما من آية الا ولها

قوم

قوم سيعملون بها وهذا الكلام محرض لكل طالب صاحب همة ان يصفي
موارد الكلام ودقيق معانيه وغامض اسراره من قلبه فللصوفي بكمال
الزهد في الدنيا وتجريد القلب عما سوى الله تعالى مطلع من كل آية وله بكل
مرة في القراءة مطلع جديد وفهم عتيد وله بكل فهم عمل جديد ففهمهم
يدعو الى العمل وعملهم يجلب صفاء الفهم ودقيق النظر في معاني الخطاب
فمن الفهم علم ومن العلم عمل والعلم والعمل يتناوبان فيه وهذا العمل انما
عمل القلوب غير عمل القالب واعمال القلوب للطفها وصفائها مشاكلة للعلوم
لانها نيات في طويات وتعلقات ذوجيه وتاديبات قلبية ومسامرات سرية
وكلما اتوا بعمل من هذه الاعمال رفع لهم علم من العلم واطلعوا على مطلع من
فهم الآية جديد قال الشيخ رحمه الله ويختلج سري ان يكون المطلع
ليس بالوقوف بصفاء الفهم على دقيق المعنى وغامض السر في الآية ولكن
المطلع ان يطلع عند كل آية على شهود المتكلم بها لانها مستودع وصف
من اوصافه ونعت من نعوته فيتجدد له التجليات بتلاوة الآيات وسماعها
وتصير له مرآيا منبئة عن عظيم الجلال ولقد نقل عن جعفر الصادق انه
قال لقد تجلى الله تعالى لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون فيكون لكل آية
مطلع من هذا الوجه فالحد حد الكلام والمطلع الترقي من حد الكلام الى
شهود المتكلم وقد نقل عن جعفر الصادق ايضا انه خر مغشيا عليه وهو
في الصلوة فسئل عن ذلك فقال ما زلت اردد الآية حتى سمعتها من المتكلم
بها فالصوفي لما لاحت له ناصية التوحيد والقى سمعه عند سماع الوعد والوعيد
وقلبه بالتخلص عما سوى الله تعالى صار بين يدي الله حاضرا عند سماع الوعد
شهيدا يرى لسانه او لسان غيره في التلاوة كشجرة موسى حيث اسمعه الله

تعالى منها خطابه اياه باني انا الله فاذا كان سماعه من الله تعالى واستماعه
الى الله تعالى صار سمعه بصره و بصره سمعه و علمه عمله و عمله علمه وعاد
اخره اوله و اوله اخره ومعنى ذلك ان الله تعالى خاطب الذر بقوله الست
بربكم فسمعت النداء على غاية الصفا ثم لم تزل الذرات تتقلب في الاصلاب
وتنتقل الى الارحام قال الله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في
الساجدين يعني تقلب ذرتك في اصلاب اهل السجود من ابايك الانبيا فما زالت
تنتقل الذرات حتى برزت الى اجسادها فاحتجبت بالحكمة عن القدرة وبعالم
الشهادة عن عالم الغيب وتراكم ظلمتها بالتقلب في الاطوار فاذا اراد الله بالعبد
حسن الاستماع بان يصيره صوفيا لا يزال يرقيه في رتبة التزكية والتحلية حتى
يتخلص الى فضا القدرة ويزال عن بصيرته النافذة سجف الحكمة فتصير
سماعه الست بربكم كشفا وعيانا وتوحيده وعرفانه تبيانا و برهانا
وتندرج له ظلمة الاطوار في لوامع الانوار قال بعضهم انا اذكر خطاب
الست بربكم اشارة منه الى هذه الحال فاذا تحقق الصوفي بهذا الوصف
صار وقته سرمدا وشهوده مويدا وسماعه متواليا متجددا يسمع كلام الله
وكلام رسوله حق السماع قال سفين بن عيينة اول العلم الاستماع ثم الفهم
ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وقال بعضهم تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن
الكلام وقيل من حسن الاستماع امهال المتكلم حتى يقضي حديثه وقلة التلفت
الى الجواب والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعي قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقال تعالى
لا تحرك به لسانك لتعجل به هذا تعليم من الله تعالى لرسوله عليه الصلوة
والسلام حسن الاستماع قيل معناه لا تمله على الصحابة قبل تدبر معانيه

حتى

صابناه

حتى تكون انت اول من يحظى بغرايبه وعجايبه وقيل كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل واوحي اليه لا يفتر من قراة القران
مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك اي لا تعجل بقرانه
قبل ان يفرغ جبريل من القايه اليك وقد تكون مطالعة العلوم واخبار
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى السماع ويحتاج المطالع للعلوم والاخبار
وسير اهل الصلاح وحكاياتهم وانواع الحكم والامثال ان يكون في ذلك كله
متادبا باداب حسن الاستماع لانه نوع من ذلك وكان القلب يستعد بحسن
الاستماع بالزهادة والتقوى حتى اخذ من كل ما سمع احسنه فيكون
اخذا بالمطالعة من كل شي احسنه ومن الادب في المطالعة ان العبد اذا
اراد ان يطالع شيا من الحديث والعلم يعلم انه قد يكون مطالبة ذلك بداعية
النفس وقلة صبرها على الذكر والتلاوة والعمل فيستروح بالمطالعة
كما يتروح بمجالسة الناس ومكالمتهم فليتفقد المتفطن نفسه في ذلك
ولا يشتغل بمطالعة الكتب الا بحد باخذ ذلك من وقته ويراعي الافراط
فيه واذا اراد مطالعة كتاب او شي من العلم لا يبادر اليه الا بعد التثبت
والانابة والرجوع الى الله تعالى وطلب التاييد من رحمته تعالى فيه فانه
قد يرزق بالمطالعة ما يكون نعت بذل الحالة ولو قلم الاستخارة لذلك
كان حسنا فان الله تعالى يفتح عليه باب الفهم والتفهيم موهبة من الله
زيادة على ما يتبين من صورة العلم فللعلم صورة ظاهرة وسر باطن
وهو الفهم والله تعالى نبه على شرف الفهم بقوله تعالى ففهمناها سليمان
وكلا اتينا حكما وعلما فلما اشار الى الفهم تبارك وتعالى بمزيد اختصاص
وتمييز عن الحكم والعلم قال الله تعالى ان الله يسمع من يشا فاذا كان

الشيكا النجاة من عذاب الاخ

مطلب

مطالعة

المسمع هو الله تعالى يسمع تارة بواسطة اللسان وتارة بما يرزق بمطالعة الكتب من التبيان فصار ما يفتح الله تعالى بمطالعة الكتب على معنى ما يرزق من المسموع ببركة حسن الاستماع ليتفقد العبد حاله في ذلك ويتعلم علمه وادبه فانه باب كبير من ابواب الخير وعمل صالح من اعمال المشايخ والصوفية والعلما الزاهدين المتبتلين لاستفتاح ابواب الرحمة والمزيد من كل شي وبالله التوفيق

الباب الثالث في بيان فضيلة علوم الصوفيه والاشارة الى انموذج منها

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب السهروردي رحمه الله عليه قال اخبرنا ابو عبد الرحمن الصوفي قال اخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد السرخسي قال اخبرنا ابو عمران السمرقندي قال اخبرنا ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا بقية عن الاحوص بن حكيم عن ابيه قال سال رجل النبي عليه الصلوة والسلام عن الشر فقال لا تسلوني عن الشر وسلوني عن الخير يقولها ثلثا قال الا ان شر الشر شرار العلما وان خير الخير خيار العلما فالعلما ادلا الامة وعمد الدين وسرج ظلمات الجهالات الجليه ونقبا ديوان الاسلام ومعادن حكم الكتاب والسنة وامنا الله تعالى في خلقه واطبا العباد ○ وجهابذة الملة الحنيفية وحملة عظيم الامانه فهم احق الخلق بحقايق التقوى واحوج العباد الى الزهد في الدنيا لانهم لنفسهم ولغيرهم فسادهم فساد متعد وصلاحهم صلاح متعد قال سفين بن عيينة اجهل الناس من ترك العمل بما يعلم واعلم الناس من عمل بما يعلم وافضل الناس اخشعهم لله تعالى وهذا قول صحيح محكم بان العالم اذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم لا يغتر بتشدقه

واستطالته

14

واستطالته وحذاقته وقوته في المناظرة والمجادلة فانه جاهل وليس بعالم الا ان يتوب الله عليه ببركة العلم فان العلم في الاسلام لا يضيع اهله ويرجى عود العالم ببركة العلم والعلم فريضة وفضيلة فالفريضة ما لا بد للانسان من معرفته ليقوم بواجب حق الدين والفضيلة ما زاد على قدر حاجته مما يكسبه فضيلة في النفس موافقة للكتاب والسنة وكل علم لا يوافق الكتاب والسنة وما هو مستفاد منهما او معين على فهمهما او مستند اليهما كاينا ما كان فهو رذيلة وليس بفضيلة يزداد الانسان به هوانا ورذالة في الدنيا والاخرة فالعلم الذي هو فريضة لا يسع الانسان جهله على ما حدثنا شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب قال اخبرنا الحافظ ابو القسم المستملي قال اخبرنا الشيخ العالم ابو القسم عبد الكريم بن هوازن القشيري قال اخبرنا ابو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني قال انا ابو سعيد بن الاعرابي قال نا جعفر بن عامر العسكري قال نا الحسن بن عطية قال نا ابو عاتكة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم واختلف العلما في العلم الذي هو فريضة قال بعضهم هو طلب علم الاخلاص ومعرفة افات النفس وما يفسد الاعمال لان الاخلاص مامور به كما ان العمل مامور به قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين فالاخلاص مامور به كما ان العلم مامور به ○ وخدع النفس وغرورها ودسايسها وشهواتها الخفية تخرب مباني الاخلاص المامور به فصار علم ذلك فرضا حيث كان الاخلاص فرضا وما لا يصل العبد الى الفرض الا به صار فرضا وقال بعضهم معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لان الخواطر

هذا الحديث اخرجه ابو يعلى الموصلي في مسنده وابن ماجه بسند ضعيف والبزار ... عنه بطرق وابن الجوزي ... منهاج القاصدين هذا ايضا ... النووي ... بلغ رتبة الحسن ... النووي وهذا الحديث ... ثابت ... بعضهم ... الكفايه ...

هي اصل الفعل ومبدأه ومنشأه وبذلك يعلم الفرق بين لمة الملك ولمة
الشيطان فلا يصح الفعل الا بصحتها فصار علم ذلك فرضا حتى يصح الفعل
من العبد وقال بعضهم طلب علم الوقت وقال سهل بن عبد الله هو طلب
علم الحال يعني حكم حاله الذي بينه وبين الله في دنياه واخرته وقيل هو
طلب علم الحلال حيث كان اكل الحلال فريضة وقد ورد طلب الحلال فريضة
بعد الفريضة فصار علمه فريضة من حيث انه فريضة وقيل هو طلب علم
الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهذا العلم هو الذي يكتسب بالصحبة
ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد المقربين الذين جعلهم
الله تعالى من جنوده يسوق الطالبين اليهم ويقوي بهم بطريقتهم ويرشدهم
بهم فهم وراث علم النبي عليه الصلوة والسلام ومنهم يتعلم علم اليقين وقال
بعضهم هو علم البيع والشرا والنكاح والطلاق اذا اراد الدخول في شي من ذلك
يجب عليه طلب علمه وقال بعضهم هو ان يكون العبد يريد عملا يجهل ما يكون
لله عليه في ذلك فلا يجوز له ان يعمل برايه اذ هو جاهل فيما له وعليه في
ذلك فيراجع عالما يسال عنه ليجيبه على بصيرة ولا يعمل برايه وهذا علم
يجب طلبه حيث جهل وقال بعضهم طلب علم التوحيد فرض من ذلك قائل
يقول طريقه النظر والاستدلال ومن قائل ان طريقه النقل وقال بعضهم
اذا كان العبد على سلامة الباطن وحسن الاستسلام والانقياد في الاسلام
ولا يحيك في صدره شي فهو سالم فان حاك في صدره شي او توسوس بشي يقدح
في العقيدة او ابتلي بشبهة لا يومن غائلتها ان تخرجه الى بدعة او ضلالة
فيجب عليه ان يستكشف عن الاشتباه ويراجع اهل العلم ومن يفهمه طريق (الاشباه)
الصواب وقال الشيخ ابو طالب المكي رحمه الله هو علم الفرائض الخمس

الذي

الذي بني عليها الاسلام لانها افترضت على المسلمين واذا كان عملها فرضا
صار علم العمل فرضا وذكر ان علم التوحيد داخل في ذلك لان اولها
الشهادتان والاخلاص داخل فيها لان ذلك من صحة الاسلام وعلم
الاخلاص داخل في صحة الاسلام وحيث اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه فريضة على كل مسلم تقتضي ان لا يسع مسلما جهله وكل ما تقدم
من الاقاويل اكثرها مما يسع المسلم جهله لانه قد لا يعلم علم الخواطر
وعلم الحال وعلم الحلال بجميع وجوهه وعلم اليقين المستفاد من علماء الاخرة
كما يرى اكثر المسلمين على الجهل بهذه الاشيا ولو كانت هذه الاشيا فرضت
عليهم لعجز عنها اكثر الخلق الا ما شاء الله ومشى في هذه الاقاويل الى قول
الشيخ ابي طالب اكثر والى قول من قال يجب عليه علم البيع والشرى والنكاح
والطلاق اذا اراد الدخول فيه وهذا لعمري فرض على المسلم علمه هكذا
الذي قاله الشيخ ابو طالب وعندي في ذلك حد جامع لطلب العلم المفترض
والله اعلم اقول العلم الذي طلبه فريضة على كل مسلم علم الامر والنهي
والمامور ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه والمنهي ما يعاقب على فعله ويثاب
على تركه والمامورات والمنهيات منها ما هو مستمر لازم للعبد بحكم الاسلام
ومنها ما يتوجه الامر فيه والنهي عند وجود الحادثة فما هو لازم مستمر
لزومه متوجه بحكم الاسلام علمه واجب من ضرورة الاسلام وما يتجدد
بالحوادث ويتوجه الامر والنهي فيه علمه عند تجدده فرض لا يسع مسلما
على الاطلاق ان يجهله وهذا الحد اعم من الوجوه التي سبقت والله اعلم
ثم المشايخ من الصوفية وعلماء الاخرة الزاهدون في الدنيا شمروا عن
ساق الجد في طلب العلم المفترض حتى عرفوه واقاموا الامر والنهي وخرجوا

من عهدة ذلك بحسن توفيق الله فلما استقاموا في ذلك متابعين لرسول
الله صلى الله عليه وسلم حين امره الله بالاستقامة وقال فاستقم كما أمرت
ومن تاب معك فتح الله عليهم ابواب العلوم التي سنذكرها قال بعضهم
من يطيق مثل هذه المخاطبة بالاستقامة الا من ايد بالمشاهدات
القوية والانوار البينة والاثار الصادقة ثم عظم بالتثبت كما قال
الله تعالى ولولا ان ثبتناك ثم حفظ في وقت المشاهدة وشافهه الخطاب
وهو المزين في مقام القرب والمخاطب على بساط الانس محمد صلى الله عليه
وسلم بعد ذلك خوطب بقوله فاستقم كما امرت ولولا هذه المقدمات
ما اطاق الاستقامة التي امر بها قيل لابي حفص اي الاعمال افضل قال
الاستقامة لان النبي صلى الله عليه وسلم يقول استقيموا ولن تحصوا وقال
جعفر الصادق في قوله فاستقم كما امرت افتقر الى الله بصحة العزم وراى
بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قال قلت يا رسول الله
روي عنك انك قلت شيبتني سورة هود فقال نعم فقلت له ما الذي شيبك
منها قصص الانبيا وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت فكان النبي
عليه الصلوة والسلام بعد مقدمات المشاهدات خوطب بهذا الخطاب فطولب
بحقايق الاستقامة علما الاخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية المقربون
منحهم الله تعالى من ذلك بقسط ونصيب ثم الهمهم طلب النهوض بواجب حق
الاستقامة ورأوا الاستقامة افضل مطلوب واشرف مامول قال
ابو علي الجرجاني كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة فان نفسك متحركة
في طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة وهذا الذي ذكره اصل
كبير في الباب وسر غفل عن حقيقته كثير من اهل السلوك والطلب وذلك

[illegible]

ان

16

ان المجتهدين والمتعبدين سمعوا بسير الصالحين المتقدمين وما منحوا
به من الكرامات وخوارق العادات فابدا نفوسهم لا تزال تتطلع الى شي
من ذلك ويحبون ان يرزقوا شيا من ذلك ولعل احدهم يبقى منكسر القلب
متهما نفسه في صحة عمله حيث لم يكاشف بشي من ذلك ولو علموا سر ذلك لهان
عليهم الامر فيه فيعلم ان الله سبحانه وتعالى قد يفتح على بعض المجتهدين الصادقين
من ذلك باب والحكمة فيه ان يزداد بما يرى من خوارق العادات واثار
القدرة يقينا فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا والخروج عنها من دواعي
الهوى وقد يكون بعض عباده يكاشف بصرف اليقين ويرفع عن قلبه الحجاب
ومن كوشف بصرف اليقين اغنى بذلك عن رويته خوارق العادات لان المراد
منها كان حصول اليقين وقد حصل اليقين فلو كوشف هذا المرزوق صرف
اليقين بشي من ذلك ما ازداد يقينا فلا تقتضي الحكمة كشف القدرة بخوارق
العادات لهذا الموضع لاستغنايه وتقتضي الحكمة كشف ذلك الاخر لموضع
حاجته فكان هذا الثاني يكون اتم استعدادا واهلية من الاول حيث
رزق حاصل ذلك وهو صرف اليقين بغير واسطة من رويته قدرة فان فيه
آفة العجب فاغنى عن رويته شي من ذلك جاز وحسن وان لم يقع فما يبالي ولا ينقص
بذلك وانما ينقص بالاخلال بواجب حق الاستقامة فيعلم هذا لانه اصل
كبير للطالبين فالعلما الزاهدون والمشايخ الصوفية والمقربون حيث اكرموا
بالقيام بواجب حق الاستقامة رزقوا ساير العلوم التي اشار اليها المتقدمون
كما ذكرنا وزعموا انها فرض فمن ذلك علم الحال وعلم القيام وعلم الخواطر
وسنشرح علم الخواطر وتفاصيلها في باب ان شا الله تعالى وعلم اليقين
وعلم الاخلاص وعلم النفس ومعرفة اخلاقها وعلم النفس ومعرفتها من

[illegible]

من اعز علوم القوم واقوم الناس بطريق المقربين والصوفية اقوامهم بمعرفة
النفس وعلم معرفة اقسام الدنيا ووجود دقايق الهوى وخفايا شهوات
النفس وشربها وعلم الضرورة ومطالبة النفس بالوقوف على الضرورة قولا
وفعلا ولبسا واكلا ونوما ومعرفة حقايق التوبة وعلم خفي الذنوب
ومعرفة سيئات هي حسنات الابرار ومطالبة النفس بترك ما لا يعني
ومطالبة الباطن بحصر خواطر المعصية ثم بحصر خواطر الفضول ثم علم المراقبة
وعلم ما يقدح في المراقبة وعلم المحاسبة والرعاية وعلم حقايق التوكل
وذنوب المتوكل في توكله وما يقدح في التوكل وما لا يقدح والفرق بين التوكل
الواجب بحكم الايمان وبين التوكل الخاص المختص باهل العرفان وعلم الرضا
وذنوب مقام الرضا وعلم الزهد وتحديده بما يلزم من ضرورته وما لا يقدح
في حقيقته ومعرفة الزهد في الزهد ومعرفة زهد ثالث بعد الزهد في
الزهد وعلم الانابة والالتجا ومعرفة اوقات الدعا ومعرفة وقت السكوت
عن الدعا وعلم المحبة والفرق بين المحبة العامة المفترضة بامتثال الامر والمحبة
الخاصة وقد انكر طايفة من علما الدنيا دعوى علما الاخرة المحبة الخاصة كما
انكروا الرضا وقالوا ليس الا الصبر وانقسام المحبة الخاصة الى محبة الذات
والى محبة الصفات والفرق بين محبة القلب ومحبة الروح ومحبة العقل ومحبة
النفس والفرق بين مقام المحب والمحبوب والمريد والمراد ثم علوم المشاهدات
كعلم الهيبة والانس والقبض والبسط والفرق بين الهم والبسط والنشاط
وعلم الفنا والبقا وتفاوت احوال الفنا والاستتار والتجلي والفرق والجمع واللوامع
والطوالع والبوادي والصحو والسكر والى غير ذلك لو اتسع الوقت ذكرناها
وشرحناها في مجلدات ولكن العمر قصير والوقت عزيز ولولا سهم الغفلة

لضاق

17

لضاق الوقت عن هذا القدر ايضا وهذا المختصر المولف يحتوي من علوم القوم
على طرف صالح نرجو من الله تعالى ان ينفع به ويجعله حجة لنا لا حجة علينا
وهذه كلها علوم من ورايها علوم عمل بمقتضاها وظفر بها علما الاخرة
الزاهدون وحرم ذلك علما الدنيا الراغبون وهي علوم ذوقية لا يكاد
النظر يصل اليها الا بذوق ووجدان كالعلم بكيفية حلاوة السكر لا يحصل
بالوصف لمن ذاقه عرفه ويتبين لك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلما ان العلوم
كلها لا تتعذر تحصيلها مع محبة الدنيا والاخلال بحقايق التقوى وربما كان
محبة الدنيا عونا على اكتسابها لان الاشتغال بها شاق على النفوس فجبلت
النفوس على محبة الجاه والرفعة حتى اذا استشعرت حصول ذلك بحصول
العلم اجابت الى ان تحمل الكلف وسهر الليل والصبر على الغربة والاسفار وترك
الملاذ والشهوات وعلوم هولا القوم لا تحصل مع محبة الدنيا ولا تنكشف الا
بمجانبة الهوى ولا يتدرس الا في مدرسة التقوى قال الله تعالى واتقوا الله
ويعلمكم الله جعل العلم ميراث التقوى وغير علوم هولا القوم متيسر من غير
ذلك بلا شك فعلم فضل علم علما الاخرة حيث لم يكشف النقاب الا لاولي الالباب
واولو الالباب حقيقة الزاهدون في الدنيا قال بعض الفقها اذا اوصى بماله
لاعقل الخلق يصرف الى الزهاد لانهم اعقل الخلق قال سهل بن عبد الله التستري
للعقل الف اسم ولكل اسم منه الف اسم واول كل اسم منه ترك الدنيا حدثنا
الشيخ الصالح ابو الفتح محمد بن عبد الباقي قال اخبرنا ابو الفضل احمد بن احمد
قال اخبرنا الحافظ ابو نعيم الاصبهاني قال حدثنا محمد بن احمد بن محمد قال
حدثنا العباس بن احمد الشاشي قال حدثنا ابو عقيل الرصافي قال حدثنا
ابو عبد الله الخواص وكان من اصحاب حاتم الاصم قال دخلت مع ابي عبد الرحمن

حاتم الاصم الري ومعه ثلثمائة وعشرون رجلا يريد الحج وعليهم الصوف
والزرمانقات ليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا الري فدخلنا على رجل
من التجار متنسك يحب المتقشفين فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد
قال لحاتم يا ابا عبد الرحمن الك حاجة فاني اريد ان اعود فقيها لنا هو عليل فقال
حاتم ان كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل والنظر الى الفقيه عبادة
وانا ايضا اجي معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري قال فسرنا يا ابا
عبد الرحمن فجاوا الى الباب فاذا باب مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب
عالم على هذا الحال ثم اذن لهم فدخلوا فاذا دار قوراء وابنية ومتعه
وستور وجمع فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذي هو فيه فاذا بفرش
وطية واذا هو راقد عليها وعند راسه غلام ومذبة فقعد الرازي يسلم
وحاتم قايم فاومي اليه ابن مقاتل ان اقعد فقال لا اقعد فقال له ابن مقاتل
لعل لك حاجة قال نعم قال وما هي قال مسلة اسالك عنها قال سلني قال قم فاستو
جالسا حتى اسالكها فامر غلمانه فاسندوه فقال له حاتم علمك هذا من
اين جيت به قال الثقات حدثوني به قال عمن قال عن اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال واصحاب رسول الله من اين جاوا به قال عن جبريل قال
حاتم ففيما اداه جبريل عن الله تعالى واداه الى رسول الله واداه رسول
الله الى اصحابه واداه اصحابه الى الثقات واداه الثقات اليك هل سمعت في
العلم من كان في داره اميرا ومنعته اكثر كانت له المنزلة عند الله اكثر قال
لا قال فكيف سمعت قال سمعت من زهد في الدنيا ورغب في الاخرة واحب
المساكين وقدم لاخرته كان له عند الله المنزلة اكثر قال حاتم نعم فانت
بمن اقتديت بالنبي واصحابه والصالحين ام بفرعون ونمرود اول من بنا بالجص

والاجر

والاجر يا علما السوء مثلكم يراه الجاهل الطالب للدنيا الراغب فيها فيقول
العالم على هذه الحالة لا اكون انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن
مقاتل مرضا فبلغ اهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا يا
ابا عبد الرحمن بقزوين اكثر من هذا واشاروا به الى الطنافسي قال فسار
اليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله انا رجل عجمي احب ان تعلمني اول مبتدا
ديني ومفتاح صلاتي كيف اتوضا للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات
باناء فيه ما فاتي باناء فيه ما فقعد الطنافسي فتوضا ثلثا ثلثا حتى
اذا بلغ غسل الذراعين غسل اربعا فقال له الطنافسي يا هذا اسرفت فقال
له حاتم فبماذا قال غسلت ذراعيك اربعا قال حاتم يا سبحان الله انا في كف
ما اسرفت وانت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي انه اراده بذلك
لم يرد منه التعلم فدخل البيت ولم يخرج الى الناس اربعين يوما فكتب تجار
الري وقزوين ما جرى بينه وبين ابن مقاتل والطنافسي فلما دخل بغداد
اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا له يا ابا عبد الرحمن انت رجل الكن اعجمي ليس
يكلمك احد الا قطعته قال معي ثلث خصال بهن اظهر على خصمي قالوا اي شي
هن قال افرح اذا اصاب خصمي واحزن اذا اخطا واحفظ نفسي ان لا اجهل
عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل فجا اليه وقال سبحان الله ما اعقله فلما دخلوا
عليه قالوا يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال حاتم يا ابا عبد الله لا
تسلم من الدنيا حتى يكون معك اربع خصال قال اي شي هي يا ابا عبد الرحمن
قال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك عنهم وتبذل لهم شيك وتكون من شيهم
ايسا فاذا كان هذا سلمت ثم سار الى المدينة قال الله تعالى انما يخشى الله من
عباده العلما ذكره بكلمة انما فينتفي العلم عمن لا يخشى الله كما اذا قال انما

يدخل الدار بغدادي ينتفي دخول غير البغدادي الدار فلاح لعلماء الآخرة
ان الطريق مسدود الى النسبة المعارف ومقامات القرب بالزهد والتقوى
قال ابو يزيد يوما لاصحابه بقيت البارحة الى الصباح اجهد ان اقول
لا اله الا الله ما قدرت عليه قيل ولم قال ذكرت كلمة قلتها في صباي جاءتني
وحشة تلك الكلمة فمنعتني عن ذلك واعجب ممن يذكر الله تعالى وهو متصف
بشيء من صفاته فبصفاء التقوى وكمال الزهادة يصير العبد راسخا في العلم
قال الواسطي الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بارواحهم في غيب الغيب في سر
السر فعرفهم ما عرفهم وخاضوا في بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف
لهم من مذخور الخزائن تحت كل حرف من الكلام من الفهم وعجايب الخطاب فنطقوا
بالحكم وقال بعضهم الراسخ من اطلع على محل المراد من الخطاب وقال الخراز
هم الذين كملوا في جميع العلوم وعرفوها واطلعوا على همم الخلايق كلهم
اجمعين وهذا القول من ابي سعيد لا يعني به ان الراسخ في العلم ان يقف على
جزويات العلوم ويكمل فيها فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان من الراسخين
في العلم ووقف في معنى قوله تعالى وفاكهة وابا وقال ما الاب ثم قال
ان هذا الا التكلف ونقل ان هذا الوقوف في معنى الاب انه كان من ابي بكر
رضي الله عنه وانما عني بذلك ابو سعيد ما يفسر اول كلامه باخره وهو قوله
اطلعوا على همم الخلايق كلهم لان المتقي حق التقوى والزاهد حق الزهادة
في الدنيا صفي باطنه وانجلى مرآة قلبه ووقعت له محاذاة بشيء من اللوح
المحفوظ فادرك بصفاء الباطن امهات العلوم واصولها فيعلم منتهى اقدام
العلماء في علومهم وفايدة كل علم والعلوم الجزوية متجزية في النفوس بالتعليم
والممارسة فلا يغنيه علمه الكلي ان يراجع في الجزوي اهله الذين هم اوعية فنفوس

هولآء

هولاء امتلت من الجزوي واشتغلت به وانقطعت بالجزوي عن الكلي
ونفوس العلماء الزاهدين بعد الاخذ عما لا بد لهم منه في اصل الدين واساسه
من الشرع اقبلوا على الله وانقطعوا اليه وخلصت ارواحهم الى مقام القرب
منه فانصبت ارواحهم على قلوبهم انوارا تهيأت بها قلوبهم لادراك العلوم
فارواحهم ارتقت عن حد ادراك العلوم بعكوفها على العالم الازلي وتجردت
عن وجود يصلح ان يكون وعا العلم وقلوبهم بنسبة وجهها الذي يلي
النفوس صارت اوعية وجودية تناسب وجود العلم بالنسبة الوجودية
فتالفت العلوم وتالفتها العلوم بمناسبة اتصال العلوم باتصالها
باللوح المحفوظ والمعني بالاتصال استعانتها باللوح لا غير وانفصال القلوب
عن مقام الارواح لوجود انجذابها الى النفوس فصار بين المنفصلين
نسبة اشتراك موجب للتالف فحصلت العلوم لذلك وصار العالم الرباني
راسخا في العلم اوحى الله تعالى في بعض الكتب المنزلة يا بني اسرايل لا تقولوا
العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارضين من يصعد به ولا من وراء
البحار من يعبر ياتي به العلم مجعول في قلوبكم تادبوا بين يدي باداب
الروحانيين وتخلقوا الي باخلاق الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى
يغطيكم ويغمركم فالتادب باداب الروحانيين حصر النفوس عن تقاضي
جبلاتها وقمعها بصريح العلم في كل قول وفعل ولا يصح ذلك الا لمن علم وقرب
وتطرق الى الحضور بين يدي الله فيتحفظ بالحق للحق اخبرنا شيخنا
ابو النجيب عبد القاهر السهروردي اجازة قال اخبرنا ابو منصور بن خيرون
اجازة قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال اخبرنا ابو
عمرو بن محمد بن العباس اجازة قال حدثنا ابو محمد يحيى بن صاعد قال

حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال اخبرنا عبد الله بن المبارك قال
اخبرنا الاوزاعي عن حسان بن عطية قال بلغني ان شداد بن اوس رضي
الله عنه نزل منزلا قال ايتونا بالسفرة نعبث بها فانكر منه ذلك فقال
ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت الا وانا اخطمها ثم ازمها غير هذه فلا تحفظوها
علي فمثل هذا يكون التادب باداب الروحانيين مكتوب في الانجيل لا تطلبوا
علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم وقد ورد في خبر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الشيطان ربما يسبقكم بالعلم قلنا يا رسول الله كيف يسبقنا
بالعلم قال يقول اطلبوا العلم ولا تعملوا حتى تعلموا فلا يزال في العلم قايلا
وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل قال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية
انما العلم الخشية وقال الحسن ان الله تعالى لا يعبا بذي علم ورواية
انما يعبا بذي فهم ودراية فعلوم الوراثة مستخرجة من علوم الدراسة
ومثال علوم الدراسة كاللبن الخالص السايغ للشاربين ومثال علوم الوراثة
كالزبد المستخرج منه فلو لم يكن لبنا لم يكن زبدا ولكن الزبد هو الدهنية
المطلوبة من اللبن والمايية في اللبن جسم قام به روح الدهنية والمايية
بها القوام وجعلنا من الما كل شي حي ومن كان ميتا فاحييناه اي كان ميتا
بالكفر فاحييناه بالاسلام فالاحيا بالاسلام هو القوام الاول والاصل الاول
والاسلام علوم وهي علوم مباني الاسلام والاسلام بعد الايمان نظرا الى
مجرد التصديق ولكن الايمان فروع بعد التحقق بالاسلام وهو مراتب
كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وقد يقال التوحيد والمعرفة
والمشاهدة والايمان في كل فرع من فروعه علوم فعلوم الاسلام علوم
اللسان وعلوم الايمان علوم القلوب ثم علوم القلوب لها وصف خاص ووصف

عام

20

عام فالوصف العام علم اليقين وقد يتوصل اليه بالنظر والاستدلال
ويشترك فيه علما الدنيا مع علما الاخرة وله وصف خاص يختص به علما
الاخرة وهي السكينة التي انزلت في قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا مع
ايمانهم فعلى هذا جميع الرتب يشملها اسم الايمان بوصفه العام ولا يشملها
بوصفه الخاص فبالنظر الى الوصف الخاص اليقين ومراتبه من الايمان
وبوصفه العام اليقين زيادة على الايمان والمشاهدة وصف خاص في
اليقين وهو عين اليقين وفي عين اليقين وصف خاص وهو حق اليقين فحق
اليقين اذا فوق المشاهدة وحق اليقين موطنه ومستقره في الاخرة وفي
الدنيا منه لمح يسير لاهله وهو من اعز ما يوجد من اقسام العلم بالله
لانه وجدان فصار علم الصوفية وزهاد العلما نسبته الى علم علما الدنيا
الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة ما ذكرنا من علم
الوراثة والدراسة علمهم بمثابة اللبن لانه اليقين والايمان الذي هو الاساس
وعلم الصوفية بالله من انصبة المشاهدة وعين اليقين وحق اليقين كالزبد
المستخرج من اللبن ففضيلة الانسان بفضيلة العلم ورزانة الاعمال على
قدر الحظ من العلم وقد ورد في الخبر فضل العالم على العابد كفضلي على
امتي والاشارة في هذا العلم ليس الى علم البيع والشري والطلاق والعتاق
وانما الاشارة في هذا الى العلم بالله تعالى وقوة اليقين وقد يكون العبد
عالما بالله ذا يقين وليس عنده علم من فروض الكفايات وقد كان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم من علما التابعين بحقايق اليقين ودقايق المعرفة
وقد كان علما التابعين فيهم من هو اقوم بعلم الفتوى والاحكام من بعضهم
روي ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان اذا سيل عن شي يقول سلوا سعيد

ابن المسيب وكان عبد الله بن عباس يقول سلوا جابر بن عبد الله لو نزل اهل
البصرة على فتياه لوسعهم وكان انس بن مالك يقول سلوا مولانا الحسن فانه قد
حفظ ونسيناه وكانوا يردون اليهم في علم الفتوى والاحكام ويحيلون بهم حقائق
اليقين ودقائق المعرفة لانهم كانوا اقوم بذلك من التابعين صادفهم طراوة
الوحي المنزل وغمرهم غزير العلم المجمل والمفصل فتلقى منهم طائفة مجملة ومفصلة
وطائفة مفصلة دون مجملة والمجمل اصل العلم ومطلقه المكتسب ببطنان القلوب (وطائفة مجملة دون مفصلة)
وفوق الغريزة وكمال الاستعداد خاص لخصوص قال الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي
احسن وقال قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة فلهذه السبل سالكة
ولهذه الدعوات قلوب قابلة فمنها نفوس مستعصية جامدة باقية على خشونة
طبيعتها وجبلتها فليّنها بنار الانذار والموعظة والحذار ومنها نفوس زكية
من تربة طيبة موافقة للقلوب قريبة منها فمن كانت نفسه ظاهرة على قلبه
دعاه بالموعظة ومن كان قلبه ظاهرا على نفسه دعاه بالحكمة فالدعوة بالموعظة
اجاب بها الابرار وهي الدعوة بذكر الجنة والنار والدعوة بالحكمة اجاب بها
المقربون وهي الدعوة بتلويح منح القرب وصفو المعرفة واشارة التوحيد
فلما وجدوا التلويحات الحقانية والتعريفات الربانية اجابوا بارواحهم وقلوبهم
ونفوسهم فصار متابعة الاقوال اجابتهم متابعتهم نفسا ومتابعة الاعمال
اجابتهم قلبا والتحقق بالاحوال اجابتهم روحا فاجابة الصوفية بالكل واجابة
غيرهم بالبعض قال عمر رضي الله عنه رحم الله صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه يعني
لو كتب له كتاب الامان من النار حمله صرف المعرفة بعظيم امر الله على القيام بواجب
حق العبودية اداء لما عرف من حق العظمة فاجابة الصوفية الى الدعوة اجابة.

المحب

المحب للمحبوب على اللذاذة وذهاب العمر واجابة غيرهم على المكابدة والمجاهدة
وهذه الاجابة تظهر مع الساعات اثرها في القيام بحقائق الاستقامة والعبودية
قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى قال
بعضهم اعطى الدارين ولم يرد شيئا واتقى اللغو والشيات وصدق بالحسنى اقام
على طلب الزلفى والاية قيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه ويلوح في
الاية وجه اخر اعطى بالمواظبة على الاعمال واتقى الوساوس والهواجس وصدق
بالحسنى لازم الباطن بتصفية موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود فسنيسره
لليسرى يفتح عليه باب السهولة في العمل والعيش والانس ومن بخل بالاعمال
واستغنى امتلاء بالاحوال وكذب بالحسنى لم يكن في الملكوت بنفوذ بصيرته
باحوال نسد عليه باب اليسر في الاعمال قال بعضهم اذا اراد الله بعبد سوءا
سد عليه باب العمل وفتح عليه باب الكسل فلما اجابت نفوس الصوفية وقلوبهم
وارواحهم الدعوة ظاهرا وباطنا كان حظهم من العلم اوفر ونصيبهم من المعرفة
اكمل فكانت اعمالهم ازكى وافضل جاء رجل الى معاذ رضي الله عنه فقال اخبرني
عن رجلين احدهما مجتهد في العبادة كثير العمل قليل الذنوب الا انه ضعيف
اليقين يعتوره الشك قال معاذ ليحبطن شكه اعماله قال فاخبرني عن رجل
قليل العمل الا انه قوي اليقين وهو في ذلك كثير الذنوب فسكت معاذ فقال
الرجل والله لئن احبط شك الاول اعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها
قال فاخذ معاذ بيده وقال ما رايت الذي هو افقه من هذا وفي وصية لقمن
لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر
عامل حتى يقصر يقينه فكان اليقين افضل العلم لانه ادعى الى العمل وما كان
ادعى الى العمل كان ادعى الى العبودية وما كان ادعى الى العبودية كان ادعى الى القيام

بحق الربوبية وكمال الحظ من اليقين والعلم بالله للصوفية والعلما الزاهدين
فيان بذلك فضلهم وفضل علمهم ثم اني اصور مسئلة يستبين بها المعتبر
فضل العالم الزاهد العارف بصفات نفسه على غيره عالم دخل مسجدا وقعد
وميز لنفسه مجلسا يجلس فيه كما في نفسه من اعتقاده في نفسه لمحله وعلمه وعلم
فدخل داخل من ابنا جنسه وقعد فوقه فانغص العالم واظلمت عليه الدنيا
ولو امكنه بطش باالداخل فهذا عارض عرض له ومرض اعتراه وهو لا يفطن
ان هذه علة غامضة ومرض يحتاج الى المداواة ولا يتفكر في منشا هذا المرض
ولو علم ان هذه نفس ثارت وظهرت بجهلها وجهلها لوجود كبرها وكبرها بروية
نفسها خيرا من غيرها فعلم الانسان انه اكبر من غيره كبر واظهاره ذلك الى الفعل
تكبر فحيث انغص صار فعلا به تكبر فالصوفي العالم الزاهد لا يميز نفسه لشيء
دون المسلمين ولا يرى نفسه في مقام يميز يميزها بمجلس مخصوص يميز ولو
قدر ان يبتلي بمثل هذه الواقعة وسبقه من يتقدم غيره عليه وترفعه يرى
النفس وظهورها ويرى ان هذا دآ وانه ان استرسل فيه بالاصغا الى النفس
وانغصارها صار ذلك ذنب حاله فيرتفع في الحال دآه الى الله تعالى ويشكوا
اليه ظهور نفسه ويحسن الانابة يقطع دابر ظهور النفس ويرفع القلب الى
الله مستغيثا من النفس ويشغله اشتغاله برويته دآ النفس في طلب دوائها
من الفكر فيمن قعد فوقه وربما اقبل على من قعد فوقه بمزيد التواضع
والانكسار تكفير الذنب الموجود وندا ويا الدآيه الحاصل فتبين بهذا الفرق
بين الرجلين فاذا اعتبر المعتبر وتفقد حال نفسه في هذا المقام يرى نفسه
كنفوس عوام الخلق وطالبي المناصب الدنيا وية فاي فرق بينه وبين غيره ممن
لا علم له ولو اكثرنا تصوير المسايل تبرهنت فضيلة الزاهدين ونقصان الراغبين

وهذا

وهذا من اوايل علوم الصوفية فما ظنك بنفايس علومهم وشرايف احوالهم ن

الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقتهم

اخبرنا الشيخ العالم ضيا الدين ابو احمد عبد الوهاب بن علي قال
اخبرنا ابو الفتح عبد الملك بن ابي القسم الهروي قال اخبرنا ابو نصر عبد العزيز
بن محمد الترياقي قال اخبرنا ابو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي قال اخبرنا
ابو العباس محمد بن احمد المحبوبي قال اخبرنا ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي
قال حدثنا مسلم ابن حاتم الانصاري قال حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري
عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي وليس في قلبك غش
لاحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي فقد احياني ومن
احياني كان معي في الجنة صلى الله عليه وسلم وهذا اتم شرف واكمل فضل اخبر به الرسول في حق
من احيا سنته فالصوفية هم الذين احيوا هذه السنة بطهارة الصدور من الغل
والغش وهو عماد امرهم وبذلك ظهر جوهرهم وبان فضلهم وانما قدروا على احيا
هذه السنة ونهضوا بواجبها لزهدهم في الدنيا وتركها على اربابها وطلابها
لان مثار الغل والغش محبة الدنيا ومحبة الرفعة والمنزلة عند الناس والصوفية
زهدوا في ذلك كله كما قال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح الا لاقوام كنست بارواحهم
المزابل فلما سقط عن قلبهم محبة الدنيا وحب الرفعة اصبحوا وامسوا وليس في قلوبهم
غش لاحد فقول القايل كنست بارواحهم المزابل اشارة منه الى غاية التواضع وان
لا يرى نفسه تميز على احد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا ينسد باب
الغش والغل وجرت هذه الحكاية فقال بعض الفقرا من اصحابنا وقع لي ان معنا
كنست بارواحهم المزابل ان الاشارة بالمزابل الى النفوس لانها ماوي كل رجس ونجس

كالمزبلة وكنسها بنور الروح الواصل اليها لان الصوفية ارواحهم في محال القرب
ونورها يسري الى النفوس وبوصول نور الروح الى النفس تطهر النفس ويذهب
عنها المذموم من الغل والغش والحقد والحسد فكانها تكنس وهذا المعنى صحيح
وان لم يرد القايل بقوله ذلك قال الله تعالى في وصف اهل الجنة ونزعنا ما في
صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين قال ابو حفص كيف يبقى الغل في
قلوب ايتلفت بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته وانست بذكره
ان تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبايع بل كحلت بنور التوفيق
فصارت اخوانا فالخلق حجابهم عن القيام باحيا سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم قولا وفعلا وحالا صفات نفوسهم فاذا انزلت نعوت النفس ارتفع الحجاب
وصحت المتابعة ووقعت الموافقة في كل شي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووجبت المحبة من الله عند ذلك قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله جعل متابعة الرسول اية محبة العبد ربه وجعل جزا العبد على
حسن متابعته الرسول صلى الله عليه وسلم محبة الله اياه فاوفر الناس حظا من
متابعة الرسول اوفرهم حظا من محبة الله تعالى والصوفية من بين طوايف
الاسلام ظفروا بحسن المتابعة لانهم اتبعوا اقواله فقاموا بما امرهم ووقفوا
عما نهاهم قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ثم
اتبعوه في اعماله صلى الله عليه وسلم من الجد والاجتهاد في العبادة والتهجد والنوافل
من الصوم والصلوة وغير ذلك ورزقوا ببركة المتابعة في الاقوال والافعال
التخلق باخلاقه من الحيا والحلم والصفح والعفو والرافة والشفقة والمداراة والنصيحة
والتواضع ورزقوا قسطا من احواله من الخشية والسكينة والهيبة والتعظيم
والرضا والصبر والزهد والتوكل واستوفوا جميع اقسام المتابعة واحيوا سنته باقصى

الغايات

الغايات قيل لعبد الواحد بن زيد من الصوفية عندك قال القايمون بعقولهم
على هممهم والعاكفون عليها بقلوبهم والمعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم هم
الصوفية وهذا وصف تام وصفهم به فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دايم
الافتقار الى مولاه حتى يقول لا تكلني الى نفسي طرفة عين ويقول اكلاني كلاة
الوليد ومن اشرف ما ظفر به الصوفي من متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا الوصف وهو دوام الافتقار ودوام الالتجا ولا يتحقق بهذا الوصف من
صدق الافتقار الا عبد كوشف باطنه بصفا المعرفة واشرق صدره بنور اليقين
وخلص قلبه الى بساط القرب وخلا سره بلذاذة المسامرة فيثبت نفسه بين
هذه كلها اسيرة ماسورة ومع ذلك كله يراها ماوى كل شر وهي بمثابة النار
لو بقيت منها شرارة احرقت عالما وهي وشيكة الرجوع سريعة الانقلاب فانه تعالى
بكمال لطفه عرفها الى الصوفية وكشفها لهم على شي من معنى ما كشفها لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فهو دايم الاستغاثة الى مولاه من شرها فكانها جعلت سوطا
للعبد يسوقه لمعرفته بشرها مع اللحظات الى جناب الالتجا وصدق الافتقار
والدعا فلا يخلوا الصوفي عن مطالعتها ادنى ساعة كما لا يخلوا عن برايتها
ساعة وربط معرفتها بمعرفة الله تعالى فيما ورد عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه كربط معرفة الليل بمعرفة النهار ومن الذي
يقوم باحيا هذه السنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الصوفي
العالم بالله الزاهد في الدنيا المتمسك من التقوى بالوثق العرى ومن الذي
يهتدي الى فايدة هذا الحال غير الصوفي فدوام افتقاره الى ربه تمسك بجناب
الحق ولياذ به وفي هذا اللياذ استغراق الروح واستتباعه للقلب الى محل
الدعا وفي انجذاب القلب الى محل الدعا بلسان الحال والكون فيه فقد النفس

عن ظلم النفس

عن مستقرها من الاقسام العاجلة ونزولها اليها في مدرج العلم محفوظة
بحراسة الله تعالى ورعايته والنفس المدبرة بهذا التدبير من حسن تدبير
الله مامونة الغايلة من الغل والغش والحقد والحسد وساير المذمومات
فهذا حال الصوفي وجمع جمل حال الصوفي شيان هما وصف الصوفية واليهما
الاشارة بقوله تعالى الله يجتبي اليه من يشا ويهدي اليه من ينيب فقوم من
الصوفية خصوا بالاجتبا الصرف وقوم منهم خصوا بالهداية بشرط تقدمة
الانابة والاجتبا المحض غير معلل بكسب العبد وهذا حال المحبوب المراد يبادئه
الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه تسبق كشفه اجتهاده وفي
هذا اخذ بطايفة من الصوفيه رفعت الحجب عن قلوبهم وباداهم سطوع نور
اليقين فاثار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والاعمال فاقبلوا على الاعمال
باللذاذة والعيش فيها قرة اعينهم فسهل الكشف عليهم الاجتهاد كما سهل على
سحرة فرعون لذاذة النازل بهم من صفو العرفان تحمل وعيد فرعون فقالوا لن
نوثرك على ما جانا من البينات قال جعفر الصادق وجدوا رياح العناية
القوية بهم فالتجوا الى السجود شكرا وقالوا امنا برب العالمين اخبرنا ابو زرعه
طاهر بن ابي الفضل اجازة قال انا ابو بكر احمد بن علي بن خلف اجازة قال
انا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت منصورا يقول سمعت ابا موسى الزقاق يقول
سمعت ابا سعيد الخراز يقول اهل الخاصة الذين هم المرادون تولاهم الله واكمل
لهم النعمة وهيأ لهم الكرامة فاسقط عنهم حركات الطلب فصار تحركاتهم في
العمل والخدمة على الالفة والذكر والتنعم بمناجاته والانفراد بقربه وبهذا
الاسناد الى ابي عبد الرحمن السلمي قال سمعت علي بن سعيد يقول سمعت احمد
بن الحسن الحمصي يقول سمعت فاطمة المعروفة بجويرية تلميذة ابي سعيد

تقول

24

تقول سمعت الخراز يقول المراد محمول في حاله معان على حركاته وسعيه
في الخدمة ملقى مصون عن الشواهد والنواظر وهذا الذي قال الشيخ
ابو سعيد هو الذي اشتبه حقيقته على طايفة من الصوفية ولم يقولوا
بالاكثار من النوافل وقد رأوا جمعا من المشايخ قلت نوافلهم فظنوا ان
ذلك حال مستمر على الاطلاق ولم يعلموا ان الذين تركوا النوافل واقتصروا
على الفرايض كانت بداياتهم بدايات المريدين فلما وصلوا الى روح الحال
وادركهم الكشوف بعد الاجتهاد استلأوا بالحال وطرحوا نوافل الاعمال
فاما المرادون تبقى عليهم الاعمال والنوافل وفيها قرة اعينهم وهذا اتم واكمل
من الاول فهذا الذي وصفناه احد طريقي الصوفية فاما الطريق الاخر
طريق المريدين وهم الذين شرط لهم الانابة فقال تعالى ويهدي اليه من
ينيب طولبوا بالاجتهاد اولا قبل الكشوف قال الله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا يدرجهم الله تعالى في مدارج الكسب بانواع الرياضات
والمجاهدات وسهر الدياجر وظماء الهواجر تتاجج فيهم نيران الطلب وتحجب
دونهم لوامع الادب يتقلبون في رمضاء الارادة ويتخلعون عن كل مالوف
وعادة وهي الانابة التي شرطها الحق سبحانه وتعالى لهم وجعل الهداية معروفة
بها وهذه الهداية انما هداية خاصة لانها هداية اليه غير الهداية العامة
التي هي التهدي الى الاسلام وهذه تقتضي المعرفة الاولة وهذا حال السالك
المحب المريد فكانت الانابة عين الهداية العامة فاثمرت هداية خاصة
واهتدوا اليه بعد ان اهتدوا له بالمكابدات فخلصوا من مضيق العراك الى
فضا اليسر بزوامر وهج الاجتهاد الى روح الاحوال فسبق اجتهادهم كشوفهم والمراد ون
سبق كشوفهم اجتهادهم اخبرنا الشيخ الثقة ابو الفتح محمد بن عبد الباقي

قال اخبرنا ابو الفضل احمد بن احمد قال اخبرنا الحافظ ابو نعيم الاصفهاني
قال حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال سمعت محمد بن عبد الله الرازي
يقول سمعت ابا محمد الجريري يقول سمعت الجنيد يقول ما اخذنا التصوف
من القيل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات
وقال محمد بن خفيف الارادة سمو القلب لطلب المراد وحقيقة الارادة استدامة
الجد وترك الراحة وقال ابو عثمان المريد الذي مات قلبه عن كل شي دون
الله تعالى فيريد الله وحده ويريد قربه ويشتاق اليه حتى تذهب شهوات
الدنيا عن قلبه لشدة شوقه الى ربه وقال ايضا عقوبة قلب المريدين
ان يحجبوا عن حقيقة المعاملات والمقامات الى اضدادها فهذان الطريقان
يجمعان احوال الصوفية ودونهما طريقان اخران ليسا من طريق المحققين
بالتصوف احدهما مجذوب ابتر على جذبته ما ردّ الى الاجتهاد بعد الكشف
والثاني مجتهد متعبد ما خلص الى الكشف بعد الاجتهاد والصوفية في طريقهم
باب مزيدهم وصحة طريقهم بحسن المتابعة ومن ظن ان يبلغ غرضا او يظهر
مرادا لا من طريق المتابعة فهو مخذول مغرور اخبرنا شيخنا ابو النجيب
السهروردي قدس الله روحه قال اخبرنا عصام الدين عمر بن احمد الصفار
قال اخبرنا ابو بكر احمد بن علي بن خلف قال اخبرنا ابو عبد الرحمن قال
سمعت نصر بن ابي نصر يقول سمعت نسيما غلام الزقاق يقول سمعت ابا سعيد
السكري يقول سمعت ابا سعيد الخراز يقول كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل
وكان يقول الجنيد رحمة الله عليه علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال بعضهم من امّر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق
بالحكمة ومن امّر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة حكي ان ابا يزيد

البسطامي

البسطامي رحمة الله عليه قال ذات يوم لبعض اصحابه قم بنا حتى ننظر الى
هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية وكان الرجل في ناحية مقصودا
مشهورا بالزهد والعبادة فمضينا فلما خرج من بيته يقصد المسجد رمى ببزاقه
نحو القبلة فقال ابو يزيد انصرفوا فانصرف ولم يسلم عليه وقال هذا رجل
ليس بمامون على ادب من اداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون
مامونا على ما يدعيه من مقامات الاولياء والصديقين وسئل خادم
الشبلي ماذا رايت منه عند موته فقال لما امسك لسانه وعرق جبينه
اشار الي ان وضئني للصلوة فوضيته فنسيت تخليل لحيته فقبض على
يدي وادخل اصابعي في لحيته فخللها وقال سهل بن عبد الله كل وجد
لا يشهد له الكتاب والسنة باطل هذا حال الصوفية وطريقهم وكل من
يدعي على غير هذا الوجه فمدع مفتون كذاب

الباب الخامس في ماهية التصوف

اخبرنا الشيخ ابو زرعة طاهر بن ابي
الفضل في كتابه قال اخبرنا ابو بكر احمد بن علي بن خلف الشيرازي اجازة
قال اخبرنا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي قال اخبرنا ابرهيم بن احمد بن
محمد بن رجا قال حدثنا عبد الله بن احمد البغدادي قال حدثنا عثمان
بن سعيد قال حدثنا عمر بن راشد عن مالك بن انس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شي مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين
والفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيمة الفقر كائن في ماهية التصوف
وهو اساسه وبه قوامه قال رويم رحمه الله التصوف مبني على ثلث خصال
التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التعرض والاختيار
وقال الجنيد رحمة الله عليه وقد سئل عن التصوف فقال ان يكون مع الله

عن نافع عن ابن عمر

بلا علاقة وقال معروف الكرخي رحمة الله عليه التصوف الاخذ بالحقايق
واليأس مما في ايدي الخلايق فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف وقد سئل
الشبلي رحمة الله عليه عن حقيقة الفقر قال ان لا يستغني بشي دون الحق وقال
ابو الحسين النوري رحمة الله عليه نعت الفقير السكون عند العدم والبذل
والايثار عند الوجود وقال بعضهم ان الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذرا
ان يدخل عليه الغنى فيفسد فقره كما ان الغني يحترز من الفقر حذرا ان يدخل عليه
الفقر فيفسد عليه غناه وبالاسناد الذي سبق الى ابي عبد الرحمن قال سمعت
ابا عبد الله الرازي يقول سمعت مظفرا القرميسيني يقول الفقير الذي لا يكون
له الى الله حاجة قال وسمعته يقول سألت ابا بكر المصري عن الفقير فقال
هو الذي لا يملك ولا يُملك فقوله الذي لا يكون له الى الله حاجة معناه انه
مشغول بوظايف عبوديته تام الثقة بربه عالم بحسن كلائته لا يحوجه الى
رفع الحاجة لعلمه بعلم الله تعالى فيرى السؤال في البين زيادة واقوال
المشايخ تتنوع معانيها لانهم اشاروا فيها الى احوال في اوقات دون اوقات
ويحتاج في تفصيل بعضها من البعض الى الضوابط فقد تذكر اشيا في معنى
التصوف ذكر مثلها في معنى الفقر وتذكر اشيا في معنى الفقر ذكر مثلها في معنى
التصوف وحيث وقع الاشتباه فلا بد من بيان فاصل تتميز الاشارات في الفقر
بمعاني الزهد تارة وبمعاني التصوف تارة ولا يتبين للمسترشد بعضها من
البعض فنقول التصوف غير الفقر والزهد غير الفقر والتصوف غير الزهد فالتصوف
اسم جامع لمعاني الفقر ومعاني الزهد مع مزيد واضافات لا يكون الرجل بدونها
صوفيا وان كان زاهدا وفقيرا قال ابو حفص التصوف كله اداب لكل وقت
ادب ولكل حال ادب ولكل مقام ادب فمن لزم اداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال

ومن

ومن ضيع الاداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول
وقال ايضا حسن ادب الظاهر عنوان حسن ادب الباطن لان النبي عليه الصلوة
والسلام قال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه اخبرنا الشيخ رضي الدين
احمد بن اسمعيل اجازة قال انا الشيخ ابو المظفر عبد المنعم قال اخبرني والدي
ابو القاسم القشيري قال سمعت محمد بن احمد بن يحيى الصوفي يقول سمعت عبد
الله بن علي يقول سئل ابو محمد الجريري عن التصوف فقال الدخول في كل
خلق سني والخروج من كل خلق دني فاذا عرف هذا المعنى في التصوف
من حصول الاخلاق وتبديلها واعتبر حقيقته يعلم ان التصوف غير الزهد
وفوقه وفوق الفقر وقيل نهاية الفقر مع شرفه بداية التصوف من حصول
الاخلاق وتبديلها واهل الشام لا يفرقون بين التصوف وبين الفقر يقولون
قال الله تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله هذا وصف الصوفية والله
سماهم فقراء وسأوضح معنى يفترق الحال به بين التصوف والفقر فنقول الفقير في
فقره متمسك به متحقق بفضله يؤثره على الغنا متطلعا الى ما تحقق به من
العوض عند الله حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل فقرا امتي الجنة
قبل الاغنيا بنصف يوم وهو خمسماية عام فكلما لاحظ العوض الباقي امسك عن
الحاصل الفاني وعانق الفقر والقلة وخشي زوال الفقر لفوات الفضيلة والعوض
وهذا عين الاعتلال في طريق الصوفي لانه تطلع الى الاعواض وترك لاجلها
والصوفي يترك الاشيا لا للاعواض الموعودة بل للاحوال الموجودة فانه ابن
وقته وايضا ترك الفقير لحظ العاجل واغتنامه الفقر اختيار منه وارادة
والارادة والاختيار علة في حال الصوفي لان الصوفي صار قائما في الاشياء
بارادة الله لا بارادة نفسه فلا يرى فضيلة في صورة فقر ولا في صورة غنى

وانما يرى الفضيلة فيما يوفقه الحق فيه ويدخله عليه ويعلم الاذن من الله
في الدخول في الشي وقد يدخل في صورة سعة مباينة للفقر باذن من الله
ويرى الفضيلة حينيذ في السعة لمكان اذن الله فيه ولا يفسح في السعة والدخول
فيها للصادقين الا بعد احكامهم علم الاذن وفي هذا مزلة للاقدام وباب
دعوى للمدعين وما من حال يتحقق به صاحب الحال الا وقد يحكيه راكب المحال
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فاذا اتضح ذلك ظهر الفرق بين
الفقر والتصوف وعلم ان الفقر اساس التصوف وبه قوامه على معنى ان الوصول
الى رتب التصوف طريقه الفقر لا على معنى انه يلزم من وجود التصوف وجود
الفقر قال الجنيد التصوف ان يميتك الحق عنك ويحييك به وهذا المعنى هو
الذي ذكرناه من كونه في الاشيا بالله لا بنفسه والفقير والزاهد يكونان في
الاشيا بنفوسهما واقفين مع ارادتهما مجتهدين مبلغ علمهما والصوفي منهم لنفسه
مستقل العلم عند اكل الى معلومه قايم بمراد ربه لا بمراد نفسه قال ذو النون
رحمه الله عليه الصوفي من لا يتعبه طلب ولا يزعجه سلب وقال ايضا الصوفية [على م]
آثروا الله تعالى كل شي فآثرهم على كل شي وكان من ايثارهم انهم آثروا علم الله تعالى
على علم نفوسهم وارادة الله على ارادة نفوسهم قيل لبعضهم من اصحب من الطوايف
قال الصوفية فان للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للكثير عندهم وقع [من العلاج]
يرفعونك به فيعجبك نفسك وهذا علم لا يوجد عند الفقير والزاهد لان الزاهد
يستعظم الترك ويستقبح الاخذ وهكذا الفقير وذاك لضيق وعايهم ووقوفهم
على حد علمهم وقال بعضهم الصوفي من اذا استقبله حالان حسنان او خلقان
حسنان يكون مع الاحسن والفقير والزاهد لا يميز كل التمييز بين الخلقين الحسنين
بل يختار من الاخلاق ايضا ما هو الادعى الى الترك والخروج عن شواغل الدنيا

حاكما

27

حاكما في ذلك بعلمه والصوفي هو المتبين الاحسن من عند الله بصدق التجاية
وحسن انابته وحظ قربه ولطيف ولوجه وخروجه الى الله الكريم لعلمه
بربه وحظه من محادثته ومكالمته قال رويم رحمه الله عليه التصوف
استرسال النفس مع الله على ما يريد وقال عمرو بن عثمان المكي التصوف ان
يكون العبد في كل وقت بما هو اولى في الوقت وقال بعضهم التصوف اوله
علم واوسطه عمل واخره موهبة وقيل التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع
وعمل مع اتباع وقال سهل بن عبد الله رحمه الله عليه الصوفي من صفا من
الكدر وامتلا من الفكر وانقطع الى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر
وسيل بعضهم عن التصوف فقال تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة
الاخلاق الطبيعية واخماد صفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية
ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقية واتباع الرسول في
الشريعة قال ذو النون رايت ببعض سواحل الشام امراة فقلت من اين اقبلت
قالت من عند اقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقلت واين تريدين قالت الى
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فقلت صفيهم لي فانشات

قوم همومهم بالله قد علقت ... فما لهم همم تسمو الى احد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم ... يا حسن مطلبهم للواحد الصمد [بالواحد]
ما ان تنازعهم دنيا ولا شرف ... من المطاعم واللذات والولد
ولا للبس ثياب فايق انق ... ولا لروح سرور حل في بلد
الا مسارعة في اثر منزلة ... قد قارب الخطو فيها باعد الامد
فهم رهاين غدران واودية ... وفي الشوامخ تلقاهم مع العدد

وقال الجنيد ايضا رحمه الله عليه الصوفي كالارض يطرح عليها كل قبيح ولا

ايضا

يخرج منها الا كل مليح وقال هو كالارض يطاوها البر والفاجر وكالسحاب
يظل كل شي وكالقطر يسقي كل شي واقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد
على الف قول ويطول نقلها ونذكر ضابطا يجمع جل معانيها فان الالفاظ وان
اختلفت متقاربة المعاني نقول الصوفي هو الذي يكون دايم التصفية لا
يزال يصفي الاوقات عن شوب الاكدار بتصفية القلب عن شوب النفس ومعينه ويعينه
على هذه التصفية دوام افتقاره الى مولاه فبدوام الافتقار يتفطن للكدر
وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها ادركها ببصيرته النافذة وفر
منها الى ربه فبدوام تصفيته تدوم جمعيته وبحركة نفسه تكون تفرقته
وكدره فهو قايم بربه على قلبه وقايم بقلبه على نفسه قال الله تعالى كونوا
قوامين لله شهدا بالقسط وهذه القوامية لله على النفس هو تحقيق هي
التصوف وقال بعضهم التصوف كله اضطراب واذا وقع السكون فلا تصوف
والسر فيه ان الروح مجذوبة الى الحضرة الالهية يعني روح الصوفي متطلعة منجذبة
الى مواطن القرب وللنفس بوضعها رسوب الى عالمها وانقلاب على عقبها ولابد
للصوفي من دوام الحركة بدوام الافتقار ودوام الفرار وحسن التفقد لمواقع
اصابات النفس ومن وقع على هذا المعنى يجد في معنى الصوفي جميع المتفرق في
الاشارات

الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم

اخبرنا الشيخ ابو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال اخبرني والدي قال
اخبرنا ابو علي الشافعي بمكة حرسها الله تعالى قال اخبرنا احمد بن ابرهيم
قال اخبرنا ابو جعفر محمد بن ابرهيم قال اخبرنا ابو عبد الله المخزومي قال
حدثنا سفين عن مسلم انه سمع انس بن مالك يقول كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجيب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف فمن هذا الوجه ذهب قوم

الي

28

الي انهم سموا صوفية نسبة لهم الى ظاهر اللبسة لانهم اختاروا لبس الصوف
لكونه ارفق ولكونه كان لباس الانبيا عليهم السلام روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال مر بالصخرة من الروحا سبعون نبيا حفاة عليهم العبا يؤمون
البيت الحرام وقيل ان عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف والشعر وياكل
من الشجر ويبيت حيث امسى وقال الحسن البصري رحمة الله عليه لقد ادركت
سبعين بدريا كان لباسهم الصوف ووصفهم ابو هريرة وفضالة بن عبيد فقالا
كانوا يخرون من الجوع حتى يحسبهم الاعراب مجانين وكان لباسهم الصوف حتى
ان بعضهم كان يعرق في ثوبه فيوجد منه رايحة الضان اذا اصابه الغيث وقال
بعضهم انه ليوذيني ريح هولاء اما يوذيك ريحهم خاطب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك فكان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا وقناعتهم
بسد الجوعة وستر العورة واستغراقهم في امر الاخرة فلم يتفرغوا لملاذ النفوس
امره
وراحاتها لشدة شغلهم بخدمة مولاهم وانصراف همهم الى الاخرة وهذا
الاختيار يلايم ويناسب من حيث الاشتقاق لانه يقال تصوف اذا لبس
الصوف كما يقال تقمص اذا لبس القميص ولما كان حالهم بين سير وطير لتقلبهم
في الاحوال وارتقايهم من عالي الى اعلى منه لا يقيدهم وصف ولا يحبسهم
نعت ابواب المزيد علما وحالا عليهم مفتوحة بواطنهم معدن الحقايق ومجمع
العلوم فلما تعذر تقييدهم بحال لتنوع وجدانهم وتجنيس مزيدهم نسبوا الى
ظاهر اللبسة وكان ذلك ابين في الاشارة اليهم وادعى الى حصر وصفهم لان لبس
الصوف كان غالبا على المتقدمين من سلفهم وايضا لان حالهم حال المقربين كما سبق
ذكره ولما كان الاعتزا الى القرب وعظم الاشارة الى قرب الله تعالى امر
صلف يعز كشفه والاشارة اليه وقعت الاشارة الى زيهم سترا لحالهم وغيرة

علي عزيز مقامهم ان تكثر الاشارة اليه وتتداوله الالسنة وكان هذا اقرب
الي الادب والادب في الظاهر والباطن والقول والفعل عماد امر الصوفية
وفيه معني آخر وهو ان نسبتهم الي اللبسة تنبي عن تقللهم من الدنيا وزهدهم فيما
تدعوا النفس اليه بالهوي من الملبوس الناعم حتي ان المبتدي المريد الذي يوثر
طريقهم ويحب الدخول في امرهم يوطن نفسه علي التقشف والتقلل ويعلم ان
الماكول ايضا من جنس الملبوس فيدخل في طريقهم علي بصيرة وهذا امر مفهوم معلوم
عند المبتدي والاشارة الي شي من حالهم وتسميتهم بذلك ابعد من ان يهم ارباب
البدايات فكان تسميتهم بهذا الاسم انفع واولي وايضا عن هذا المعني مما
يقال انهم سموا صوفية لذلك يتضمن دعوي واذا قيل سموا صوفية للبسهم الصوف
كان ابعد من الدعوي وكلما كان ابعد من الدعوي كان اليق بحالهم وايضا لان
لبس الصوف حكم ظاهر علي الظاهر من امرهم ونسبتهم الي امر آخر من حال او
مقام امر باطن والحكم بالظاهر اوفق واولي فالقول بانهم سموا صوفية للبسهم
الصوف اليق واقرب الي التواضع ويقرب ان يقال لما آثروا الذبول والخمول والتواضع
والانكسار والتخفي والتواري كانوا كالخرقة الملقاة والصوفة المرمية التي لا
يرغب فيها ولا يلتفت اليها فيقال صوفي نسبة الي الصوفة كما يقال كوفي نسبة
الي الكوفة وهذا ذكره بعض اهل العلم والمعني المقصود به قريب ويلايم الاشتقاق
ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد والعباد والمتقشفين
اخبرنا ابو زرعة طاهر عن ابيه قال اخبرنا عبد الرزاق بن عبد الكريم قال
اخبرنا ابو الحسن محمد بن محمد قال حدثنا ابو علي اسمعيل بن محمد قال حدثنا
الحسن بن عرفة قال حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الاعرج عن عبد الله
بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم كلم

الله

29

الله تعالي موسي عليه السلام كان عليه جبة صوف وسراويل من صوف
وكساء من صوف وكمة من صوف ونعلاه من جلد حمار غير ذكي وقيل سموا صوفية
لانهم في الصف الاول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم واقبالهم علي الله
بقلوبهم ووقوفهم بسرايرهم بين يديه وقيل كان هذا الاسم في الاصل
صفوي فاستثقل ذلك وجعل صوفي وقيل سموا صوفية نسبة الي
الصفة التي كانت لفقرا المهاجرين علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم الذين
قال الله فيهم للفقرا الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض
وهذا وان كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكن صحيح من حيث المعني
لان الصوفية يشاكل حالهم حال اوليك لكونهم مجتمعين متآلفين متصاحبين لله وفي
الله كاصحاب الصفة وكانوا نحوا من اربعماية رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشاير
جعلوا انفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديما وحديثا في الزوايا والربط
وكانوا لا يرجعون الي زرع ولا الي ضرع ولا الي تجارة كانوا يحتطبون ويرضخون
النوي بالنهار وبالليل يشتغلون بالعبادة وتعلم القران وتلاوته وكان
رسول الله صلي الله عليه وسلم يواسيهم ويحث الناس علي مواساتهم ويجلس
معهم وياكل معهم وفيهم نزل قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي الاية وقوله ولا تطرد وفيهم ونزل في ابن ام مكتوم قوله تعالي عبس وتولي ان جاه الاعمي وكان
من اهل الصفة فعوتب النبي صلي الله عليه وسلم لاجله وكان رسول الله صلي الله
عليه وسلم اذا صافحهم لا ينزع يده من ايديهم وكان يفرقهم علي اهل الجدة والسعة
يبعث مع واحد ثلثة ومع الاخر اربعة وكان سعد بن معاذ يحمل الي بيته منهم ثمانين
يطعمهم وقال ابو هريرة لقد رايت سبعين من اهل الصفة يصلون في ثوب
واحد منهم من لا يبلغ ركبتيه فاذا ركع احدهم قبض بيديه مخافة ان تبدو عورته

وقال بعض اهل الصفة جينا جماعة الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا
يا رسول الله احرقت بطوننا التمر فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥
فصعد المنبر ثم قال ما بال اقوام يقولون احرقت بطوننا التمر اما علمتم ان هذا
التمر هو طعام اهل المدينة وقد واسونا به وواسيناكم مما واسونا به والذي
نفس محمد بيده ان منذ شهرين لم يرتفع في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخان للخبز وليس لهم الا الاسودان الما والتمر اخبرنا الشيخ ابو الفتح محمد
بن عبد الله في كتابه قال انا الشيخ ابو بكر بن زكريا الطريثيثي قال انا
الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي قال انا محمد بن محمد بن سعيد الانماطي قال انا
الحسن بن يحيى بن سلام قال انا محمد بن علي الترمذي قال حدثني سعيد بن
حاتم البلخي قال انا سهل بن اسلم عن خلاد بن محمد عن ابي عبد الرحمن السكري عن
يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما على اهل الصفة فراى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم
فقال ابشروا يا اهل الصفة فمن بقي منكم على النعت الذي انتم عليه اليوم راضيا
بما فيه فانه من رفقاي يوم القيمة وقيل كان منهم طايفة في خراسان
ياوون الي الكهوف والمغارات ولا يسكنون القرى والمدن يسمونهم في خراسان
شكفتية لان شكفت اسم للمغارة ينسبونهم الي الماوي والمستقر واهل
الشام يسمونهم جوعية والله تعالى ذكر في القران طوايف الخير والصلاح فسمى
قوما ابرارا واخرين مقربين ومنهم الصابرين والصادقين والذاكرين والمحبين
واسم الصوفي يشمل جميع المتفرق في هذه الاسما المذكورة وهذا الاسم لم يكن
في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان في زمن التابعين فنقل عن
الحسن البصري رحمه الله عليه قال رايت صوفيا في الطواف فاعطيته شيا فلم

ياخذ

30 ياخذ وقال معي اربع دوانيق يكفيني ما معي ويشيد هذا ما روي عن
سفيان انه قال لولا ابو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الريا وهذا يدل
على ان هذا الاسم كان يعرف قديما وقيل لم يعرف هذا الاسم الا بعد الي
المايتين من الهجرة العربية لان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمون الرجل صحابيا لشرف صحبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الاشارة اليها اولى من كل اشارة وبعد
انقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ منهم العلم سمي تابعيا
ثم لما تقادم زمان الرسالة وبعد عهد النبوة وانقطع الوحي السماوي
وتوارى النور المصطفوي واختلفت الارا وتنوعت الانحا وتفرد كل ذي
راي برايه وكدر شرب العلوم شوب الاهوية وتزعزعت ابنية المتقين
واضطربت عزايم الزاهدين وغلبت الجهالات وكثف حجابها وكثرت العادات
وتملكت اربابها وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها انفرد طايفة باعمال صالحة تفردت
واحوال سنية وصدق في العزيمة وقوة في الدين وزهد في الدنيا ٥
واغتنموا العزلة والوحدة واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة
وينفردون اخرى اسوة باهل الصفة تاركين للاسباب متبتلين لرب الارباب
فاثمر لهم صالح الاعمال سني الاحوال وتهيا لهم صفا الفهوم لقبول العلوم
وصار لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الايمان ايمان كما قال
حارثة اصبحت مومنا حقا حين كوشف برتبة في الايمان غير ما عهدها
فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها واشارات يتعاهدونها فحرروا لنفوسهم
اصطلاحات تشير الي معان يعرفونها وتعرب عن احوال يجدونها فاخذ ذلك
الخلف عن السلف حتى صار ذلك رسما مستمرا وخيرا مستقرا في كل عصر وزمان

فظهر هذا الاسم بينهم وتسموا به وسموا به فالاسم سمتهم والعلم بالله صفتهم والعبادة
حليتهم والتقوى شعارهم وحقايق الحقيقة اسرارهم نزاع القبايل واصحاب
الفضايل سكان قباب الغيرة وقطان ديار الحيرة لهم مع الساعات من امداد
فضل الله مزيد ولهيب شوقهم بتاجج ويقول هل من مزيد الباب

الباب السابع في ذكر المتصوف والمتشبه

اخبرنا شيخنا شيخ الاسلام
ابو النجيب السهروردي قال اخبرنا الشيخ ابو منصور بن خيرون قال
اخبرنا ابو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال اخبرنا محمد بن العباس بن
زكريا قال اخبرنا ابو محمد يحيى بن محمد الصاعدي قال حدثنا الحسين بن
الحسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال اخبرنا المعتمر بن
سليمان قال اخبرنا حميد الطويل عن انس بن مالك قال جا رجل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى قيام الساعة فقام رسول الله
الى الصلوة فلما قضى الصلوة قال اين السايل عن الساعة فقال الرجل
انا يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها كثير عمل الا اني احب
الله ورسوله فقال النبي عليه الصلوة والسلام المرء مع من احب وانت مع من
احببت قال انس فما رايت المسلمين فرحوا بشي بعد الاسلام فرحهم بهذا فالمتشبه
بالصوفية ما اختار التشبه بهم دون غيرهم من الطوايف الا لمحبته اياهم وهو
مع تقصيره عن القيام بما هم فيه يكون معهم لموضع ارادته ومحبته وقد ورد
بلفظ اخر اوضح من الخبر الذي رويناه في المعنى روى عبادة بن الصامت عن
ابي ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع ان
يعمل كعملهم قال انت يا ابا ذر مع من احببت قال قلت فاني احب الله ورسوله قال
فانك مع من احببت قال فاعادها ابو ذر فاعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمحبة

فمحبة المتشبه اياهم لا تكون الا لتنبه روحه لما تنبهت له ارواح الصوفية
لان محبة امر الله وما يقرب اليه ومن يقرب منه يكون بجاذب الروح غير ان
المتشبه تعوق بظلمة النفس والصوفي تخلص من ذلك والمتصوف متطلع الى
حال الصوفي وهو مشارك ببقايا شي من صفات نفسه عليه للمتشبه وطريق
الصوفية اوله ايمان ثم علم ثم ذوق فالمتشبه صاحب ايمان والايمان بطريق
الصوفية اصل كبير قال الجنيد الايمان بطريقنا هذا ولاية ووجه ذلك
ان الصوفية تميزوا باحوال عزيزة واثار مستغربة عند اكثر الخلق لانهم
مكاشفون بالقدر وغرايب العلوم واشاراتهم الى عظيم امر الله والقرب منه
والايمان بذلك ايمان بالقدرة وقد انكر قوم من اهل الملة كرامات الاولياء
والايمان بذلك ايمان بالقدرة ولهم علوم من هذا القبيل فلا يؤمن بطريقهم
الا من خصه الله تعالى بمزيد عناية فالمتشبه صاحب ايمان والمتصوف صاحب
علم لانه بعد الايمان اكتسب مزيد علم بطريقهم وصار له بذلك مواجيد يستدل
بها على سايرها والصوفي صاحب ذوق فللمتصوف الصادق نصيب من حال
الصوفي وللمتشبه نصيب من حال المتصوف وهكذا سنة الله تعالى جارية ان
كل صاحب حال له ذوق فيه لا بد ان يكشف له علم حال اعلى مما هو فيه فيكون
في حاله الاولة صاحب ذوق وفي الحال الذي كوشف به صاحب علم وبحال
فوق ذلك صاحب ايمان حتى لا يزال طريق الطلب مسلوكا فيكون في حال الذوق
صاحب قدم وفي حال العلم صاحب نظر وفي حال فوق ذلك صاحب ايمان
قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم على الارايك ينظرون وصف الابرار ووصف
شرابهم ثم قال سبحانه وتعالى ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فكان
لشراب الابرار مزج من شراب المقربين وللمقربين ذلك صرف فللصوفي شراب صرف

وللمتصوف من ذلك مزج في شرابه وللمتشبه مزج من شراب المتصوف فالصوفي
سبق الى مقام الروح من بساط القرب والمتصوف بالنسبة الى الصوفي كالمتزهد
بالنسبة الى الزاهد لانه تفعل وتعمل وتسبب اشارة الى ما بقي عليه من وصف
مجتهد في طريقه ساير الى ربه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيروا سبق
المفردون قيل يا رسول الله وما المفردون قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر عنهم
اوزارهم فوردوا القيامة خفافا فالصوفي في مقام المفردين والمتصوف في
مقام السايرين واصل في سيره الى مقام القرب من ذكر الله ومراقبته بقلبه
وتلذذه بنظره الى نظر الله اليه فالصوفي في مقام الروح صاحب مشاهدة
والمتصوف في مقام القلب صاحب مراقبة والمتشبه في مقاومة النفس صاحب
مجاهدة وصاحب محاسبة فتلوين الصوفي بوجود قلبه وتلوين المتصوف
بوجود نفسه والمتشبه لا تلوين له لان التلوين لارباب الاحوال والمتشبه مجتهد
سالك لم يصل بعد الى الاحوال والكل يجمعهم دايرة الاصطفا قال الله تعالى ثم
اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات قال بعضهم الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب
وقال بعضهم الظالم الذي يجزع من البلا والمقتصد يصبر عند البلا والسابق
يتلذذ بالبلا وقال بعضهم الظالم يعبد على الغفلة والعادة والمقتصد يعبد
على الرغبة والرهبة والسابق يعبد على الهيبة والمنة وقال بعضهم الظالم
يذكر الله بلسانه والمقتصد يذكر الله بقلبه والسابق لا ينسى ربه وقال
احمد بن عاصم الانطاكي الظالم صاحب الاقوال والمقتصد صاحب الافعال
والسابق صاحب الاحوال وكل هذه الاقوال قريبة التناسب من حال الصوفي
والمتصوف والمتشبه وكلهم من اهل الفلاح والنجاح يجمعهم دايرة الاصطفا وتولف

بينهم

32

بينهم نسبة التخصيص بالمنح والعطا اخبرنا الشيخ العالم رضي الدين ابو الخير
احمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال اخبرنا ابو سعيد محمد بن ابي العباس قال
اخبرنا القاضي محمد بن سعيد قال اخبرنا ابو اسحق احمد بن محمد بن ابرهيم قال
اخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال حدثنا احمد بن محمد بن رزمة قال
حدثنا ابو يوسف بن عاصم الرازي قال حدثنا ابو ايوب سليمان بن داود
قال حدثنا حصين بن نمير عن ابي ليلى عن اخيه عن اسامة بن زيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال في قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات كلهم في الجنة قال بن عطا الظالم الذي يحب الله من
اجل الدنيا والمقتصد الذي يحبه من اجل الاخرة والسابق هو الذي اسقط
مراده لمراد الحق فيه وهذا هو حال الصوفي فالمتشبه تعرض بشي من امر
القوم ويوجب له ذلك القرب منهم والقرب منهم مقدمة كل خير سمعت شيخنا
يقول جا بعض ابنا الدنيا الى الشيخ احمد الغزالي ونحن باصبهان نريد منه الخرقة
فقال له الشيخ اذهب الى فلان يشير الي حتى يكلمك في معنى الخرقة ثم احضر حتى
البسك الخرقة قال فجا الي فذكرت له حقوق الخرقة وما يجب من رعاية
حقها وادب من يلبسها ومن يؤهل للبسها فاستعظم الرجل حقوق الخرقة وجبن
ان يلبسها فاخبر الشيخ بما تجدد عند الطالب من قولي له فاستحضرني وعاتبني
على قولي له وقال بعثته اليك حتى تكلمه بما يزيد رغبته في الخرقة فكلمته بما
فترت به عزيمته ثم الذي ذكرته كله صحيح وهو الذي يجب من حقوق الخرقة
ولكن اذا الزمنا المبتدي بذلك نفر وعجز عن القيام به فنحن نلبسه الخرقة حتى
يتشبه بالقوم ويتزيا بزيهم فيقربه ذلك من مجالسهم ومحافلهم وببركة مخالطته
معهم ونظره الى احوال القوم وسيرهم يحب ان يسلك مسلكهم ويصل بذلك الى شي

من احوالهم ويوافق هذا القول من الشيخ احمد الغزالي رحمة الله عليه ما اخبرنا شيخنا قال اخبرنا عصام الدين عمر بن احمد الصفار قال اخبرنا ابو بكر احمد بن علي بن خلف قال اخبرنا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفرا يقول سمعت ابا القسم الجنيد رحمة الله عليه يقول اذا لقيت الفقير فلا تبداه بالعلم وابداه بالرفق فان العلم يوحشه والرفق يونسه ونرفق الصوفية بالمتشبهين بهم ينتفع المبتدي الطالب وكل من كان منهم اكمل حالا واوفر علما كان اكثر رفقا بالمبتدي الطالب حكي عن بعضهم انه صحبه طالب فكان ياخذ نفسه بكثرة المعاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك الا نظر المبتدي اليه والتادب بادبه والاقتدا به في عمله وهذا هو الرفق الذي ما دخل في شي الا زانه والمتشبه الحقيقي له ايمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه وسلوك واجتهاد على ما ذكرناه انه صاحب مجاهدة ومحاسبة ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فاما من لم يطلع الى حال المتصوف والصوفي بالتشبه ولا بقصدا وابل مقاصدهم بل هو على مجرد تشبيه ظاهر من ظاهر اللبسة والمشاركة في الزي والصورة دون السيرة والصفة فليس بمتشبه بالصوفية لانه غير محاكي لهم بالدخول في بداياتهم فاذا هو متشبه بالمتشبه يعتزي الى القوم بمجرد لبسه ومع ذلك هم القوم لا يشقى بهم جليسهم وقد ورد من تشبه بقوم فهو منهم اخبرنا الشيخ ابو الفتح محمد بن سليمان قال اخبرنا ابو الفضل حمد قال اخبرنا الحافظ ابو نعيم الاصبهاني قال حدثنا علي بن احمد بن علي قال حدثنا فضيل بن عياض عن سليمان الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملايكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون في الطرق ويتبعون الذكر فاذا راوا قوما يذكرون

الله تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم باجنحتهم الى عنان السما فيقول الله وهو اعلم ما يقول عبادي قالوا يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول وهل راوني فيقولون لا فيقول فكيف ولو راوني قالوا لو راوك كانوا اشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول ما يسالوني قالوا يسالونك الجنة فيقول وهل راوها قالوا لا فيقول فكيف ولو راوها قالوا ولو راوها كانوا لها اشد طلبا وعليها حرصا قالوا ويتعوذون من النار فيقول هل راوها قالوا لا فيقول كيف لو راوها قالوا لو راوها كانوا اشد منها تعوذا واشد فرارا فيقول اشهدكم اني قد غفرت لهم فيقول الملك فيهم فلان ليس منهم انما جا الحاجة فيقول تبارك وتعالى هم الجلسا لا يشقى بهم جليسهم فلا يشقى جليس الصوفية والمتشبه بهم والمحب لهم

الباب الثامن في ذكر الملامتي وشرح حاله

قال بعضهم الملامتي هو الذي لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا وشرح هذا هو ان الملامتي تشربت عروقه طعم الاخلاص وتحقق بالصدق فلا يحب ان يطلع احد على حاله واعماله اخبرنا الشيخ ابو زرعة طاهر بن الفضل المقدسي اجازة قال اخبرنا ابو بكر احمد بن علي بن خلف الشيرازي اجازة قال اخبرنا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت علي بن سعيد وسالته عن الاخلاص ما هو قال سمعت علي بن ابرهيم وسالته عن الاخلاص ما هو قال سمعت محمد بن جعفر الخصاف وسالته عن الاخلاص ما هو قال سالت احمد بن بشار عن الاخلاص ما هو قال سالت ابا يعقوب الشروطي عن الاخلاص ما هو قال سالت احمد بن غسان عن الاخلاص ما هو قال سالت احمد بن علي الهجيمي عن الاخلاص ما هو قال سالت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ما هو قال سالت الحسن عن الاخلاص ما هو قال سالت حذيفة عن الاخلاص ما هو قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص

ربع

ماهو قال سالت جبريل عن الاخلاص ماهو قال سالت رب العزة تعالى وتقدس
عن الاخلاص ماهو قال هو سر من اسراري استودعته قلب من احببت من عبادي
فالملامتية لهم مزيد اختصاص بالتمسك بالاخلاص يرون كتم الاحوال والاعمال
ويتلذذون بكتمها حتى لو ظهرت اعمالهم واحوالهم لاحد لاستوحشوا من ذلك كما
يستوحش العاصي من ظهور معصيته فالملامتي عظّم موقع الاخلاص وموضعه
وتمسك به معتدًا به والصوفي غاب في اخلاصه عن اخلاصه قال ابو يعقوب
السوسي متى شهدوا في اخلاصهم الاخلاص احتاج اخلاصهم الى الاخلاص وقال
ذو النون ثلاث من علامات الاخلاص استوا المدح والذم من العامة ونسيان
روية الاعمال في الاعمال واقتضا ثواب العمل في الاخرة اخبرنا ابو زرعة
اجازة قال اخبرنا ابو بكر بن خلف اجازة قال اخبرنا ابو عبد الرحمن قال
سمعت ابا عثمان المغربي يقول الاخلاص ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا
اخلاص العوام واخلاص الخواص ما يجري عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم
عنها بمعزل ولا يقع لهم عليها روية ولا بها اعتداد فذلك اخلاص الخواص وهذا
الذي فصّله الشيخ ابو عثمان المغربي يفرق بين الصوفي والملامتي لان الملامتي
اخرج الخلق عن عمله وحاله ولكن اثبت نفسه فهو مخلص والصوفي اخرج نفسه
عن عمله وحاله كما اخرج غيره فهو مخلص وشتان ما بين المخلِص والمخلَص قال
ابو بكر الدقاق نقصان كل مخلص في اخلاصه فاذا اراد الله ان يخلص اخلاصه رؤية اخلاصه
اسقط عن اخلاصه رويته لاخلاصه فيكون مخلَصًا لا مخلِصًا قال ابو سعيد
الخراز ريا العارفين افضل من اخلاص المريدين ومعنى قوله لان الاخلاص
معلول برؤية الاخلاص والعارف منزه عن الريا الذي يبطل العمل ولكن لعله
يظهر شيا من حاله وعمله بعلم كامل عنده فيه لجذب مريد او معاناة خلق

من

من اخلاق النفس في اظهار الحال والعمل وللعارفين في ذلك علم دقيق لا يعرفه
غيرهم فيري ناقص العلم صورة ريا وليس بريا انما هو صريح العلم بالله من غير
حضور نفس ووجود افة فيه قال رويم الاخلاص ان لا يرضى صاحبه عليه
عوضا في الدارين ولا حظا من الملكين وقال بعضهم صدق الاخلاص نسيان
روية الخلق بدوام النظر الى الحق والملامتي يرى الخلق فيخفي عمله وحاله وكل
ما ذكرنا من قبل وصف اخلاص الصوفي ولهذا قال النوري لا بد لكل مخلص من
روية اخلاصه وهو نقصان عن كمال الاخلاص والاخلاص هو الذي يتولى الله
حفظ صاحبه حتى ياتي به على التمام قال جعفر الخلدي سالت ابا القسم
الجنيد قلت بين الاخلاص والصدق فرق قال نعم الصدق اصل وهو الاول
والاخلاص فرع وهو تابع قال وبينهما فرق لان الاخلاص لا يكون الا بعد الدخول
في العمل ثم قال انما هو اخلاص ومخالصة الاخلاص وخالصة كاينة في المخالصة
فعلى هذا الاخلاص حال الملامتي ومخالصة الاخلاص حال الصوفي والخالصة
الكاينة في المخالصة ثمرة مخالصة الاخلاص وهو فنا العبد عن رسومه برؤية
قيامه بقيومه بل غيبته عن روية قيامه وهو الاستغراق في العين عن
الاثار والتخلص عن لون الاستتار وهو نعت حال الصوفي والملامتي مقيم
في اوطان اخلاصه غير متطلع الى حقيقة اخلاصه وهذا فرق واضح بين الملامتي
والصوفي ولم يزل في خراسان منهم طايفة ولهم مشايخ يهدون اساسهم
ويعرفونهم شروط حالهم وقد راينا في العراق من يسلك هذا المسلك ولكن لم
يشتهر بهذا الاسم وقلما يتداول السنة اهل العراق هذا الاسم حكي ان بعض
الملامتية استدعي الى سماع فامتنع فقيل له في ذلك فقال لاني ان حضرت
يظهر علي وجد ولا اوثر ان يعرف احد حالي وقيل لاحمد بن ابي الحواري قال

بلغ

لابي سليمان الداراني اني اذا كنت في الخلوة اجد لمعاملتي لذة لا اجدها بين الناس
فقال له انك اذا لضعيف. فالملامتي وان كان متمسكا بعروة الاخلاص مستفرشا بساط
الصدق ولكن عليه بقية رؤية الخلق وما اخستها من بقية تحقق الاخلاص والصدق
والصوفي صفي من هذه البقية في طرفي العمل والترك للخلق وعزلهم بالكلية وراهم
بعين الفنا والزوال ولاح له ناصية التوحيد وعاين سر كل شي هالك الا وجهه
كما قال بعضهم في بعض غلباته ليس في الدارين غير الله. وقد يكون لخفا الملامتي
الحال على وجهين احد الوجهين لتحقق الاخلاص والصدق. والوجه الاخر وهو
الاتم لستر الحال عن غيره بنوع غيرة فان من خلا بمحبوبه يكره اطلاع الغير عليه
بل يبلغ في صدق المحبة ان يكره اطلاع احد على حبه لمحبوبه. وهذا وان علا ففي
طريق الصوفي علة ونقص. وعلى هذا تقدم الملامتي على المتصوف وتأخر عن
الصوفي. وقيل من اصول اهل الملامتية ان الذكر على اربعة اقسام ذكر باللسان وذكر
بالقلب وذكر بالسر وذكر بالروح فاذا صح ذكر الروح سكت السر والقلب واللسان
عن الذكر وذلك ذكر المشاهدة واذا صح ذكر السر سكت القلب واللسان عن الذكر
وذلك ذكر الهيبة واذا صح ذكر القلب فتر اللسان عن الذكر وذلك ذكر الالآء والنعماء
واذا غفل القلب عن الذكر اقبل اللسان على الذكر وذلك ذكر العادة ولكل واحد
من هذه الاذكار عندهم آفة فآفة ذكر الروح اطلاع السر عليه وآفة ذكر السر
اطلاع القلب عليه وآفة ذكر القلب اطلاع النفس عليه وآفة ذكر النفس رؤية
ذلك وتعظيمه او طلب ثوابه او ظن انه يصل الى شي من المقامات بسوا قبل الناس
فيه عندهم من يريد اظهاره واقبال الخلق عليه بذلك. ومن هذا الاصل الذي بنوا
عليه ان ذكر الروح ذكر الذات وذكر السر ذكر الصفات بزعمهم وذكر القلب ذكر
الالآء والنعماء ذكر آثار الصفات وذكر النفس متعرض للعلات فمعنى قولهم اطلاع

السر

السر على الروح يشيرون الى التحقق بالفنا عند ذكر الذات وذكر الهيبة في
ذلك الوقت ذكر الصفات وهو وجود الهيبة ووجود الهيبة يستدعي وجودا
وبقية وذلك ينافي حال الفنا وهكذا ذكر السر لوجود هيبته وهو ذكر
الصفات مشعر بنصيب القرب وذكر القلب الذي هو ذكر الالآء والنعما شعر
بعدما لانه اشتغال بذكر النعمة وذهول عن المنعم والاشتغال برؤية
العطاء عن رؤية المعطي ضرب من بعد المنزلة واطلاع النفس نظرا الى الاعواض
اعتداد بوجود العمل وذلك عين الاعتلال حقيقة وهذه اقسام هذه الطايفة
وبعضها اعلى من بعض.

الباب التاسع في ذكر من انتمى الى الصوفية وليس منهم

ممن اولئك قوم يسمون نفوسهم قلندرية تارة وملامتية
اخرى. وقد ذكرنا حال الملامتي وانه حال شريف ومقام عزيز وتمسك
بالسنن والآثار وتحقق بالاخلاص والصدق وليس مما يزعم المفتونون بشي.
فاما القلندري فهو اشارة الى اقوام ملكهم سكر طيبة القلوب حتى خربوا
العادات وطرحوا التقيد بآداب المجالسات والمخالطات وساحوا في
ميادين طيبة قلوبهم فقلت اعمالهم من الصوم والصلوة الا الفرايض ولم يبالوا
بتناول شي من الدنيا ولذاتها من كل ما كان مباحا من رخصة الشرع وربما اقتصروا
على رعاية الرخصة ولم يطلبوا حقايق العزيمة ومع ذلك هم متمسكون بترك
الادخار وترك الجمع والاستكثار ولا يترسمون بمراسم المتقشفين والمتزهدين
والمتعبدين وقنعوا بطيبة قلوبهم مع الله تعالى واقتصروا على ذلك وليس
عندهم تطلع الى طلب مزيد سوى ما هم عليه من طيبة القلوب. والفرق بين
الملامتي والقلندري ان الملامتي يعمل في كتم العبادات والقلندري يعمل في تخريب
العادات. والملامتي يتمسك بكل ابواب البر والخير ويرى الفضل فيه ولكن

يخفي الاعمال والاحوال ويوقف نفسه موقف العوام في هيئته وملبوسه وحركاته
واموره ستراً للحال لئلا يفطن له وهو مع ذلك متطلع الى طلب المزيد باذل
مجهوده في كل ما يتقرب به العبد والقلندري لا يتقيد بهيئة ولا يبالي
بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا ينعطف الا على طيبة القلوب وهو راس
ماله والصوفي يضع الاشيا مواضعها ويدبر الاوقات والاحوال كلها بالعلم
يقيم الخلق مقامهم ويقيم امر الحق مقامه ويستر ما ينبغي ان يستر ويظهر ما
ينبغي ان يظهر ويأتي بالامور في مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال
معرفة ورعاية صدق واخلاص وقوم من المفتونين سموا انفسهم ملامتية
ولبسوا لبسة الصوفية لينتسبوا الى الصوفية وما هم من الصوفية بشي بل
هم في غرور وغلط يتسترون بلبسة الصوفية توقيا تارة ودعوى اخرى
وينتهجون مناهج اهل الاباحة ويزعمون ان ضمائرهم خلصت الى الله تعالى
وهذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام والقاصرين
الافهام المنحصرين في مضيق الاقتدا تقليدا وهذا هو عين الالحاد والزندقة
والابعاد وكل حقيقة ردتها الشريعة زندقة وجهل هولا المغرورون
ان الشريعة حق العبودية والحقيقة هي حقيقة العبودية ومن صار من
اهل الحقيقة تقيد بحقوق العبودية وحقيقة العبودية صار مطالبا
بامور وزيادات لا يطالب بها من لم يصل الى ذلك لا انه يخلع عن عنقه ربقة
التكليف ويخامر باطنه الزيغ والتحريف اخبرنا ابو زرعة عن ابيه الحافظ
المقدسي قال اخبرنا ابو محمد الخطيب قال حدثنا ابو بكر محمد بن عمر قال
حدثنا ابو بكر بن ابي داود قال حدثنا احمد بن صالح قال حدثنا ابن عنبسة
قال حدثنا يونس بن يزيد قال قال محمد يعني الزهري اخبرنا حميد بن عبد الرحمن

ان

ان عبد الله بن عتبة بن مسعود حدثه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقول ان اناسا كانوا يوخذون بالوحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان الوحي قد انقطع وانما ناخذكم الآن بما ظهر من اعمالكم فمن اظهر لنا خيرا
امناه وقربناه وليس الينا من سريرته شي الله يحاسبه في سريرته ومن
اظهر لنا سوى ذلك لم نامنه وان قال سريرتي حسنة وعنه ايضا رضي الله
عنه قال من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من اساء به الظن فاذا رايناه متهاونا
بحدود الشرع مهملا للصلوات المفروضات ولا يجد حلاوة التلاوة والصوم
والصلوة ويدخل في المداخل المكروهة المحرمة نرده ولا نقبله ولا نقبل دعواه
ان له سريرة صالحة اخبرنا شيخنا ابو النجيب السهروردي اجازة عن
عمر بن احمد عن ابن خلف عن السلمي قال سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت ابا
محمد الجريري يقول سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل
اهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقوى الى الله تعالى
فقال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهذه عندي عظيمة
والذي يسرق ويزني احسن حالا من الذي يقول هذا وان العارفين بالله اخذوا
الاعمال عن الله واليه يرجعون فيها ولو بقيت الف عام لم انقص من اعمال البر
ذرة الا ان يحال بي دونها وانها لآكد في معرفتي واقوى لحالي ومن جملتهم
قوم يقولون بالحلول ويزعمون ان الله تعالى يحل فيهم ويحل في اجسام يصطفيها
ويسبق الى فهومهم معنى من قول النصارى في اللاهوت والناسوت ومنهم
من يستبيح النظر الى المستحسنات اشارة الى هذا الوهم ويتخايل له ان من
قال كلمات في بعض غلباته كان مضمرا لشي مما زعموه مثل قول الحلاج انا
الحق وما يحكى عن ابي يزيد من قوله سبحاني حاشا ان يعتقد في ابي يزيد انه

يقول ذلك لا على معنى الحكاية عن الله تعالى وهكذا ينبغي ان يعتقد في
الحلاج قوله ذلك ولو علمنا انه ذكر ذلك القول مضمرًا التي من الحلول
رددناهم كما نردهم وقد اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريعة بيضا
نقية يستقيم بها كل معوج وقد دلتنا عقولنا على ما يجوز من وصف الله
تعالى به وما لا يجوز والله تعالى منزه ان يحل به شي او يحل بشي حتى لعل
بعض المفتونين يكون عنده ذكا وفطنة غريزية ويكون قد سمع كلمات
تخلقت باطنه فيتالف له في فكره كلمات ينسبها الى الله تعالى وانها مكالمة
الله اياه مثل ان يقول قال لي وقلت له وهذا رجل جاهل بنفسه وحديثها اما
جاهل بربه وبكيفية المكالمة والمحادثة واما عالم ببطلان ما يقول يحمله
هواه على الدعوى بذلك ليتوهم انه ظفر بشي وكل هذا ضلال ويكون سبب تجربته
على هذا ما سمع من كلام بعض المحققين مخاطبات وردت عليهم بعد طول
معاملات لهم ظاهرة وباطنة وتمسكهم باصول من صدق التقوى وكمال الزهد
في الدنيا فلما صفت اسرارهم تشكلت في سرايرهم مخاطبات موافقة للكتاب نزل
والسنة نزلت بهم تلك المخاطبات عند استغراق السراير ولا يكون ذلك
كلاما يسمعونه بل كحديث في النفس يجدونه برؤية موافقة للكتاب
والسنة مفهومًا عند اهله موافقا للعلم ويكون ذلك مناجات لسرايرهم
ومناجاة سرايرهم اياهم فيثبتون لنفوسهم مقام العبودية ولمولاهم الربوبية
فيضيفون ما يجدونه من نفوسهم الى مولاهم وهم مع ذلك عالمين بان ذلك الي
ليس كلام الله وانما هو علم حادث احدثه الله في بواطنهم فطريق الاصحا
في ذلك الفرار الى الله تعالى من كل ما تحدث نفوسهم به حتى اذا برئت ساحتهم
من الهوا والنفس في بواطنهم شي ينسبونه الى الله تعالى نسبة الحادث الى
والهوا

المحدث

المحدث لا نسبة الكلام الى المتكلم ليتصانوا عن الزيغ والتحريف ومن اولئك يزعمون انهم
قوم يخوضون في غمار التوحيد ولا يثبتون لنفوسهم حركة وفعلا ويزعمون
انهم مجبورون على الاشيا لا فعل لهم مع فعل الله ويسترسلون في المعاصي وان
وكل ما تدعوا النفس اليه ويركنون الى البطالة ودوام الغفلة والاغترار
بالله والخروج من الملة وترك الحدود والاحكام والحلال والحرام وقد
سيل سهل بن عبد الله عن رجل يقول انا كالباب لا اتحرك الا اذا حركت
قال هذا لا يقوله الا احد رجلين اما صديقا او زنديق لان الصديق يقول
هذا القول اشارة الى قوام الاشيا بالله مع احكام الاصول ورعاية
حدود العبودية والزنديق يقول ذلك احالة للاشيا على الله تعالى
واسقاط الملامة عن نفسه وانخلاعا عن الدين ورسمه فاما من كان
معتقدًا للحلال والحرام والحدود والاحكام معترفا بالمعصية اذا صدرت
منه معتقدًا وجوب التوبة منها فهو سليم صحيح وان كان تحت القصور بما
يركن اليه من البطالة ويستروح بهوى النفس الى الاسفار والتردد
في البلاد متوصلا الى تناول اللذايذ والشهوات غير متمسك بشيخ يؤدبه
ويهذبه ويبصره بعيوب ما هو فيه **الباب العاشر في شرح** انه ملا
رتبة المشيخة ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفس محمد بيده لين شيتم لاقسمن لكم ان احب عباد الله الى الله الذين
يحببون الله الى عباده ويحببون عباد الله الى الله ويمشون في الارض
بالنصيحة وهذا الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رتبة
المشيخة والدعوة الى الله تعالى لان الشيخ يحبب الله الى عباده حقيقة
ويحبب عباد الله الى الله ورتبة المشيخة اعلا الرتب في طريق الصوفية

ونهاية النبوة في الدعا الى الله فاما وجه كون الشيخ يحبب عباد الله الى الله لان
الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صح اقتداوه
واتباعه احبه الله تعالى قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله ووجه كونه يحبب الله تعالى الى عباده لانه يسلك بالمريد طريق التزكية
واذا تزكت النفس انجلت مراة القلب وانعكس فيه انوار العظمة الالهية ولاح
فيه جمال التوحيد وانجذبت احداق البصيرة الى مطالعة انوار جلال القدم
ورويه الكمال الازلي فاحب العبد ربه لا محالة وذلك ميراث التزكية قال الله
تعالى قد افلح من زكاها وفلاحها بالظفر بمعرفة الله وايضا مراة القلب
اذا انجلت لاحت فيها الدنيا بقبحها وحقيقتها وماهيتها ولاحت الاخرة وبقاوها
بكنهها وغايتها فتنكشف للبصيرة حقيقة الدارين وحاصل المنزلين فيحب العبد
الباقي ويزهد في الفاني فتظهر فايدة التزكية وجدوى المشيخة والتربية فالشيخ
من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدي به الطالبين اخبرنا ابو زرعة
عن ابيه الحافظ المقدسي قال اخبرنا ابو الفضل عبد الواحد بن علي بن بهدان
قال اخبرنا ابو بكر محمد بن علي بن احمد الطوسي قال حدثنا ابو العباس محمد بن
يعقوب قال حدثنا ابو عتبة قال حدثنا بقية قال حدثنا صفوان بن عمرو
قال حدثني الازهر بن عبد الله قال سمعت عبد الله بن بسر صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال كان يقال اذا اجتمع عشرون رجلا او اكثر فان لم يكن فيهم
من يهاب لله عز وجل فقد حضر الامر فعلى المشايخ وقار الله وبهم يتادب المريدون
ظاهرا وباطنا قال الله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فالمشايخ
لما اهتدوا اهلوا للاقتدا بهم وجعلوا ايمة للمتقين والرسول عليه الصلاة
والسلام يقول حاكيا عن ربه اذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت

همه

همه ولذته في ذكري فاذا جعلت همه ولذته في ذكري عشقته وعشقني
ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه لا يسهوا اذا سها الناس اولئك كلامهم كلام الانبيا
اولئك الابطال حقا اولئك الذين اذا اردت باهل الارض عقوبة او عذابا
ذكرتهم فصرفته بهم عنهم والسر في وصول السالك الى رتبة المشيخة ان
السالك مامور بسياسة النفس مبتلى بصفاتها لا يزال يسلك بصدق المعاملة
حتى تطمين نفسه وبطمانينتها ينتزع عنها البرودة واليبوسة التي استصحبتها
من اصل خلقتها وبها تستعصي على الطاعة والانقياد للعبودية فاذا زالت اليبوسة
عنها ولانت بحرارة الروح الواصل اليها وهذا اللين هو الذي ذكره الله تعالى في
قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله تجيب الى العبادة وتلين للطاعة عند
ذلك وقلب العبد متوسط بين الروح والنفس ذو وجهين احد وجهيه الى
النفس والوجه الاخر الى الروح يستمد من الروح بوجهه الذي يليه ويمد
النفس بوجهه الذي يليها حتى تطمين النفس فاذا اطمانت نفس السالك
وفرغ من سياستها انتهى سلوكه وتمكن من سياسة النفس وانقادت نفسه
وفات الى امر الله ثم القلب يترشح الى السياسة لما فيه من التوجه الى النفس
فيقوم بنفوس المريدين الطالبين الصادقين عنده مقام نفسه لوجود الجنسية
في عين النفسية من وجه ولوجود التالف بين الشيخ والمريد من وجه بالتالف
الالهي قال الله تعالى لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن
الله الف بينهم فيسوس قلوب المريدين كما كان يسوس نفسه من قبل فيكون
في الشيخ حينئذ معنى التخلق باخلاق الله من معنى قول الله تعالى الا طال شوق
الابرار الى لقايي واني الى لقايهم لاشد شوقا فربما هيا الله تعالى من حسن التاليف
بين الصاحب والمصحوب يصير المريد جزء الشيخ كما ان الولد جزء الوالد في الولادة

الطبيعية ونصير هذه الولادة آنفا ولادة معنوية كما ورد عن عيسى
صلوات الله عليه لن يلج ملكوت السما من لم يولد مرتين فبالولادة الاولى له
ارتباط بعالم الملك وبهذه الولادة يصير له ارتباط بالملكوت قال الله تعالى
وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وصرف اليقين
على الكمال يحصل في هذه الولادة وبهذه الولادة يستحق ميراث الانبيا ومن
لم يصله ميراث الانبيا ما ولد وان كان على كمال من الفطنة والذكا لان الفطنة والذكا نتيجة العقل
والعقل اذا كان بايسا من نور الشرع لا يدخل الملكوت ولا يزال مترددا في
الملك ولهذا وقف على برهان من العلوم الرياضية لانه تصرف في الملك ولم يرتق
الى الملكوت والملك ظاهر الكون والملكوت باطن الكون والعقل لسان الروح
والبصيرة التي منها تنبعث اشعة الهداية قلب الروح واللسان ترجمان القلب
فكلما ينطق به الترجمان معلوم عند من يترجم عنه وليس كلما عند من يترجم
عنه يبرز الى الترجمان فلهذا المعنى حرم الواقفون مع مجرد العقول العرية
من نور الهداية الذي هو موهبة الله عند الانبيا واتباعهم الصواب واسبل
دونهم الحجاب لوقوفهم مع الترجمان وحرمانهم غاية التبيان وكان في الولادة
الطبيعية ذات الاولاد في صلب الاب مودعة تنتقل الى اصلاب الاولاد بعدد
كل ولد ذرة وهي الذرات التي خاطبها الله يوم الميثاق بالست بربكم قالوا بلى
حيث مسح ظهر آدم وهو ملقى ببطن نعمان بين مكة والطايف فسالت الذرات
من مسام جسده كما يسيل العرق بعدد كل ولد من ولد آدم ذرة ثم لما خوطبت
واجابت ردت الى ظهر آدم فمن الآبا من تودع الذرات في صلبه ومنهم من لم يودع
في صلبه فينقطع نسله هكذا في المشايخ منهم من تكثر اولاده وياخذون منه العلوم
والاحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت اليهم من النبي عليه الصلاة والسلام بواسطة

الصحبة

الصحبة ومنهم من تقل اولاده ومنهم من ينقطع نسله وهذا النسل هو الذي رد الله
على الكفار حيث قالوا محمد ابتر لا نسل له قال الله تعالى ان شانيك هو الابتر
والا فرسول الله صلى الله عليه وسلم نسله باق الى ان يقوم الساعة وبالنسبة المعنوية يصل
ميراث العلم الى اهل العلم حدثنا شيخنا ابو النجيب السهروردي املا قال
اخبرنا ابو عبد الرحمن الماليني قال اخبرنا الحسن الداودي قال اخبرنا ابو محمد
الحموي قال اخبرنا ابو عمران السمرقندي قال اخبرنا ابو محمد الدارمي قال اخبرنا
نصر بن علي قال حدثنا عبد الله بن داود عن عاصم عن رجا بن حيوة عن
داود بن جميل عن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع ابي الدردا رضي الله عنه
في مسجد دمشق فاتاه رجل فقال يا ابا الدردا اني اتيتك من المدينة مدينة
الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث بلغني عنك انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فما جا بك تجارة قال لا قال ولا جا بك غيره قال لا قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يلتمس به فيها علما سلك الله به طريقا من
طرق الجنة وان الملايكة لتضع اجنحتها رضى لطالب العلم وان طالب العلم يستغفر
له من في السما والارض حتى الحيتان في البحار وان فضل العالم على العابد كفضل
القمر على ساير النجوم ان العلما هم ورثة الانبيا ان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا
درهما انما ورثوا العلم فمن اخذ به اخذ بحظه او بحظ وافر فالما ولما اودعت
الحكمة والعلم عند آدم ابي البشر عليه السلام ثم انتقل منه كما انتقل منه النسيان
والعصيان وما تدعوا اليه النفس والشيطان كما ورد ان الله تعالى امر جبريل عليه السلام
حتى اخذ قبضة من اجزا الارض والله تعالى نظر الى الاجزا الارضية التي كونها
من الجوهر الذي خلقها اولا فصار من مواقع نظر الله اليها فيها خاصية السماع من
الله تعالى والجواب حيث خاطب السموات والارضين بقوله ايتيا طوعا او كرها

قالتا اتينا طايعين فحمل اجزا الارض بهذا الخطاب خاصية ثم انتزعت هذه
الخاصية منها باخذ اجزايها لتركيب صورة آدم فتركب جسد آدم من اجزا ارضية
محتوية على هذه الخاصية فمن جنسية اجزا الارض تركب فيه الهوى حتى
مد يده الى شجرة الفنا وهي شجرة الحنطة في اكثر الاقاويل فتطرق الى قالبه
الفنا وباكرام الله اياه بنفخ الروح الذي اخبر عنه فاذا سويته ونفخت فيه من
روحي نال العلم والحكمة فبالتسوية صار ذا نفس منفوسة وبنفخ الروح صار
ذا روح روحاني وشرح هذا يطول فصار قلبه معدن الحكمة وقالبه معدن
الهوى فانتقل منه العلم والهوى وصار ميراثه في ولده فصار من طريق الولادة
ابا بواسطة الطبايع التي هي محل الهوى ومن طريق الولادة المعنوية ابا بواسطة
العلم فالولادة الظاهرة تطرق اليها الفنا والولادة المعنوية محمية من
الفنا لانها وجدت من شجرة الخلد وهي شجرة العلم لا شجرة الحنطة التي سماها
ابليس شجرة الخلد فابليس يرى الشي بضده فتبين ان الشيخ هو الاب معنى وكثيرا كان
يقول شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب السهروردي ولدي من سلك طريقي واهتدى
بهديي فالشيخ الذي يكتسب بطريقه الاحوال قد يكون ماخوذا في ابتدايه
في طريق المحبين وقد يكون ماخوذا في طريق المحبوبين وذلك ان امر الصالحين
والسالكين ينقسم اربعة اقسام سالك مجذوب وسالك متدارك بالجذبة ومجذوب
متدارك بالسلوك فالسالك المجرد لا يوهل للمشيخة ولا يبلغها لبقا صفات نفسه
عليه فيقف عند حظه من رحمة الله تعالى في مقام المعاملة والرياضة ولا
يرتقي الى حال يروح بها عن وهج المكابدة والمجذوب المجرد من غير سلوك يبادبه
الحق بآيات اليقين ويرفع عن قلبه شيا من الحجاب ولا يوخذ في طريق المعاملة
والمعاملة اثر تام سوف نشرحه في موضعه ان شا الله تعالى هذا ايضا لا يوهل

سالك مجرد

المشيخة

40

للمشيخة ويقف عند حظه من الله مروحا بحاله غير ماخوذ في طريق اعماله بما
عدا الفريضة والسالك الذي يتدارك بالجذبة هو الذي كانت بدايته المجاهدة
والمكابدة والمعاملة بالاخلاص والوفا بالشروط ثم اخرج من وهج المكابدة الى
روح الحال فوجد العسل بعد العلقم وتروح بنسمات الفضل وبرز من مضيق
المكابدة الى متسع المساهلة واونس بنفحات القرب وفتح له باب من المشاهدة
فوجد دواه وفاض وعاه وصدرت منه كلمات الحكمة ومالت اليه القلوب
وتوالى عليه فتوح الغيب صار ظاهره مسددا وباطنه مشاهدا وصلح للجلوة
وصار له في جلوته خلوة فيغلب ولا يغلب ويفترس ولا يفترس يوهل لمثل
هذا للمشيخة لانه اخذ في طريق المحبين ومنح حالا من احوال المقربين بعد ما
دخل من طريق اعمال الابرار الصالحين ويكون له اتباع ينتقل منه اليهم علوم
ويظهر بطريقته بركة ولكن قد يكون محبوسا في حاله محكما حاله فيه لا يطلق
من وثاق الحال ولا يبلغ كمال النوال يقف عند حظه وهو حظ وافر سني والذين
اوتوا العلم درجات ولكن المقام الاكمل في المشيخة القسم الرابع وهو المجذوب
المتدارك بالسلوك يبادبه الحق بالكشوف وانوار اليقين ويرفع عن قلبه الحجب
ويستنير بانوار المشاهدة وينشرح وينفسح قلبه ويتجافى عن دار الغرور وينيب
الى دار الخلود ويرتوي من بحر الحال ويتخلص من الاغلال والاعلال ويقول معلنا
لا اعبد ربا لم اره ثم تفيض من باطنه على ظاهره ويجري عليه صورة المجاهدة
والمعاملة من غير مكابدة وعنا بل بلذاذة وهنا ويصير قالبه بصفة قلبه
لامتلا قلبه بحب ربه ويلين جلده كما لان قلبه وعلامة لين جلده اجابة
قالبه للعمل كاجابة قلبه فيزيده الله تعالى ارادة خاصة ويرزق محبة خاصة
من محبة المحبوبين المرادين ينقطع فيواصل ويعرض فيراسل ويذهب عنه جمود

النفس ويصطلي بحرارة الروح وينكمش عن قلبه عروق النفس قال الله
تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين
يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اخبر ان الجلود تلين كما ان
القلوب تلين ولا يكون هذا الا حال المحبوب المراد وقد ورد في الخبر ان ابليس
سال السبيل ان يجعل له سبيل الى القلب فقيل له يحرم عليك ولكن السبيل لك في
مجاري العروق المشتبكة بالنفس الى حد القلب فاذا دخلت العروق عرقت
فيها من ضيق مجاريها وامتزج عرقك بماء الرحمة المترشح من جانب القلب في مجرى
واحد ويصل بذلك سلطانك الى القلب من جعلته نبيا او وليا قلعت تلك
العروق من باطن قلبه فيصير القلب سليما فاذا دخلت العروق لم تصل الى المشتبك
بالقلب فلا يصل الى القلب سلطانك فالمحبوب المراد الذي هو اهل المشيخة سلم
قلبه وانشرح صدره ولان جلده وصار قلبه بطبع الروح ونفسه بطبع القلب
ولانت النفس بعد ان كانت امارة بالسوء مستعصية ولان الجلد للين النفس
ورد الى صور الاعمال بعد وجدان الحال ولا يزال روحه تنجذب الى الحضرة
الالهية فيستتبع الروح القلب ويستتبع القلب النفس وتستتبع النفس
القالب فامتزجت الاعمال القلبية والقالبية وانخرق الظاهر الى الباطن والباطن
الى الظاهر والقدرة الى الحكمة والحكمة الى القدرة والدنيا الى الاخرة والاخرة
الى الدنيا ويصح لمثله ان يقول لو كشف الغطا ما ازددت يقينا فعند ذلك يطلق
من وثاق الحال ويكون مسيطرا على الحال لا الحال مسيطرا عليه ويصير حرا
من كل وجه فالشيخ الاول الذي اخذ في طريق المحبين حر من رق النفس ولكن
ربما كان باقيا في رق القلب وهذا الشيخ في طريق المحبوبين حر من رق القلب
كما هو حر من رق النفس وذلك ان النفس حجاب ظلماني ارضي اعتق منه الاول

والقلب حجاب نوراني سماوي اعتق منه الاخر فصار لربه لا لقلبه ولوقته لا
لوقته فعبد الله حقا وآمن به صدقا يسجد لله سواده وخياله ويؤمن به
فواده ويقر به لسانه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض سجوده ولا
يتخلف عن العبودية منه شعرة وتصير عبادته مشاكلة لعبادة الملائكة ولله يسجد
من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال فالقوالب
هي الظلال الساجدة ظلال الارواح المقربة في عالم الشهادة الاصل كثيف والظل
لطيف وفي عالم الغيب الاصل لطيف والظل كثيف فيسجد لطيف العبد وكثيفه
وليس هذا المتاخذ في طريق المحبين لانه يستبشع صور الاعمال ويتعلل بما انيل
من وجدان الحال وذلك لقصور في العلم وقلة في الحظ ولو كثر العلم راى
ارتباط الاعمال بالاحوال كارتباط الروح بالجسد وراى ان لا غنى عن
العمل كما لا غنى في عالم الشهادة عن القوالب ما دامت القوالب باقية فالعمل
باق ومن صح في المقام الذي وصفناه هو الشيخ المطلق والعارف المحقق
والمحبوب المعتق نظره دوا وكلامه دوا بالله ينطق وبالله يسكت كما ورد لا (في الخبر)
يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا
ومويدا بي ينطق وبي يبصر الحديث والشيخ يعطي بالله ويمنع بالله فلا رغبة له (لعينه)
في عطا ومنع بعينه بل هو مع مراد الحق والحق يعرفه مراده فيكون في الاشيا
بمراد الله لا بمراد نفسه فان علم ان الله يريد منه الدخول في صورة محمودة دخل
فيها بمراد الله تعالى لا لكون الصورة محمودة بخلاف الخادم القايم بواجب
خدمة عباد الله تعالى

الباب الحادي عشر في شرح حال الخادم ومن يتشبه به

اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام وقال يا داود اذا
رايت لي طالبا فكن له خادما الخادم يدخل في الخدمة راغبا في الثواب وفيما

اعد الله تعالى للعباد ويتصدى لايصال الراحة ويفرغ خواطر المقبلين على الله
عن مهام معاشهم ويفعل ما يفعله لله بنية صالحة والشيخ واقف مع
مراد الله والخادم واقف مع نيته فالخادم يفعل الشي لله والشيخ يفعل الشي بالله
فالشيخ في مقام المقربين والخادم في مقام الابرار فيختار الخادم البذل
والايثار والارتفاق من الاغيار للاغيار ووظيفته وقته تصديه لخدمة
عباد الله وفيه يعرف الفضل ويرجحه على نوافله واعماله وقد يقيم من
لا يعرف الخادم مقام الشيخ وربما جهل الخادم ايضا حال نفسه فيحسب نفسه
شيخا لقلة العلم واندراس رسوم القوم في هذا الزمان وقناعة كثير من الفقرا
من المشايخ باللقمة دون العلم والحال فكل من كان اكثر اطعاما هو عندهم احق
بالمشيخة ولا يعلمون انه خادم وليس بشيخ والخادم في مقام حسن وحظ صالح
من الله تعالى وقد ورد ما يدل على فضل الخادم فيما اخبرنا الشيخ ابو زرعة
الحافظ ابو الفضل محمد بن طاهر المقدسي عن ابيه قال اخبرنا ابو الفضل محمد
بن عبد الله المقري قال حدثنا ابو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي
قال حدثنا ابو حامد الحافظ قال حدثنا العباس بن محمد الدوري وابو الازهر
قالا حدثنا ابو داود قال حدثنا سفين عن الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير
عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بطعام وهو بمر الظهران
فقال لابي بكر وعمر رضي الله عنهما كلا فقالا انا صايمان فقال ارحلوا لصاحبيكم اعملوا
لصاحبيكم ادنوا فكلا يعني انكما ضعفتما بالصوم عن الخدمة واحتجتما الى من
يخدمكما فكلا واخدما انفسكما فالخادم يحرص على حيازة الفضل فيتوصل
بالكسب تارة وبالاسترفاق والدريوزة تارة وباستجلاب الوقف الى نفسه
تارة لعلمه انه قيم بذلك صالح لايصاله الى الموقوف عليهم ولا يبالي ان يدخل في

كل

42

كل مدخل لا بد منه الشرع لحيازة الفضل بالخدمة ويرى الشيخ بنفوذ البصيرة وقوة
العلم ان الانفاق يحتاج الى علم تام ومعاناة في تخليص النية عن شوايب النفس
والشهوة الخفية ولو خلصت نيته ما رغب في ذلك لوجود مراده فيه وحاله
ترك المراد واقامة مراد الحق اخبرنا ابو زرعة اجازة قال اخبرنا ابو بكر
احمد بن علي بن خلف اجازة قال اخبرنا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي يقول سمعت
محمد بن الحسين بن الخشاب يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول
سمعت السري يقول اعرف طريقا مختصرا قصدا الى الجنة فقلت له ما هو قال
لا تسال احدا شيا ولا تاخذ من احد شيا ولا يكن معك شي تعطي منه احدا شيا
والخادم يرى ان من طريق الجنة الخدمة والبذل والايثار ويقدم الخدمة على
النوافل ويرى فضلها وللخدمة فضل على النافلة التي ياتي بها العبد طالبا بها
الثواب عن النافلة التي يتوخى بها صحة حاله مع الله تعالى لوجود نقد قبل وعد
ومما يدل على فضل الخدمة على النافلة ما اخبرنا ابو زرعة قال اخبرني والدي
الحافظ المقدسي قال اخبرنا ابو بكر محمد بن احمد السمسار باصفهان قال اخبرني
ابرهيم بن عبد الله بن خورشيد قال حدثنا الحسين بن اسمعيل المحاملي قال حدثنا
ابو [illegible] قال حدثنا ابو السايب قال حدثنا ابو معوية قال حدثنا
عاصم عن مورق عن انس قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنا الصايم ومنا
المفطر فنزلنا منزلا في يوم حار شديد الحر فمنا من يتقي الشمس بيده واكثرنا ظلا
صاحب الكسا يستظل به فنام الصايمون وقام المفطرون فضربوا الابنية واسقوا
الركاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب المفطرون اليوم بالاجر وهذا
حديث يدل على فضل الخدمة على النافلة والخادم له مقام عزيز يرغب فيه فاما
من لم يعرف تخليص النية من شوايب النفس ويتشبه بالخدام ويتصدى لخدمة الفقرا

ويدخل في مداخل الخدام بحسن الارادة بطلب الثاني بالخدام يكون خدمته مشوبة
منها ما يصيبه فيها لموضع ايمانه وحسن ارادته في خدمة القوم ومنها ما لا يصيب
فيها لما فيه من مزج الهوى فيضع الشي في غير موضعه وقد يخدم بهواه في بعض
تصاريفه ويخدم من لا يستحق الخدمة في بعض اوقاته ويحب المحمدة والثنا من
الخلق مع ما يحب من الثواب ورضى الله تعالى وربما خدم الناس وربما امتنع من الخدمة
لوجود هوى يخامره في حق من يلقاه بمكروه ولا يراعي واجب الخدمة في طرفي
الرضا والغضب لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى والخادم لا يتبع الهوى في
الخدمة في الرضا والغضب ولا ياخذه في الله لومة لايم ويضع الشي في مواضعه
فاذا الشخص الذي وصفناه انما متخادم وليس بخادم ولا يميز بين الخادم والمتخادم
الا من له علم بصحة النيات وتخليصها من شوايب الهوى والمتخادم ايضا يبلغ
ثواب الخادم في كثير من تصاريفه ولا يبلغ رتبته لتخلفه عن حاله بوجود مزج
هواه واما من اقيم لخدمة الفقرا بتسليم وقف اليه او توفير رزق عليه وهو يخدم
لمال يصيبه او حظ عاجل يدركه فهو في الخدمة لنفسه لا للغير فلو انقطع
رفقه ما خدم وربما استخدم من يخدم فهو مع حظ نفسه يخدم من يخدمه
ويحتاج اليه في المحافل يتكثر به ويقيم جاه نفسه بكثرة الاتباع والاتباع هو
خادم هواه وطالب دنياه يحرص نهاره وليله في تحصيل ما يقيم له جاهه ويرضي
نفسه واهله وولده فيتسع في الدنيا ويتزيا بغير زي الحرام والفقرا ويتشر
نفسه بطلب الحظوظ ويستولي عليه حب الرياسة وكلما كثر رفقه كثر مواد
هواه واستطال على الفقرا ويحوج الفقرا الى التملق المفرط له طلبا لرضاه وتوقيا
لغضبه وميله عليهم بقطع ما ينوبهم من الوقف فهذا احسن حاله ان يسمى
متخدما فليس بخادم ولا متخادم ومع ذلك كله ربما نال بركتهم بالحيا من خدمتهم
على

على خدمة غيرهم وبانتمايه اليهم وقد اوردنا الخبر المسند الذي في سياقة
هم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم والله الموفق المعين الباب الثاني
عشر في شرح خرقة المشايخ الصوفيه لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ
وبين المريد وتحكيم من المريد الشيخ في نفسه والتحكيم سايغ في الشرع لمصالح
دنياويه فماذا ينكر المنكر للبس الخرقة على طالب صادق في طلبه يقصد شيخا
بحسن ظن وعقيدة يحكمه في نفسه لمصالح دينه يرشده ويهديه ويعرفه طريق
المواجيد ويبصره بآفات النفوس وفساد الاعمال ومداخل العدو فيسلم نفسه
اليه ويستسلم لرايه واستصوابه في جميع تصاريفه فيلبسه الخرقة اظهارا
للتصرف فيه فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم ودخوله في
حكم الشيخ دخوله في حكم الله وحكم رسوله واحيا سنة المبايعة مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخبرنا ابو زرعة قال اخبرنا والدي الحافظ المقدسي
قال اخبرنا ابو الحسين احمد بن محمد البزاز قال اخبرنا احمد بن محمد بن ابي يحيى قال
حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال حدثنا عمر بن علي بن حفطة قال سمعت
عبد الوهاب الثقفي يقول سمعت يحيى بن سعد يقول حدثني عبادة بن الوليد
بن عبادة بن الصامت قال اخبرني ابي عن ابيه قال بايعنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وان
لا ننازع الامر اهله وان نقول بالحق حيث كنا وان لا نخاف في الله لومة لايم ففي
الخرقة معنى المبايعة والخرقة عتبة الدخول في الصحبة والمقصود الكلي هو
الصحبة وبالصحبة يرجى للمريد كل خير روى عن ابي يزيد انه قال من لم يكن
له استاذ فامامه الشيطان وحكى الاستاذ ابو القسم القشيري عن شيخه
ابي علي الدقاق انه قال الشجرة اذا انبتت بنفسها من غير غارس فانها تورق ولا

تمر وهو كما قال دعوذ انها تمر كالاشجار التي في الاودية والجبال ولكن
لا يكون لفواكهها طعم فاكهة البساتين والغرس اذا انتقل من موضع الى موضع
اخر يكون احسن واكثر تمرة لدخول التصرف فيه وقد اعتبر الشرع وجود
التعليم في الكلب المعلم واحل ما هو بقتله بخلاف غير المعلم وسمعت كثيرا
من المشايخ يقولون من لم ير مفلحا لا يفلح ولنا في رسول الله اسوة حسنة
فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا العلم والاداب من رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما روي عن بعض الصحابة علمنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل شي حتى الخراة فالمريد الصادق اذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبه
وتادب بآدابه يسري من باطن الشيخ حال الى باطن المريد كسراج يقتبس
من سراج وكلام الشيخ يلقح باطن المريد ويكون مقال الشيخ مستودع انفايس
الحال وينتقل الحال الى المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال ولا يكون هذا الا
لمريد حصر نفسه مع الشيخ وانسلخ من ارادة نفسه ويفني في الشيخ بترك
اختيار نفسه فبالتالف الالهي يصير بين الصاحب والمصحوب امتزاج وارتباط
بالنسبة الروحية والطهارة الفطرية ثم لا يزال المريد مع الشيخ كذلك
متادبا بترك الاختيار حتى يرتقي من ترك الاختيار مع الشيخ الى ترك الاختيار
مع الله تعالى ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدا هذا الخير كله الصحبة
والملازمة للشيوخ والخرقة مقدمة ذلك ووجه لبس الخرقة من السنة
ما اخبرنا الشيخ ابو زرعة عن ابيه الحافظ ابي الفضل المقدسي قال اخبرنا
ابو بكر احمد بن علي بن خلف الاديب بنيسابور قال حدثنا الحاكم ابو عبد الله
محمد بن عبد الله الحافظ قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنا ابو مسلم ابرهيم بن
عبد الله المصري قال ثنا ابو الوليد قال ثنا اسحق بن سعيد قال ثنا ابي قال

حدثني

حدثتني ام خالد بنت خالد قالت اتي النبي عليه الصلوة والسلام بثياب
فيها خميصة سودا صغيرة فاتي بي فالبسنيها بيده وقال ابلي واخلقي يقولها
مرتين وجعل ينظر الى علم في الخميصة اصفر واحمر ويقول يا ام خالد هذا
سنا والسنا هو الحسن بلسان الحبشة ولا خفا بان لبس الخرقة على الهيئة
التي يعتمدها الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ واصله
من الحديث ما رويناه والشاهد لذلك ايضا التحكيم الذي ذكرناه واي اقتدا
برسول الله صلى الله عليه وسلم تم واكثر من الاقتدا به في دعا الخلق الى الحق
وقد ذكر الله تعالى في كلامه القديم تحكيم الامة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتحكيم المريد شيخه احيا سنة ذلك التحكيم قال الله تعالى فلا وربك
لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما وسبب نزول الايتان الزبير ابن العوام رضي الله عنه اختصم
هو واخر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة والشراج مسيل
الما كانا يسقيان به النخل فقال النبي عليه الصلوة والسلام للزبير اسق
يا زبير ثم ارسل الما الى جارك فغضب الرجل وقال فقضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لابن عمته فانزل الله تعالى هذه الاية يعلم فيها الادب مع رسول
الله وشرط عليهم في الاية التسليم والانقياد ظاهرا ونفي الحرج وهو الانتفا
باطنا وهذا شرط المريد مع الشيخ بعد التحكيم بلبس الخرقة يزيل اتهام
الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه ويحذر الاعتراض على الشيوخ فانه
السم القاتل للمريدين وقل ان يكون المريد يعترض على الشيخ بباطنه فيفلح
ويذكر المريد في كل ما اشكل عليه من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر

ومازالت تروين الكسوة هذه
مكث النعيم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابلي
ثم
يا ام خالد فانت

كيف كان عليهما السلام يصدر من الخضر تصاريف ينكرها موسى عليه السلام
ثم لما كشف له عن معناها بان لموسى وجه الصواب في ذلك وهكذا ينبغي
للمريد ان يعلم ان كل تصرف اشكل عليه صحته من الشيخ عند الشيخ فيه بيان
وبرهان للصحة ويد الشيخ في لبس الخرقة تنوب يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتسليم المريد تسليم لله ورسوله قال الله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ويأخذ الشيخ
على المريد عهد الوفا بشرايط الخرقة ويعرفه حقوق الخرقة فالشيخ للمريد
صورة يستشف المريد من وراء هذه الصورة المطالبات الالهية والمراضي
النبوية ويعتقد المريد ان الشيخ باب فتح الله تعالى الى جناب كرمه منه
يدخل واليه يرجع وينزل بالشيخ سوانحه ومهامه الدينية والدنياوية
ويعتقد ان الشيخ ينزل بالله الكريم ما ينزل المريد به ويرجع في ذلك الى
الله للمريد كما يرجع المريد اليه وللشيخ باب مفتوح من المكالمة والمحادثة
في النوم واليقظة فلا يتصرف الشيخ في المريد بهواه فهو امانة الله عنده ويستغيث
الى الله لحوايج المريد كما يستغيث لحوايج نفسه ومهام دينه ودنياه قال
الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل
رسولا فارسال الرسول مختص بالانبيا والوحي كذلك والكلام من وراء حجاب
بالالهام والهواتف والمنام وغير ذلك للشيوخ والراسخين في العلم واعلم
ان للمريدين مع الشيوخ اوان ارتضاع واوان لزوم انفطام الصحبة والشيخ
يعلم وقت ذلك فلا ينبغي للمريد ان يفارق الشيخ الا باذنه قال الله تعالى
تاديبا للامة انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على
امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يومنون

بالله

بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم واي
امر جامع اعظم من امر الدين فلا باذن الشيخ للمريد في المفارقة الا بعد
علمه بان له بلغ له اوان الفطام وانه يقدر ان يستقل بنفسه واستقلاله
بنفسه ان ينفتح له باب من الفهم من الله تعالى فاذا بلغ المريد رتبة انزال
الحوايج والمهام بالله والفهم من الله تعريفاته وتنبيهاته سبحانه وتعالى لعبده
السايل المحتاج فقد بلغ اوان فطامه ومتى فارق قبل اوان الفطام يناله من
الاعتلال في الطريق بالرجوع الى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال المفطوم لغير
اوانه في الولادة الطبيعية وهذا التلازم بصحبة المشايخ للمريد الحقيقي
والمريد الحقيقي يلبس خرقة الارادة واعلم ان الخرقة خرقتان خرقة الارادة
وخرقة التبرك والاصل الذي قصده المشايخ للمريدين خرقة الارادة
وخرقة التبرك تشبه بخرقة الارادة فخرقة الارادة للمريد الحقيقي وخرقة
التبرك للمتشبه ومن تشبه بقوم فهو منهم وسر الخرقة ان الطالب الصادق
اذا دخل في صحبة الشيخ وسلم نفسه اليه وصار كالولد الصغير مع الوالد الصغير
مع الوالد يربيه الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى بصدق الافتقاد وحسن
الاستقامة ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته الاشراف على البواطن فقد يكون
المريد يلبس الخشن كثياب المتقشفين المتزهدين وله في تلك الهيئة من
الملبوس هوى كامن في نفسه ليرى بعين الزهادة فاشد ما على هذا لبس
الناعم وللنفس هوى واختيار في هيئة من الملبوس في قصر الكم والذيل
وطوله وخشونته ونعومته على قدر حسبانها وهواها فيلبس الشيخ
لمثل هذا الراكن الى تلك الهيئة ثوبا يكسر بذلك على نفسه هواها وغرضها
وقد يكون على المريد ملبوس ناعم او هيئة في الملبوس تتربت النفس تلك الهيئة

الارتضاع

بالعادة فيلبسه الشيخ ما يخرج النفس عن عادتها وهواها فتصرف الشيخ في
الملبوس كتصرفه في المطعوم وكتصرفه في صوم المريد وافطاره وكتصرفه في امر
دينه الي ما يري له من المصلحة من دوام الذكر او دوام النفل في الصلوة او
دوام التلاوة او دوام الخدمة وكتصرفه فيه برده الى الكسب او الفتوح او غير
ذلك فللشيخ اشراف على البواطن وتنوع الاستعدادات فيلبس كل مريد من
امر معاشه ومعاده ما يصلح له ولتنوع الاستعدادات تنوعت مراتب
الدعوة قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم
بالتي هي احسن فالحكمة رتبة في الدعوة والموعظة كذلك والمجادلة كذلك
فمن يدعي بالحكمة لا يدعي بالموعظة ومن يدعي بالموعظة لا تصلح دعوته بالحكمة
فهكذا الشيخ يعلم من هو على وضع الابرار ومن هو على وضع المقربين ومن يصلح
لدوام الذكر ومن يصلح لدوام الصلوة ومن له هوى في التخشن او في التنعم فيخلع ومن يصلح
المريد من عادته ويخرجه من مضيق هوى نفسه ويقطعه باختياره ويلبسه
باختياره ثوبا يصلح لوهيته تصلح له يداوي بالخرقة المخصوصة والهيئة
المخصوصة داء هواه ويتوخى بذلك تقريبه الى رضا مولاه فالمريد الصادق التوجه بمن طلب
الملتهب باطنه بنار الارادة في بدو امره وجده بارادته كالملسوع الحريص على كالملدوغ
من يرقيه ويداويه فاذا صادف شيخا انبعث من باطن الشيخ صدق العناية
لاطلاعه عليه وينبعث من باطن المريد صدق المحبة بتالف القلوب وتشام
الارواح وظهور سر السابقة فيهما باجتماعهما لله في الله بالله فيكون الذي التعبير
يلبس المريد خرقته بشرا للمريد بحسن عناية الشيخ به فتعمل عند المريد عمل قميص
يوسف عند يعقوب عليهما السلام وقد نقل ان ابرهيم الخليل عليه السلام
حين القي في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عريانا فاتاه جبريل
قميص

بقميص من حرير الجنة والبسه اياه وكان ذلك عند ابرهيم فلما مات ورثه
اسحق فلما مات ورثه يعقوب فجعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وجعله
في عنق يوسف وكان لا يفارقه فلما القي في البير عريانا جاءه جبريل وكان
عليه التعويذ فاخرج القميص منه والبسه اياه اخبرنا الشيخ العالم
رضي الدين احمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال اخبرنا ابو سعد محمد بن ابي
العباس قال انا القاضي محمد بن سعيد قال اخبرنا ابو اسحق احمد بن محمد
قال اخبرني ابن فنجويه الحسين بن محمد قال حدثنا مخلد بن جعفر قال
حدثنا الحسن بن علوية قال حدثنا اسمعيل بن عيسى قال حدثنا اسحق
بن بشير بن عمر السدي عن ابيه عن مجاهد قال كان يوسف عليه السلام
اعلم بالله تعالى من ان لا يعلم ان قميصه لا يرد على يعقوب بصره ولكن ذاك
كان قميص ابرهيم وذكر ما ذكرناه قال فامره جبريل ان ارسل بقميصك فان
فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلي او سقيم الا صح وعوفي فتكون الخرقة عند المريد
الصادق يتخيل اليه عرف الجنة لما عنده من الاعتداد بالصحبة لله ويرى
لبس الخرقة من عناية الله به وفضل الله فاما خرقة التبرك يطلبها من
مقصوده التبرك بزي القوم ومثل هذا لا يطالب بشرايط الصحبة بل يوصي
بلزوم حدود الشرع ومخالطة هذه الطايفة ليعود عليه بركتهم ويتادب
بادابهم فسوف يرقيه ذلك الى الاهلية لخرقة الارادة فعلى هذا خرقة
التبرك مبذولة لكل طالب وخرقة الارادة ممنوعة الا من الصادق الراغب
ولبس الازرق من استحسان الشيوخ في الخرقة فان راي شيخ ان يلبس
مريدا غير الازرق فليس لاحد ان يعترض عليه لان المشايخ اراهم فيما يفعلون
بحكم الوقت وكان شيخنا يقول كان الفقير يلبس قصيرا الاكمام ليكون اعون

على الخرقة ويجوز للشيخ ان يلبس المريد خرقا في دفعات على قدر ما يلح من
المصلحة للمريد في ذلك على ما اسلفناه من تداوي هواه في الملبوس والملون
فيختار الازرق لانه ارفق للفقير لكونه يحمل الوسخ ولا يحوج الى زيادة الغسل
لهذا المعنى فحسب وما عدا هذا من الوجوه التي يذكرها بعض الصوفية في
ذلك كلام اقناعي من كلام المتصوفين ليس من الدين والحقيقة بشي سمعت
الشيخ سديد الدين ابا الفخر الهمداني رحمة الله عليه قال كنت ببغداد
عند ابي بكر الشروطي فخرج الينا فقير من زاويته وعليه ثوب وسخ فقال
له بعض الفقرا لم لا تغسل ثوبك فقال يا اخي ما اتفرغ فقال الشيخ ابو
الفخر لا ازال اتذكر حلاوة قول الفقير لا اتفرغ لانه كان صادقا في ذلك
واجد لذة لقوله وبركة بتذكاري ذلك فاختاروا الملون لهذا المعنى
لانهم من رعايته وقتهم في شغل شاغل والا فاي ثوب البس الشيخ المريد
من ابيض وغير ذلك فللشيخ ولاية في ذلك بحسن مقصده ووفور علمه
وقد راينا من المشايخ من لا يلبس الخرقة ويسلك باقوام من غير لبس الخرقة
ويوخذ منه العلوم والاداب وقد كان طبقة من السلف الصالحين لا يعرفون
الخرقة ولا يلبسونها المريدين فمن يلبسها فله مقصد صحيح واصل من السنة
وشاهد من الشرع ومن لا يلبسها فله رايه وله مقصد صحيح في ذلك وكل افعال
المشايخ محمولة على السداد والصواب ولا يخلوا عن نية صالحة فيها والله تعالى
ينفع بهم وبآثارهم

الباب الثالث عشر في فضيلة سكان الربط

قال الله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له
فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة
وايتا الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار قيل ان هذه البيوت

هي

هي المساجد وقيل بيوت المدينة وقيل بيوت النبي عليه الصلوة والسلام وقيل
لما نزلت هذه الاية قام ابو بكر رضي الله عنه وقال يا رسول الله هذه البيوت
منها بيت علي وفاطمة رضي الله عنهما قال نعم من افاضلها وقال الحسن هي بقاع
الارض كلها جعلت مسجدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى هذا الاعتبار
بالرجال الذاكرين لا بصورة البقاع واي بقعة حوت رجالا بهذا الوصف
هي البيوت التي اذن الله ان ترفع روي انس بن مالك رضي الله عنه انه قال
ما من صباح ولا رواح الا وبقاع الارض ينادي بعضها بعضا هل مر بك اليوم
احد صلى عليك او ذكر الله عليك فمن قايلة نعم ومن قايلة لا فاذا قالت
نعم علمت ان لها بذلك فضلا وما من عبد ذكر الله على بقعة من الارض او صلى لله
عليها الا شهدت له بذلك عند ربه وبكت عليه يوم يموت وقيل في قوله
تعالى فما بكت عليهم السما والارض تنبيه على فضيلة اهل الله تعالى من اهل
طاعته لان الارض تبكي عليهم ولا تبكي على من ركن الى الدنيا واتبع الهوى
فسكان الرباط هم الرجال لانهم ربطوا انفسهم على طاعة الله تعالى وانقطعوا
الى الله فاقام الله لهم الدنيا خادمة روي عمران بن الحصين رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله مؤنته
ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها واصل الرباط
ما يربط فيه الخيول ثم قيل لكل ثغر يدفع اهله شره عمن ورآهم رباط
فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراه والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع به
وبدعايه البلا عن العباد والبلاد اخبرنا الشيخ العالم رضي الدين ابو الخير
احمد بن اسمعيل اجازة قال اخبرنا ابو سعيد محمد بن ابي العباس الخليلي قال اخبرنا
القاضي محمد بن سعيد الفرخزاذي قال اخبرنا ابو اسحق احمد بن محمد قال

اخبرنا الحسين بن محمد قال حدثنا ابو بكر بن خرجه قال حدثنا عبد الله بن
احمد بن حنبل قال حدثني ابو حميد الحمصي قال حدثنا يحيي بن سعيد القطان
قال حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقه عن وبرة بن عبد الرحمن
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله تعالي
ليدفع بالمسلم الصالح عن مايه من اهل بيته من جيرانه البلا وروي عنه
صلي الله عليه وسلم انه قال لولا عباد لله ركع وصبية رضع وبهايم رتع
لصب عليكم العذاب صبا ثم يرص رصا وروي جابر بن عبد الله قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم ان الله تعالي ليصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده
واهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم
وروي داود بن صالح قال قال لي ابو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن اخي هل تدري
في اي شي نزلت هذه الاية اصبروا وصابروا ورابطوا قلت لا قال يا ابن
اخي لم يكن في زمن رسول الله صلي الله عليه وسلم غزو يربط فيه الخيل ولكنه
انتظار الصلوة بعد الصلوة فالرباط لجهاد النفس والمقيم في الرباط مرابط
مجاهد نفسه قال الله تعالي وجاهدوا في الله حق جهاده قال عبد الله
بن المبارك هو مجاهدة النفس والهوي وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر
علي ما روي في الخبر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال حين رجع من
بعض غزواته رجعنا من الجهاد الاصغر الي الجهاد الاكبر وقيل ان بعض
الصالحين كتب الي اخ له يستدعيه الي الغزو فكتب اليه يا اخي كل الثغور
مجتمعة لي في بيت واحد والباب علي مردود فكتب اليه اخوه لو لزم كان الناس
كلهم لزموا ما لزمته اختلت امور المسلمين وغلب الكفار ولا بد من الغزو
والجهاد فكتب اليه يا اخي لو لزم الناس ما انا عليه لقالوا الله اكبر وا ابا هم علي

قوله رضا اي تسريبا ودقا

اختلت

مجاهدتهم

48 مجاهدتهم الله اكبر انهدم سور قسطنطينية وقال بعض الحكما ارتفاع
الاصوات في بيوت العبادات بحسن النيات وصفا الطويات يحل ما عقدته
الافلاك الدايرات واجتماع اهل الربط اذا صح علي الوجه الموضوع له
الربط وتحقق اهل الربط بحسن المعاملة ورعاية الاوقات وتوقي
ما يفسد الاعمال واعتماد ما يصحح الاحوال عادت البركة علي العباد والبلاد
قال سري السقطي في قوله تعالي اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا عن
الدنيا رجا السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا
هوا النفس اللوامة واتقوا ما يعقب لكم من الندامة لعلكم تفلحون غدا علي
بساط الكرامة وقيل اصبروا علي بلاي وصابروا علي نعماي ورابطوا في دار
اعداي واتقوا محبة من سواي وهذه شرايط من يسكن الرباط قطع المعاملة
مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب اكتفا بكفالة مسبب
الاسباب وحبس النفس عن المخالطات اجتناب التبعات وعانق ليله ونهاره
العبادة متعوضا بها عن كل عادة شغله حفظ الاوقات وملازمة الاوراد
وانتظار الصلوات واجتناب الغفلات ليكون بذلك مرابطا مجاهدا حدثنا
شيخنا ابو النجيب السهروردي قال اخبرنا ابن نبهان محمد الكاتب قال اخبرنا
الحسن بن شاذان قال اخبرنا دعلج قال اخبرنا البغوي عن ابي عبيد القاسم
بن سلام قال حدثنا صفوان عن الحارث عن سعيد ابن المسيب عن علي بن
ابي طالب قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اسباغ الوضو في المكاره
واعمال الاقدام الي المساجد وانتظار الصلوة بعد الصلوة تغسل الخطايا
غسلا وفي رواية الا اخبركم بما يمحوا الخطايا وترفع به الدرجات قالوا
بلي يا رسول الله قال اسباغ الوضو في المكاره وكثرة الخطا الي المساجد

بالرباط

الله بهم

اهلهم

واستظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط **الباب الرابع عشر في مشابهة الرباط باهل الصفة** قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين ووصف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لهم ماذا كنتم تصنعون حتى اثنى الله عليكم بهذا الثنا قالوا كنا نتبع الما الحجر وهذا واشباهه هذه من الاداب وظيفة صوفية الربط يلازمونه ويتعاهدونه والرباط بيتهم ومنزلهم ولكل قوم دار والرباط دارهم وقد شابهوا اهل الصفة في ذلك على ما اخبرنا ابو زرعة عن ابيه الحافظ المقدسي قال اخبرنا احمد بن محمد البزاز قال اخبرنا عيسى بن على الوزير قال اخبرنا عبد الله البغوي قال حدثنا وهبان بن بقية قال حدثنا خالد بن عبد الله عن داود بن ابي هند عن ابي حارث بن الاسود عن طلحة رضي الله عنه قال كان الرجل اذا قدم المدينة وكان له بها عريف نزل على عريفه فان لم يكن له بها عريف نزل الصفة وكنت فيمن نزل الصفة فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد واحوال متناسبة ووضع الرباط لهذا المعنى ان يكون سكانه بوصف ما قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين والمقابلة باستوا السر والعلانية ومن اضمر لاخيه غلا فليس بمقابله وان كان وجهه اليه فاهل الصفة هكذا كانوا لان مثار الغل والحقد وجود الدنيا وحب الدنيا راس كل خطيئة فاهل الصفة رفضوا الدنيا فكانوا لا يرجعون الى ضرع ولا زرع فزالت الاحقاد والغل من بواطنهم وهكذا اهل الربط متقابلون بظواهرهم وبواطنهم مجتمعون على الالفة والمودة يجتمعون للكلام ويجتمعون للطعام ويتعرفون بركة

الاجتماع

49 لخوفهم

الاجتماع روي وحشي بن حرب عن ابيه عن جده انهم قالوا يا رسول الله انا ناكل ولا نشبع قال لعلكم تفترقون على طعامكم اجتمعوا واذكروا الله يبارك لكم فيه **وروي** انس بن مالك قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق فقيل فعلى اي شي كانوا ياكلون قال على السفر والعباد والزهاد طلبوا الانفراد لدخول الافات عليهم بالاجتماع وكون نفوسهم تتوق للاهوية والخوض فيما لا يعني فراوا السلامة في الوحدة والصوفية لقوة علمهم وصحة حالهم نزع عنهم ذلك فراوا الاجتماع في بيوت الجماعة على السجادة فسجادة كل واحد زاويته وهم كل واحد همه ولعل الواحد منهم لا يتخطى همه سجادته ولهم في اتخاذ السجادة وجه من السنة **روي** ابو سلمة ابن عبد الرحمن عن عايشة رضي الله عنها قالت كنت اجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل وروت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسط له الخمرة في المسجد حتى يصلي عليها فالرباط يحتوي على شبان وشيوخ واصحاب خدمة وارباب خلوة **فالمشايخ** بالزوايا اليق نظرا الى ما تدعوا اليه النفس من النوم والراحة والاستبداد بالحركات والسكنات فللنفس شوق الى التفرد والاسترسال في وجوه الرفق والشاب يضيق عليه مجال النفس بالقعود في بيت الجماعة والانكشاف لنظر الاغيار لتكثر العيون عليه فيتقيد ويتادب ولا يكون هذا الا اذا كان جمع الرباط في بيت الجماعة مهتمين بحفظ الاوقات وضبط الانفاس وحراسة الحواس كما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امري منهم يوميذ شان يغنيه كان عندهم من هم الاخرة ما يشغلهم عن اشتغال البعض بالبعض

وهكذا ينبغي لاهل الصدق والصوفية ان يكون اجتماعهم غير مضر بوقتهم فاذا
تخلل اوقات الشبان اللغو واللغط فالاولى ان يلزم الشاب الطالب الوحدة
والعزلة ويوثر الشيخ الشاب بزاويته وموضع خلوته ويحبس الشاب فيها
نفسه عن دواعي الهوى والخوض فيما لا يعني ويكون الشيخ في بيت بجماعة
لقوة حاله وصبره على مداراة الناس وتخلصه من تبعات المخالطة وحضور
وقاره بين الجمع فينضبط به الغير ولا يتكدر هو. واما الخدمة فشان من
دخل الرباط مبتديا ولم يذق طعم المعاملة ولا يتنبه لنفائس الاحوال ان
يومر بالخدمة لتكون عبادته خدمته ويجذب بحسن الخدمة قلوب اهل
الله اليه فيشمله بركة ذلك ويعين الاخوان المشتغلين بالعبادة. قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم المومنون اخوة يطلب بعضهم الى بعض الحوائج فيقضي
الله لهم حاجاتهم يوم القيمة فيتحفظ بالخدمة عن البطالة التي تميت القلب
والخدمة عند القوم من جملة العمل الصالح وهي طريق من طرق المواجيد
تكسبهم الاوصاف الجميلة والاحوال الحسنة ولا يرون استخدام من ليس
من جنسهم ولا متطلعا الى الاهتدا بهديهم. اخبرنا الشيخ الثقة ابو
الفتح قال اخبرنا ابو الفضل حمد بن احمد قال اخبرنا الحافظ ابو نعيم
قال حدثنا سليمان بن احمد قال حدثنا علي بن عبد العزيز قال حدثنا عبد
الرحمن بن مهدي عن ابي هلال الطائي عن وسيق الرومي قال كنت مملوكا لعمر
بن الخطاب رضي الله عنه فكان يقول لي اسلم فانك ان اسلمت استعنت بك
على امانة المسلمين فانه لا ينبغي ان استعين على امانتهم بمن ليس منهم قال
فابيت قال لا اكراه في الدين فلما حضرته الوفاة اعتقني فقال اذهب حيث
شيت. فالقوم يكرهون خدمة الاغيار ويابون مخالطتهم ايضا فان من لا يحب

طريقهم

50

طريقهم ربما استضر بالنظر اليهم اكثر مما ينتفع فانهم بشر ويبدوا منهم امور
بمقتضى طبع البشر وينكرها الغير لقلة علمه بمقاصدهم فيكون اباهم لموضع
الشفقة على الخلق لا من طريق التعزز والترفع على احد من المسلمين والشاب
الطالب اذا خدم اهل الله والمشغولين بطاعته يشاركهم في الثواب وحيث لم
يوهل لاحوالهم السنية يخدم من اهلها فالخدمة لاهل القرب علامة حب الله
تعالى. اخبرنا الثقة ابو الفتح محمد بن سليمان قال اخبرنا ابو الفضل احمد
بن احمد قال اخبرنا الحافظ ابو نعيم قال حدثنا ابو بكر بن خلاد قال حدثنا
الحرث بن اسامة قال حدثنا معوية بن عمرو قال حدثنا ابو اسحق عن
حميد عن انس بن مالك رضي الله عنه قال لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تبوك قال حين دنا من المدينة ان بالمدينة اقواما ما سرتم من مسير
ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا وهم في بالمدينة قال نعم حبسهم العذر
فالقايم بخدمة القوم تعوق عن بلوغ درجتهم بعذر القصور وعدم الاهلية
فحام حول الحمى باذلا مجهوده في الخدمة يتعلل بالاثر حيث منع النظر فجزاه
الله على ذلك احسن الجزا وانا له من جزيل العطا. وهكذا كان اهل الصفة
يتعاونون على البر والتقوى ويجتمعون على المصالح الدينية ومواساة الاخوان
بالمال والبدن

الباب الخامس عشر في خصايص اهل الربط والصوفية

فيما يتعاهدونه ويختصون به. اعلم ان تاسيس هذه الربط من زينة هذه
الملة الهادية المهدية ولسكان الربط احوال تميزوا بها عن غيرهم من الطوايف
وهم على هدى من ربهم. قال الله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وما يرى من التقصير في حق البعض من اهل زماننا والتخلف عن طريق سلفهم
لا يقدح في اصل امرهم وصحة طريقهم. وهذا القدر الباقي من الاثر واجتماع المتصوفة

في الربط وما هياه الله تعالى لهم من الرفق بركة جمعية بواطن المشايخ
الماضين واثر من آثار منح الحق في حقهم ، والاجتماع في الربط الآن على
طاعة الله والتوسم بظاهر الاداب عكس نور الجمعية من بواطن الماضين
وسلوك الخلف في سنن السلف فهم في الربط بجسد واحد بقلوب متفقة وعزايم
متحدة ولا يوجد هذا في غيرهم من الطوايف ، قال الله تعالى في وصف المومنين
كانهم بنيان مرصوص وبعكس ذلك وصف الاعدا فقال تحسبهم جميعا وقلوبهم
شتى ، روى النعمن بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
انما المومنون اخوة كرجل واحد اذا اشتكى عضو من اعضايه اشتكى جسده
اجمع واذا اشتكى مومن اشتكى المومنون ، فالصوفية من وظيفتهم اللازمة حفظ
اجتماع البواطن وازالة التفرقة بازالة شعث البواطن لانهم بنسبة الارواح
اجتمعوا وبرابطة التاليف الالهي اتفقوا وبمشابهة القلوب تواطوا
ولتهذيب النفوس وتصفية القلوب في الرباط رابطوا فلا بد لهم من التاليف
والتودد والنصح روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
المومن يالف ويولف ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف ، اخبرنا ابو زرعة طاهر
بن الحافظ ابي الفضل المقدسي عن ابيه قال اخبرنا ابو القسم الفضل ابن ابي
حرب قال اخبرنا احمد بن الحسن الحيري قال نا ابو سهل بن زياد القطان
قال حدثنا الحسين بن مكرم قال نا يزيد بن هرون الواسطي قال حدثنا
محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف ،
فهم باجتماعهم تجتمع بواطنهم وتتقيد نفوسهم لان بعضهم عين على البعض
على ما ورد المومن مراة المومن ، اي وقت ظهر من احدهم اثر التفرقة نافروه

لان

لان التفرقة تظهر بظهور النفوس وظهور النفس من تضييع حق الوقت
فاي وقت ظهرت نفس الفقير علموا منه خروجه من داير الجمعية وحكموا
له بتضييع حكم الوقت واهمال السياسة وحسن الرعاية فيقاد بالمنافرة
الى داير الجمعية اخبرنا شيخنا ضيا الدين ابو النجيب اجازة قال اخبرنا
الشيخ العالم عصام الدين ابو حفص عمر بن احمد بن منصور الصفار قال اخبرنا
ابو بكر احمد بن خلف الشيرازي قال اخبرنا الشيخ ابو عبد الرحمن محمد بن
الحسين السلمي قال سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت رويما يقول لا يزال
الصوفية بخير ما تنافروا فاذا اصطلحوا هلكوا ، وهذه اشارة من رويم الى
حسن تفقد بعضهم احوال البعض اشفاقا من ظهور النفوس يقول اذا
اصطلحوا ورفعوا المنافرة من بينهم يخاف ان تخامر البواطن المساهلة
والمراياة ومسامحة البعض للبعض في اهمال دقيق ادابهم وبذلك تظهر
النفوس وتستولي ، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ
اهدى الي عيوبي واخبرنا ابو زرعة عن ابيه الحافظ المقدسي قال
اخبرنا ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز الهروي قال اخبرنا عبد الرحمن بن
شريح قال اخبرنا ابو القاسم البغوي قال حدثنا مصعب بن عبد الله
الزبيري قال حدثني ابرهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب ان محمد ابن النعمان
اخبره ان عمر رضي الله عنه قال في مجلس فيه المهاجرون والانصار ارايتم
لو ترخصت في بعض الامور ماذا كنتم فاعلين قال فسكتوا فقال ذلك
مرتين او ثلاثا ارايتم لو ترخصت في بعض الامور ماذا كنتم فاعلين قال
بشر بن سعد لو فعلت ذلك قومناك تقويم القدح فقال عمر انتم اذا انتم
واذا ظهرت نفس الصوفي بغضب وخصومة مع بعض الاخوان فشرط

ا انتم احبابي وانصاري

اخيه ان يقابل نفسه بالقلب فان النفس اذا قوبلت بالقلب انحسمت مادة الشر
واذا قوبلت النفس بالنفس ثارت الفتنة وذهبت العصمة قال الله تعالى ادفع
بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها
الا الذين صبروا ثم الشيخ او الخادم اذا اشتكى اليه فقير من اخيه فله ان
يعاتبهما جميعا فيقول للمتعدي لم تعديت وللمتعدى عليه ما الذي اذنبت
حتى تعدى عليك وسلط عليك وهلا قابلت نفسه بالقلب رفقا لتحكم
واعطا للفتوة والصحبة حقها فكل منهما جان وخارج عن دائرة الجمعية
فيرد الى الدائرة بالنفار فيعود الى الاستغفار ولا يسلك طريق الاصرار
روت عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساوا استغفروا فلو
الاستغفار ظاهرا مع الاخوان وباطنا مع الله تعالى ويرون الله في
استغفارهم ولهذا المعنى يقفون في صف النعال على اقدامهم تواضعا
وانكسارا وسمعت شيخنا يقول الفقير اذا جرى بينه وبين بعض
اخوانه وحشة ثم استغفر فيقول الفقير ما ارى باطني صافيا ولا اوثر
القيام للاستغفار ظاهرا من غير صفا الباطن فيقول له قم فببركة سعيك
وقيامك نرزق الصفا وكان يجد ذلك ويرى اثره عند الفقير وترق القلوب
وترتفع الوحشة وهذا من خاصية هذه الطايفة لا يبيتون والبواطن
منطوية على وحشة ولا يجتمعون للطعام والبواطن بغير وحشة ولا
يرون الاجتماع ظاهرا الى شي من امورهم الا بعد الاجتماع لا يجوز ردا استغفا
قال روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم وللصوفية في تقبيل يد الشيخ بعد الاستغفا

امل

امل من السنة روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنت في سرية من سرايا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص فقلنا كيف
نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ثم قلنا لو دخلنا المدينة فتنا
فيها ثم قلنا لو عرضنا انفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان
لنا توبة والا ذهبنا فاتيناه قبل صلوة الغداة فخرج فقال من القوم قلنا
نحن الفرارون قال لا بل انتم العكارون انا فئتكم انا فئة المسلمين يقال
عكر الرجل اذا تولى ثم كر راجعا والعكار العطاف والرجاع قال فاتيناه
حتى قبلنا يده وروى ان ابا عبيدة بن الجراح قبل يد عمر رضي الله عنه عند
قدومه وروى عن مرثد العنوي انه قال اتينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلنا اليه وقبلنا يده فهذا رخصة في جواز تقبيل اليد ولكن ادب
الصوفي انه متى راى نفسه تتعزز بذلك او تظهر بوصفها ان يمتنع من ذلك
فان سلم من ذلك فلا باس بتقبيل اليد ومعانقتهم للاخوان عقيب الاستغفار
لرجوعهم الى الالفة بعد الوحشة وقدومهم من سفر الوحشة والهجر بالعرم
الى اوطان الجمعية فبظهور النفس تغربوا وبعدوا وبغيبة النفس والاستغفا
قدموا ورجعوا ومن استغفر الى اخيه ولم يقبله فقد ورد عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في ذلك وعيد روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال
من اعتذر الى اخيه معذرة فلم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب المكوس
وروى جابر ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم من تنصل اليه فلم يقبل لم يرد
الحوض ومن السنة ان يقدم للاخوان شيئا بعد الاستغفار روي ان كعب
بن مالك قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من توبتي ان انخلع من مالي كله
واهجر دار قومي التي فيها اتيت الذنب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يجزيك

من ذلك الثلث فصارت سنة الصوفية المطالبة بالغرامة بعد الاستغفار
والمناقرة وكل قصدهم رعاية التآلف حتى تكون بواطنهم على الاجتماع كما
ان ظواهرهم على الاجتماع وهذا امر تفردوا به من بين طوائف الاسلام ثم والك
شرط الفقير الصادق اذا سكن الرباط وياكل من وقفه او مما يطلب لسكانه
بالدريوزة ان يكون عنده من الشغل بالله ما لا يسعه الكسب والا اذا كان
للبطالة والخوض فيما لا يعني عنده مجال ولا يقوم بشروط اهل الارادة من
الجد والاجتهاد لا ينبغي ان ياكل من مال الرباط ويكتسب وياكل من كسبه لان
طعام الرباط لاقوام كمل شغلهم بالله فحمد منهم الدنيا لشغلهم بخدمة مولاهم
الا ان يكون تحت سياسة شيخ عالم بالطريق ينتفع بصحبته ويهتدي بهديه
فيرى الشيخ ان يطعمه من مال الرباط فلا يكون تصرف الشيخ الا بصحة بصيرة
ومن جملة ما يكون للشيخ في ذلك من النية ان يشغله بخدمة الفقرا فيكون
ما ياكله في مقابلة خدمته روى علي بن عمر الزجاجي قال اقمت عند الجنيد
مدة فما رآني قط الا وانا مشتغل بنوع من العبادة فما كلمني حتى كان يوم
من الايام خلا الموضع من الجماعة فقمت ونزعت ثيابي وكنست الموضع ونظفته
ورششته وغسلت موضع الطهارة فرجع الشيخ وراى علي اثر الغبار فدعا
لي ورحب بي وقال احسنت عليك بها ثلث مرات فلا يزال مشايخ الصوفية
يندبون الشبان الى الخدمة حفظا لهم عن البطالة وكل واحد يكون له حظ
من المعاملة وحظ من الخدمة روى ابو محذورة رضي الله عنه قال جعل
لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان والسقاية لبني هاشم والحجابة لبني
عبد الدار وبهذا يقتدي مشايخ الصوفية في تفريق الخدم على الفقرا ولا
يعذر في ترك نوع من الخدمة الا كامل الشغل بوقته ولا يعني بكمال الشغل شغل

الجوارح

الجوارح ولكن يعني به دوام الرعاية والمحاسبة والشغل بالقلب والقالب وقتا
وبالقلب دون القالب وقتا وتفقد الزيادة من النقصان فان قيام الفقير
بحقوق الوقت شغل تام وبذلك يؤدي شكر نعمة الفراغ ونعمة الكفاية وفي
البطالة كفران نعمة الفراغ والكفاية اخبرنا شيخنا ضياء الدين ابو النجيب
عبد القاهر اجازة قال اخبرنا عمر بن احمد بن منصور قال اخبرنا احمد
بن خلف قال اخبرنا الشيخ ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين قال سمعت ابا
الفضل بن حمدون يقول سمعت علي بن عبد الحميد الغضايري يقول سمعت
السري يقول من لا يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم وقد يعذر الشيخ العاجز
عن الكسب في تناول طعام الرباط ولا يعذر الشاب على هذا في شرط طريق
القوم على الاطلاق فاما من حيث فتوى الشرع ان كان شرط الوقف على الصوفية
وعلى من يتزيا بزي المتصوفة ويلبس خرقتهم فيجوز اكل ذلك لهم على الاطلاق فتوى
وفي ذلك القناعة بالرخصة دون العزيمة التي هي شغل اهل الارادة وان
كان شرط الوقف على من يسلك طريق الصوفية عملا وحالا فلا يجوز اكله لاهل
البطالات والراكنين الى تضييع الاوقات وطريق اهل الارادة عند مشايخ الصوفية
مشهورة اخبرنا الشيخ الثقة ابو الفتح قال اخبرنا ابو الفضل حميد قال
اخبرنا الحافظ ابو نعيم الاصفهاني قال حدثنا ابو العباس احمد بن محمد قال
حدثنا جعفر قال حدثنا محمد بن الحسين البلخي قال حدثنا عبد الله بن المبارك
قال حدثنا سعيد بن ابي ثور الخزاعي قال حدثنا عبد الله بن الوليد عن ابي
سليمان الليثي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل
المومن كمثل الفرس في آخيته يجول ثم يرجع الى آخيته وان المومن يسهو ثم يرجع
الى الايمان فاطعموا طعامكم الاتقيا واولوا معروفكم المومنين الباب

السادس عشر في ذكر اختلاف احوال مشايخهم بالسفر والمقام

اختلف احوال مشايخ الصوفية فمنهم من سافر في بدايته واقام في نهايته
ومنهم من اقام في بدايته وسافر في نهايته ومنهم من اقام ولم يسافر ومنهم
من استدام السفر ولم يوثر الاقامة ونشرح حال كل واحد منهم ومقصده
فيما رام فاما الذي سافر في بدايته واقام في نهايته فقصده بالسفر لمعان
منها تعلم شي من العلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين
وقال بعضهم لو سافر رجل من الشام الى اقصى اليمن في كلمة تدله على هدي ما كان
سفره ضايعا ونقل ان جابر بن عبد الله رحل من المدينة الى مصر في شهر لحديث
بلغه ان عبد الله بن انيس يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
قال عليه الصلوة والسلام من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى
يرجع وقيل في تفسير قوله السايحون انهم طلاب العلم حدثنا شيخنا ضيا
الدين ابو النجيب السهروردي املا قال اخبرنا ابو الفتح عبد الملك الهروي قال
اخبرنا ابو نصر الترياقي قال اخبرنا الجراحي قال اخبرنا ابو العباس المحبوبي
قال اخبرنا ابو عيسى الترمذي قال حدثنا وكيع قال حدثنا ابو داود عن
سفيان عن ابي هرون قال كنا ناتي ابا سعيد فيقول مرحبا بوصية رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان النبي عليه الصلاة والسلام قال ان الناس لكم تبع وان رجالا
ياتونكم من اقطار الارض يتفقهون في الدين فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيرا وقال
عليه الصلاة والسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم وروت عايشة رضي الله عنها
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى اوحي الي انه من
سلك مسلكا في طلب العلم سهلت له طريقا الى الجنة ومن جملة مقاصدهم في
البداية لقا المشايخ والاخوان الصادقين فللمريد بلقا كل صادق مزيد وقد

ينفعه

54

ينفعه لحظ الرجال كما ينفعه لفظ الرجال وقد قيل من لا ينفعك لحظه لا ينفعك
لفظه وهذا القول فيه وجهان احدهما ان الرجل الصديق يكلم الصادقين
بلسان فعله اكثر مما يكلمهم بلسان قوله فاذا نظر الصادق الى تصاريفه في
مورده ومصدره وجلوته وخلوته وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر اليه فهو
نفع اللحظ ومن لا يكون افعاله هكذا فلفظه ايضا لا ينفع لانه يتكلم بهواه ونور
القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام
بواجب حق العبودية وحقيقتها والوجه الثاني ان نظر العلما الراسخين والرجال
البالغين ترياق نافع ينظر احدهم الى الرجل الصادق فيستشف بنفوذ بصيرته
حسن استعداد الصادق واستيهاله لمواهب الله تعالى الخاصة فيقع في
قلبه محبة الصادق المريد وينظر اليه نظر محبة عن بصيرة وهم من جنود الله
تعالى فيكسونه بنظرهم احوالا سنية ويهبون اثارا مرضية وما ذا ينكر
المنكر من قدرة الله ان الله سبحانه وتعالى كما جعل في بعض الافاعي من
الخاصية انه اذا نظر الى الانسان يهلكه بنظره بان يجعل في نظر خواص
عباده انه اذا نظر الى طالب صادق يكسبه حالا وحيوة وقد كان شيخنا
يطوف في مسجد الخيف بمنى فقيل له في ذلك فقال لله عباد اذا نظروا الى
الشخص اكسبوه سعادة فانا اتطلب ذلك ومن جملة المقاصد في السفر ابتدا
قطع المالوفات والانسلاخ من ركون النفس الى معهود ومعلوم والتحامل
على النفس بتجرع مرارة فرقة الالاف والخلان والاهل والاوطان فمن صبر
عن تلك المالوفات محتسبا عند الله تعالى اجرا فقد حاز فضلا عظيما اخبرنا
ابو زرعة بن ابي الفضل الحافظ المقدسي عن ابيه قال اخبرنا القاضي ابو منصور
محمد بن احمد الفقيه الاصفهاني قال اخبرنا ابو اسحق ابرهيم بن عبد الله بن خرشيد

قوله قال حدثنا ابو بكر محمد بن زياد النيسابوري قال حدثنا يونس بن
عبد الاعلى قال حدثنا ابن وهب قال حدثني بن عبد الله عن ابي عبد الرحمن
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ليته مات بغير مولده قالوا ولم
ذلك يا رسول الله قال ان الرجل اذا مات بغير مولده قيس له من مولده الى
منقطع اثره من الجنة ومن جملة المقاصد في السفر استكشاف دقائق النفوس
واستخراج رعوناتها ودعاويها لانه لا يكاد يتبين خفايا ذلك بغير السفر
وسمي السفر سفرا لانه يسفر عن الاخلاق واذا وقف على دائه يتشمر لدوائه
وقد يكون اثر السفر في نفس المبتدي كاثر النوافل من الصلوة والصوم والتهجد
وغير ذلك وذلك ان المتنفل ساع سائر الى الله تعالى من اوطان الغفلات الى
محال القربات والمسافر بقطع المسافات والتقلب في المفاوز والفلوات بحسن
النية لله تعالى سائر الى الله مراغمة الهوى ومهاجر ملاذ الدنيا اخبرنا
شيخنا اجازة قال اخبرنا عمر بن احمد قال اخبرنا احمد بن محمد بن خلف قال
اخبرنا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت علي
بن عبد الرحيم يقول سمعت النوري يقول التصوف ترك كل حظ للنفس واذا سافر
المبتدي تاركا حظ النفس تلين النفس وتلين كما تلين بدوام النافلة ويكون
لها السفر دباغا يذهب عنها الخشونة واليبوسة الجبلية والعفونة الطبيعية
كالجلد يعود من هيئة الجلود الى هيئة الثياب فتعود النفس من طبيعة الطغيان
الى طبيعة الايمان ومن جملة المقاصد في السفر رؤية الاثار والعبر وتسريح
النظر في مسارح الفكر ومطالعة اجزاء الارض والجبال وموطئ اقدام الرجال
واستماع التسبيح من ذرات الجمادات والفهم من لسان حال القطع المتجاورات

فقد يتجدد اليقظة بتجدد تنوع العبر والايات ويتوفر بمطالعة
المشاهدة والمواقف الشواهد والدلالات قال الله تعالى سنريهم اياتنا
في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وقد كان السري يقول للصوفية
اذا خرج الشتاء فقد خرج اذار وأورقت الاشجار طاب الانتشار ومن جملة
واو ترتيب
المقاصد في السفر ايثار الخمول وطرح حظ القبول فصدق الصادق يتم على
حسن الحال ويرزق من الخلق حسن الاقبال وقل ما يكون صادق يتمسك بعروة
الاخلاص وقلب عامر الا ويرزق قبول الخلق حتى سمعت بعض المشايخ يحكي
عن بعضهم انه قال اريد اقبال الخلق علي لاني ابلغ نفسي حظها من الهوى فاني
لا ابالي اقبلوا ام ادبروا ولكن لكون قبولهم علامة تدل على صحة الحال فاذا
ابتلي المريد بذلك لا يأمن نفسه ان يدخل بطريق الركون الى الخلق وربما يفتح
عليه باب من الرفق وتدخل النفس عليه من طريق البر والدخول في الاسباب
المحمودة وتريه وجه المصلحة والفضيلة في خدمة عباد الله وبذل الموجود
ولا تزال النفس به والشيطان حتى يجرانه الى السكون الى الاسباب واستحلاء
قبول الخلق وربما قويا عليه فيجراه الى التصنع والتجمل ويتبع الخرق على الراقع
وسمعت ان بعض الصالحين قال لمريد له انت الان وصلت الى مقام لا يدخل عليك
الشيطان من طريق الشر ولكن يدخل عليك من طريق الخير وهذا مزلة عظيمة
للاقدام فالله يدرك الصادق اذا ابتلي بشيء من ذلك يزعجه بالعناية السابقة
والمعونة اللاحقة الى السفر فيفارق المعارف والموضع الذي فتح عليه هذا
الباب ويتجرد لله تعالى بالخروج الى السفر وهذا من احسن المقاصد في
الاسفار للصادقين فهذه جمل المقاصد المطلوبة للمشايخ في بداياتهم ما عدا
الحج والغزو وزيارة بيت المقدس فقد نقل ان ابن عمر رضي الله عنهما خرج من

المدينة قاصدا الى زيارة بيت المقدس وصلى فيه الصلوات الخمس ثم اسرع
راجعا الى المدينة من الغد ثم اذا من الله على الصادق باحكام امره من بدايته
وقلبه في الاسفار ومنحه الحظ من الاعتبار واخذ نصيبه من العلم قدر
حاجته واستفاد من مجاورة الصالحين وانتقش في قلبه فوايد النظر الى
حال المتقين وتعطر باطنه باستنشاق عرف معارف المقربين وتخصص
بعناية نظر اهل الله وخاصته وسبر احوال النفس واسفر السفر عن دفاين
اخلاقها وشهواتها الخفية وسقط عن باطنه نظر الخلق وصار يغلب ولا
يغلب كما قال الله تعالى اخبارا عن موسى عليه السلام ففررت منكم لما خفتكم
فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين فعند ذلك يرده الحق الى مقامه ويمده
بجزيل انعامه ويجعله اماما للمتقين به يقتدى وعلما للمومنين به يهتدى
واما الذي اقام في بدايته وسافر في نهايته يكون ذلك لشخص يسر الله له في
بداية امره صحبة صحيحة وقيض له شيخا عالما يسلك به الطريق ويدرجه
الى منازل التحقيق فيلازم موضع ارادته ويلتزم بصحبة من يرده من عادته
وقد كان الشبلي يقول للحصري رحمة الله عليهما في ابتداء امره ان خطر ببالك
من الجمعة الى الجمعة غير الله فحرام عليك ان تحضرني فمن رزق مثل هذه الصحبة
يحرم عليه السفر فالصحبة خير له من كل سفر وفضيلة يقصدها
اخبرنا رضي الدين ابو الخير احمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال انا ابو
المظفر عبد المنعم عن والده الاستاذ ابو القاسم بن عبد الكريم بن هوازن
القشيري قال سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت عباس بن ابي الصخر
يقول سمعت ابا بكر الزقاق يقول لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب
الشمال شيا عشرين سنة فمن رزق صحبة من يندبه الى مثل هذه الاحوال

السنية والعزايم القوية يحرم عليه المفارقة واختيار السفر ثم اذا احكم
امره في الابتدا بلزوم الصحبة وحسن الاقتدا وارتوى من الاحوال وبلغ مبلغ
الرجال وانبجس عن قلبه عيون ما الحيوة وصار نفسه مكتسبة للسعادات
يستنشق نفس الرحمن من صدور الصادقين من الاخوان في اقطار الارض وساح
في البلدان بشرايف الخلاف ويبعث الى التطواف في الافاق يسيره الله تعالى
في البلاد لفايدة العباد ويستخرج بمغناطيس حاله حبا اهل الصدق والمتطلعين
الى من يخبر عن الحق ويبذر في اراضي القلوب بذر الفلاح ويكثر ببركته ونفسه
وصحبته اهل الصلاح وهذا مثل هذه الامة الهادية في الانجيل كزرع اخرج
شطاه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعود بركة البعض على
البعض وتسري الاحوال من البعض الى البعض ويكون طريق الوراثة معمورا
وعلم الافادة منشورا اخبرنا شيخنا قال انا الامام عبد الجبار البيهقي
في كتابه قال اخبرنا ابو بكر البيهقي قال انا ابو علي الروذباري قال حدثنا
ابو بكر بن داسه قال انا ابو داود قال انا يحيى بن ايوب قال نا اسمعيل
بن جعفر قال انا العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من اتبعه لا
ينقص ذلك من اجورهم شيا ومن دعى الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل اثام
من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيا فاما من اقام ولم يسافر يكون ذلك لشخص
رباه الحق سبحانه وتعالى وتولاه وفتح عليه ابواب الخير وجذبه بعنايته
وقد ورد جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين ثم لما علم منه الصدق
وراى حاجته الى من ينتفع به ساق اليه بعض الصديقين حتى ايده بلفظه
وتداركه بلحظه ولحمه بقوة حاله وكفاه بسير الصحبة لكمال الاهلية في

الصاحب والمصحوب واجرا سنة الله تعالى في اعطا الاسباب جعلها الا فانه
رسم للحكمة يحوج الى يسير الصحبة فيتسبه بالقليل للكثير ويغنيه اليسير
من الصحبة لحظ الكثير ويكتفي بوافر حظ الاستبصار عن الاسفار ويعوض
باشعة الانوار عن مطالعة العبر والاثار كما قال بعضهم الناس يقولون
افتحوا اعينكم وابصروا وانا اقول غمضوا اعينكم وابصروا وسمعت بعض الصالحين
يقول لله عباد طوى نشيا هم ركبهم يكون رؤسهم على ركبهم وهم في مجال القرب
فمن تيح له معين الحياة في ظلمة خلوته ماذا يصنع بدخول الظلمات ومن
اندرجت اطباق السموات في طي شهوده ماذا يصنع بتقلب طرفه في السموات
ومن جمعت احداق بصيرته متفرقات الكاينات ماذا يستفيد من طي
الفلوات ومن خلص بخاصية فطرته الى مجمع الارواح ماذا يفيده زيارة
الاشباح وقيل ارسل ذو النون المصري الى ابي يزيد رجلا وقال قل له الى متى
النوم والراحة وقد سارت القافلة فقال للرسول قل لاخي الرجل من ينام في المنزل
الليل كله ثم يصبح قبل القافلة فقال ذو النون هنيا له هذا كلام لا يبلغه
احوالنا وكان بشر رحمه الله عليه يقول يا معاشر القرا سيحوا تطيبوا
فان الما اذا كثر مكثه في موضع تغير وقيل قال بعضهم عند هذا الكلام صر
بحرا حتى لا تتغير فاذا دام المريد سير الباطن بقطع مسافة النفس الامارة
بالسو حتى قطع منازل امانيها وبدل اخلاقها المذمومة بالمحمودة وعانق
الاقبال على الله تعالى بالصدق والاخلاص اجتمع له المتفرقات واستفاد
في حضره اكثر من سفره لكون السفر لا يخلو من متاعب وكلف ومشوشات
وطوارق ونوازل تحدث ويضعف عن سياستها بالعلم الضعفا ولا يقدر
على تسليط العلم على متجددات السفر وطوارقه الا الاقويا قال عمر بن

الخطاب

الخطاب رضي الله عنه للذي زكى عنده رجلا هل صحبته في السفر الذي
يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا قال ما اريك تعرفه فاذا حفظ
الله عبده في بداية امره من تشويش السفر ومتعه بجمع الهم وحسن
الاقبال في الحضر وساق اليه من الرجال من اكتسب به صلاح الحال فقد
احسن اليه قيل في تفسير قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب هو الرجل المنقطع الى الله يشكل عليه شي من امر الدين
فيبعث الله اليه من يحل اشكاله فاذا ثبت قدمه على شروط البداية
رزق وهو في المقام من غير سفر ثمرات النهاية فيستقر في الحضر انتها وابتدا
واقيم في هذا المقام جمع من الصالحين واما الذي ادام السفر راي صلاح
قلبه وصحة حاله في ذلك يقول بعضهم اجتهد ان تكون كل ليلة ضيف
مسجد ولا تموت الا بين منزلين وكان في هذه الطبقة ابرهيم الخواص ما كان
يقيم في بلد اكثر من اربعين يوما وكان يرى ان اقام اكثر من اربعين يوما يفسد
عليه توكله وكان علم الناس ومعرفتهم اياه يراه شيئا معلوما وحكي عنه
انه قال مكثت في البادية احد عشر يوما لم اكل وتطلعت نفسي ان اكل من حشيش
البر فرايت الخضر مقبلا نحوي فهربت منه ثم التفت فاذا هو رجع عني فقيل لم
هربت منه قال تشوفت نفسي ان يغيثني فهولاء الفرارون بدينهم اخبرنا
ابو زرعة طاهر بن الحافظ ابي الفضل المقدسي عن ابيه قال انا ابو بكر بن احمد
ابن علي قال انا عبد الله بن يوسف ثنا بن طهمويه قال ثنا ابو محمد الزهري القاضي
قال ثنا محمد بن عبد الله ابن اسباط قال ثنا ابو نعيم ثنا محمد يعني بن مسلم
عن عثمان بن عبد الله ابن اوس عن سليمان بن هرمز عن عبد الله عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال احب شي الى الله تعالى الغربا قيل ومن الغربا

قال الغفارون بين ايديهم يجتمعون الى عيسى بن مريم يوم القيمة وهذه كلها احوال
اختلفت وابتغى اربابها الصحة وحسن النية مع الله وحسن النية يقتضيه
الصدق والصدق لعينه محمود كيف تقلبت الاحوال فمن سافر ينبغي ان
يتفقد حاله ويصحح نيته ولا يقدر على تخليص النية من شوايب النفس الا
كثير العلم تام التقوى وافر الحظ من الزهد في الدنيا ومن انطوى على هوى
كامن ولم يستقص في الزهد لا يقدر على تصحيح النية فقد يدعوه الى
السفر نشاط جبلي نفساني وهو يظن ان ذلك داعية الحق ولا يميز بين داعي
الحق ودواعي النفس ويحتاج الشخص في علم صحة النية الى العلم بمعرفة
الخواطر وشرح الخواطر وعلمها يحتاج الى باب مفرد لنفسه ونومي الان
الى ذلك برمز يدركه من نازله شي من ذلك فاكثر الفقرا من علم ذلك ومعرفته
على بعد اعلم ما ذكرناه من نشاط النفس واقع للفقير في كثير من الامور فقد
يجد الفقير التروح بالخروج الى بعض الصحارى والبساتين ويكون ذلك مضرا التروح
به في ثاني الحال وان كان يترايا له طيب القلب في الوقت وسبب طيبة
القلب في الوقت ان النفس تنفسح وتتسع ببلوغ غرضها وتتسير بسير هواها
بالخروج الى الصحرا والتنزه واذا اتسعت تعدت عن القلب وتنحت عنه منترفة
الى متعلق هواها فيتروح القلب لا بالصحرا بل ببعد النفس عنه كشخص
تباعد عنه قرين يستثقله ثم اذا عاد الفقير الى زاويته واستفتح ديوان
معاملته ومن دستور حالته عند النفس مفارقة للقلب من يد ثقل موجب
لتبرمه بها وكلما ازداد ثقلها تكدر القلب وسبب زيادة ثقلها استرسالها
في تناول هواها فيصير الخروج الى الصحرا عين الدا ويظن الفقير انه ترويح
ودوا فلو صبر على الوحدة والخلوة ازدادت النفس ذوبانا وخفت

ولطفت

58 ولطفت وصارت قرينا صالحا للقلب لا يستثقلها وعلى هذا قياس التروح بالاسباب
فللنفس وثبات الى توهم التروحات فمن فطن لهذه الدقيقة لا يغتر بالتروحات
المستعارة التي لا تحمد عواقبها ولا يامن غايلتها ويتثبت عند ظهور خاطر
النفس ولا يكترث بالخاطر بل يطرحه بعدم الالتفات مسيئا ظنه بالنفس بالنفس
ونسولاتها ومن هذا القبيل والله اعلم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الشمس تطلع من بين قرني الشيطان فيكون للنفس عند طلوع الشمس
وثبات تستمد تلك الوثبة والنهضة من النفس الى المزاج والطبايع ويطول
شرح ذلك ويعمق ومن ذلك القبيل خفة مرض المريض غدوة بخلاف العشيات
فيشكل اهتزاز النفس بنهضات القلب ويدخل على الفقير من هذا القبيل آفات
كثيرة ويدخل في مداخل الفقير باهتزاز نفسه ظنا منه ان ذلك حكم نهوض
قلبه وربما يترايا له انه بالله يصول وبالله يقول وبالله يتحرك وقد ابتلي
بنهضة النفس ووثوبها ولا يقع هذا الاشتباه الا لارباب القلوب وارباب
الاحوال وغير ارباب القلب والحال عن هذا بمعزل وهذه منزلة قدم مختصة
بالخواص دون العوام فاعلم ذلك فانه عزيز علمه واقل مراتب الفقرا في
مبادي الحركة للسفر لتصحيح وجه الحركة ان يقدموا صلوة الاستخارة
وصلوة الاستخارة لا تهمل فان تبين للفقير صحة خاطره او تبين له وجه
المصلحة في السفر بما ان وضح من الخاطر فللقوم مراتب في التبيان من
العلم بصحة الخاطر وبما فوق ذلك ففي ذلك كله لا تهمل صلوة الاستخارة
اتباعا للسنة ففي ذلك البركة وهو من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ما حدثنا شيخنا ضيا الدين السهروردي املا قال انا ابو القاسم ابن
ابي عبد الرحمن في كتابه ان ابا سعيد الكنجروذي اخبرهم قال انا ابو عمرو

بن حمدان قال ثنا احمد بن الحسن الصوفي قال ثنا منصور بن ابي مزاحم قال ثنا
عبد الرحمن بن ابي الموالي عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القران
قال اذا هم احدكم بامر او اراد الامر فليصل ركعتين من غير الفريضة ثم
ليقل اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك
العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان
كنت تعلم ان هذا الامر يسميه بعينه خيرا لي في ديني ومعاشي ومعادي
وعاقبة امري او قال عاجل امري وآجله فقدره لي ثم بارك لي فيه
وان كنت تعلمه شرا لي مثل ذلك فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي
الخير حيث كان

الباب السابع عشر فيما يحتاج اليه الصوفي في سفره من الفضايل والفرايض

فاما من الفقه وان كان هذا يذكر
في كتب الفقه وهذا الكتاب غير موضوع لذلك ولكن نقول على سبيل الايجاز
بينما يذكر الاحكام الشرعية التي هي الاساس الذي يبنى عليه لا بد للصوفي
المسافر من علم التيمم والمسح على الخفين والقصر والجمع في الصلوة اما التيمم
فيجوز للمريض والمسافر في الجنابة والحدث عند عدم الما او خوف استعماله
تلفا في النفس او المال او زيادة في المرض على القول الصحيح من المذهب
او عند حاجته الى الما الموجود لعطشه او عطش دابته او رفيقه ففي
هذه الاحوال كلها يصلي بالتيمم ولا اعادة عليه والخايف من البرد يصلي
بالتيمم ويعيد الصلوة على الاصح ولا يجوز التيمم الا بشرط الطلب للما في مواضع
الطلب ومواضع الطلب مواضع تردد المسافر في منزله فيها للاحتطاب
والاحتشاش ويكون الطلب بعد دخول الوقت والسفر القصير في ذلك

كالطويل وان صلى بالتيمم مع يقين الما في اخر الوقت جاز على الاصح ولا يعيد
مهما صلى بالتيمم وان كان الوقت باقيا ومهما توهم وجود الما بطل تيممه كما
اذا اطلع ركب او غير ذلك وان راى الما في اثنا الصلوة لا تبطل صلوته ولا
يلزمه الاعادة ويستحب له الخروج منها واستينافها بالوضو على الاصح
ولا يتيمم للفرض قبل دخول الوقت ويتيمم لكل فريضة ويصلي مهما شا من
النوافل بتيمم واحد ولا يجوز ادا الفرض بتيمم النافلة ومن لم يجد ما ولا
ترابا يصلي ويعيد عند وجود احدهما ولكن ان كان محدثا لا يمس المصحف
وان كان جنبا لا يقرا القران في الصلوة بل يذكر الله تعالى عوض القراة
ولا يتيمم الا بتراب طاهر غير مخالط للرمل والجص ويجوز بالغبار على ظهر
الحيوان والثوب ويسمي الله تعالى عند التيمم وينوي استباحة الصلوة
قبل ضرب اليد على التراب ويضم اصابعه لضربة الوجه ويمسح جميع الوجه
فلو بقي شي من محل الفرض غير ممسوح لا يصح التيمم ويضرب الضربة لليدين
مبسوط الاصابع ويعم التراب محل الفرض وان لم يقدر الا بضربتين
فصاعدا كيف امكنه لا بد ان يعم التراب محل الفرض ويمسح اذا فرغ احدى
الراحتين بالاخرى حتى يصيرا ممسوحتين ويمر اليد على ما نزل من اللحية
من غير ايصال التراب الى المنابت فاما المسح فيمسح على الخف ثلثة ايام
ولياليهن في السفر والمقيم يوم وليلة وابتدا المدة من حين يحدث بعد
لبس الخف لا من حين لبس الخف ولا حاجة الى النية عند لبس الخف بل
يحتاج الى كمال الطهارة حتى لو لبس احدى الخفين قبل غسل الرجل الاخرى
لا يصح ان يمسح على الخف ويشترط في الخف امكان متابعة المشي
عليه وستر محل الفرض ويكفي مسح يسير من اعلى الخف والاولى مسح اعلاه

واسفله من محل الفرض وان كان عليه لفافة وهو على الطهارة يغسل القدمين
دون استيناف الوضوء على الاصح والماسح في السفر اذا اقام مسح للمقيم وهكذا
المقيم اذا سافر يمسح للمقيم والبدا اذا ركب جوربا ونعلا يجوز المسح عليه ويجوز
على المشرج اذا ستر محل الفرض ولا يجوز على المنسوج وجهه الذي يستر بعض
القدم ويبدو الباقي باللفافة فاما القصر والجمع يجمع بين الظهر والعصر في
وقت احدهما ويتيمم لكل واحده ولا يفصل بينهما بكلام وغيره وهكذا يجمع بين
المغرب والعشا ولا قصر في المغرب والصبح كهيئتها من غير قصر وجمع والسنن
الرواتب يصليها ويجمع بين السنتين قبل الفريضتين للظهر والعصر وبعد الفراغ
من الفريضتين يصلي ما يصلي بعد الفريضة من الظهر ركعتين او اربعا وبعد
الفراغ من المغرب والعشا يودي اثنين الرواتب لهما ويوتر بعدهما ولا يجوز ادا
الفرض على الدابة بحال الا عند التحام القتال للغازي ويجوز ذلك في السنن
الرواتب والنوافل وكيفية الصلوة على ظهر الدابة في الركوع والسجود الايماء
ويكون ايما السجود اخفض من الركوع الا ان يكون قادرا على التمكن مثل ان يكون
في محارة وغير ذلك ويقوم بوجهه الى الطريق مقام استقبال القبلة فيصلي
كيف توجه في الطريق فاما ان يكون لا يستقبل القبلة ولا متوجها الى الطريق
فلا حتى لو حرف دابته عن الصوب المتوجه اليه لا الى نحو القبلة بطلت صلوته
والماشي يتنفل في السفر ويقنعه استقبال القبلة عند الاحرام ولا يجزيه في
الاحرام الا الاستقبال ويقنعه الايما للركوع والسجود وراكب الدابة لا يحتاج
الى استقبال القبلة للاحرام ايضا واذا اصبح المسافر مقيما ثم سافر فعليه اتمام
ذلك اليوم في الصوم وهكذا ان اصبح مسافرا ثم اقام والصوم في السفر افضل من
الفطر وفي الصلوة القصر افضل من الاتمام فهذا القدر كاف للصوفي ان يعلم من حكم

الشرع

الشرع في مهام سفره فاما المندوب والمستحب ينبغي ان يطلب لنفسه رفيقا
في الطريق يعينه على امر الدين فقد قيل الرفيق ثم الطريق ونهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يسافر الرجل وحده الا ان يكون صوفيا عالما بآفة نفسه
يختار الوحدة على بصيرة من امره فلا باس بالوحدة واذا كانوا جماعة ينبغي
ان يكون فيهم متقدم امير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلثة في سفر
فامروا احدكم والذي يسمونه الصوفية بيشرو هو الامير ينبغي ان يكون الامير
ازهد الجماعة في الدنيا واوفرهم حظا من التقوى واتمهم مروة وسخاوة واكثرهم
شفقة روى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الاصحاب
عند الله خيرهم لصاحبه نقل عن عبد الله المروزي ان ابا علي الرباطي صحبه
فقال علي ان اكون انا الامير او انت فقال بل انت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه
ولابي علي على ظهره وامطرت السما ليلة فقام عبد الله طول الليل على راس
رفيقه يغطيه بكسايه عن المطر وكلما قال لا تفعل يقول الست الامير عليك وعليك
الانقياد والطاعة فاما ان يكون الامير يستصحب الفقرا لمحبة الاستتباع
وطلب الرياسة والتعزز ليتسلط على الخدام في الربط ويبلغ نفسه هواها
هذا طريق ارباب الهوى الجهال المباينين لطريق الصوفية وهو سبيل من
يريد جمع الدنيا فيتخذ لنفسه رفقا مايلين الى الدنيا يجتمعون لتحصيل اغراض
النفس والدخول على ابنا الدنيا والظلمة للتوصل الى تحصيل مارب النفس ولا
يخلو اجتماعهم هذا عن الخوض في الغيبة والدخول في المداخل المكروهة والتنقل
في الربط والاستمتاع والنزهة وكلما كثر معلوم في الرباط اطالوا المقام وان
تعذرت اسباب الدين وكلما قل المعلوم رحلوا وان تيسرت اسباب الدين وليس
هذا طريق الصوفية ومن المستحب ان يودع اخوانه اذا اراد السفر ويدعو لهم

بدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم صحبت عبد الله بن عمر من
مكة الى المدينة فلما اردت مفارقته شيعني وقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول قال لقمان ان الله تعالى اذا استودع شيا حفظه واني
استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك روى زيد بن ارقم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اراد احدكم سفرا فليودع اخوانه فان
الله تعالى جاعل له في دعايهم البركة وروي عنه عليه الصلوة والسلام ايضا
انه كان اذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير
حيثما توجهت وينبغي ان يعتقد اخوانه انه اذا دعا لهم واستودعهم الله
ان الله يستجيب دعاوه فقد روي ان عمر رضي الله عنه كان يعطي الناس عطاياهم اذ
جا رجل معه ابن له فقال له عمر ما رايت احدا اشبه باحد من هذا بك فقال
الرجل احدثك عنه يا امير المومنين اني اردت ان اخرج الى سفر وامه حامل به
فقالت تخرج وتدعني على هذه الحالة فقلت استودع الله ما في بطنك فخرجت
ثم قدمت فاذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار على قبرها فقلت للقوم
ما هذه النار فقالوا هذا من قبر فلانة نراه كل ليلة فقلت والله انها كانت
صوامة قوامة فاخذت المعول حتى انتهينا الى القبر فحفرنا فاذا سراج واذا
هذا الغلام يدب فقيل ان هذه وديعتك ولو كنت استودعتنا امه لوجدتها
فقال عمر لهو اشبه بك من الغراب بالغراب وينبغي ان يودع كل منزل يرتحل عنه
بركعتين ويقول اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنوبي ووجهني للخير اينما توجهت
وروى انس بن مالك قال كان رسول الله لا ينزل منزلا الا ودعه بركعتين
فينبغي ان يودع كل منزل ورباط يرحل عنه بركعتين واذا ركب الدابة فليقل
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين بسم الله والله اكبر توكلت على الله ولا

حول

حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم انك انت الحامل على الظهر وانت
المستعان على الامور والسنة ان يرحل من المنازل بكرة ويبتدي يوم الخميس
روى كعب بن مالك قال قل ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى
سفر الا يوم الخميس وكان اذا اراد ان يبعث سرية بعثها اول النهار ويستحب
كلما اشرف على منزل ان يقول اللهم رب السموات وما اظللن ورب الارضين
وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار
وما جرين اسالك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل
وشر اهله واذا نزل فليصل ركعتين ومما ينبغي للمسافر ان يصحبه الة الطهارة
قيل كان ابرهيم الخواص لا يفارقه اربعة اشيا في الحضر والسفر الركوة والحبل
والابرة وخيوطها والمقراض وروت عايشة رضي الله عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سافر حمل معه خمسة اشيا المراة والمكحلة
والمدري والسواك والمشط وفي رواية المقراض والصوفية لا يفارقهم
العصا وهو ايضا من السنة روى معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اتخذ منبرا فقد اتخذه ابرهيم وان اتخذ العصا فقد اتخذها
ابرهيم وموسى وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال التوكي
على العصا من اخلاق الانبيا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عصا يتوكا عليها
وكان يامر بالتوكي على العصا واخذ الركوة ايضا من السنة روى جابر بن عبد
الله قال بينا رسول الله يتوضا من ركوة اذ جهش الناس نحوه اي اسرعوا نحوه
والاصل فيه البكا كالصبي يلتزم بالام ويسرع اليها عند البكا قال فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما لكم قالوا يا رسول الله ما نجد ما نشرب ولا نتوضا
الا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فنظرت وهو يفور من بين اصابعه

هذا الحديث رواه ابو نعيم وفي روايته
خمسة لم يكن يفارقهن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر ولا حضر فذكره ورواه
الحاكم ابو احمد في الكنى والعـ
الضعفاء وقال لا يحفظ الثقات
جيد وقال ابن الجوزي لا يصح وعلته
ايوب بن واقد وغيلان الكاذب

مثل العيون قال فتوضا القوم منه قلت كم كنتم قال لو كنا مايه الف لكفانا كنا
خمس عشرة مايه في غزوة الحديبيه ومن سنة الصوفيه شد الوسط
وهو من السنة روى ابو سعيد قال حج رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
مشاة من المدينة الى مكة وقال اربطوا على اوساطكم بازركم ومشينا خلط
الهرولة ومن ظاهر اداب الصوفيه عند خروجهم من الربط ان يصلي
ركعتين في اول النهار يوم السفر بكرة كما ذكرنا يودع البقعة بالركعتين ويقدم
الخف بنفضه ويشمر الكم اليمنى ثم اليسرى ثم ياخذ المياند الذي يشد به
وسطه وياخذ خريطة المداس وينفضها ويأتي الموضع الذي يريد ان يلبس
الخف فيفرش السجادة طاقين ويجعل نعل احدى المداسين بالاخر وياخذ
المداس باليسار والخريطة باليمين ويضع المداس في الخريطة اعقابهما
الى اسفل ويشد راس الخريطة ويدخل المداس بيده اليسرى من كمه اليسرى
ويضع خلف ظهره ثم يقعد على السجادة ويقدم الخف بيساره وينفضه
ويبتدي باليمنى فيلبس ولا يدع شيا من الرانين والمنطقة يقع على الارض
ثم يغسل يديه ويجعل وجهه الى الموضع الذي يخرج منه ويودع الحاضرين
فان اخذ بعض الاخوان زاويته الى خارج الرباط لا يمنعه وهكذا العصا
والابريق ويودع من شيعه ثم يشد الزاوية ويرفع يده اليمنى ويخرج اليسرى
من تحت ابطه الايمن ويشد الزاوية على الجانب اليسار فيكون كتفه اليمين
خاليا وعقدة الزاوية من جانب اليمنى فاذا وصل في طريقه الى موضع شريف او
استقبله جمع من الاخوان او شيخ من الطايفة يحل الزاوية ويحطها ويستقبلهم
ويسلم عليهم ثم اذا جاوزه يشد الزاوية واذا قرب من المنزل رباطا كان
او غيره حل الزاوية ويحملها تحت ابطه الايسر وهكذا العصا والابريق يمسك

بلسان

62

بيساره وهذه الرسوم استحسنها فقرا خراسان والجبل ولا يعتمدها اكثر
فقرا العراق والشام والمغرب ويجري بين الفقرا مشاحنة في رعايتها
فمن لا يتعاهدها يقول هذه رسوم لا نلتزم ولا نلتزم بها ووقوف مع الصور
وغفلة عن الحقايق ومن يتعاهدها يقول هذه اداب وضعها المتقدمون
وادارا وامن يخل بها او بشي منها ينظرون اليه نظرا الازدرا والحقارة ويقال
هذا ليس بصوفي وكلام الطايفتين في الانكار يتعدون الواجب والصحيح في
ذلك ان من يتعاهدها لا ينكر عليه فليس بمنكر في الشرع وهو ادب حسن ومن
لم يلتزم بذلك فلا ينكر عليه فليس بواجب في الشرع ولا سند وباليه وكثيرا
ما يبالغ فقرا خراسان والجبل في رعاية هذه الرسوم الى حد يخرج الى
الافراط وكثير لا يعمل بها فقرا العراق والشام والمغاربة الى حد يخرج الى
التفريط والاليق ان ما لا ينكره الشرع لا ينكر ويجعل لتصاريف الاخوان
اعذارا ما لم يكن فيه منكر او اخلال لمندوب اليه والله الموفق الباب
الثامن عشر في القدوم من السفر ودخول الرباط ينبغي للفقير
اذا رجع من السفر يستعيذ بالله تعالى من آفات المقام كما يستعيذ به من وعثا
السفر ومن الدعا الماثور اللهم اني اعوذ بك من وعثا السفر وكآبة المنقلب
وسوء المنظر في الاهل والمال والولد واذا اشرف على بلد يريد المقام بها
يبتدي بالسلام على من بها من الاحيا والاموات ويقرا من القران ما تيسر ويجعله
هدية للاحيا والاموات ويكبر فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
قفل من غزو او حج كان يكبر على كل شرف من الارض ثلث مرات ويقول لا اله الا
الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير آيبون تايبون
عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم

الحور بعد الكور نعم وهو النقصان بعد [illegible] [illegible]

كان

الاحزاب وحده ويقول اذا راي البلد اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا
ولو اغتسل كان حسنا اقتدا برسول الله صلي الله عليه وسلم حيث اغتسل
لدخول مكة وروي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم لما رجع من طلب الاحزاب
ونزل المدينة نزع لامته واغتسل واستحم والا فليجدد الوضو ويتنظف ويتطيب
ويستعد للقا الاخوان بذلك وينوي التبرك بمن هناك من الاحيا والاموات
ويزورهم روي ابو هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم خرج رجل
يزور اخا له في الله فارصد الله لمدرجته ملكا وقال اين تريد قال ازور
فلانا قال لقرابة قال لا قال لنعمة له عندك تشكرها قال لا قال فلم تزوره قال
اني احبه في الله قال فاني رسول الله اليك انه يحبك لحبك اياه وروي ابو هريرة
رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قال اذا عاد الرجل اخاه
او زاره في الله قال الله له طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلا
وروي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
فانها تذكر فيحصل للفقير فايدة الاحيا والاموات بذلك فاذا دخل البلد
يبتدي بمسجد من المساجد يصلي فيه ركعتين فان قصد الجامع كان اكمل
وافضل فقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا قدم دخل المسجد اولا
وصلي ركعتين ثم دخل البيت والرباط للفقير بمنزلة البيت ثم يقصد الرباط
فقصده الرباط من السنة علي ما رويناه عن طلحة رضي الله عنه قال كان
الرجل اذا قدم المدينة وكان له بها عريف ينزل علي عريفه وان لم يكن له بها
عريف نزل الصفة فكنت فيمن نزل الصفة فاذا دخل الرباط يمضي الي
الموضع الذي يريد نزع الخف فيه فيحل وسطه وهو قايم ثم يخرج الخريطة
بيساره من كمه اليسار ويحل راس الخريطة باليمين ويخرج المداس باليسار

ثم يضع

قبل لاسم

63

ثم يضع المداس علي الارض وياخذ المباتية ويلفها في وسط الخريطة ثم يخرج
خفه اليسار فان كان علي الوضو يغسل قدميه بعد نزع الخف من تراب
الطريق والعرق واذا قدم علي السجادة يطوي السجادة من جانب اليسار
ويمسح قدميه بما انطوي ثم يستقبل القبلة ويصلي ركعتين ثم يسلم ويحفظ
القدم ان يطابه موضع السجود من السجادة وهذه الرسوم الظاهرة التي
استحسنها بعض الصوفية لا ينكر علي من يتقيد بذلك لانه من استحسان
الشيوخ ونيتهم في ذلك تقييد المريد في كل شي بهيئة مخصوصة ليكون
ابدا متفقدا الحركاته غير قادم علي حركة بغير قصد وعزيمة وادب
ومن اخل من الفقرا بشي من ذلك لا ينكر عليه ما لم يخل بواجب او مندوب
لان اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ما تقيدوا بكثير من رسوم المتصوفة
وكون الشبان يطالبون الوارد عليهم بهذه الرسوم من غير نظر لهم الي النية
في الاشيا غلط فلعل الفقير يدخل الرباط غير مشمر اكمامه وقد كان
في السفر لم يشمر الاكمام فنيته ان لا يتعاطي ذلك لنظر الخلق حيث لم يحتج اليه و
اليه شرعا وكون الاخر يشمر الاكمام يقيس ذلك علي شد الوسط وشد
الوسط من السنة كما ذكرنا من شد اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم
اوساطهم في سفرهم بين المدينة ومكة فتشمير الاكمام في معناه من الخفة
والارتفاق به في المشي فمن كان مشدود الوسط مشمرا يدخل الرباط كذلك
ومن لم يكن في السفر مشدود الوسط او كان راكبا لم يشد وسطه فمن
الصدق ان يدخل كذلك ولا يتعهد شد الوسط وتشمير الاكمام لنظر الخلق
فانه تكلف ونظر الي الخلق ومبني التصوف علي الصدق وسقوط نظر الخلق
ومما ينكر علي المتصوفة انهم اذا دخلوا الرباط لا يبتدون بالسلام ويقولون

او لا او يضع قدمه علي ظهر المداس ثم يخرج خفه اليمين

ن
مندوب

المنكر هذا خلاف المندوب ولا ينبغي للمنكر ان يبادر الى الانكار دون ان يعلم
مقاصدهم فيما اعتمدوه وتركهم السلام يحتمل وجوها احدها ان السلام اسم من
اسما الله تعالى وقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال مر رجل على النبي صلى
الله عليه وسلم وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه السلام حتى كاد الرجل ان
يتوارى فضرب بيده على الحايط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة اخرى فمسح ذراعيه
ثم رد على الرجل السلام وقال انه لم يمنعني ان ارد عليك السلام الا اني لم اكن
على طهر وروي انه لم يرد عليه حتى توضا ثم اعتذر اليه وقال اني كرهت
ان اذكر الله تعالى الا على طهر وقد يكون جمع من الفقرا مصطحبين في السفر
وقد يتفق لاحدهم حدث فلو سلم المتوضي وامسك المحدث نظهر حاله فيترك
السلام حتى يتوضا من يتوضا ويغتسل ويقدمه من يغتسل ستر الحال على من
احدث حتى يكون سلامهم على الطهارة اقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد يكون بعض المقيمين على غير طهارة فيستعد لجواب السلام ايضا بالطهارة
لان السلام اسم من اسما الله تعالى وهذا من احسن ما يذكر من الوجوه في ذلك
ومنها انه اذا قدم يعانقه الاخوان وقد يكون معه من اثار السفر والطريق
ما يكره فيستعد بالوضو والنظافة ثم يسلم ويعانقهم ومنها ان جمع الرباط
ارباب مراقبة واحوال وقلوبهم عليهم بالسلام قد تزعج منهم مراقب ويشوش
محافظ والسلام يقدمه استيناس بدخوله واستعدادا له بغسل القدم والوضو
والصلوة ركعتين فيتاهب اجمع له كما يتاهب لهم بعد سابقة الاستيناس فقد
قال الله تعالى حتى تستانسوا واستيناس كل قوم على ما يليق بحالهم ومنها انه
لم يدخل على غيريته وذهو بغريب منهم بل هم اخوانه والالفة بالسنة المعنوية
الجامعة لهم في طريق واحد والمنزل منزله والموضع موضعه فيرى البركة

من

من استفتاح القول بمعاملة الله قبل معاملة الخلق وقد يمهد عذرهم في ترك
السلام ينبغي لهم ان لا ينكروا على من يدخل ويبتدي بالسلام فكما ان من ترك
السلام له نية فالذي يسلم له ايضا نية وللقوم اداب ورد بها الشرع ومنها
اداب استحسنها شيوخهم ومما ورد به الشرع ما ذكرنا من شد الوسط والعصا
والركوة والابتدا باليمين في لبس الخف وفي نزعه باليسار وروى ابو هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تنعلتم فابدوا باليمين واذا خلعتم
فابدوا باليسار واخلعهما جميعا وانعلهما جميعا وروى جابر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يخلع اليسرى قبل اليمنى ويلبس اليمنى قبل اليسرى وبسط
السجادة وردت به السنة وقد ذكرناه وكون احدهم لا يقعد على سجادة الا باذنه
الاخر مشروع ومسنون وقد ورد في حديث طويل لا يؤمن الرجل في سلطانه ولا
في اهله ولا يجلس على تكرمته الا باذنه واذا سلم على الاخوان يعانقهم ويعانقونه
وقد روى جابر بن عبد الله قال لما قدم جعفر من ارض الحبشة عانقه النبي
عليه الصلوة والسلام وان قبلهم فلا باس بذلك روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما قدم جعفر قبل بين عينيه وقال ما انا بفتح خيبر اسر مني بقدوم جعفر
ويصافح اخوانه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة المسلم اخاه المصافحة
وروى انس بن مالك قال قيل يا رسول الله الرجل يلقى اخاه يحني له قال لا قيل
يلزمه ويقبله قال لا قال فيصافحه قال نعم ويستحب للفقرا المقيمين في الرباط
ان يلقوا الفقير بالترحيب روى عكرمة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم جيته مرحبا بالراكب المهاجر مرتين وان قاموا اليه فلا باس وهو مسنون
روي عنه عليه الصلوة والسلام انه قام لجعفر يوم قدومه ويستحب للخادم
ان يقدم له الطعام روى لقيط بن صبرة قال وفدنا على رسول الله صلى الله

عليه وسلم فلم نصادفه في منزله بل صادفنا عايشة رضوان الله عليها فامرت لنا
بالخزيرة فصنعت لنا واتينا بقناع فيه تمر والقناع الطبق فاكلنا ثم جاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اصبتم شيا قلنا نعم يا رسول الله ويستحب للقادم
ان يقدم للفقرا شيا لحق القدوم وورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم
المدينة نحر جزورا وكراهتهم لقدوم القادم بعد العصر له وجه من السنة منع
النبي عليه الصلوة والسلام عن طروق الليل والصوفية بعد العصر يستعدون
لاستقبال الليل بالطهارة والانكباب على الاذكار والاستغفار روى جابر
بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم احدكم من سفر
فلا يطرقن اهله ليلا وروى كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
لا يقدم من سفر الا نهارا في الضحى فيستحبون القدوم في اول النهار فان فات
من اول النهار فقد يتفق تعويق من ضعف بعضهم في المشي او غير ذلك فيعذر
الفقير بقية النهار الى العصر لاحتمال التعويق فاذا صار العصر ينسب الى تقصير
في الاهتمام بالسنة وقدوم اول النهار فلذلك يكرهون الدخول بعد العصر والله
اعلم فاذا صار العصر يوخر القدوم الى الغد ليكون عاملا بالسنة للقدوم ضحوة
وله ايضا فيه معنى آخر ان الصلوة بعد العصر مكروهة ومن الادب ان يصلي
القادم ركعتين فلذلك يكرهون القدوم بعد العصر وقد يكون من الفقرا من يكون التادبة
قليل الدراية بدخول الرباط ويناله دهشة فمن السنة التقرب اليه والتودد
وطلاقة الوجه حتى ينبسط ويذهب عنه الدهشة ففي ذلك فضل كبير روى
ابو رفاعة قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقلت يا رسول
الله رجل غريب جا يسال عن دينه لا يدري ما دينه قال فاقبل النبي صلى الله عليه
وسلم علي وترك خطبته ثم اتي بكرسي قوايمه من حديد فقعد رسول الله صلى الله

عليه

65

عليه وسلم ثم جعل يعلمني مما علمه الله ثم اتى خطبته واتم آخرها فاحسن اخلاق
الفقرا الرفق بالمسلمين واحتمال المكروه من المسموع والمرئي وقد يدخل فقير
بعض الربط ويخل بشي من مراسم الصوفية ينهر ويخرج وهذا خطأ كبير فقد
يكون خلق من الصالحين والاوليا لا يعرفون هذا الرسم الظاهر ويقصدون
الرباط بنية صالحة فاذا استقبلوا بالمكروه يخشى ان يتشوش بواطنهم من
الاذى ويدخل على المنكر عليهم ضرر في دينه ودنياه فليحذر ذلك وينظر الى
اخلاق النبي عليه الصلوة والسلام وما كان يعتمده مع الخلق من المداراة والرفق
وقد صح ان اعرابيا دخل المسجد وبال فامر النبي عليه الصلوة والسلام فصب على
ذلك الموضع ولم ينه الاعرابي لما دنا به وعرفه الواجب بالرفق واللين والفظاظة
والغلظة والتسلط على المسلمين بالقول والفعل من النفوس الخبيثة وهو ضد حال
المتصوفة ومن دخل الرباط ممن لا يصلح للمقام به راسا يصرف من الموضع على
لطف وجه بعد ان يقدم له طعام ويحسن له كلام فهذا المعنى يليق بسكان
الرباط وما يعتمده الفقرا من تعهد القادم بخلق حسن ومعاملة صالحة ورد
به السنة روى عمر رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وغلام له حبشي يغمز ظهره فقلت يا رسول الله ما شانك فقال ان الناقة
اقحمتني وقد يحسن الرضا ممن يغمز بذلك في وقت تعبه وقدومه من
السفر فاما من يتخذ ذلك عادة ويحب التغمز ويستجلب به النوم ويشاكله حتى
لا يفوته فلا يليق بحال الفقرا وان كان مباحا في الشرع وكان بعض الفقرا اذا
استرسل في التغمز واستلذه واستدعاه احتلم فيرى ذلك الاحتلام عقوبة
استرساله في التغمز ولارباب العزايم امور لا يسعهم فيها الركون الى الرخص ومن
ادب الفقير اذا استقر وقعد بعد قدومه ان لا يبتدي بالكلام دون ان يسال

ويستحب ان يمكث ثلثة ايام لا يقصد زيارة ومشهدا وغير ذلك مما هو مقصوده من
المدينة حتى يذهب عنه وعثاء السفر ويعود باطنه الى هيئته فقد يكون بالسفر
وعوارضه تغير باطنه وتكدر حتى يجتمع في الثلثة ايام همه ويصلح باطنه ويستعد
للقا المشايخ والزيارات بتنوير الباطن فان باطنه اذا كان منورا استوفى
حظه من الخير من كل شيخ واخ يزوره ❁ وقد كنت اسمع شيخنا يوصي الاصحاب ويقول
لا تكلموا اهل هذه الطريق الا بما صفي اوقاتكم ❁ وهذا فيه فائدة كثيرة فان نور
الكلام على قدر نور القلب ونور السمع على قدر نور القلب ❁ فاذا دخل على شيخ
او اخ وزاره ينبغي ان يستاذنه اذا اراد الانصراف ❁ فقد روى عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زار احدكم اخاه فجلس عنده
فلا يقومن حتى يستاذنه ❁ وان نوى ان يقيم اياما وفي وقته سعة ولنفسه الى
البطالة وترك العمل شوق يطلب خدمة يقوم بها ❁ وان كان دايم العمل ربه فكفى
بالعبادة شغلا لان الخدمة لاهل العبادة تقوم مقام العبادة ❁ ولا يخرج من الرباط
الا باذن المتقدم فيه ولا يفعل شيئا دون ان ياخذ رايه فيه ❁ فهذه جمل اعمال
يعتمدها الصوفية وارباب الربط والله تعالى يزيدهم بفضله توفيقا وتاييدا **الباب**
التاسع عشر في حال الصوفي المتسبب اختلفت احوال الصوفية في الوقوف
مع الاسباب والاعراض عن الاسباب فمنهم من كان على الفتوح لا يركن الى معلوم
ولا يتسبب بكسب ولا سوال ❁ ومنهم من كان يكتسب ❁ ومنهم من كان يسال في وقت فاقته
ولهم في ذلك ادب وحد يراعونه ولا يتعدونه ❁ واذا كان الفقير يسوس نفسه
بالعلم بانه الفهم من الله تعالى في الذي يدخل فيه من سبب او ترك سبب لا ينبغي
للفقير ان يسال مهما امكن ❁ فقد حث النبي عليه الصلوة والسلام على ترك السوال
بالترغيب والترهيب ❁ فاما الترغيب فما روى ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم

66

وسلم من يضمن لي واحدة اتقبل له بالجنة قال ثوبان قلت انا قال لا تسال
الناس شيا فكان ثوبان تسقط علاقة سوطه فلا يامر احدا بنا وله وينزل هو
وياخذه **وروى** ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ياخذ
احدكم حبلا فيحتطب على ظهره فياكل ويتصدق خير له من ان ياتي رجلا فيساله
اعطاه او منعه ذلك فان اليد العليا خير من السفلى **اخبرنا** الشيخ الصالح ابو زرعة
طاهر بن ابي الفضل الحافظ المقدسي قال اخبرني والدي قال انا ابو محمد الصريفيني
ببغداد قال انا ابو القاسم عبد الله بن محمد قال نا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز
قال انا علي بن الجعد قال نا شعبة عن ابي حمزة قال سمعت هلال بن حصين قال اتيت المدينة
فنزلت دار ابي سعيد فضمني واياه المجلس فحدث انه اصبح ذات يوم وليس عندهم
طعام فاصبح وقد عصب على بطنه حجرا من الجوع فقالت لي امراتي ايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقد اتاه فلان فاعطاه واتاه فلان فاعطاه قال فاتيته
وقلت التمس شيا فذهبت اطلب فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يخطب ويقول من يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن سالنا شيا
فوجدناه اعطيناه وواسيناه ومن استعف عنه واستغنى فهو احب الينا ممن
سالنا فرجعت وما سالته فرزق الله تعالى حتى لا اعلم اهل بيت من الانصار اكثر
اموالا منا ❁ واما من حيث الترهيب والتحذير ❁ فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لا تزال المسئلة باحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم ❁ وروى
ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان
والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يسال الناس ولا يفطن لمكانه فيعطى ❁
هذا حال الفقير الصادق والمتصوف المحقق لا يسال الناس شيا ❁ ومنهم من يلزم
الادب حتى يوديه الحال ليستحي من الله تعالى ان يساله شيا من امر الدنيا حتى اذا

همت النفس بالسوال تزده الهيبة ويري الاقدام الى السوال الجراه فيعطيه الله
عند ذلك من غير سوال كما نقل عن ابرهيم الخليل انه جاه جبريل وهو في الهوا
قبل ان يصل الى النار فقال هل لك من حاجة قال اما اليك فلا فقال له فاسال
ربك فقال حسبي من سوالي علمه بحالي وقد يضعف عن مثل هذا فيسال الله
عودبه ولا يري سوال المخلوقين فيسوق الله اليه القسم من غير سوال مخلوق
بلغنا ان بعض الصالحين انه يقول اذا وجد الفقير نفسه تطالبه بشي لا تخلوا
تلك المطالبة اما الرزق يريد الله ان يسوقه اليه فتنبه النفس له فقد تتطلع
نفوس بعض الفقرا الى ما سوف يحدث وكانها تخبر بما يكون واما ان يكون ذلك
عقوبة لذنب وجد فاذا وجد الفقير ذلك والحت النفس بالمطالبة فليقم وليسبغ
الوضو ويصلي ركعتين ويقول يا رب ان كانت هذه المطالبة عقوبة ذنب
فاستغفرك واتوب اليك وان كان رزق قدرته لي فعجل وصوله الي فان الله
يسوقه اليه ان كان رزقه والا فقد ذهب المطالبة من باطنه فشان الفقير ان ينزل
حوايجه بالحق واما ان يرزقه الشي او الصبر او يذهب ذلك عن قلبه فلله سبحانه
وتعالى ابواب من طريق الحكمة وابواب من طريق القدرة فان فتح بابا من طريق
الحكمة والا فتح بابا من طريق القدرة ويأتيه الشي بخرق العادة كما كان يأتي
مريم كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت
هو من عند الله حكي عن بعض الفقرا قال جعت ذات يوم وكان من حالي ان لا اسال
فدخلت بعض المحال ببغداد مختارا استعرض لعل الله تعالى يفتح لي على يد بعض
عباده شيا فلم يقدر فمشيت جايعا فاتاني آت في منامي فقال لي اذهب الى موضع
كذا وعين الموضع فثم خرقة زرقا فيها قطعات اخرجها في مصالحك فمن تجرد
عن المخلوقين وتفرد بالله فقد تفرد بغني قادر لا يعجزه شي يفتح عليه من ابواب

الحكمة

67

الحكمة والقدرة كيف شا واولى من سال لنفسه ان يسالها الصبر الجميل فان
الصادق تحببه نفسه وحكي شيخنا رحمه الله ان ولدا جا اليه ذات يوم وقال
لماز بد حبة قال فقلت له ما تحضر الجنة وذكر شهوة يشتريها بالحبة فقال
عن ذلك اذهب واستقرض الحبة قال فقلت نعم استقرضها من نفسك فهي اولى
من قرض وقد نظم بعضهم هذا المعنى وقال

اذا شيت ان تستقرض المال منفقا ... على شهوات النفس في زمن العسر
فسل نفسك الانفاق من كنز صبرها ... عليك وارفاقا الى زمن اليسر
فان فعلت كنت الغني وان ابت ... فكل منوع بعدها واسع العذر

فاذا استنفذ الفقير الجهد من نفسه واشرف على الضعف وتحققت الضرورة وسال
مولاه ولم يقدر له بشي ووقته تضيق عن الكسب من شغله بحاله فعند ذلك يقرع
باب السبب ويسال فقد كان الصالحون يفعلون ذلك عند الفاقة ثم نقل عن ابي
سعيد الخراز انه كان يمد يده عند الفاقة ويقول شي لله ونقل عن ابي جعفر
الحداد وكان استاذ الجنيد انه كان يخرج بين العشايين ويسال من باب او بابين
ويكون ذلك معلومه على قدر الحاجة بعد يوم او يومين ونقل عن ابرهيم بن
ادهم انه كان معتكفا بجامع البصرة مدة وكان يفطر في كل ثلث ليال ليلة وليلة
افطاره يطلب من الابواب ونقل عن سفيان الثوري انه كان يسافر من الحجاز
الى صنعا اليمن ويسال في الطريق وقال كنت اذكرهم حديثا في الضيافة فيقدم
الي الطعام فاتناول حاجتي واترك ما بقي وقد ورد من جاع ولم يسال فمات دخل
النار ومن عنده علم وله مع الله حال لا يبتلي بمثل هذا بل يسال بالعلم ويسكت عن
السوال بالعلم وحكي بعض مشايخنا عن شخص كان مصرا على المعاصي ثم انه تاب
وحسن توبته وصار له حال مع الله تعالى قال عزمت ان احج مع القافلة ونويت

ان لا اسال احدا شيا واكتفي بعلم الله تعالى قال فبقيت اياما في الطريق يفتح الله
علي الزاد والما في وقت الحاجة ثم وقف الامر ولم يفتح الله علي بشي فجعت
وعطشت حتى لم يبق لي طاقة فضعفت عن المشي وبقيت اتاخر عن القافلة قليلا
قليلا حتى مرت القافلة فقلت في نفسي هذا الآن مني القآ النفس الي التهلكة
وقد منع الله من ذلك وهذه مسالة الاضطرار اسال فلما هممت بالسوال
انبعث في باطني انكار لهذه الحالة وقلت عقيدة عقدتها مع الله لا انقضها
وهان علي الموت دون نقض عزيمتي فقصدت شجرة فقعدت في ظلها وطرحت
راسي مستطرحا للموت وذهبت القافلة فبينما انا كذلك اذ جاني شاب متقلدا
بسيف وحركني فقمت وفي يده اداوة فيها ما فقال لي اشرب فشربت ثم قدم الي
طعاما وقال لي كل فاكلت ثم قال لي تريد القافلة فقلت من لي بالقافلة وقد عبرت
فقال لي قم واخذ بيدي ومشى معي خطوات ثم قال لي اجلس فالقافلة اليك تجي
فجلست ساعة واذا انا بالقافلة وراي متوجهة الي هذا شان من يعامل مولاه
بالصدق وذكر الشيخ ابو طالب المكي رحمه الله ان بعض الصوفية اول قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم احل ما اكل المرء من كسب يده انه المسالة عند الفاقة
وانكر الشيخ ابو طالب هذا التاويل من هذا الصوفي وذكر ان جعفر الخلدي كان
يحكي هذا التاويل عن شيخ من مشايخ الصوفية ووقع لي والله اعلم ان
الشيخ الصوفي لم يرد بكسب اليد ما انكر الشيخ ابو طالب منه وانما اراد بكسب اليد
رفعها الى الله تعالى عند الحاجة فهو احل ما ياكله اذا اجاب الله سواله وساق
اليه رزقه وقال الله تعالى حكاية عن موسى رب اني لما انزلت الي من خير فقير
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال ذلك وان خضرة البقل تترايا في
بطنه من الهزال وقال محمد الباقر رحمه الله قالها وانه لمحتاج الى شق تمرة وروي

عن

عن مطرف انه قال اما والله لو كان عند نبي الله شي ما اتبع المراة ولكن حمله على ذلك
الجهد وذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي عن النصراباذي انه قال في قوله اني لما انزلت
الي من خير فقير لم يسال الكليم الخلق وانما كان سواله من الحق ولم يسال غذا النفس
انما اراد سكون القلب وقال ابو سعيد الخراز الخلق مترددون بين مالهم
وبين ما اليهم من نظر الى ما له تكلم بلسان الفقر ومن شاهد ما اليه تكلم بلسان الخيلا
والفخر الا ترى حال الكليم عليه السلام لما شاهد خواص ما خاطبه به الحق كيف
قال ارني انظر اليك ولما نظر الى نفسه كيف اظهر الفقر وقال اني لما انزلت الي من
خير فقير وقال ابن عطا نظر من العبودية الى الربوبية فخشع وخضع وتكلم بلسان
الافتقار لما ورد على سره من الانوار وافتقاره افتقار العبد الى مولاه في جميع
احواله لا افتقار سوال وطلب وقال الحسين فقير لما خصصتني من علم اليقين ان
ترقيني الى عين اليقين وحقه ووقع لي والله اعلم ان قوله لما انزلت الي من خير فقير
ان الانزال مشعر ببعد رتبه عن حقيقة القرب فكون الانزال عين الفقر ما قنع
بالمنزل واراد قرب المنزل ومن صح فقره فقره في امر اخرته كفقره في امر دنياه
ورجوعه اليه في الدارين واباه يسال حوايج المنزلين ويساوي عنده الحاجتين وما
له مع غير الله شغل في الدارين والله اعلم **الباب العشرون في ذكر
من ياكل من الفتوح** اذا كمل شغل الصوفي بالله وكمل زهده لكمال تقواه يحكم
الوقت عليه بترك التسبب ويكشف له صريح التوحيد ومحض الكفالة من الله
الكريم فيزول عن باطنه الاهتمام بالاقسام ويكون مقدمه هذا ان يفتح الله
له بابا من التعريف بطريق المقابلة على كل فعل يصدر منه حتى لو جرى عليه يسير
من ذنب حاله او الذنب مطلقا مما هو منهي عنه في الشرع يجد عتب ذلك في وقته
او يومه كان يقول بعضهم اني لاعرف ذنبي في سوء خلق غلامي وقيل ان بعض

الصوفية فرض الفار خفه فلما راي ذلك تالم وقال شعر لو كنت من مازن لم تستبح
ابلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان ؛ اشارة منه الي ان الداخل عليه مقابلة
له علي شي استوجب به ذلك فلا تزال به المقابلات متضمنة للتعريفات الالهية
حتي يتخصص بصدق المحاسبة وصفا المراقبة عن تضييع حقوق العبودية ومخالفة
حكم الوقت ويتجرد له فعل الله ويمحي عنده افعال غير الله فيري المعطي والمانع
هو الله ذوقا وحالا لا علما وايمانا ثم يتداركه سبحانه بالمعونة ويوقفه علي
صريح التوحيد وتجريد فعل الله كما حكي عن بعضهم انه خطر له خاطر الاهتمام
بالرزق فخرج الي بعض الصحاري فراي قبرة عميا عرجا ضعيفة فوقف متعجبا منها
متفكرا فيما تاكل مع عجزها عن الطيران والمشي والروية فبينما هو كذلك اذا انشقت
الارض وخرجت سكرجتان في احداهما سمسم نقي وفي الاخري ما صافي فاكلت
من السمسم وشربت من الما ثم انشقت الارض وغابت السكرجتان قال فلما رايت ذلك
سقط عن قلبي الاهتمام بالرزق فاذا اوقف الحق عبده في هذا المقام يزيل عن
باطنه الاهتمام بالاقسام ويري الدخول في التسبب والتكسب بالسوال وغيره
رتبة العوام ويصير مسلوب الاختيار غير متطلع الي الاغيار ناظرا الي فعل الله منتظرا
لامر الله منساقا اليه الاقسام ويفتح عليه باب الانعام ويكون بدوام ملاحظته
لفعل الله وترصده ما يحدث من امر الله تعالي مكاشفا له تجليات من الله الكريم
بطريق الافعال والتجلي بطريق الافعال رتبة في القرب ومنه يترقي الي التجلي
بطريق الصفات ومن ذلك يترقي الي تجلي الذات والاشارة في هذه التجليات
الي رتب في اليقين ومقامات في التوحيد شي فوق شي وشي اصفي من شي فالتجلي
بطريق الافعال يحدث صفو الرضا والتسليم والتجلي بطريق الصفات يكسب
الهيبة والانس والتجلي بالذات يكسب الفنا والبقا وقد يسمي ترك الاختيار والوقوف

مع

مع فعل الله فنا يعنون به فنا الارادة والهوي والارادة الطف اقسام
الهوي وهذا الفنا هو الفنا الظاهر واما الفنا الباطن فهو محو آثار الوجود
عند لمعان نور الشهود يكون في تجلي الذات وهو اكمل اقسام اليقين في الدنيا
واما تجلي حكم الذات لا يكون الا في الاخرة وهو المقام الذي حظي به رسول
الله صلي الله عليه وسلم ليلة المعراج ومنع عنه موسي عليه السلام بلن تراني
فليعلم ان قولنا في التجلي اشارة الي رتب الحظ من اليقين وروية البصيرة
فاذا دخل العبد الي مبادي اقسام التجلي وهو مطالعة الفعل الالهي مجردا عن
فعل سوي الله يكون تناوله الاقسام من الفتوح روي عن رسول الله صلي الله عليه
وسلم انه قال من وجه اليه شي من هذا الرزق من غير مسالة ولا اشراف فلياخذه
فليوسع به في رزقه فان كان عنده غنا فليدفعه الي من هو احوج منه وفي
هذا دلالة ظاهرة علي ان العبد يجوز ان ياخذ زيادة علي حاجته بنية صرفه
الي غيره وكيف لا ياخذ وهو يري فعل الله تعالي ثم اذا اخذ فمنهم من يخرجه الي
المحتاج ومنهم من يتوقف في الاخراج ايضا حتي يرد عليه من الله علم خاص ليكون
اخذه بالحق واخراجه بالحق اخبرنا الشيخ ابو زرعة طاهر قال انا والدي
الحافظ المقدسي قال انا ابو اسحق بن ابرهيم بن سعيد الحبال قال انا محمد بن عبد
الرحمن بن سعيد قال انا ابو طاهر احمد بن محمد بن عمرو قال انا يونس بن عبد الاعلي
قال انا بن وهب قال انا عمرو بن الحارث عن بن شهاب عن السايب بن يزيد عن
حويطب بن عبد العزيز عن عبد الله بن السعدي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يعطيني العطا فاقول اعطه يا رسول الله
افقر مني فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم خذه فتموله او تصدق به وما
جاك من هذا المال وانت غير مشرف ولا سايل فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك

قال سالم فمن اجل ذلك كان ابن عمر كان بن عمر لا يسال احدا شيا ولا يرد شيا
اعطيه درج رسول الله صلى الله عليه وسلم الاصحاب بالوامر الى روية فعل
الله تعالى والخروج من تدبير النفس الى حسن تدبير الله سُيل سهل بن عبد
الله التستري رحمة الله عليه عن علم الحال قال هو ترك التدبير ولو كان
هذا في واحد لكان من اوتاد الارض وروى زيد بن خالد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من جاءه معروف من اخيه من غير مسئلة ولا اشراف
نفس فليقبله فانما هو رزق ساقه الله تعالى اليه وهذا العبد الواقف
مع الله تعالى في قبول ما ساق الحق اليه امن مما تخشى على من يرد لان من
رد لا يامن من دخول النفس عليه ان يرى بعين الزهد ففي اخذه اسقاط
نظر الخلق تحققا بالصدق والاخلاص وفي اخراجه الى الغير اثبات حقيقة
الزهد فلا يزال في كلا الحالين زاهدا يراه الغير بعين الرغبة لقلة العلم
بحاله وفي هذا المقام تحقق الزهد في الزهد ومن اهل الفتوح من يعلم
دخول الفتوح عليه ومنهم من لا يعلم دخول الفتوح عليه ومنهم من لا يتناول
من الفتوح الا اذا تقدمه علم بتعريف من الله اياه ومنهم من ياخذ غير متطلع
الى تقدم العلم حيث تجرد له الفعل ومن لا ينتظر تقدم العلم فوق من ينتظر
تقدمة العلم لتمام صحته مع الله وانسلاخه من ارادته وعلم حاله في ترك
الاختيار ومنهم من يدخل الفتوح عليه لا يتقدمه العلم ولا برويته تجرد
الفعل من الله ولكن يرزق شربا من المحبة بطريق روية النعمة وقد يتكدر
شرب هذا بتغير معهود النعمة وهذا حال ضعيف بالاضافة الى الحالين
الاولين لانه علة في المحبة ووليجة في الصدق عند الصديقين وقد ينتظر
صاحب الفتوح العلم في الاخراج ايضا كما كان ينتظر في الاخذ لان النفس تظهر

في

70

في الاخراج كما تظهر في الاخذ وانم من هذا من يكون في اخراجه مختارا
وفي اخذه مختارا بعد تحققه بصحة التصرف فان انتظار العلم انما كان
لموضع اتهام النفس ببقية هوى موجود فاذا زال الاتهام بوجود صريح
العلم ياخذ غير محتاج الى علم مجدد ويخرج كذلك وهذه حال من تحقق
بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه فاذا احببته كنت له
سمعا وبصرا بي يسمع وبي يبصر الحديث فلما صح تعرفه صح تصرفه وهذا اعز
في الاحوال من الكبريت الاحمر وكان شيخنا ضياء الدين ابو النجيب السهروردي
قدس الله سره يحكي عن الشيخ حماد انه كان يقول انا لا آكل الا من طعام الفضل
وكان يرى الشخص في المنام ان احمل اليه شيا وقد كان يعين للرائي في المنام
ان احمل الى حماد كذا وكذا في واقعته او منامه انك احلت على فلان بكذا وكذا
وحكي عنه انه كان يقول كل جسم ربي بطعام الفضل لا يتسلط عليه البلى
ويعني بطعام الفضل ما تشهد له صحة الحال من فتوح الحق سبحانه وتعالى
ومن كانت هذه حالته فهو غني بالله قال الواسطي الافتقار الى الله اعلى درجة
المريدين والاستغنا بالله اعلى درجة الصادقين وقال ابو سعيد الخراز العارف
فني تدبيره في تدبير الحق فالواقف مع الفتوح واقف مع الله ناظر الى الله
واحسن ما حكي في هذا ان بعضهم راى النوري يمد يده ويسال الناس قال
فاستعظمت ذلك منه واستقبحته له فاتيت الجنيد واخبرته فقال لا يعظم
هذا عليك فان النوري لم يسال الناس الا ليعطيهم سالهم ليثيبهم في الاخرة فيوجر
من حيث لا يضره وقول الجنيد ليعطيهم كقول بعضهم اليد العليا يد الآخذ لانه
يعطي الثواب قال ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض
قبضة فالقاها على المائة ثم قال احملها اليه فقلت في نفسي انما يوزن ليعرف

بمقداره فكيف خلط المجهول بالموزون وهو رجل حكيم واستحييت أن
اساله فذهبت بالصرة الى النوري فقال هات الميزان فوزن مائة وقال
ردها عليه وقل انا لا اقبل منك شيا واخذ ما زاد على المائة قال فزاد تعجبي
فسالته عن ذلك فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه وزن
المائة لنفسه طلبا للثواب وطرح عليها قبضة بلا وزن لله فاخذت ما كان
لله ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها على الجنيد فبكى وقال اخذ
ماله ورد مالنا ومن لطايف ما سمعت من اصحاب شيخنا انه قال ذات يوم لاصحابه
نحن محتاجون الى شي من المعلوم فارجعوا الى خلواتكم واسالوا الله تعالى وما
يفتح الله تعالى عليكم ايتوني به ففعلوا ثم جاء رجل من بينهم يعرف باسمعيل
البطايحي ومعه كاغد عليه ثلثون دايرة وقال هذا الذي فتح لي في واقعتي
فاخذ الشيخ الكاغد فلم يكن الا ساعة فاذا شخص دخل ومعه ذهب فقدمه
بين يدي الشيخ ففتح القرطاس واذا هو ثلثون صحيحا فنزل الشيخ كل صحيح
على دايرة وقال هذا فتوح الشيخ اسمعيل او كلام هذا معناه وسمعت ان الشيخ
عبد القادر رحمه الله بعث الى شخص وقال لفلان عندك طعام وذهب ابعث
من ذلك بكذا ذهبا وكذا طعاما فقال الرجل كيف اتصرف في وديعة عندي
ولم يستفتيك ما افتيتني في التصرف فالزمه الشيخ بذلك واحسن الظن بالشيخ
وحمل اليه بالذي طلب فلما وقع التصرف منه جاء مكتوب من صاحب الوديعة وهو
غايب في بعض نواحي العراق اذا حمل الى الشيخ عبد القادر القدر هو الذي عينه
الشيخ عبد القادر فعاتبه الشيخ بعد ذلك على توقفه وقال ظننت بالفقرا انّ
اشاراتهم تكون على غير صحة وعلم فالعبد اذا صح مع الله وافنى هواه متطلبا رضى
الله يرفع الله عن باطنه هموم الدنيا ويجعل الغنا في قلبه ويفتح عليه ابواب الرزق

فكل الهموم المسلطة على بعض الفقرا لكون قلوبهم ما استكملت الشغل بالله والاهتمام
برعاية حقايق العبودية فعلى قدر ما خلت من هم الله ابتليت بهم الدنيا ولو
امتلات من هم الله ما عذبت بهموم الدنيا وقد وقفت وارفقت روي ان
عون بن عبد الله المسعودي كان له ثلثمائة وستون صديقا وكان يكون
عند كل واحد يوما وآخر كان له ثلثون صديقا عند كل واحد يوما من الشهر
وآخر كان له سبعة اخوان كل يوم من الاسبوع عند كل واحد فكان اخوانهم معلومهم
والمعلوم اذا اقامه الحق للناظر الى الله الكامل توحيده يكون نعمة هنية جا رجل
الى الشيخ ابي السعود رحمه الله وكان من ارباب الاحوال السنية والواقفين
في الاشيا مع فعل الله متمكنا في حاله تاركا للاختيار لعله سبق كثيرا من المتقدمين
في تحقيق ترك الاختيار راينا منه وشاهدنا احوالا صحيحة عن قوة وتمكين
فقال له الرجل اريد ان اعين شيا كل يوم من الخبز احمله اليك وكلني قلت الصوفية
يقولون المعلوم شوم قال الشيخ نحن ما نقول المعلوم شوم فان الحق يصفي لنا
فعله نرى فكلما يقيم لنا نراه مباركا ولا نراه مشوما اخبرنا ابو زرعة اجازة
قال انا ابو بكر احمد بن خلف الشيرازي اجازة قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال
سمعت ابا بكر بن شاذان قال سمعت ابا بكر الكتاني قال كنت انا وعمرو المكي وعياش بن
المهدي نصطحب ثلثين سنة نصلي الغداة على طهر العتمة وكنا قعودا بمكة على
التجريد ما لنا ما نسوي فلسا وربما كان يصيبنا الجوع يوما ويومين وثلثة (على الارض)
واربعة وخمسة ولا نسال احدا فان ظهر لنا شي عرفنا وجهه من غير سوال ولا تعرض
قبلناه واكلناه والا طوينا فاذا اشتد بنا الامر وخفنا على انفسنا النقصان
من الفرايض قصدنا ابا سعيد الخراز فيتخذ لنا الوانا من الطعام ولا نقصد غيره
ولا ننبسط الا اليه لما نعرف من تقواه وورعه وقيل لابي يزيد ما نراك تشتغل

تشتغل بكسب قوت من معاشك فقال مولاي يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزق
ابا يزيد قال السلمي سمعت ابا عبد الله الرازي يقول سمعت مظفر القرميسيني
يقول الفقير الذي لا يكون له الي الله حاجة وقيل لبعضهم ما الفقر قال وقوف
الحاجة علي القلب ومحوها من كل احد سوي الرب وقال بعضهم اخذ الفقير
الصدقة ممن يعطيه لا ممن يصل اليه علي يده ومن قبل من الوسايط فهو المتوسم
بالفقر معدنا ه هنه انبانا شيخنا ضيا الدين ابو النجيب السهروردي قدس
الله روحه قال انا عصام الدين ابو جعفر عمر بن احمد بن منصور الصفار قال
انا ابو بكر احمد بن خلف الشيرازي قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت احمد
بن علي بن جعفر يقول سمعت ان ابا سليمان الداراني كان يقول اخرا قدام
الزاهدين اول اقدام المتوكلين روي ان بعض العارفين زهد فبلغ من زهده
ان فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا اسال احدا شيا حتي ياتيني رزقي
فاخذ يسيح واقام في سفح جبل سبعا لم يانه شي حتي كاد ان يتلف فقال يا رب
ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فالهمه الله تعالي في
قلبه وعزتي وجلالي لا ارزقك حتي تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة
واقام بين ظهراني الناس فجاه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس
في نفسه من ذلك فسمع اردت ان تبطل حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت انه يرزق
العباد بايدي العباد احب اليه من ان يرزقهم بايدي القدرة قالوا فقد مع الفتوح
استوي عنده يد الادميين وايدي الملايكة واستوي عنده القدرة والحكمة
وطلب الفقار والتوصل الي قطع الاسباب للارتهان برويه الاسباب واذا صح
التوحيد لا تشتت الاسباب في عين الاسباب اخبرنا شيخنا قال انا ابو حفص
عمر قال انا احمد بن خلف قال انا ابو عبد الرحمن قال انا محمد بن احمد بن حمدان العكبري

42

بها قال سمعت احمد بن محمود البسري يقول سمعت محمد الاسكاف يقول سمعت يحيي
بن معاذ الرازي يقول من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الاقدار وكل الي
المخلوقين وقال بعض المنقطعين كنت ذا صنعة جليلة فاريد مني تركها
فجاك في صدري من اين المعاش فهتف بي هاتف لا اراه تنقطع الي وتتهمني في
رزقك علي ان اخدمك وليا من اوليايي او اسخر لك منافقا من اعدايي فلما صح حال
الصوفي انقطعت اطماعه وسكنت عن كل تشرف وتطلع خدمته الدنيا وسخرت
له الدنيا خادمة وما رضيها مخدومة فصاحب الفتوح يري حركة النفس بالتشرف
خيانة وذنبا روي ان احمد بن حنبل رحمه الله خرج ذات يوم الي شارع باب	دار
الشام فاشتري دقيقا ولم يكن في الموضع من يحمله فوافي ايوب الحمال فحمله ودفع
اليه احمد اجرته فلما دخل الدار بعد اذنه له اتفق ان اهل الدار قد خبزوا ما كان
عندهم من الدقيق وتركوا الخبز علي السرير ينشف فراه ايوب وكان يصوم الدهر
فقال احمد لابنه صالح ادفع الي ايوب من الخبز فدفع اليه رغيفين فردهما فقال
احمد ضعهما ثم صبر قليلا ثم قال خذهما فالحقه بهما فلحقه فاخذهما فرجع صالح
متعجبا فقال له احمد عجبت من رده واخذه قال نعم قال هذا رجل صالح فراي الخبز
فاستشرفت نفسه اليه فلما اعطيناه مع الاستشراف رده ثم ايس فرددناه	يعني انتظار
اليه بعد الاياس فقبل فهذا حال ارباب الصدق ان سالوا سالوا بعلم وان امسكوا
عن السوال امسكوا بحال وان فعلوا فعلوا بعلم فمن لم يرزق حال الفتوح فله حال
السوال والكسب بشرط العلم فاما السايل مستكثرا فوق الحاجة ولا في وقت الضرورة
فليس من الصوفية بشي سمع عمر رضي الله عنه سايلا يسال عشيه فعشاه ثم سمعه
يسال قال الم اعده الم امر لك بعشا السايل فقال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت
ابطه مخلاة مملوة خبزا فقال لعلك عيال قال لا فقال لست بسايل ولكنك تاجر ثم

ينزل المخلاه بين يدي اهل الصفة وضربه بالدرة وروي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال ان الله تعالى في خلقه مثوبات فقر فمن علامة الفقر اذا وعقوبات فقر
كان مثوبة الفقر ان يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى
على فقره ومن علامة الفقر اذا كان عقوبة ان يسوء خلقه ويعصي ربه ويكثر
الشكاية ويتسخط للقضاء فحال الصوفية حسن الادب في السوال والفتوح والصد
مع الله على كل حال كيف تقلب

الباب الحادي والعشرون في شرح حال المتجرد من الصوفية والمتاهل من الصوفية وصحة مقاصدهم

الصوفي يتزوج لله كما يتجرد لله فلتجرده مقصد واوان ولتاهله مقصد واوان
والصادق يعلم اوان التجرد والتاهل لان الطبع الجموح للصوفي ملجم بلجام العلم
مهما يصلح له التجرد لا يستعجله الطبع الى التزوج ولا يقدم على التزوج الا اذا
انصلحت النفس واستحقت ادخال الرفق عليها وذاك اذا صارت منقادة مطواعة
مجيبة الى ما يراد منها بمثابة الطفل الذي يتعاهد بما يرفق له ويمنع عما يضره فاذا
صارت النفس محكومة مطواعة وقد وقفت الى امر الله وتنصلت عن مشاحنة محكوما عليها
القلب فيصلح بينهما بالعدل وينظر في امرهما بالقسط ومن صبر من الصوفية على
العزوبة هذا الصبر الى حين بلوغ الكتاب اجله تنحب له الزوجة احيانا ويهيي
الله له اعوانا واسبابا ويعم برفق يدخل عليه ورزق يساق اليه ومتى استعجل
المريد واستفزه الطبع وحاصره الجهل بثوران دخان الشهوة المغطية لشعاع
العلم والحظ من اوج العزيمة الذي هو قضية حاله وموجب ارادته وشريطة
صدق طلبه الى حضيض الرخصة التي هي رحمة من الله لعامة خلقه يحكم عليه
بالنقصان ويشهد له بالخسران ومثل هذا الاستعجال هو حيض الرجال قال سهل
بن عبد الله التستري اذا كان للمريد حال يتوقع به زيادة فدخل عليه الابتلاء

فرجوعه

فرجوعه للابتلاء الى حال دون ذلك نقصان وحدث وسمعت بعض الفقرا وقد
قيل له لم لا تتزوج فقال المراة لا تصلح الا للرجل وانا ما بلغت مبلغ الرجال كيف
اتزوج فالصادقون لهم اوان بلوغ عنده يتزوجون وقد تعارضت الاخبار وتماثلت
الآثار في فضيلة التجريد والتزويج وتنوع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في
ذلك لتنوع الاحوال فمنهم من فضيلته في التجريد ومنهم من فضيلته في التاهل وكل
هذا التعارض في حق من تار توقانه برد وسلام لكمال تقواه وقهره هواه والا
ففي غير هذا الرجل الذي يخاف عليه الفتنة يجب النكاح في حال التوقان المفرط
ويكون الخلاف بين الائمة في غير التائق فالصوفي اذا صار متاهلا يستعين على
الاخوان معاونته بالايثار ومسامحته في الاستكثار اذا روي ضعيف الحال
قاصرا عن رتبة الرجال كما وصفنا من صبر حتى ظفر لما بلغ الكتاب اجله اخبرنا
ابو زرعة عن والده ابو الفضل المقدسي الحافظ قال انا ابو محمد عبد الله بن
محمد الخطيب قال انا ابو الحسن محمد بن عبد الله بن اخي ميمي قال انا ابو القاسم عبد
الله بن محمد بن عبد العزيز قال نا محمد بن هرون قال نا ابو المغيرة قال نا صفوان
بن عمرو قال نا عبد الرحمن بن جبير عن ابيه عن عوف بن مالك قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا جاءه فيء قسمه في يومه فاعطى الاهل حظين والاعزب (العزب) المتامل
حظا واحدا فدعينا وكنت ادعى قبل عمار بن ياسر فاعطاه حظا واحدا فسخط
حتى عرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه ومن حضره فبقيت معه
من سلسلة من ذهب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعها بطرف عصاه وتسقط
وهو يقول كيف انتم يوم يكثر لكم من هذا فلم يجبه احد فقال عمار وددنا يا رسول
الله لو قد اكثر لنا من هذا فالتجرد عن الازواج والاولاد اعون على الوقت للفقير
واجمع لهمه والذ لعيشه ويصلح للفقير في ابتداء امره قطع العلائق ومحو العوائق

والتنقل في الاسفار وركوب الاخطار والتجرد عن الاسباب والخروج عن كل ما يكون
حجابا والتزوج انحطاط من العزيمة الى الرخص ورجوع من التروح الى النغص وتقيد
بالاولاد والازواج ودوران حول مظان الاعوجاج والتفات الى الدنيا بعد الزهادة
وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والعادة قال ابو سليمان الداراني ثلث من
طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا او تزوج امراة او كتب الحديث وقال
ما رايت احدا من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته اخبرنا الشيخ طاهر قال انا والدي
ابو الفضل قال انا محمد بن اسمعيل المقري قال انا احمد بن الحسين قال انا الحاجب
الطوسي قال انا عبد الرحيم قال انا الفزاري عن سليمان التيمي عن ابي عثمان النهدي
عن اسامة بن زيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تركت
بعدي فتنة اضر على الرجال من النسا وروى رجا بن حيوة عن معاذ بن
جبل قال ابتلينا بالضرا فصبرنا وابتلينا بالسرا فلم نصبر وان اخوف ما اخاف
عليكم فتنة النسا اذا تسورن بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن واتعبن
الغني وكلفن الفقير ما لا يجد وقال بعض الحكما معالجة العزوبة خير من معالجة [illegible]
النسا وسئل سهل بن عبد الله التستري عن النسا فقال الصبر عنهن خير من الصبر
عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وقيل في تفسير قوله تعالى وخلق
الانسان ضعيفا لانه لا يصبر عن النسا وقيل في قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به الغلمة فان قدر الفقير على مقاومة النفس ورزق العلم الوافر من
المعاملة في معالجة النفس وصبر عنهن فقد حاز الفضل واستعمل العقل واهتدى
الى الرفق السهل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المايتين رجل خفيف
الحاذ قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ قال الذي لا اهل له ولا ولد وقال بعض
الفقرا لما قيل له تزوج فقال انا الى ان اطلق نفسي احوج مني الى التزوج وقيل لبشر

ابن

74

ابن الحارث ان الناس يتكلمون فيك فقال ما يقولون قيل يقولون انه تارك للسنة
يعني النكاح فقال قولوا لهم انا مشغول بالفرض عن السنة وكان يقول لو كنت اعول
دجاجة خفت ان اكون جلادا على الجسر والصوفي يبتلي بالنفس ومطالبتها
وهو في شغل شاغل في نفسه فاذا انضاف اليه مطالبات نفسه ومطالبات زوجه
يضعف طلبه وتكل ارادته ويفتر عزيمته والنفس اذا اطمعت طمعت واذا اقنعت
قنعت فيستعين الشاب الطالب على حسم مواد خواطر النكاح بادامة الصوم فان
للصوم اثرا ظاهرا في قمع النفس وقهرها وقد ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مر بجماعة من الشبان وهم يربعون الحجارة فقال يا معشر الشبان من استطاع يربعون حجرا
منكم الباه فليتزوج ومن لم يستطع منكم فليجاهد ومن لم يستطع فليصم فان الصوم
له وجا واصل الوجا رض الخصيين كان العرب يجوون الفحل من الغنم لتذهب فحولته
ويسمن ومنه الحديث ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين موجوين
وقد قيل هي النفس ان لم تشغلها شغلتك فاذا ادام الشاب المريد العمل واذاب
نفسه في العبادة تقل عليه خواطر النفس وايضا شغله بالعبادة يثمر له حلاوة
المعاملة ومحبة الاذكار منها ويفتح عليه باب السهولة والعيش في العمل فيعتاد
على حاله ووقته ان يتكدر بهم الزوجة ومن حسن ادب المريد في عزوبته ان
لا يمكن خواطر النسا من باطنه وكلما خطر له خاطر النسا والشهوة يفر الى الله
بحسن الانابة فيتداركه الله تعالى حينئذ بقوة العزيمة ويؤيده بمراغمة النفس
بل ينعكس على نفسه نور قلبه ثواب حسن انابته فتسكن النفس عن المطالبة
ثم يعرض على نفسه ما يدخل عليه بالنكاح من الدخول في المداخل المذمومة المودية
الى الذل والهوان واخذ الشي من غير وجهه وما يتوقع من القواطع بسبب التفات الخاطر
الى ضبط المراة وحراستها وكلفة لا تنحصر وقد سئل عبد الله بن عمر عن جهد البلا قال

كثرة العيال وقلة المال وقد قيل كثرة العيال احد الفقرين وقلة العيال احد اليسارين
وكان ابرهيم بن ادهم يقول من تعود افخاذ النسا لا يفلح ولا شك ان المراة تدعوا
الى الرفاهة والدعة وتمنع من كثرة الاشتغال بالله وقيام الليل وصيام النهار وتسلط
على الباطن خوف الفقر ومحبة الادخار وكل هذا بعيد عن المتجرد وقد ورد اذا
كان بعد المايتين ابيحت العزبة لامتي فان توالت على الفقير خواطر النكاح وزاحمت
باطنه سيما في الصلوة والاذكار والتلاوة فليستعن بالله وليلازم المشايخ والاخوان
وليشرح لهم حاله وليسالهم مسالة الله في حسن الاختيار وليطوف على الاحيا والاموات
والمساجد والمشاهد وليستعظم الامر ولا يدخل فيه بقلة الاكتراث فانه باب
فتنة كبيرة وخطر عظيم وقد قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
ويكثر الضراعة الى الله تعالى والبكا بين يديه في الخلوات ويكرر الاستخارة وان
رزق القوة والصبر حتى يستبين من فضل الله الخيرة في ذلك فهو الكمال والتمام
فقد يكشف الله تعالى للصادق ذلك سمعا او اطلاعا في منامه ويقظته وعلى لسان
من يثق الى دينه وحاله انه اذا اشار لا يشير الا على بصيرة واذا حكم لا يحكم الا
بحق فعند ذلك يكون تزوجه مدبرا معانا فيه وسمعنا ان الشيخ عبد القادر
قال له بعض الصالحين لم تزوجت فقال ما تزوجت حتى قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم تزوج فقال له ذلك الرجل الرسول لا يامر الا بالرخص وطريق القوم الملزم بالعزيمة
فلا اعلم ما قال الشيخ في جوابه ولكني اقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر
بالرخصة ويامر بها على لسان الشرع فاما من التجا الى الله وافتقر اليه واستخاره
فيكاشفه الله تعالى بتنبيه اياه في منامه وامره لا يكون هذا الامر امر رخصة
بل هو امر يتبعه ارباب العزيمة لانه من علم الحال لا من علم الحكم ويدل على صحة
ما وقع لي ما نقل عنه انه قال كنت اريد الزوجة مدة من الزمان ولا اجترئ على

التزوج

[illegible]

التزوج خوفا من تكدر الوقت فلما صبرت الى ان بلغ الكتاب اجله ساق الله الي
اربع ازواج ما فيهن الا من ينفق علي ارادة ورغبة بايتها الفرج والمخرج ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا تزوج الفقير بعد
الاستقصا والاكثار من الضراعة والدعا وورد عليه وارد من الله تعالى
باذن فهو الغاية والنهاية وان عجز عن الصبر الى ورود الاذن واستنفد جهده
في الدعا والضراعة فقد يكون ذلك حظه من الله تعالى ويعان عليه لحسن
نيته وصدق مقصده وحسن رجايه واعتماده الى ربه وقد نقل عن عبد
الله بن عباس قال لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج ونقل عن شيخ من مشايخ خراسان
انه كان يكثر التزوج حتى كان لا يخلوا عن زوجتين وثلثة فعوتب في ذلك فقال
هل يعلم احد منكم انه جلس بين يدي الله تعالى جلسة او وقف وقفة في معاملته
فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا قد يصيبنا ذلك فقال لو رضيت في عمري كله
مثل حالكم في وقت واحد ما تزوجت قط ولكن ما خطر على قلبي خاطر قط
يشغلني عن وقتي الا نفذته لاستريح منه وارجع الى شغلي ثم قال منذ اربعين
سنة ما خطر على قلبي خاطر معصية فالصادقون ما دخلوا في النكاح الا على
بصيرة وقصد واحسم مواد النفس وقد يكون الاقويا والعلما الراسخين في العلم
احوال في دخولهم في النكاح تختص بهم وذلك بعد طول المجاهدات والرياضات تطمين
نفوسهم وتنقل قلوبهم وللقلوب اقبال وادبار ويقول بعضهم ان للقلوب اقبالا وادبارا
فاذا ادبرت روحت بالارفاق واذا اقبلت ردت الى الميثاق فتبقى قلوبهم دايمة
الاقبال الا اليسير ولا يدوم اقبالها الا بطمانينة النفوس وكفها عن المنازعة وترك
التشبث بالقلوب واذا اطمانت النفوس واستقرت عن طيشها ونفورها وشرها
توفر عليها حقوقها وربما تصير من حقوقها حظوظها لان في ادا الحق اقتناعا وفي

اخذ الحظ انشا علو وهذا من دقيق علم الصوفية فانهم يتسعون بالنكاح المباح
ايضا لا الي النفس حظوظها لانها ما زالت تخالف هواها حتي صار دابها دوا
وصارت الشهوات المباحة واللذات المشروعة لا تضرها ولا تفتر عليها عزائمها وانفساحا
بل كلما وصلت النفوس الزكية الي حظوظها ازداد القلب انشراحا وتصير بين القلب
والنفس موافقة يعطف احدهما علي الاخر ويزداد كل واحد منهما بما يدخل علي
الاخر من الحظ كلما اخذ القلب حظه من الله خلع علي النفس خلع الطمانينة فيكون
مزيد السكينة للقلب مزيد الطمانينة للنفس وينشد
ان السما اذا اكتست كست الثري حللا تدبجها الغمام الراهم
وكلما اخذت النفس حظها تروح القلب بروح الجار المشفق براحة الجار سمعت
بعض الفقرا يقول النفس تقول للقلب كن معي في الطعام اكن معك في الصلوة وهذا
من الاحوال العزيزة لا يصلح الا لعالم رباني وكم من مدع يهلك بتوهم هذا في
نفسه ومثل هذا العبد يزداد بالنكاح ولا ينقص والعبد اذا كمل علمه ياخذ
من الاشيا ولا تاخذ الاشيا منه وقد كان الجنيد يقول انا احتاج الي الزوجة
كما احتاج الي الطعام وسمع بعض العلما بعض الناس يطعن في الصوفية فقال
يا هذا ما الذي ينقصهم عندك فقال ياكلون كثيرا قال فانت ايضا لو جعت
كما يجوعون اكلت كما ياكلون قال ويتزوجون كثيرا فقال وانت ايضا لو حفظت
فرجك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون قال واي شي ايضا قال يسمعون القول
قال وانت ايضا لو نظرت كما ينظرون سمعت كما يسمعون وكان سفين بن عيينة
يقول كثرة النسا ليس من الدنيا لان عليا رضي الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله
وكان له اربعة نسوة وسبع عشرة سرية وكان ابن عباس يقول خير هذه الامة
اكثرها نسا وقد ذكر في اخبار الانبيا ان عابدا تبتل للعبادة حتي فاق اهل زمانه

فذكر للنبي ذلك الزمان فقال نعم الرجل لولا انه تارك لشي من السنة فنمي ذلك
الي العابد فاهمه فقال ما ينفعني من عبادتي وانا تارك السنة فجا الي النبي
فساله فقال نعم انك تارك التزويج فقال ما تركته اني احرمه وما منعني منه الا
اني فقير لا شي لي وانا عيال علي الناس يطعمني هذا مرة وهذا مرة فكرهت
ان اتزوج بامراة اعضلها وارهقها جهدا فقال النبي ما يمنعك الا هذا قال نعم فقال
انا ازوجك ابنتي فزوجه ابنته وكان عبد الله بن مسعود يقول لو لم يبق من عمري
الا عشرة ايام احببت ان اتزوج ولا القي الله عزبا وما ذكر الله تعالي في القران
من الانبيا الا المتاهلين وقيل ان يحيي بن زكريا تزوج لاجل السنة ولم يكن يقربها
وقيل ان عيسي يتزوج اذا نزل الي الارض ويولد له وقيل ان ركعة من متاهل خير
من سبعين ركعة من عزب اخبرنا الشيخ طاهر بن ابي الفضل قال انا ابو منصور
محمد بن الحسين بن الهيثم احمد بن المقومي القزويني قال انا ابو طلحة القاسم بن ابي
المنذر الخطيب قال انا ابو الحسن علي بن ابرهيم بن سلمة القطان قال انا ابو عبد
الله محمد بن يزيد بن ماجة قال نا احمد بن الازهر قال نا ادم قال نا عيسي ابن
ميمون عن القسم عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
النكاح سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني وتزوجوا فاني مكاثر بكم الامم ومن كان
ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصيام فان الصوم له وجا ومما ينبغي للمتاهل ان
يحذر الافراط في المخالطة والمعاشرة مع الزوجة الي حد ينقطع عن اوراده
وسياسة اوقاته فان الافراط في ذلك يقوي النفس وجنودها ويفتر ناهض
الهمة وللمتاهل بسبب زوجته فتنتان فتنة لعموم حاله وفتنة لخصوص
حاله ففتنة عموم حاله الافراط في الاهتمام باسباب المعيشة كان الحسن يقول
والله ما اصبح اليوم رجل يطيع امراته فيما تهوي الا اكبه الله علي وجهه في النار

وفي الخبر ياتي علي الناس زمان يكون هلاك الرجل علي يد زوجته وابويه وولده يعيروه
بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك وروي
ان قوما دخلوا علي يونس النبي عليه السلام فاضافهم وكان يدخل ويخرج الي منزله
موذيه امراته وتستطيل عليه وهو ساكت فعجبوا من ذلك وهابوه ان يسالوه
فقال لا تعجبوا من هذا فاني سالت الله تعالي فقلت يا رب ما كنت معاقبي في الاخرة
فعجله في الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تزوج بها فتزوجت بها وانا صابر علي
ما ترون فاذا افرط الفقير في المداراة فربما تعدي حد الاعتدال في وجوه المعيشة
متطلبا رضا الزوجة فهذا فتنة عموم حاله وفتنة خصوص حاله الافراط في
المجالسة والمخالطة فتنطلق النفس عن قيد الاعتدال وتسترق العرض بطول
الاسترسال فتستولي علي القلب بسبب ذلك السهو والغفلة وتستحلي مفارق المهلة
فيقل الوارد لقلة الاوراد ويتكدر الحال لاهمال شروط الاعمال والطف من هذين
القسمين فتنة اخري تختص باهل القرب والحضور وذلك ان للنفوس امتزاجا وبما نظم
الامتزاج يعتضد وتشتد وتنظر في طبيعتها الجامدة وتلتهب نارها الخامدة وقد
هذه الفتنة ان يكون للمتاهل عند المجالسة عيان باطنا ينظر بها الي مولاه وعيان
ظاهران يستعملها في طريق هواه وقد قال ترابعة في هذا نظما
اني جعلتك في الفواد محدثي واحب جسمي من اراد جلوسي
فالجسم مني للجليس موانس وحبيب قلبي في الفواد انيسي
والطف من هذا فتنة اخري يجتناها المتاهل وهو ان يصير للروح استرواحا الي
لطف الجمال ويكون ذلك الاسترواح موقوفا علي الروح ويصير ذلك ولحبه في حب
الروح المخصوص بالتعلق بالحضرة الالهية فيتبلد الروح وينسد باب المريد من
الفتوح وهذه البلاده في الروح يعز الشعور بها فليحذر ومن هذا القبيل دخلت الفتنة

عي

٧٧
علي طايفة قالوا بالشاهد واذا كان في باب الحلال ولحبه في الحب تتولد منها بلاده
الروح في حامل القيام بوظايف حب الحضرة الالهية فما ظنك فيمن يدعي ذلك في باب
غير مشروع ثم تعزه سكون النفس فيظن انه لو كان من قبل الهوي ما سكنت النفس
والنفس لا تسكن في ذلك دايما بل تسلب من الروح ذلك العضو وتاخذه اليها علي اني
استبحثت عما يبتلي به المفتونون بالشاهد فوجدت ان المحتمي من ذلك من صورة
الفسق عنده رغوة شراب الشهوة لو ذهب الشراب ما بقيت الرغوة فليحذر ذلك جدا
ولا يسمع ممن يدعي فيه حالا وصحة فانه كذاب مدعي ولهذا قال الاطبا الجماع
يسكن هيجان العشق وان كان مع غير المعشوق ليعلم ان منشاه الشهوة ويكذب
من يدعي فيها حالا وهذا من المتاهل وفتنة الاعزب مرور النساء بخاطره وتصورهم
في متخيله ومن اعطي الطهارة في باطنه لا يدنس باطنه بخواطر الشهوة واذا سمح
الخاطر بمحو بحسن الانابة والياذ بالهرب منه ومتي سامر الفكر كثف الخاطر وخرج
من القلب الي الصدر وعند ذلك يتحرك احساس العضو بالخاطر فيصير ذلك عملا خفيا
وما اقبح مثل هذا بالصادق المتطلع الي الحضور واليقظة فيكون ذلك فاحشة
الحال وقد قيل مرور الفاحشة بقلب العارف كفعل الفاعلين لها الباب
الثاني والعشرون في القول في السماع قبولا وايثارا قال الله سبحانه وتعالي
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك
هم اولوا الالباب قيل احسنه اي اهداه وارشده وقال الله تعالي واذا سمعوا ما
انزل الي الرسول تري اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق هذا السماع هو السماع
الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من اهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية واللب
وهذا سماع ترد حرارته علي برد اليقين فتفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا
والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يثير ندما والندم حار فاذا

اثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوءٍ ببرد اليقين ابكى وادمع لان الحرارة
والبرودة اذا اصطدما عصرا ما فاذا الم السماع بالقلب تارة يخف المآءمة فيظهر
اثره في الجسد فيقشعر منه الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين
يخشون ربهم وتارة يعظم وقعه وينصوب اثره الى فوق نحو الدماغ كالمخبر
للعقل بعظم وقع المتجدد الحادث فتدفق منه العين بالدمع وتارة ينصوب
اثره الى الروح فيموج منه موجا يكاد يضيق عنه نطاق القالب فيكون من
ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها احوال يجدها اربابها من اصحاب الحال
وقد يحكيها بدلا بل هوى النفس ارباب المحال روي ان عمر ربما مر بالاية في ورده
فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت يوما او يومين حتى يعاد ويحسب مريضا
فالسماع يستجلب الرحمة من الله الكريم روى زيد بن اسلم قال قرا ابي بن كعب
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتنموا
الدعا عند الرقة فانها رحمة وروت ام كلثوم قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه الذنوب كما يتحات عن
الشجرة اليابسة ورقها وورد ايضا اذا اقشعر الجلد من خشية الله حرمه
الله على النار وهذه جملة لا تنكر ولا اختلاف فيها انما الاختلاف في سماع الاشعار
بالالحان وقد كثرت الاقوال في ذلك وتباينت الاحوال فمن منكر يلحقه بالفسق
ومن مولع به يشهد بانه واضح الحق ويتجاذبان في طرفي الافراط والتفريط قيل
لابي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون
يسمعون فقال كيف انكر السماع وقد اجازه وسمعه من هو خير مني وقد كان جعفر
الطيار يسمع وانما المنكر اللهو واللعب في السماع وهذا قول صحيح اخبرنا الشيخ
طاهر بن ابي الفضل عن ابيه الحافظ المقدسي قال انا ابو القسم الحسين بن

محمد

محمد بن الحسن الخوافي قال انا ابو محمد عبد الله بن يوسف قال نا ابو بكر بن ثابت
قال حدثنا عمر بن الخطاب قال نا الاوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي
الله عنها ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريتان تغنيان وتضربان بدفين ورسول
الله صلى الله عليه وسلم مسجى بثوبه فانتهرهما فكشف رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد وقالت عائشة رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وانا انظر الى الحبشة يلعبون في المسجد
حتى اكون انا اسأم وقد حكى الشيخ ابو طالب المكي رحمه الله ما يدل على تجويزه ونقل
عن كثير من السلف صحابي وتابعي وغيرهم وقول الشيخ ابو طالب المكي يخبر لوفور
علمه وكمال حاله وعلمه باحوال السلف ومكان ورعه وتقواه وتحريه الاصوب
والاولى وقال في السماع حرام وحلال وشبهة فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة
وهوى فهو حرام ومن سمعه بمعقوله على صفة مباح من جارية او زوجة كان
شبهة لدخول اللهو فيه ومن سمعه بقلب يشاهد معان تدله على الدليل وتشهده
طرقات الجليل فهو مباح هذا قول الشيخ ابي طالب المكي وهو الصحيح فاذا لا يطلق
القول بمنعه وتحريمه والانكار على من يسمع كفعل القرا المتزهدين البالغين
في الانكار ولا نفسح فيه على الاطلاق كفعل بعض المستهترين به المهملين شروطه
وادابه المقيمين على الاصرار ونفصل الامر فيه تفصيلا ونوضح الماهية فيه تحريما
وتحليلا فاما الدف والشبابة وان كان في مذهب الشافعي فيهما فسحة فالاولى
تركهما والاخذ بالاحوط والخروج من الخلاف واما غير ذلك فان كان من القصايد
في ذكر الجنة والنار والتشويق الى دار القرار ووصف نعم الملك الجبار وذكر العبادات
والترغيب في الخيرات فلا سبيل الى الانكار ومن ذلك القبيل قصايد الغزاة والحجاج
في وصف الحاج والغزو ومما يثير كامن العزم من الغازي وساكن الشوق من الحاج

واما ما كان فيه من ذكر الخدود والقدود ووصف النسا فلا يليق باهل الديانات
الاجتماع لمثل ذلك واما ما كان من ذكر الهجر والوصل والقطيعة والصد مما يقدر
حمله على امور الحق سبحانه من تلوّن احوال المريدين ودخول الآفات على الطالبين
فمن سمع ذلك وحدث عنده ندم على ما فات او تجدد عنده عزم لما هو آت فكيف
ينكر سماعه وقد قيل ان بعض الواجدين كان يعتاد السماع ويتقوى به على الطي
والوصال ويثير عنده من الشوق ما يذهب عنه لهب الجوع فاذا استمع العبد الى
بيت من الشعر وقلبه حاضر فيه وسمع الحادي يقول مثلا شعر فاما من هوى
ليلى وحتى زيارتها فاني لا اتوب وطاب قلبه لما يحدث من قوة عزمه على
الثبات في امر الحق الى الممات يكون سماعه هذا ذكرا لله تعالى قال بعض اصحابنا
كنا نعرف مواجيد اصحابنا في ثلثة اشيا عند المسائل وعند الغضب وعند السماع
وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلثة مواضع عند الاكل لانهم
ياكلون عن فاقة وعند المذاكرة لانهم يتحاورون في مقامات الصديقين واحوال يتحاورون
النبيين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وسئل رويم عن
وجود الصوفية عند السماع فقال يشهدون المعاني التي تعزب عن غيرهم فيشير
اليهم الي الي فيتنعمون بذلك من الفرح ويرتفع الحجاب للوقت فيعود ذلك الفرح بكا
فمنهم من يخرق ثيابه ومنهم من يبكي ومنهم من يصيح اخبرنا ابو زرعة اجازة
عن ابن خلف اجازة عن السلمي قال سمعت ابا سهل محمد بن سليمان يقول المستمع
بين استتار وتجلي فالاستتار يورث التلهب والتجلي يورث المزيد فالاستتار
يتولد منه حركات المريدين وهو محل الضعف والعجز والتجلي يتولد منه السكون
للواصلين وهو محل الاستقامة والتمكين وكذلك محل الحضرة ليس فيه الا الذبول
تحت موارد الهيبة قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي سمعت جدي يقول المستمع

ينبغي

بلغت

ينبغي ان يسمع بقلب حي ونفس ميتة ومن كان قلبه ميتا ونفسه حية لا يحل له
السماع وقيل في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشا الصوت الحسن وقال عليه الصلوة
والسلام لله اشد اذنا بالرجل الحسن الصوت بالقران من صاحب قينة الى قينته
نقل عن الجنيد قال رايت ابليس في النوم فقلت له هل تظفر من اصحابنا بشي او تنال
منهم شيئا فقال انه يعسر علي شانهم ويعظم علي ان اصيب منهم شيئا الا في وقتين
قلت اي وقت قال وقت السماع وعند النظر فاني استرق منهم فيه وادخل عليهم
به قال فحكيته رويا لبعض المشايخ فقال لو رايته قلت له يا احمق من سمع منه اذا
سمع ونظر اليه اذا نظر اترى انت عليه شيئا او تظفر منه بشي فقلت صدقت
وروت عايشة رضوان الله عليها قالت كان عندي جارية تسمعني فدخل علي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهي على حالتها ثم دخل عمر ففرت فضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه ما يضحكك يا رسول الله فحدثه حديث الجارية
فقال لا ابرح حتى اسمع ما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرها رسول الله فاسمعته
وذكر الشيخ ابو طالب المكي قال كان لعطا جاريتان تلحنان وكان اخوانه يستمعون
اليهما وقال ادركنا ابا مروان القاضي له جوار يسمعن التلحين اعدهن للصوفية وهذا
القول نقلته من قول الشيخ ابي طالب وعندي اجتناب ذلك هو الصواب وهذا
لا يسلم الا بشرط طهارة القلب وغض البصر والوفا بشرط قوله تعالى يعلم خاينة
الاعين وما تخفي الصدور وما هذا القول من الشيخ ابي طالب المكي الا مستوعب عجيب
والتنزه عن مثل ذلك هو الصحيح وفي الحديث في مدح داود انه كان حسن الصوت عليه السلا
بالنياحة على نفسه وتلاوة الزبور حتى كان يجتمع الجن والانس والطير لسماع صوته
وكان يحمل من مجلسه الالوف من الجنايز وقال عليه الصلوة والسلام في مدح ابي
موسى الاشعري لقد اعطي مزمارا من مزامير آل داود وروي عن رسول الله صلى

ان
الله عليه وسلم انه قال من الشعر لحكمة و دخل رجل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعنده قوم يقرؤن القران وقوم ينشدون الشعر فقال يا رسول الله قران
وشعر فقال من هذا مرة ومن هذا مرة وانشد النابغة عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابياته التي فيها ۝ ولا خير في حلم اذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
۝ ولا خير في امر اذا لم يكن له حليم اذا ما اورد الامر اصدرا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احسنت يا ابا ليلى لا نفض الله فاك فعاش نقص الكسر
اكثر من مائة سنة وكان احسن الناس ثغرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يضع لحسان منبرا في المسجد فيقوم على المنبر قائما يهجو الذين كانوا يهجون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول النبي عليه الصلوة والسلام ان روح القدس
مع حسان ما دام ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وراى بعض الصالحين ابا
العباس الخضر قال قلت ما تقول في السماع الذي يختلف فيه اصحابنا فقال هو الصفا
الزلال لا يثبت عليه الا اقدام العلماء ونقل عن ممشاد الدينوري قال رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا
فقال ما انكر ولكن قل لهم يفتتحون قبله بقراءة القران ويختمون بعده بالقران
فقلت يا رسول الله انهم يؤذونني وينبسطون فقال احتملهم يا ابا علي هم اصحابك
فكان ممشاد يفتخر ويقول كناني رسول الله صلى الله عليه وسلم واما وجه الانكار
فيه هو ان يرى جماعة من المريدين دخلوا في مبادي الارادة ونفوسهم ما تمرنت
على صدق المجاهدة حتى يحدث عندهم علم بظهور صفات النفس واحوال القلب
حتى ينضبط حركاتهم يتفانون العلم ويعلمون ما لهم وعليهم حكي ان ذو النون لما دخل ماذا لم
بغداد دخل عليه جماعة ومعهم قوال فاستاذنوه ان يقول شيئا فانشد القوال
صغير هواك عذبني فكيف به اذا احتنكا ۝ وانت جمعت في قلبي هوى قد كان مشتركا

اما

80 اما ترى المكتئب اذا ضحك الخلي بكا ۝ فطاب قلبه وقام وتواجد وسقط على
جبهته والدم يقطر من جبهته ولا يقع على الارض ثم قام واحد منهم فنظر
اليه ذو النون فقال الذي يراك حين تقوم فجلس الرجل فكان جلوسه لموضع صدقه
وعلمه انه غير كامل الحال الصالح للقيام متواجدا فيقوم احدهم عن غير بصيرة
وعلم في قيامه وذلك اذا سمع ايقاعا موزونا يسمع فيؤدي ما يسمعه الى
طبع موزون فيتحرك بالطبع الموزون للصوت الموزون والايقاع الموزون
ويسبل حجاب نفسه المنبسط بانبساط الطبع الموزون على وجه القلب
ويستفزه النشاط المنبعث من الطبع فيقوم يرقص موزونا ممزوجا تصنع
محرم عند اهل الحق ويحسب ذلك طيبة للقلب وما راى وجه القلب وطيبته
بالله تعالى ولعمري هو طيبة القلب ولكن قلب ملون بلون النفس ميالا الى الهوى
موافق للردي لا يهتدي الى حسن النية في الحركات ولا يعرف شروط صحة الارادة
ولمثل هذا الراقص قيل الرقص نقص لانه رقص مصدره الطبع غير مقترن
بنية صالحة لا سيما اذا انضاف الى ذلك يشوب حركاته بصريح النفاق بالتودد
والتقرب الى بعض الحاضرين من غير نية بل بدلالة نشاط النفس من المعانقة
وتقبيل اليد والقدم وغير ذلك من الحركات التي لا يعتمدها من المتصوفة الا
من ليس له من التصوف الا مجرد زي وصورة او يكون القوال امرد تنجذب
النفوس الى النظر اليه ويستلذ ذلك ويضمر خواطر السوء ويكون للنساء اشراف
على الجمع وتراسل البواطن المملوة من الهوى بسفارة الحركات والرقص واظهار
التواجد فيكون ذلك عين الفسق المجمع على تحريمه واهل المواجيد حينئذ ازجى
حالا ممن يكون هذا صنيعه وحركاته لانهم يرون فسقهم وهذا لا يراه ويريه عبادة
لمن لا يعلم ذلك فترى احدا من اهل الديانات يرضى بهذا ولا ينكره فمن هذا الوجه

توجه للمنكر الانكار وكان حقيقا بالاعتذار فكم من حركات موجبة للمقت
وكم من نهضات تذهب رونق الوقت فيكون انكار المنكر على المريد الطالب
بمنعه عن مثل هذه الحركة وتحذيره مثل هذه المجالسة وهذا انكار صحيح وقد
يرقص بعض الصالحين بايقاع ووزن من غير ظهور وجد وحال ووجه
نيته في ذلك انه ربما يوافق بعض الفقراء في الحركة فيتحرك بحركة موزونة غير
مدعي بها حالا ووجدا فيجعل حركته في طرف الباطل لانها وان لم تكن محرمة في
حكم الشرع ولكنها غير محللة بحكم الحال لما فيها من اللهو فتصير حركاته ورقصه
من قبيل المباحات التي يجري عليها من الضحك والمداعبة وملاعبة الاهل والاولاد
ويدخل ذلك في باب الترويح للقلب وربما صار ذلك عبادة بحسن النية اذا نوى
به استجمام النفس كما نقل عن ابي الدرداء انه قال اني لاستجم نفسي بشي من الباطل
ليكون ذلك عونا على الحق ولموضع الترويح كرهت الصلوة في اوقات ليستريح عمال الله
ويرتفق النفوس ببعض مآربها من ترك العمل وتستطيب اعطان المهل والادمي بتركيبه
المختلف وترتيب خلقته المتنوع بتنوع اصول خلقته وقد سبق شرحه في غير هذا الباب
لا تفي قواه للصبر على الحق الصرف فيكون النفس في امثال ما ذكرنا من المباح الذي يرجع
الى لهو ما باطلا يستعان به على الحقوق فان المباح وان لم يكن باطلا في صيغة الشرع
لان حد المباح ما استوى طرفاه واعتدل جانباه ولكنه باطل بالنسبة الى الاحوال
ورايت في بعض كلام سهل بن عبد الله يقول في وصف الصادق يكون جهله مزيدا
لعلمه وباطله مزيدا لحقه ودنياه مزيدا لاخرته وبهذا المعنى حبب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم النساء ليكون ذلك حظ نفسه الشريفة الموهوب لها حظوظها الموفر
عليها حقوقها لموضع طهارتها وقدسها فيكون ما هو نصيب للباطل الصرف في حق الغير
من المباحات المقبولة برخصة الشرع المردودة بعزيمة الحال في حقه صلوات الله

وسلامه

وسلامه عليه متسما بسمة العبادات وقد ورد في فضيلة النكاح ما يدل على
انه عبادة ومن ذلك من طريق القياس اشتماله على المصالح الدينية والدنياوية
علي ما اطنب في شرحه الفقهاء في مسئلة التخلي لنوافل العبادات فاذا يخرج هذا الرقص
بهذه النية المتبري عن دعوى الحال في ذلك من انكار المنكر ويكون رقصه لا
عليه ولا له وربما كان بحسن النية في الترويح يصير عبادة سيما ان اضمر في
نفسه فرحا بربه ونظرا الى شمول رحمته وعطفه ولكن لا يليق الرقص بالشيوخ
ومن يقتدى به لما فيه من مشابهة اللهو واللهو لا يليق بمنصبهم ويباين حال
المتمكن مثل ذلك واما وجه منع الانكار في السماع هو ان المنكر للسماع على الاطلاق
من غير تفصيل لا يخلو من احد امور ثلثة اما جاهل بالسنن والاثار واما مغتر
بما اتيح له من اعمال الاخيار واما جامد الطبع لا ذوق له فيصر على الانكار وكل
واحد من هؤلاء الثلثة نقابله بما سوف نقول اما الجاهل بالسنن والاثار نعرفه ما نقلناه
اسلفناه من حديث عائشة والاخبار والاثار الواردة في ذلك وفي حركة بعض
المحزونين بعرف رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم للحبشة في الرقص ونظر
عائشة رضي الله عنها اليهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اذا سلمت الحركة
من المكاره التي ذكرناها وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي
انت مني وانا منك فحجل وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل وقال لزيد انت
اخونا ومولانا فحجل وكان حجل جعفر في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي وجعفر
وزيد واما المنكر المغرور بما اتيح له من اعمال الاخيار يقال له تقربك الى الله بالعبادة
يشغل جوارحك بها ولولا نية قلبك ما كان لعمل جوارحك قدر فانما الاعمال
بالنيات ولكل امرئ ما نوى والنية لنظرك الى ربك خوفا او رجاء فالسامع من
الشعر بيتا يأخذ منه معنى يذكره ربه اما فرحا او خوفا او انكسارا او افتقارا

كيف يتقلب قلبه في انواع ذلك ذاكرًا لربه ولو سمع صوت طاير طاب له ذلك الصوت
وتفكر في قدرة الله تعالى في تسوية حنجرة الطاير وتحسين حلقه ومنشأ
الصوت وتاديته الى الاسماع كان في جميع ذلك الفكر مسبحا مقدسًا فاذا سمع صوت
ذلك وحضر مثل ذلك الفكر وامتلا باطنه ذكرا وفكرًا كيف ينكر ذلك حكي عن
بعض الصالحين قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرايت يوما طايفه يقولون
الشعر فانكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله تعالى يقولون الشعر فرايت
النبي صلى الله عليه وسلم في المنام تلك الليله وهو جالس في تلك الناحيه والى جنبه
ابو بكر رضي الله عنه واذا ابو بكر يقول شيا من القول والنبي صلى الله عليه وسلم
يسمع اليه ويضع يديه على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي
ان انكر على اولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع وابو بكر
الى جنبه يقول فالتفت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول هذا حق بحق
او حق من حق بلى اذا كان ذلك الصوت من امرد يخشى بالنظر اليه الفتنة او من
امراة غير محرم وان وجد من الاذكار والافكار ما ذكرنا يحرم سماعه لخوف الفتنه
لا لمجرد الصوت ولكن يجعل سماع الصوت حريم الفتنة ولكل حرام حريم ينسحب عليه
حكم المنع لوجه المصلحه كالقبله للشاب الصايم حيث جعلت حريم حرام الوقاع وكالخلوة
بالاجنبية وغير ذلك وعلى هذا قد تقتضي المصلحة المنع من السماع اذا علم حال السامع
وما يوديه اليه سماعه فيجعل المنع حريم الحرام هكذا او قد ينكر السماع جامد الطبع
عديم الذوق فيقال له العنين لا يعلم لذة الوقاع والمكفوف لا يبرله بالجمال البارع
استمتاع وغير المصاب لا يتكلم بالاسترجاع فماذا ينكر من محب يرتقي باطنه بالشوق
والمحبة ويرى انحباس روحه الطياره في مضيق قفص النفس الامارة فمتى برح
نسيم انس الاوطان ويلوح له طوالع جنود العرفان وهو بوجود النفس في دار الغربه

يجرع كاس الهجران بان تحت عبا الاعمال لا يقرب من كعبة الوصال ولا يكشف
له المسبل من الجمال فيستروح بتنفس الصعدا او يرتاح بالالاح من شدة البرحا
ويقول مخاطبا للنفس والشيطان وهما المانعان ٥ ايا جبلي نعمان بالله خليا نسيم
الصبا يخلص الي نسيمها ٥ فان الصبا ريح اذا ما تنسمت على قلب محزون تجلت همومها ٥
اجد بردها او تشف مني حرارة على كبد لم يبق الا صميمها ٥ ولعل المنكر يقول هل
المحبة الا امتثال الامر وهل يعرف غير هذا وهل هناك الا الخوف من الله وينكر المحبة
الخاصة التي تختص بالعلما الراسخين والابدال المقربين ولما تفرد في فهم القاصر
ان المحبة تستدعي مثالا وخيالا واجناسا واشكالا ينكر محبة القوم ولا يعلم
ان القوم قد بلغوا في رتبة الايمان الى تم من المحسوس وجاد وامن فرط الكشف والعيان
بالارواح والنفوس روي ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر غلاما
كان في بني اسرايل على جبل فقال لامه من خلق السما قالت الله قال من خلق الارض
قالت الله قال من خلق الجبال قالت الله قال من خلق الغيم قالت الله فقال اني اسمع
لله شانا ورمى بنفسه من الجبل فتقطع فالجمال الازلي الالهي منكشف للارواح غير
مكيف للعقل مفسر للفهم لان العقل موكل بعالم الشهادة لا يهتدي من الله سبحانه الا
الى مجرد الوجود ولا يتطرق له الى حريم الشهود المتجلي في طي الغيب المنكشف للارواح
بلا ريب وهذه الرتبة من مطالعة الجمال رتبة خاصة واعم منها من رتب
المحبة للخاصة دون العامة جمال الكمال من الكبريا والجلال والاستقلال بالمنح
والنوال والصفات المنقسمة الى ما ظهر منها في الاباد ولازمت الذات في الازال
فللكمال جمال لا يدرك بالحواس ولا ينضبط بالقياس وفي مطالعة ذلك الجمال طايفة
من المحبين خصوا بتجلي الصفات ولهم بحسب ذلك ذوق وشوق ووجد وسماع
والاولون منحوا قسطا من تجلي الذات وكان وجدهم على قدر الوجود وسماعهم على

حد الشهود حكي بعض المشايخ قال رأينا جماعة ممن يمشي على الما والهوا يسمعون
السماع ويجدون به ويولهون عنده وقال بعضهم كنا على الساحل فسمع بعض اخواننا
فجعل ينقلب على الما يمر ويجي حتى رجع الى مكانه ونقل ان بعضهم كان ينقلب
على النار عند السماع ولا يحس بها ونقل ان بعض الصوفية ظهر منه وجد عند
السماع فاخذ شمعة فجعلها في عينه قال الناقل فقربت من عينه وانا انظر فرايت
نارًا ونورا يخرج من عينيه يرد نار الشمعة وحكي عن بعضهم انه كان اذا وجد
عند السماع ارتفع من الارض في الهوا اذرعا يمر ويجي فيه ويقول الشيخ ابو طالب
المكي في كتابه ان انكرنا السماع مجملا مطلقا غير مقيد مفصل يكون انكارنا على سبعين
صديقا وان كنا نعلم ان الانكار اقرب الى قلوب القرا والمتعبدين الا انا لا نفعل ذلك
لانا نعلم ما لا يعلمون وسمعنا عن السلف من الاصحاب والتابعين ما لا يسمعون وهذا
قول الشيخ عن علمه الوافر بالسنن والاثار مع اجتهاده وتحريه الصواب ولكن
نبسط لاهل الانكار لسان الاعتذار ونوضح لهم الفرق بين سماع وسماع وبين سماع ينكر
سمع الشبلي قائلا يقول أسائل عن سلمى فهل من مخبر يكون له علم بها اين تنزل
فزعق وقال لا والله ما في الدارين عنه مخبر وقيل الوجد سر صفات الباطن كما ان
الطاعة سر صفات الظاهر وصفات الظاهر الحركة والسكون وصفات الباطن
الاحوال والاخلاق وقال ابو نصر السراج اهل السماع على ثلث طبقات فقوم يرجعون
في سماعهم الى مخاطبات الحق لهم فيما يسمعون وقوم يرجعون فيما يسمعون الى
مخاطبة احوالهم ومقاماتهم واوقاتهم فهم مرتبطون بالعلم ومطالبون بالصدق
فيما يشيرون اليه من ذلك وقوم من الفقرا المجردون الذين قطعوا العلايق
ولم تتلوث قلوبهم بمحبة الدنيا والجمع والمنع فهم يسمعون بطيبة قلوبهم ويليق بهم
السماع فهم اقرب الناس الى السلامة واسلمهم من الفتنة وكل قلب ملوث بحب الدنيا

فسماعه

فسماعه سماع طبع وتكلف وسيل بعضهم عن التكلف في السماع فقال هو على ضربين
تكلف في المستمع لطلب جاه او منفعة دنياوية وذلك تلبيس وخيانة وتكلف
فيه لطلب الحقيقة كمن يطلب الوجد بالتواجد وهو بمنزلة الباكي المندوب اليه
وقول القايل ان هذه الهيئة من الاجتماع بدعة يقال له انما البدعة الحدوث الممنوع
عنها بدعة تزاحم سنة مامورة بها وما لم يكن هكذا فلا باس به وهذا كالقيام للداخل
اذ لم يكن وكان من عادة العرب ترك ذلك حتى نقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يدخل ولا يقام له وفي البلاد التي هذا القيام عادتهم اذا اعتمد ذلك لتطيب القلوب
والمداراة لا باس به لان تركه يوحش القلوب ويوغر الصدور فيكون ذلك من قبيل
العشرة وحسن الصحبة ويكون ذلك بدعة لا باس بها لانها لا تزاحم سنة مامورة

مطلب

الباب الثالث والعشرون في القول في السماع ردا وانكارا

قد ذكرنا
وجه صحة السماع وما يليق منه باهل الصدق وحيث كثرت الفتنة بطريقه وزالت
العصمة فيه وتصدى للحرص عليها اقوام قلت اعمالهم وانفسدت احوالهم واكثروا
الاجتماع للسماع وربما يتخذ للاجتماع طعام تطلب النفوس الاجتماع لذلك لا رغبة للقلوب
في السماع كما كان من سير الصادقين فيصير السماع معلولا تركن اليه النفوس
طلبا للشهوات واستحلاء لمواطن اللهو والغفلات وينقطع بذلك على المريد
طلب المزيد ويكون بطريقه تضييع الاوقات وقلة الحظ من العبادات ويكون
الرغبة في الاجتماع طلبا لتناول الشهوة واسترواحا الى الطرب واللهو والعشرة
ولا يخفى ان هذا الاجتماع مردود عند اهل الصدق فكان يقال لا يصح السماع الا
لعارف مكين ولا يصلح لمريد مبتدي وقال الجنيد اذا رايت المريد يطلب السماع
فاعلم ان فيه بقية للبطالة وقيل ان الجنيد ترك السماع فقيل له كنت تسمع فقال
مع من فقيل له تسمع انت لنفسك فقال ممن لانهم كانوا لا يسمعون الا من اهل مع اهل

فلما فقد الاخوان ترك فما احتاروا له السماع حيث اختاروه الا بشروط وقيود وآداب يذكرون به الاخرة ويرغبون به في الجنة ويحذرون من النار ويزداد به طلبهم ويحسن به احوالهم وينفق لهم ذلك اتفاقا في بعض الاحايين لا ان يجعلوه دابا وديدنا حتى يتركوا لاجله الاوراد وقد نقل عن الشافعي رحمه الله عليه انه قال في كتاب القضا الغنا لهو مكروه يشبه الباطل وقال من استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته واتفق اصحاب الشافعي ان المراة غير المحرم لا يجوز الاستماع اليها سوا كانت حرة او مملوكة او مكشوفة الوجه او من ورا حجاب ونقل عن الشافعي انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعه الزنادقة ليشتغلوا به عن القران وقال لا باس بالقراة بالالحان وتحسين الصوت بها باي وجه كان وعند مالك اذا اشترى جارية فوجدها مغنية فله ان يردها بالعيب وهو مذهب ساير اهل المدينة وهكذا مذهب ابي حنيفة سماع الغنا من الذنوب وما اباحه الا نفر قليل من الفقها ومن اباحه من الفقها ايضا لم ير اعلانه في المساجد والبقاع الشريفة وقيل في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال عبد الله بن مسعود هو الغنا والاستماع اليه وقيل قوله وانتم سامدون اي مغنون رواه عكرمة عن عبد الله بن عباس هو الغنا بلغة حمير تقول اهل اليمن سمد فلان اذا غنى وقوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك هو الغنا في قول مجاهد الغنا والمزامير وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان ابليس اول من ناح واول من تغنى وروى عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما نهيت عن صوتين فاجرين

صوت

84

صوت عند نغمة وصوت عند مصيبة وروي عن عثمان رضي الله عنه انه قال ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال الغنا ينبت النفاق في القلب وروي ان ابن عمر رضي الله عنهما مر على قوم محرمين وفيهم رجل يتغنى فقال الا لا اسمع الله لكم الا لا اسمع الله لكم وروي ايضا ان انسانا سال القسم بن محمد عن الغنا فقال انهاك عنه واكرهه لك قال احرام هو قال انظر يا ابن اخي اذا ميز الله الحق والباطل في ايهما يجعل الغنا وقال الفضيل بن عياض الغنا رقية الزنا وعن الضحاك الغنا مفسدة القلب مسخطة للرب قال بعضهم اياكم والغنا فانه يزيد الشهوة ويهدم المروة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر وهذا الذي ذكره هذا القايل صحيح لان الطبع الموزون يتفق بالغنا والاوزان ويستحسن صاحب الطبع عند السماع ما لم يكن يستحسنه من الفرقعة بالاصابع والتصفيق والرقص ويصدر منه افعال تدل على سخافة العقل وروي عن الحسن انه قال ليس الدف من سنة المسلمين والذي نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع الشعر لا يدل على اباحة الغنا فان الشعر كلام منظوم وغيره كلام منثور فحسنه حسن وقبيحه قبيح وانما يصير الغنا بالالحان وان انصف المنصف وتفكر في اجتماع اهل الزمان وقعود المغني بدفه والمشبب بشبابته وتصور في نفسه هل وقع مثل هذا الجلوس والهيئة بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل استحضروا قوالا وقعدوا مجتمعين لاستماعه لا شك بان ينكر ذلك من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ولو كان في ذلك فضيلة تطلب ما اهملوها فمن يشير بانه فضيلة تطلب ويجتمع لها لم يحظ بذوق معرفة احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين واستروح الى استحسان بعض المتاخرين ذلك وكثيرا ما يغلط الناس في هذا كلما احتج عليهم بالسلف الماضين يحتج بالمتاخرين وكان السلف اقرب الى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهديهم اشبه بهدي رسول الله وكثيرا من الفقرا يتسمعون عند قراة القران ابياتا
من غير غلبة قال عبد الله بن عروة بن الزبير قلت لجدتي اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما
كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القران قالت
كانوا كما وصفهم الله تعالى تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قلت ان اناسا اليوم اذا قرئ
عليهم القران خر احدهم مغشيا عليه قالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروي
ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مر برجل من اهل العراق يتساقط قال ما لهذا قالوا
انه اذا قرئ عليه القران وسمع ذكر الله تعالى سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط
ان الشيطان يدخل في جوف احدهم ما هكذا كان يصنع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ القران قال بيننا وبينهم ان يقعد واحد
منهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرا عليه القران من اوله الى اخره فان رمى بنفسه
فهو صادق وليس هذا القول انكارا منهم على الاطلاق اذ يتفق ذلك من البعض تصنعا
وربما يكون من البعض لقصور علم وتخامر جهل ممزوج بهوى يلم باحدهم يسير من
الوجد فيتبعه بزيادات يجهل ان ذلك يضر بدينه وقد لا يجهل ان ذلك من النفس
ولكن النفس تسترق السمع استراقا خفيا يخرج الواجد عن الحد الذي ينبغي ان يقف
عليه وهذا باب من الصدق نقل عن موسى عليه السلام انه وعظ قومه فشق رجل
منهم قميصه فقيل لموسى قل لصاحب القميص لا يشق قميصه وليشرح قلبه واما اذا انضاف
الى السماع ان يسمع من الامرد فقد توجهت الفتنة وتعين على اهل الديانات انكار ذلك
قال بقية بن الوليد كانوا يكرهون النظر الى الغلام الامرد الجميل وقال عطا كل نظر
يهواها القلب فلا خير فيها قال بعض التابعين ما انا اخوف على الشاب من السبع
الضاري اخوف عليه من الغلام الامرد يقعد اليه وقال بعض ائمتنا يعني ائمة اللوطية
على ثلثة اصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل فقد تعين

على

على طايفة الصوفية الاجتناب من مثل هذه الاجتماعات واتقا مواضع التهم فان
امر الصوفية صدق كله وجد كله يقول بعضهم التصوف كله جد فلا تخلطوه بشي
من الهزل فهذه الاثار دلت على اجتناب السماع واخذ الحذر منه والباب الاول مما
فيه دل على جوازه بشروطه وتنزيهه عن المكاره التي ذكرناها وقد فصلنا القول
وفرقنا بين القصايد والغنا وغير ذلك فكان جماعة من الصالحين لا يسمعون ومع ذلك
لا ينكرون على من يسمع بنية حسنة ويراعي الادب فيه الباب الرابع والعشرون
في القول في السماع ترفعا واستغنا اعلم ان الوجد يشعر بسابقة فقد فمن لم
يفقد لم يجد وانما كان الفقد لمزاحمة وجود العبد بوجود صفاته وبقاياه ومن محض
عبدا لمحض حرا ومن لم يمحض حرا افلت من شرك الوجد فبشرك الوجد يصطاد البقايا
ووجود البقايا لتخلف شي من العطايا قال الحصري رحمة الله عليه ما ادون حال
من يحتاج الى مزعج يزعجه فالوجد بالسماع في حق المحق كالوجد بالسماع في حق المبطل
من حيث النظر الى انزعاجه وتاثر الباطن به وظهور اثره على الظاهر وتغييره للعبد
من حال الى حال وانما يختلف الحال بين المحق والمبطل ان المبطل يجد لوجود هوى النفس
والمحق يجد لوجود ارادة القلب ولهذا قيل السماع لا يحدث في القلب شيا وانما يحرك ما
في القلب فمن تعلق باطنه بغير الله يحركه السماع فيجد بالهوى ومن تعلق باطنه بمحبة
الله يجد بالارادة ارادة القلب فالمبطل محجوب بحجاب النفس والمحق محجوب بحجاب القلب
وحجاب النفس حجاب ارضي ظلماني وحجاب القلب حجاب سماوي نوراني ومن لم يفقد بدوام
التحقق بالشهود ولا يتغير باذيال الوجود لا يجد ولا يسمع ومن هذه المطالعة قال
بعضهم انا ردم لا ينفذ في قول ومر ممشاد الدينوري بقوم فيهم قوال فلما راوه
اسكتوا فقال ارجعوا الى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في اذني ما شغل همي
ولا شفى بعض ما بي فالوجد صراخ الروح المبتلى بالنفس زيادة في حق المبطل وبالقلب تارة

في حق المحق فتثار الوجد الروح الروحاني في حق المحق والمبطل، ويكون الوجد تارة من
فهم المعاني يظهر، وتارة من مجرد النغمات والالحان، فما كان من قبيل المعاني يشارك
النفس الروح في السماع في حق المبطل ويشارك القلب الروح في حق المحق، وما كان
من قبيل مجرد النغمات تجرد الروح للسماع ولكن في حق المبطل تسترق النفس السمع وفي
حق المحق يسترق القلب السمع، ووجه استلذاذ الروح النغمات ان العالم الروحاني
مجمع الحسن والجمال، ووجود التناسب في الاكوان مستحسن قولا وفعلا، ووجود التناسب
في الهياكل والصور ميراث الروحانية، فمتى سمع الروح النغمات اللذيذة والالحان المتناسبة
تأثر به لوجود الجنسية، ثم يتقيد ذلك بالشرع لمصالح عالم الحكمة ورعاية الحدود للعبد
عين المصلحة عاجلا وآجلا، ووجه آخر انما يستلذ الروح النغمات لان النغمات لها نطق
النفس مع الروح بالايماء الخفي ورمز بين المتعاشقين وبين النفوس والارواح تعاشق
اصلي ينزع ذلك الى انوثة النفس وذكورة الروح والميل والتعاشق بين الذكر والانثى
بالطبيعة واقع، قال الله تعالى وخلق منها زوجها ليسكن اليها، وفي قوله سبحانه وتعالى
منها اشعار بتلازم وتلاصق موجب للائتلاف والتعاشق فالنغمات تستلذها الروح
لانها مناغاة بين المتعاشقين، وكما ان في عالم الحكمة كونت حوى من آدم في عالم
القدرة كونت النفس من الروح، فهذا التألف من هذا الاصل وذلك ان النفس روح
حيواني تجنس بالقرب من الروح الروحاني وتجنسه بان امتاز من ارواح جنس
الحيوان بشرف القرب من الروح الروحاني فصار نفسا، فاذا تكون النفس من الروح
الروحاني في عالم القدرة ككون حوى من آدم في عالم الحكمة، فهذا التألف والتعاشق
ونسبة الانوثة والذكورة من هاهنا ظهر، وبهذا الطريق تستطاب الروح النغمات
لانها مراسلات بين المتعاشقين ومكالمة بينهما وقد قال القائل ○ تكلم منا في الوجوه
عيوننا فنحن سكوت والهوى يتكلم ○ فاذا استلذ الروح النغمة وجدت النفس

المعلولة

المعلولة بالهوى وتحركت بما فيها بحدوث العارض ووجد القلب المعلول بالارادة
وتحرك بما فيه لوجود العارض في الروح شعر وللارض من كاس الكرام نصيب ○
فنفس المبطل ارض لسماء قلبه وقلب المحق ارض لسماء روحه، فالبالغ مبلغ الرجال
والمتوجه المتجرد من اعراض الاحوال الخالع نعلي النفس والقلب بالوادي المقدس وفي
مقعد صدق عند مليك مقتدر استغرق وغرس واحرق بنور العيان اجرام الالحان
ولم يصغ روحه الى مناغاة عاشقه لشغله بمطالعة آثار محبوبه والهائم المشتاق
لا يسعه كشف ظلامة العشاق ومن هذا حاله لا تحركه السماع راسا، واذا كانت
الالحان لا تلحق هذا الروح مع لطافة مناجاتها وخفي لطف مناغاتها كيف يلحقه السماع
بطريق فهم المعاني وهو اكثف فمن يضعف عن حمل لطيف الاشارات كيف يتحمل ثقل
اعباء العبارات، واقرب من هذا عبارة تقرب الى الافهام الوجد وارد يرد من الحق
سبحانه وتعالى ومن يرد الله لا يقنع بما عند الله، ومن صار في محل القرب متحققا
به لا يلهيه ولا يحركه ما من عند الله، فالوارد من عند الله مشعر ببعد والقرب واجد
لما يصنع بالوارد والوجد نار والقلب الواجد بربه نور والنور الطف من النار والكثيف
غير مسيطر على اللطيف، فما دام الرجل البالغ مستمرا على جادة استقامته غير
منحرف عن وجهه معهوده بنوازع وجوده لا يدركه الوجد بالسماع، فان دخل عليه
فتور او عاقه قصور بدخول الابتلاء عليه من المبتلي الممتحن يتألف من تعاريق صور
الابتلاء وجود يدركه الوجد لعود العبد عند الابتلاء الى حجاب القلب، فمن هو مع الحق
اذا نزل وقع على القلب ومن كان مع القلب اذا نزل وقع على النفس، سمعت بعض المشايخ
يحكي عن بعضهم انه وجد من السماع فقيل له اين حالك من هذا فقال الداخل علي داخل
اورد لي هذا المورد، قال بعض اصحاب سهل صحبت سهلا سنين ما رايته تغير عند
شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان في آخر عمره قرئ عنده فاليوم لا يؤخذ

منكم فدية ارتعد وكاد يسقط فسالته عن ذلك قال نعم لحقني ضعف وسمع من الملك
يومئذ الحق للرحمن اضطرب فسالته بن سالم وكان صاحبه قال قد ضعفت فقيل له
ان كان هذا من الضعف فما القوة قال القوة ان لا يرد عليه وارد الا يبتلعه بقوة
حاله فلا يغيره الوارد ومن هذا القبيل قول ابي بكر رضي الله عنه هكذا كنا حتى
قست القلوب لما راى الباكي يبكي عند قراة القران وقوله قست اي تصلبت وادمنت
سماع القران والفت انوارها فما استغربته حتى يتغيروا لواجد كالمستغرب ولهذا
قال بعضهم حالي قبل الصلوة كحالي في الصلوة اشارة منه الى استمرار حال الشهود فهكذا
في السماع كقبل السماع وقد قال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم
اتم من فضل الوجد وبلغنا عن الشيخ حماد انه كان يقول البكا من بقية الوجود
وكل هذا يقرب البعض من البعض في المعنى لمن عرف الاشارة ومنهم وهو عز بر
الفهم عزيز الوجود واعلم ان للباكين عند السماع مواجيد مختلفة فمنهم من يبكي خوفا
ومنهم من يبكي شوقا ومنهم من يبكي فرحا كما قال القايل شعر

طفح السرور علي حتى انني من عظم ما قد سرني ابكاني

قال ابو بكر الكتاني سماع العوام على متابعة الطبع وسماع المريدين رغبة ورهبة
وسماع الاوليا روية الالا والنعما وسماع العارفين على المشاهدة وسماع اهل الحقيقة
على الكشف والعيان ولكل واحد من هو لا مصدر ومقام وقال ايضا الموارد ترد فتصادف
شكلا او موافقة فاي وارد صادف شكلا مازجه واي وارد صادف موافقا ساكنه
وهذه كلها مواجيد اهل السماع وما ذكرناه حال من ارتفع عن السماع وهذا الاختلاف
ينزل على اختلاف اقسام البكا الذي ذكرناه من الخوف والشوق والفرح واعلاها بكا الفرح
بمثابة قادم يقدم على اهله بعد طول غربته فعند روية الاهل يبكي من قوة الفرح
وكثرته وفي البكا رتبة اخرى اعز من هذه يعز ذكرها ويكبر نشرها لقصور الافهام عن

ادراكها

87

ادراكها فربما يقابل ذكرها بالانكار وتحقى بالاستكبار ولكن يعرفها من وجدها ذوقا
ووصولا او فهمها نظرا ومثولا وهو بكا الوجدان غير بكا الفرح وحدوث ذلك في
بعض مواطن حق اليقين ومن حق اليقين في الدنيا المام ما تبين فوجد البكا في
بعض مواطنه لوجود تغاير وتباين بين المحدث والقديم فيكون البكا رشحا وهو
وصف الحدثان لوهج سطوة عظمة الرحمن ويقرب من ذلك مثلا في الشاهد قطر الغمام
يلاقي مختلف الاجرام وهذا اوان عز مشعر بقية تقدح في صرف الفنا فانه قد يتحقق
العبد في الفنا متجردا عن الاثار منغمسا في الانوار ثم يرقى منه الى مقام البقا ويرد
اليه الوجود مطهرا فيعود اليه اقسام البكا خوفا وشوقا وفرحا ووجدا تشاكله
صورها وتباينه حقيقتها يعرف لطيف ذلك من كان اربابه وعند ذلك يعود عليه من
السماع ايضا قسم وذلك القسم مقدور له مقهور معه ياخذه اذا اراد ويرده اذا اراد
ويكون هذا السماع من المتمكن بنفس اطمانت واستنارت وباينت طبعها واكتسبت
طمانينتها واكتسبها الروح معنى منه فيكون لها نوع تمتع للنفس كتمتعها بمباحات
اللذات والشهوات لان ياخذ السماع منها ويزيد بها او يظهر عليه منه اثر وتكون
النفس في ذلك بمثابة الطفل في حجر الوالد يفترحه في بعض اوقاته ببعض ما ربه ومن
هذا القبيل نقل ان ابا محمد الراشي كان يشغل اصحابه بالسماع ويعتزل عنهم ناحية
يصلي فقد تطرق النغمات مثل هذا المصلي وقد تدخل النفس منعمة بذلك فيزداد مورد
الروح من الانس صفا عند ذلك لبعد النفس عن الروح في تمتعها فانها مع طمانينتها
توصف من الاجنبية بوصف وحيلتها وفي بعدها توفر اقسام الروح من الفتوح ويكون
طروق الالحان سمعه في الصلوة غير محيلة بينه وبين حقيقة المناجاة وفهم تنزيل
الكلمات وتصل الاقسام الى محالها غير مزاحمة ولا مزاحمة وذلك كله لسعة شرح الصدر
بالايمان والله المحسن المنان ولهذا قيل السماع لقوم كالدوا ولقوم كالغذا ولقوم

كالمروحة ومن عود اقسام البكا ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي
اقرأ فقال اقرأ عليك وعليك انزل فقال احب ان اسمعه من غيري فافتتح سورة النسا
حتى بلغ قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا
فاذا عيناه تهملان وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل الحجر واستلمه
ثم وضع عليه شفتيه عليه طويلا يبكي وقال يا عمر ها هنا تسكب العبرات والتمكن
نعود اليه اقسام البكا وفي ذلك فضيلة ساله النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم
ارزقني عينين هطالتين ويكون البكا في الله ويكون لله ويكون بالله وهو لاتم
لعوده اليه بوجود مستانف موهوب له من الكريم المنان في مقام البقا

الباب الخامس والعشرون في القول في السماع تادبا واعتنا

ويتضمن هذا الباب
اداب السماع وحكم التخريق واشارات المشايخ في ذلك وما في ذلك من الماثور والمحدث
مبنى التصوف على الصدق في سائر الاحوال وهو جد كله لا ينبغي للصادق ان يتعمد
الحضور في مجمع يكون فيه سماع الا بعد ان يخلص النية لله تعالى ويتوقع به مزيدا
في ارادته وطلبه ويحذر من ميل النفس لشي من هواها ثم يتقدم الاستخارة للحضور
ويسال الله اذا عزم البركة فيه واذا حضر يلزم الصدق والوقار وسكون الاطراف
قال ابو بكر الكتاني المستمع يجب ان يكون في سماعه غير مستروح اليه يهيج منه
السماع وجدا او شوقا او غلبة او وارد عليه يفنيه عن كل حركة وسكون ويتقي الصادق
استدعا الوجد ويجتنب الحركة فيه مهما امكن سيما بحضرة الشيوخ حكي ان شابا
كان يصحب الجنيد وكلما سمع شيا زعق وتغير فقال له يوما ان ظهر منك شي بعد هذا
فلا تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه وربما كان من كل شعرة منه يقطر قطرة عرق
فلما كان يوما من الايام زعق زعقة وخرج روحه فليس من يصدق اظهار الوجد
من غير وجد نازل او ادعا الحال من غير حال حاصل وذلك عين النفاق قيل كان

النصراباذي كثير الولع بالسماع فعوتب في ذلك فقال نعم هو خير من ان نقعد ونغتاب
فقال له ابو عمرو بن نجيد وغيره من اخوانه هيهات يا ابا القاسم زلة في السماع شر من
كذا وكذا سنة نغتاب الناس وذلك ان زلة السماع اشارة الى الله تعالى وترويح
للحال بصريح المحال وفي ذلك ذنوب متعددة منها ان يكذب على الله انه وهب له شيا
وما وهب له والكذب على الله من اقبح الزلات ومنها ان يغتر بعض الحاضرين فيحسن
به الظن والاغترار خيانة قال عليه الصلوة والسلام من غشنا فليس منا ومنها انه
اذا كان مبطلا ويرى بعين الصلاح سوف يظهر منه بعد ذلك ما يفسد عقيدة المعتقد
فيه فيفسد عقيدته في غيره ممن يظن به الخير من امثاله فيكون متسببا الى
فساد العقيدة في اهل الصلاح ويدخل بذلك ضرر على الرجل الحسن الظن من فساد
عقيدته فينقطع عنه مدد الصالحين ويتشعب من هذا آفات كثيرة يقف عليها
من يبحث عنها ومنها انه يحوج الحاضرين الى موافقته في قيامه وقعوده فيكون
متكلفا مكلفا للناس بباطله ويكون في الجمع من يرى بنور الفراسة انه مبطل
ويحمل على نفسه الموافقة للجمع مداريا ويكثر شرح الذنوب في ذلك فليتق الله ربه
ولا يتحرك الا اذا صار حركته كحركة المرتعش الذي لا يجد سبيلا الى الامساك وكالعاطس
الذي لا يقدر ان يرد العطسة وتكون حركته بمثابة النفس الذي يتنفس يدعوه الى
النفس داعية الطبع قهرا قال السري رحمة الله عليه شرط الواجد في زعقته
ان يبلغ الى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يشعر فيه بوجع وقد يقع هذا في حق
بعض الواجدين نادرا وقد لا يبلغ الواجد هذه الرتبة من الغيبة ولكن زعقته تخرج
كالتنفس بنوع ارادة ممزوجة بالاضطرار وهذا الضبط من رعاية الحركات ورد
الزعقات في حق الشباب آكد فان ذلك يكون اتلاف المال وانفاق الحال وهكذا رمي
الخرقة الى الحادي لا ينبغي ان يفعل الا اذا حضرته نية يجتنب فيها التكلف والمرايا

واذا حسنت النية فلا باس بالقآ الخرقة الي الحادي وقد روي ان كعب بن زهير
دخل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم المسجد وانشده الابيات التي اولها
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ۝ حتي انتهي الي قوله فيها ۝ ان الرسول لسيف
يستضآ به مهند من سيوف الله مسلول ۝ فقال له رسول الله من انت فقال صلى الله عليه وسلم
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدًا رسول الله انا كعب بن زهير فرمي اليه رسول الله
صلي الله عليه وسلم بردة كانت عليه فلما كان زمن معاوية بعث الي كعب بن زهير
بعنا بردة رسول الله بعشرة الف درهم فوجه اليه ما كنت لا وثر بثوب رسول صلى الله عليه وسلم
الله صلي الله عليه وسلم احدًا فلما مات كعب بعث معاوية الي اولاده بعشرين الفا
واخذ البردة وهي البردة الباقية عند الامام الناصر لدين الله اليوم اعاد الله بركتها
علي ايامه الزاهرة وللمتصوفة آداب يتعاهدونها ورعايتها حسن الادب في الصحبة
والمعاشرة وكثير من السلف لم يكونوا يعتمدون ذلك ولكن كل شي استحسنوه
وتواطوا عليه ولا ينكره الشرع لا وجه للانكار فيه فمن ذلك ان احدهم اذا تحرك
في السماع ووقعت منه خرقة او نازلة وجد ورمي عمامته الي الحادي فالمستحسن
عندهم موافقة الحاضرين له في كشف الراس اذا كان ذلك من متقدم وشيخ وان
كان ذلك من الشبان في حضرة الشيوخ فليس علي الشيوخ موافقة الشبان في ذلك
وينسحب حكم الشيوخ علي بقية الحاضرين في ترك الموافقة للشاب فاذا سكتوا
عن السماع يرد الواجد الي خرقته ويتوا فق الحاضرين برفع العمامة ثم ردها الي
الروس في الحال والخرقة اذا رميت الي الحادي هي للحادي اذا قصد اعطاوها اياه
وان لم يقصد اعطآ الحادي فقال بعضهم هي للحادي لان المحرك هو ومنه صدر
الموجب لرميه الخرقة وقال بعضهم هي للجمع والحادي واحد منهم لان المحرك
قول الحادي مع بركة الجمع فان بركة الجمع في احداث الوجد لا يتقاصر عن قول

القايل فيكون الحادي واحدًا منهم في ذلك روي ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم يوم بدر قال من وقف بمكان كذا فله كذا ومن قتل فله كذا ومن اسر فله
كذا فتسارع الشبان واقام الشيوخ والوجوه عند الرايات فلما فتح الله علي
المسلمين طلبوا الشبان ان يجعل ذلك لهم فقال الشيوخ كنا ظهرًا لكم وردًا فلا تذهبوا
بالغنايم دوننا فانزل الله تعالي يسلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول
فقسم النبي صلي الله عليه وسلم بينهم بالسوية وقيل اذا كان القوال من القوم يجعل
كواحد منهم واذا لم يكن من القوم فما كان له قيمة يوثر به وما كان من خرق الفقرا
يقسم بينهم وقيل ان كان القوال اجيرًا فليس له منها شي وان كان متبرعًا يوثر
بذلك فكل هذا اذا لم يكن هناك شيخ يحكم فاذا كان هناك شيخ يهاب ويمتثل امره
فالشيخ يحكم في ذلك بما يري فقد تختلف الاحوال في ذلك وللشيخ اجتهاد فيفعل بما
يري فلا اعتراض لاحد عليه وان فداها بعض المحبين او بعض الحاضرين ورضي
القوال والقوم بما رضوا به وعاد كل واحد منهم الي خرقته فلا باس بذلك واذا
اصر واحد علي الايثار بما خرج منه ليسه له في ذلك يوثر بخرقته الحادي واما تمزيق
الخرقة المجروحة التي مزقها واحد صادق عن غلبة سلبت اختياره كغلبة النفس
فيمن تعمد امساكه فيلتهم في تفريقها وتمزيقها للتبرك بالخرقة ممنا انشر باثر ربا في
من حقها ان نفدي بالنفوس ونترك علي الروس اكرامًا واعزازًا شعر
تضوع ارواح نجد من ثيابهم يوم القدوم لقرب العهد بالدار ۝
كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يستقبل الغيث ويتبرك به ويقول حديث عهد
بربه فالخرقة الممزقة جديثة العهد فحكم المجروحة ان تفرق علي الحاضرين
وحكم ما يتبعها من الخرق الصحاح ان يحكم فيها الشيخ ان خصص لشي منها بعض
الفقرا فله ذلك وان خرقها خرقا فله ذلك ولا يقال ان هذا تفريط وسرف فان

الخرقة الصغير ينتفع بها في موضعها عند الحاجات كالكبيرة وروي عن امير المؤمنين
علي رضي الله عنه انه قال اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فارسل
بها الي فخرجت فيها فقال لي ما كنت لاكره لنفسي شيئا ارضاه لك فشققها بين النسا خمرا
وفي رواية اتيته فقلت ما اصنع بها البسها قال لا ولكن اجعلها خمرا بين الفواطم اراد
فاطمة بنت اسد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفي
هذه الرواية ان الهدية كانت حلة مكفوفة بحرير وهذا وجه في السنة لتمزيق
الثوب وجعله خرقا حكي ان الفقها والصوفية بنيسابور اجتمعوا في دعوة فوقعت
الخرقة وكان شيخ الفقها ابا محمد الجويني وشيخ الصوفية ابو القسم القشيري رحمهما
الله تعالى فقسمت الخرقة على عادتهم فالتفت الشيخ ابو محمد الى بعض الفقها وقال
ترى هذا سرف واضاعة المال فسمع ابو القسم القشيري ولم يقل شيئا حتى فرغت
القسمة ثم استدعى الخادم وقال انظر في الجمع من معه سجادة خرقا اتيني بها فجاء
بسجادة ثم احضر رجلا من اهل الخبرة فقال هذه السجادة بكم تشترى في المزاد
قال بدينار قال ولو كانت قطعة واحدة كم تسوى قال نصف دينار ثم التفت الى
الشيخ ابي محمد وقال هذا لا يسمى اضاعة المال والخرقة الممزقة تقسم على جميع الحاضرين
من كان من الجنس او غير الجنس اذا كان حسن الظن بالقوم معتقدا للتبرك بالخرقة
روي طارق بن شهاب ان اهل البصرة غزوا نهاوند وامدهم اهل الكوفة وعلى
اهل الكوفة عمار بن ياسر فظهروا فاراد اهل البصرة ان لا يقسموا لاهل الكوفة من
الغنيمة شيئا فقال رجل من بني تميم لعمار ايها الاجدع تريد ان تشاركنا في غنائمنا
فكتب الى عمر رضي الله عنه بذلك فكتب عمر رضي الله عنه ان الغنيمة لمن شهد الوقعة
وذهب بعضهم الى ان المجروح من الخرق يقسم على الجمع وما كان من ذلك صحيحا يعطى
القوال واستدل بما روي عن قتادة قال لما وضعت الحرب اوزارها يوم حنين وفرغنا

رضي الله عنهم

بعض

من القوم

عاشر

90

من القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وهذا له وجه
في الخرقة الصحيحة فاما المجروحة فحكمها حكم السهام للحاضرين والقسمة لهم ولو دخل على
الجمع وقت القسمة من لم يكن حاضرا اقسم له روى ابو موسى الاشعري قال قدمنا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خيبر بثلث فاسهم لنا ولم يسهم لاحد لم يشهد الفتح
غيرنا ويكره للقوم حضور غير الجنس عندهم في السماع كمتزهد لا ذوق له من ذلك
فيكون ما لا ينكر او صاحب دنيا يحوج الى المداراة والتكلف او متكلف للوجد يشوش
الوقت على الحاضرين بتواجده اخبرنا ابو زرعة طاهر عن والده ابي الفضل الحافظ
المقدسي قال ابو منصور محمد بن عبد الملك المظفري بسرخس قال انا ابو علي الفضل بن منصور
بن نصر الكاغدي السمرقندي اجازة قال انا الهيثم بن كليب قال انا ابو بكر عمار بن اسحق
قال نا سعيد بن عامر عن شعبة عن عبد العزيز بن صهيب عن انس بن مالك قال كنا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله ان فقرا امتك
يدخلون الجنة قبل الاغنيا بنصف يوم وهو خمسماية عام ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال افيكم من ينشدنا فقال بدوي نعم يا رسول الله فقال هات فانشد البدوي شعر

قد لسعت حية الهوى كبدي • فلا طبيب لها ولا راقي
الا الحبيب الذي شغفت به • فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواجد اصحابه معه حتى سقط رداه عن منكبه فلما
فرغوا اوى كل واحد الى مكانه قال معوية بن ابي سفيان ما احسن لعبكم يا رسول الله
فقال مه يا معوية ليس بكريم من لم يهتز عند السماع ذكر الحبيب ثم قسم رداء رسول الله صلى الله
عليه وسلم على من حاضرهم باربع مية قطعة فهذا الحديث اوردناه مسندا كما سمعناه ووجدناه
وقد تكلم في صحته اصحاب الحديث وما وجدنا شيئا نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشاكل وجد اهل الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم الا هذا وما احسنه من حجة

ذكره

للصوفية واهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وقسمتها ان لو صح والله اعلم بذلك وتخالج
سري انه غير صحيح ولم اجد فيه ذوق اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه وما كانوا
يعتمدونه على ما بلغنا في الحديث ويابى القلب قبوله والله اعلم بذلك الباب
السادس والعشرون في خاصية الاربعينية التي تتعاهدها الصوفية ليس
مطلوب القوم من الاربعين شيئا مخصوصا لا يطلبونه في غيرها ولكن لما طرقتهم مخالفات حكم
الاوقات احتاجوا تقييد الوقت بالاربعين رجاء ان ينسحب حكم الاربعين على جميع زمانهم فيكونوا
في جميع اوقاتهم كهيئتهم في الاربعين على ان الاربعين خصت بالذكر في قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقد خص
الله تعالى الاربعين بالذكر في قصة موسى عليه السلام وامره بتخصيص الاربعين لمزيد تبتل
قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة
وذلك ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان الله تعالى اذا اهلك عدوهم
واستنقذهم من ايديهم ياتيهم بكتاب من عند الله فيه بيان الحلال والحرام والحدود
والاحكام فلما فعل الله ذلك واهلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره الله تعالى
ان يصوم ثلثين يوما وهو ذو القعدة فلما تمت ثلثون ليلة انكر خلوف فمه فتسوك بعود
خرنوب فقالت له الملايكة كنا نشم من فيك رايحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله
تعالى ان يصوم عشرة ايام من ذي الحجة وقال له اما علمت ان خلوف فم الصايم اطيب عندي
من ريح المسك ولم يكن صوم موسى عليه السلام ترك الطعام بالنهار واكله بالليل بل طوى
الاربعين من غير اكل فدل على ان خلو المعدة من الطعام اصل كبير في الباب حتى احتاج موسى
عليه السلام الى ذلك مستعدا به لمكالمة الله تعالى والعلوم اللدنية في قلوب المنقطعين
الى الله ضرب من المكالمة ومن انقطع الى الله اربعين يوما مخلصا متعاهدا نفسه بتخفيف
المعدة تفتح عليه العلوم اللدنية كما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك غير ان تعيين

الاربعين

91

الاربعين من المدة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي امر الله تعالى موسى بذلك
كالتحديد والتقييد بالاربعين وللحكم فيه لا يطلع احد على حقيقة ذلك الا الانبيا اذا
عرفهم الحق ذلك او من يخصه الله بتعريف ذلك غير الانبيا ويلوح في سري لذلك معنى والله
اعلم وذلك ان الله تعالى لما كون آدم من تراب قدر التخمير بهذا القدر من العدد كما ورد خمر
طينة آدم بيده اربعين صباحا فكان آدم لما كان مستصلحا لعمارة الدارين واراد الله تعالى
منه عمارة الدنيا كما اراد منه عمارة الجنة كون من التراب تركيبا يناسب عالم الحكمة والشهادة
وهذه الدار الدنيا وما كانت عمارة الدنيا تتاتى منه وهو غير مخلوق من اجزا ارضية سفلية
تحت قانون الحكمة من التراب كونه واربعين صباحا خمر طينته ليبعد بالتخمير اربعين
صباحا باربعين حجابا من الحضرة الالهية كل حجاب هو معنى مودع فيه يصلح به لعمارة الدنيا
ويعوق به عن الحضرة الالهية ومواطن القرب اذ لولا تعوقه بهذا الحجاب ما انعمرت الدنيا
فاصل البعد عن مقام القرب فيه لعمارة عالم الحكمة وخلافة الله تعالى في الارض فالمتبتل
لطاعة الله تعالى بالاقبال عليه والانتزاع عن التوجه الى امر المعاش بكل يوم يخرج عن حجاب
هو معنى مودع فيه وعلى قدر زوال كل حجاب يتحد منزلا في القرب من الحضرة الالهية التي هي
مجمع العلوم ومصدرها فاذا تمت الاربعون زالت الحجب وانصبت اليه العلوم والمعارف
انصبابا ثم العلوم والمعارف هي اعيان انقلبت باتصال الاكسير نور العظمة الالهية بها
فانقلبت اعيان حديث النفس علوما الهامية ونصرت اجرام حديث النفس لقبول انوار
العظمة فلولا وجود النفس وحديثها ما ظهرت العلوم الالهامية لان حديث النفس وعا وجودي
لقبول الانوار وما للقلب في ذاته لقبول العلم شي وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهرت
ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه انما اشار الى القلب باعتبار ان للقلب وجها الى النفس باعتبار توجهه
الى عالم الشهادة وله وجه الى الروح باعتبار توجهه الى عالم الغيب فيستمد القلب العلوم
المكنونة في النفس ويخرجها الى اللسان الذي هو ترجمانه فظهور العلوم من القلب لانه نشاتها

فيه فللقلب والروح مراتب من قرب الملهم سبحانه وتعالى فوق رتبة الالهام فالعبد بانقطاعه
الى الله تعالى واعتزال الناس يقطع مسافات وجوده ويستنبط من معدن نفسه جواهر
العلوم وقد ورد في الخبر الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية
خيارهم في الاسلام ففي كل يوم باخلاصه في العمل لله يكشف طبقة من الاطباق الترابية
الجبلية المبعدة عن الله الى ان يكشف باستكمال الاربعين اربعين طبقة من اطباق حجابه
وعلامة صحة هذا العبد وتاثره بالاربعين ووفاه بشروط الاخلاص ان يزهد بعد
الاربعين في الدنيا ويتجافى عن دار الغرور وينيب الى دار الخلود لان الزهد في الدنيا من ضرورة
ظهور الحكمة ومن لم يزهد في الدنيا ما ظفر بالحكمة ومن لم يظفر بالحكمة بعد الاربعين يتبين
انه اخل بالشروط ولم يخلص لله تعالى ومن لم يخلص ما عبد لان الله تعالى امر بالاخلاص
كما امر بالعمل فقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين اخبرنا الشيخ
طاهر بن ابي الفضل اجازة قال انا ابو بكر بن احمد بن خلف اجازة قال انا ابو عبد الرحمن
السلمي انا ابو منصور الضبعي قال انا محمد بن انس قال نا حفص بن عبد الله قال نا
ابرهيم بن طهمان عن عاصم عن زر عن صفوان بن عسال عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا كان يوم القيمة يجي الاخلاص والشرك يجثوان بين يدي الله عز وجل فيقول الرب
للاخلاص انطلق انت واهلك الى الجنة ويقول للشرك انطلق انت واهلك الى النار وبهذا
الاسناد قال السلمي سمعت علي بن سعيد وسالته عن الاخلاص ما هو قال سمعت ابرهيم الشقيقي
وسالته عن الاخلاص ما هو يقول سمعت محمد بن جعفر الخصاف وسالته عن الاخلاص
ما هو قال سالت احمد بن بشار عن الاخلاص قال سالت ابا يعقوب الشروطي عن الاخلاص
ما هو قال سالت احمد بن غسان عن الاخلاص قال سالت احمد بن علي الهجيمي عن الاخلاص
ما هو قال سالت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ما هو قال سالت الحسن عن الاخلاص
ما هو قال سالت حذيفة عن الاخلاص ما هو قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص

مطلب في الاخلاص

ماهو

ما هو قال سالت جبريل عن الاخلاص ما هو قال سالت رب العزة عن الاخلاص ما هو قال هو
سر من سري اودعته قلب من احببت من عبادي فمن الناس من يدخل الخلوة على مراغمة النفس
اذ النفس بطبعها كارهة للخلوة مائلة الى مخالطة الخلق فاذا ازعجها عن مقار عاداتها
وحبسها على طاعة الله تعالى يعقب كل مرارة يدخل عليها حلاوة في القلب قال ذو النون
لم ار ابعث على الاخلاص من الخلوة ومن احب الخلوة فقد استمسك بعمود الاخلاص وظفر بركن
من اركان الصدق وقال الشبلي لرجل استوصاه الزم الوحدة وامح اسمك عن القوم واستقبل
الجدار حتى تموت وقال يحيى بن معاذ الوحدة منية الصديقين ومن الناس من يبعث
من باطنه داعية الخلوة وتنجذب النفس الى ذلك وهذا اتم واكمل وادل على كمال الاستعداد
فقد روي من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك فيما حدثنا شيخنا ضياء
الدين ابو النجيب املاء قال انا الحافظ ابو القسم اسمعيل بن احمد المقري قال انا جعفر بن
الحكاك المكي قال انا ابو عبد الله الصنعاني قال انا ابو عبد الله النعوي قال انا اسحق
الدبري قال انا عبد الرزاق عن معمر قال اخبرني الزهري عن عروة عن عائشة قالت اول
ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصادقة في النوم فكان لا يرى رويا
الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا فكان ياتي حرا فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد
ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجاه الحق وهو في غار حرا فجاءه
الملك فيه فقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا فقال رسول الله فقلت ما انا بقاري
فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا قال فقلت ما انا بقاري فاخذني
فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني
الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من
علق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل
على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع وقال لخديجة ما لي

فاخبرها الخبر فقال لقد خشيت على عقلي فقالت كلا ابشر فوالله لا يحزنك الله ابدا انك
لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به
خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل وكان امرءا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب
العربي ويكتب بالعربية من الانجيل ما شا الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له
خديجة اي عم اسمع من ابن اخيك فقال ورقة يا ابن اخي ما ترى فاخبره فاخبر رسول
الله فقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني فيها جذعا
اكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله او مخرجي هم قال ورقة نعم لم يات احد قط بما
جئت به الا عودي واوذي فان يدركني يومك انصرك نصرا موزرا وحدث جابر بن عبد
الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه
فبينا انا امشي سمعت صوتا من السما فرفعت راسي فاذا الملك الذي جاني بحرا جالس
على كرسي بين السما والارض فجئثت منه رعبا فرجعت فقلت زملوني فدثروني فانزل
الله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر الى والرجز فاهجر ونقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذهب مرارا كي يردي نفسه من شواهق الجبال فكلما وافي لذروة جبل لكي يلقي نفسه منه
تبدا له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه واذا طال عليه فترة
الوحي عاد لمثل ذلك فيتبدا له جبريل فيقول له مثل ذلك فهذه الاخبار المنبئة عن
بدو امر رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الاصل في ايثار المشايخ الخلوة للمريدين
والطالبين فانهم اذا اخلصوا لله في خلواتهم يفتح الله تعالى عليهم ما يونسهم في خلوتهم
تعويضا من الله اياهم عما تركوا لاجله ثم خلوة القوم مستمرة واما الاربعينية فاستكمالها
له اثر في ظهور سوادي بشاير الحق سبحانه وتعالى في سنوح مواهب السنية الباب
السابع والعشرون في ذكر فتوح الاربعينية وقد غلط في طريق الخلوة والاربعينية
قوم وحرفوا الكلم عن مواضعه ودخل عليهم الشيطان وفتح عليهم باب الغرور ودخلوا الخلوة

على غير اصل مستقيم من تادية حق الخلوة بالاخلاص وسمعوا ان المشايخ والصوفية كانت
لهم خلوات وظهرت لهم وقايع وكوشفوا بغرايب وعجايب فدخلوا الخلوة لطلب ذلك وهذا
عين الاعتلال ومحض الضلال وانما القوم اختاروا الخلوة والوحدة لسلامة الدين وتفقد
احوال النفس واخلاص العمل لله نقل عن ابي عمرو الانماطي انه قال لن يصفو للعامل فهم الاجنبو
الا باحكام ما يجب عليه من اصلاح الحال الاول والمواطن التي ينبغي ان يعرف منها امر داة
هوام متنقص فعليه ان يطلب موضع الخلوة لكلا يعارضه شغل فيفسد عليه ما يريده اخبرنا
طاهر بن ابي الفضل عن ابي بكر بن خلف اجازة قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت ابا تميم
المغربي يقول من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي ان يكون خاليا من جميع الاذكار الا ذكر
ربه وخاليا من جميع المرادات الا مراد ربه وخاليا من مطالبة النفس من جميع الاسباب
فان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه في فتنة او بلية اخبرنا ابو زرعة اجازة
قال انا ابو بكر بن خلف اجازة قال انا ابو عبد الرحمن قال سمعت منصورا يقول سمعت محمد
بن حامد يقول جا رجل الى زيارة ابي بكر الوراق وقال له اوصني فقال وجدت خير الدنيا
والاخرة في الخلوة والقلة ووجدت شرها في الكثرة والاختلاط ومن دخل الخلوة معتلا في
دخوله دخل عليه الشيطان وسول له انواع الطغيان وامتلا من الغرور والمحال وظن
انه على حسن حال وقد تداخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شرطها وافنوا اعلى
ذكر من الاذكار واستجموا نفوسهم بالعزلة عن الخلق ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل
الرهابين والبراهمة والفلاسفة وللوحدة وجمع الهم اثر تام في صفا الباطن مطلقا فما كان
من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتج تنوير
القلب والزهد في الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله بالاخلاص من الصلوة والتلاوة وغير
ذلك وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتج
صفا في النفس يستعان به على اكتساب علوم رياضية مما يعتني به الفلاسفة والدهريون

خلوتهم لله تعالى وكلما اكثر من ذلك كثر البعد من الله ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه
الشيطان مما يكتسب من العلوم الرياضية او بما قد يتراءى له من صدق الخاطر وغير ذلك
حتى يركن اليه كل الركون ويظن انه قد ظفر بالمقصود ولا يعلم ان هذا الفن من الفائدة غير
ممنوع من النصارى والبراهمة وليس هي المقصود من الخلوة يقول بعضهم احق ما يريد منك
الاستقامة ولا تطلب الكرامة وقد يفتح على الصادقين بشي من خوارق العادات وصدق
الفراسة وتبين ما يحدث في المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدح في حالهم عدم
ذلك وانما يقدح في حالهم الانحراف عن حد الاستقامة فما يفتح من ذلك على الصادقين يصير
مزيد ايقانهم والداعي لهم الى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالاخلاق
الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير شيئا لمزيد بعده وغروره
وحماقته واستطالته على الناس وازدرائه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام
عن عنقه وينكر الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن ان المقصود من العبادات ذكر الله
ويترك متابعة الرسول ثم يتدرج من ذلك الى التحدد ويتزندق نعوذ بالله من الضلال وقد يلوح
لاقوام خيالات يظنونها وقائع المشايخ من غير علم بحقيقة ذلك فمن اراد تحقيق ذلك فليعلم
ان العبد اذا اخلص لله تعالى واحسن النية وقعد في الخلوة اربعين يوما او اكثر منهم من
يتنور باطنه بصفو اليقين ويرفع الحجاب عن قلبه ويصير كما قال قائلهم راى قلبي ربي وقد
يصل الى هذا المقام تارة باحيا الاوقات بالصالحات وكف الجوارح وتوزيع الاوراد من
الصلوة والتلاوة والذكر على الاوقات وتارة بما يديه الحق لموضع صدقه وقوة استعداده
ومباداه من غير عمل وخدمة وتارة بعد ذلك بملازمة ذكر واحد من الاذكار لا يزال
يردد ذلك الذكر ويقوله ويكون عادته الصلوات الخمس وسنتها الراتبة بحسب وساير اوقاته
مشغولة بالذكر الواحد لا يتخللها فتور ولا يوجد منه قصور لا يزال يردد ذلك الذكر
ملازما به حتى في طريق الوضوء وساعة الاكل لا يفتر عنه واختار جمع من المشايخ من الذكر

صل اسم ملزوم

[illegible]

كلمة

94

كلمة لا اله الا الله وهذه الكلمة لها خاصية في تنوير الباطن وجمع الهم اذا داوم عليها صادق
مخلص وهي من مواهب الحق لهذه الامة وفيها خاصية لهذه الامة فيما حدثنا شيخنا ضيا
الدين املا قال انا ابو القسم الدمشقي الحافظ قال انا عبد الدايم بن الحسن قال انا عبد الوهاب
الدمشقي قال انا محمد بن خريم قال نا هشام بن عمار قال انا الوليد بن مسلم قال نا عبد الرحمن
بن يزيد عن ابيه عن عيسى بن مريم عليه السلام قال رب انبئني عن هذه الامة المرحومة
قال امة محمد عليه الصلوة والسلام علما اتقيا حلما كانهم انبيا يرضون مني بالقليل من العطا
وارضى منهم باليسير من العمل وادخلهم الجنة بلا اله الا الله يا عيسى هم اكثر سكان الجنة لانها
لم تذل السن قوم قط بلا اله الا الله كما ذلت السنتهم ولم تذل رقاب قوم قط بالسجود كما
ذلت رقابهم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان هذه الاية مكتوبة في التورية يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للمومنين وكنزا للاميين انت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا تجزي بالسيئة السيئة ولكن
تعفو وتصفح ولن اقبضه حتى يقام به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتحوا اعينا
عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فلا يزال الصادق في خلوته يردد هذه الكلمة على لسانه مع
مواطاة القلب حتى تصير الكلمة متاصلة في القلب مزيلة لحديث النفس ينوب معناها في
القلب عن كل حديث النفس فاذا استولت الكلمة وسهلت على اللسان تشربها القلب فلو سكت
اللسان لا يسكت القلب ثم تجوهر في القلب وتجوهرها يسكن نور اليقين في القلب حتى اذا
ذهب صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال نورها تجوهرها ويتحد الذكر مع روية عظمة
المذكور سبحانه وتعالى ويصير الذكر حينئذ ذكر الذات وهذا الذكر هو المشاهدة
والمكاشفة والمعاينة اعني ذكر الذات بتجوهر نور الذكر وهذا هو المقصد الاقصى
من الخلوة وقد يحصل هذا لا بذكر الكلمة بل بتلاوة القران اذا اكثر من التلاوة واجتهد في
مواطاة القلب مع اللسان حتى تجري التلاوة على اللسان ومعنى الكلام مقام حديث النفس

يقوم

فيدخل على العبد سهولة في التلاوة والصلوة ويتنور الباطن بتلك السهولة في التلاوة
والصلوة ويجوهر نور الكلام في القلب ويكون منه ايضا ذكر الذات ويجتمع نور الكلام في
القلب مع مطالعة عظمة المتكلم سبحانه ودون هذه الموهبة ما يفتح على العبد من العلوم
الالهية الالهامية اللدنية والى حين بلوغ العبد هذا المبلغ من حقيقة الذكر والتلاوة اذا
صفا باطنه قد تغيب في الذكر بركات الانس وحلاوة ذكره حتى يلتحق في غيبته في الذكر بالنائم
وقد تتجلى له الحقائق في لبسة الخيال اولاً كما تكشف الحقائق للنائم في لبسة الخيال كمن
راى في المنام انه تلا حية فيقول المعبر تظفر بالعدو وظفره بالعدو كشف كاشفه الحق
به وهذا الظفر روح مجرد صوّغ ملك الرؤيا جسدًا لهذا الروح من جسد الحية فالروح الذي
هو كشف الظفر اخبار الحق ولبسة الخيال الذي هو بمثابة الجسد مثال اصعب من نفس الرائي
في المنام من استصحاب القوة الوهمية والخيالية من اليقظة فتؤلف روح كشف الظفر مع
جسد مثال الحية فافتقر الى التعبير اذ لو كوشف بالحقيقة التي هي روح الظفر من غير
هذا المثال الذي هو بمثابة الجسد ما احتاج الى التعبير فكان يرى الظفر وبعض الظفر وقد
يتجرد الخيال باستصحاب الخيال والوهم من اليقظة في المنام من غير حقيقة فيكون المنام
اضغاث احلام لا يعبر وقد يتجرد لصاحب الخلوة الخيال المنبعث من ذاته من غير ان
يكون وعا الحقيقة فلا يبنى على ذلك ولا يلتفت اليه فليس ذلك واقعة وانما هو خيال
فاما اذا غاب الصادق في ذكر الله تعالى حتى يغيب عن المحسوس بحيث لو دخل عليه داخل
من الناس لا يعلم به لغيبته في الذكر فعند ذلك قد ينبعث في الابتدا من نفسه مثال
وخيال ينفخ فيه روح الكشف فاذا عاد من غيبته فاما يأتيه تفسير من باطنه موهبة
من الله تعالى واما يفسر له شيخه كما يعبر المعبر المنام ويكون ذلك واقعة لانه كشف
حقيقة في لبسة مثال وشرط صحة الواقعة الاخلاص في الذكر اولاً ثم الاستغراق
في الذكر ثانيا وعلامة ذلك الزهد في الدنيا وملازمة التقوى لان الله تعالى جعل ما

يكاشف

95

يكاشف به في واقعة مورد الحكمة والحكمة تحكم بالزهد والتقوى وقد يتجرد للذاكر
الحقائق من غير لبسة المثال فيكون ذلك كشفا واخبارًا من الله تعالى اياه ويكون
ذلك تارة بالرؤية وتارة بالسماع وقد يسمع من باطنه وقد يطرق ذلك من الهوا الانس
باطنه كالهواتف يعلم بذلك امرًا يريد الله احداثه له ولغيره فيكون اخبار الله اياه
بذلك مزيد اليقين ويرى في المنام حقيقة الشي نقل عن بعضهم انه اتي بشراب في قدح
فوضعه من يده وقال قد حدث في العالم حدث ولا اشرب هذا دون ان اعلم ما هو فانكشف
له ان قوما دخلوا مكة وفتكوا فيها حكي عن ابي سليمان الخواص قال كنت راكبا حمارًا لي
يومًا وكان يؤذيه الذباب فيطاطي راسه فكنت اضرب راسه بخشبة كانت في يدي
فرفع الحمار راسه الي وقال اضرب فانك على راسك تضرب قيل له يا ابا سليمن وقع لك
ذلك او سمعته فقال سمعته يقول كما سمعتني وحكي عن احمد بن عطا الروذباري
قال كان لي مذهب في امر الطهارة فكنت ليلة من الليالي استنجي الى ان مضى ثلث الليل ولم
يطب قلبي فضجرت وبكيت فقلت يا رب العفو فسمعت صوتا ولم ار احدًا يقول يا ابا عبد الله
العفو في العلم وقد يكاشف الله تعالى عبده بآيات وكرامات تربية للعبد وتقوية له
ليقينه وايمانه قيل كان عند جعفر الخلدي فص له قيمة وكان يومًا من الايام راكبًا
في السمارية في دجلة فهمّ ان يعطي الملاح فقطعه وحل الخرقة فوقع الفص في دجلة
وكان عنده دعا للضالة مجرب فكان يدعو به فوجده في وسط اوراق كان يتصفحها
والدعا هو ان يقول يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع علي ضالتي وسمعت شيخا بهمذان
حكى لي انه كوشف في بعض خلواته بولد له في جيحون كاد يسقط في الما من السفينة
قال فزجرته فلم يسقط وكان هذا الشخص بنواحي همذان وولده في جيحون فلما قدم الولد
اخبر انه كاد يسقط في الما فسمع صوت والده فلم يسقط وقول عمر يا سارية الجبل وهو
على المنبر بالمدينة وسارية بنهاوند فاخذ سارية نحو الجبل فظفر بالعدو وقيل لسارية

مطلب

رضي الله عنه

ذلك

كيف علمت قال سمعت صوت عمر وهو يقول يا سارية الجبل سهل بن سالم وكان يقول
قال الايمان اربعة اركان ركن منه الايمان بالقدرة وركن منه الايمان بالحكمة وركن
منه التبري من الحول والقوة وركن منه الاستعانة بالله عز وجل في جميع الاشيا
قيل له ما معنى قولك الايمان بالقدرة فقال هو ان يؤمن ولا ينكر ان يكون لله عبد بالمشرق
ويكون من كرامة الله ان يعطيه من القوة ما ينقلب من يمينه على يساره فيكون بالمغرب
يؤمن بجواز ذلك وكونه وحكى لي بعض الفقرا انه كان بمكة وارجف على شخص ببغداد
انه قد مات فكاشفه الله بالرجل وهو راكب يمشي في سوق بغداد فاخبر اخوانه ان
الشخص لم يمت وكان كذلك حتى ذكر لي هذا الشخص انه في تلك الحالة التي كوشف بالشخص
راكبا قال رايته في السوق وانا اسمع باذني صوت المطرقة من الحدادين في سوق
بغداد وكل هذه مواهب الله عز وجل وقد يكاشف بها قوم ويعطى وقد يكون فوق
هولا من لا يكون له شي من هذا لان هذه كلها تقوية لليقين ومن منح صرف اليقين لا
حاجة له الى شي من هذا فكل هذه الكرامات دون ما ذكرناه من تجوهر الذكر في القلب
ووجود ذكر الذات فان تلك الحكمة فيها تقوية المريدين وتربية للسالكين ليزدادوا
بها نفسا يجذبون به الى مراغمة النفوس والسلو عن ملاذ الدنيا ويستنهض بذلك
ساكن عزمهم لعمارة الاوقات بالقربات فيروحون بذلك ويربون بطريقة ومن كوشف
بصرف اليقين من ذلك لمكان ان نفسه اسرع اجابة واسهل انقيادا وانما استعداده
والاولون استلين بذلك منهم ما استوعروا واستكشف بهم ما استتر وقد لا يمنع صدور
ذلك الرهابين والبراهمة مما هو غير منتهج سبل الهدى ومرتكب طريق الردى ليكون ذلك
في حقهم مكرا واستدراجا ليستحسنوا حالهم ويستقروا في مفاوز الطرد والبعد ابقا
لهم فيما اراد منهم من العمى والضلال والردى والوبال حتى لا يغتر السالك بتيسر شي يفتح
له ويعلم انه لو مشى على الما والهوا لا ينفعه ذلك حتى يؤدي حق التقوى والزهد فاما

مر

من تعوق بحال او قنع بحال ولم يحكم اساس خلوته بالاخلاص يدخل الخلوة بالزور 96
ويخرج بالغرور فيرفض العادات ويستحقرها ويبليه الله تعالى لذة المعاملة
ويذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويفتضح في الدنيا والاخرة فليعلم الصادق ان
المقصود من الخلوة التقرب الى الله تعالى بعمارة الاوقات وكف الجوارح عن المكروهات
فيصلح لقوم من ارباب الخلوة ادامة الاوراد وتوزيعها على الاوقات ويصلح لقوم
ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم دوام المراقبة ويصلح لقوم الانتقال من الذكر الى
الاوراد ولقوم الانتقال من الاوراد الى الذكر ومعرفة مقادير ذلك يعلمها المصحوب
للشيخ المطلع على اختلاف الاوضاع وتنوعها مع نصحه للامة وشفقته على الكافة ويريد
المريد لله لا للنفس غير مبتلى بهوى نفسه محبا للاستتباع فيما يفسده مثل هذا اكثر
مما يصلحه

الباب الثامن والعشرون في كيفية الدخول في الاربعينية

روي ان داود عليه السلام لما ابتلي بالخطيئة خر لله ساجدا اربعين يوما وليلة حتى
اتاه الغفران من ربه فقد تقرر ان الوحدة والعزلة ملاك الامر ويتمسك ارباب الصدق
فمن استمرت اوقاته على ذلك فجميع عمره خلوته وهو الاسلم لدينه فان لم يتيسر له ذلك
وكان مبتلى بنفسه او لاثم بالاهل والاولاد فليجعل لنفسه من ذلك نصيبا نقل عن
سفيان الثوري فيما روى احمد بن حرب عن خالد بن زيد عنه انه قال كان يقال ما
اخلص عبد لله اربعين يوما الا انبت الله الحكمة في قلبه وزهده الله تعالى في الدنيا
ورغبه في الاخرة وبصره دا الدنيا ودواها فيتعاهد العبد نفسه في كل سنة مرة واما
المريد الطالب اذا اراد ان يدخل الخلوة فاكمل الامر في ذلك ان يتجرد من الدنيا ويخرج عن
كل ما يملكه ويغتسل غسلا كاملا بعد الاحتياط للثوب والمصلى بالنظافة والطهارة ويصلي
ركعتين ويتوب الى الله تعالى من ذنوبه بكا وتضرع واستكانة وتخشع ويسوي بين السريرة
والعلانية ولا ينطوي على غل وغش وحقد وحسد وخيانة ثم يقعد في موضع خلوته

ولا يخرج الا للصلوة الجمعة وصلوة الجماعة وترك المحافظة على صلوة الجماعة غلط وخطأ
فان وجد تفرقه في خروجه يكون له شخص يصلي معه جماعة في خلوته ولا ينبغي ان يرضي
بالصلوة منفردًا ألبتة فان بترك الجماعة يخشي عليه آفات وقد راينا من تشوش عقله
في خلوته ولعل ذلك لشوم اصراره على ترك صلوة الجماعة عند انه ينبغي ان يخرج من خلوته
لصلوة الجماعة وهو ذاكر لا يفتر عن الذكر ولا يكثر ارسال الطرف الى ما يرى ولا يصغي
الى ما يسمع لان القوة الحافظة والمتخيلة كاللوح ينتقش بكل مرئي ومسموع فيكثر لذلك
الوسواس وحديث النفس والخيال ويتعهد ان يحضر الجماعة بحيث يدرك مع الامام تكبيرة الاحرام
فاذا سلم الامام وانصرف يسرع الى خلوته ويتقي في خروجه استجلاب نظر الخلق اليه
وعلمهم بجلوسه وخلوته فقد قيل لا تطمع في المنزلة عند الله وانت تريد المنزلة عند
الناس وهذا اصل يفسد به كثير من الاعمال اذا اهمل ويصلح به كثير من الاحوال اذا اعتبر
ويكون في خلوته جاعلا وقته شيا واحدًا موهو بالله بادامة فعل الرضا اما تلاوةً او
ذكرًا او صلوةً او مراقبةً اي وقت فتر عن هذه الاقسام ينام فان اراد تعيين اعداد من
الركعات ومن التلاوة والذكر شيا فشيا فان اراد ان يكون بحكم الوقت يعتمد احف ما
على قلبه من هذه الاقسام فاذا فتر عن ذلك ينام فان اراد يبني في سجود واحد او ركوع
واحد او ركعة واحدة او ركعتين ساعة او ساعتين ويلازم في خلوته دوام الوضو
ولا ينام الا عن غلبة بعد ان يدفع النوم عن نفسه مرات فيكون هذا شغله ليله ونهاره
واذا كان ذاكرًا الكلمة لا اله الا الله وساعدت النفس الذكر باللسان يقولها بقلبه من غير
حركة اللسان وقد قال سهل بن عبد الله اذا قلت لا اله الا الله مد الكلمة وانظر الى قدم
الحق فاثبته وابطل ما سواه وليعلم ان الامر كالسلسلة يتداعى حلقة حلقة فليكن دايم
التلزم بفعل الرضا واما القوت من الاربعينية والخلوة فالاولى ان يقنع بالخبز والملح
ويتناول كل ليلة رطلا واحدًا يتناوله بعد العشا الاخرة وان قسمه نصفين ياكل اول الليل

نصف رطل واخر الليل نصف رطل فيكون ذلك اخف للمعدة واعون على قيام الليل
واحيائه بالذكر والصلوة وان اراد اخر فطوره الى السحر وان لم يصبر على ترك الادام
يتناول الادام وان كان الادام شيا يقوم مقام الخبز ينقص من الخبز بقدر ذلك فان اراد
التقلل من هذا القدر ايضا ينقص كل ليلة دون اللقمة بحيث ينتهي تقلله في العشر الاخير
من الاربعين الى نصف رطل وان قوي قنع النفس بنصف رطل من اول الاربعين وينقص يسيرا
كل ليلة بالتدريج حتى يعود فطوره ربع رطل في العشر الاخير وقد اتفق مشايخ
الصوفية على ان بنا امرهم على اربعة اشيا قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام
والاعتزال عن الناس وقد جعل للجوع وقتان احدهما اخر الاربع والعشرين ساعة
فيكون الرطل لكل ساعة اوقية باكلة واحدة يجعلها بعد العشا الاخرة وبعضها اكلتين
كما ذكرنا والوقت الاخر على راس اثنين وسبعون ساعة فيكون الطي ليلتين والافطار
في الليلة الثالثة ويكون لكل يوم وليلة ثلث رطل وبين هذين الوقتين وقت وهو ان
يفطر من كل ليلتين ليلة ويكون لكل يوم وليلة نصف رطل وهذا ينبغي ان يفعله اذا لم
ينتج ذلك عليه سامةً وضجرًا وقلة انشراح في الذكر والمعاملة فاذا وجد شيا من ذلك
فليفطر كل ليلة ويأكل الرطل في الوقتين او وقت واحد والنفس اذا اخذت بالافطار
من كل ليلتين ليلة ثم ردت الى افطار كل ليلة تقنع وان سومحت بافطار كل ليلة لا تقنع
بالرطل وتطلب الادام والشهوات وقس على هذا فهي ان اطعمت طمعت وان اقنعت
قنعت وقد كان بعضهم ينقص كل ليلة حتى يرد النفس الى اقل قوتها ومن الصالحين من كان
يعتبر القوت بنوى التمر ينقص كل ليلة نواة ومنهم من كان يعتبر بعود رطب فينقص كل ليلة
بقدر نشاف العود ومنهم من كان ينقص كل ليلة ربع سبع الرغيف حتى يفني الرغيف في
شهر ومنهم من كان يوخر الاكل ولا يعمل في تقليل القوت ولكن يعمل في تاخيره بالتدريج
حتى يندرج ليلة في ليلة وقد فعل ذلك طايفة حتى انتهى طيهم الى سبعة ايام وعشرة

ايام وخمسة عشر يوما الى الاربعين وقد قيل لسهل بن عبد الله رحمه الله عليه هذا
الذي ياكل في اربعين واكثر اكلة اين يذهب لهب الجوع عنه قال يطفيه النور وقد
سالت بعض الصالحين عن ذلك وهو احد الرعاة فذكر لي كلاما بعبارته دلت على انه
تجد من تجاربه ينطفي معه لهب الجوع وهذا في الخلق واقع ان الشخص يطرقه فرح وقد
كان جايعا فيذهب عنه الجوع وهكذا في طرق الخوف يمنع ذلك من فعل ذلك ومن درج نفسه
في شي من هذه الاقسام التي ذكرنا لا يوثر ذلك في نقصان عقله واضطراب جسمه اذا كان
في حماية الصدق والاخلاص وانما يخشى في ذلك على من لا يخلص لله تعالى وقد قيل وبدوام الذكر
حد الجوع ان لا يميز بين الخبز وغيره مما يوكل ومتى عينت النفس الخبز فليس بجايع وهذا
المعنى قد يوجد في اخر الحدين بعد ثلثة ايام وهذا جوع الصديقين وطلب الغذا عند
ذلك يكون ضرورة لقوام الجسد والقيام بفرايض الله تعالى والعبودية ويكون هذا حد
الضرورة لمن لا يجتهد في التقلل بالتدرج فاما من درج نفسه في ذلك فقد يصبر على اكثر
من هذا الى الاربعين كما ذكرنا وقد قال بعضهم حد الجوع ان يبزق فاذا لم يقع الذباب
على بزاقه يدل على خلو المعدة من الدسومة وصفا البزاق كالما الذي لا يقصده الذباب
روي ان سفين الثوري وابرهيم بن ادهم كانا يطويان ثلثا ثلثا وكان ابو بكر رضي الله
عنه يطوي ستا وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يطوي سبعة ايام واشتهر
حال الحبر نا محمد بن عبد الله المعروف بعمويه وكان صاحب احمد الاسود الدينوري
انه كان يطوي اربعين يوما واقصى ما بلغ في هذا المعنى من الطي رجل ادركا زمانه
وما رايناه كان في ابهر يقال له الزاهد خليفة كان ياكل في كل شهر لوزة ولم يسمع
ان احدا بلغ في هذه الامة بالطي والتدرج الى هذا الحد وكان في اول الامر على ما حكى
ينقص القوت بشا والعود ثم طوى حتى انتهى الى اللوزة في الاربعين فقد يسلك
هذا الطريق جمع من الصادقين وقد يسلك غير الصادق هذا الطريق لوجود هوى

مستكن

98

مستكن في باطنه يهون عليه ترك الاكل اذا كان له استحلا نظر الخلق وهذا عين
النفاق نعوذ بالله من ذلك والصادق ربما يقدر على الطي اذا لم يعلم بحاله احد وربما
يضعف اذا علم بانه يطوي فان صدقه في الطي ونظره الى من يطوي لاجله يهون عليه
الطي فاذا علم به احد تضعف عزيمته في ذلك وهذا علامة الصادق فمهما احس في
نفسه ان يري بعين التقلل فليتهم نفسه فان فيه شايبة نفاق ومن يطوي يده يعوضه
الله تعالى فرحا في باطنه ينسيه الطعام وقد لا ينسي الطعام ولكن لا متلا قلبه
بالانوار يقوي جاذب الروح الروحاني فيجذبه الى مركزه ومستقره من العالم الروحاني
ويتقوى بذلك عن ارض الشهوة النفسانية وما اثر جاذب الروح اذا تخلف عنه جاذب
النفس عند كمال طمانينتها وانعكاس انوار الروح عليها بواسطة القلب المستنير باقل
من جاذب المغناطيس للحديد لان المغناطيس يجذب الحديد لروح في الحديد مشاكل
للمغناطيس يجذبه بنسبة الجنسية للخاصة فاذا تجنس النفس بانعكاس نور
الروح الواصل اليه بواسطة القلب يصير في النفس روح استمدها القلب من
الروح واداها الى النفس فيجذب لروح النفس بجنسية الروح الحادث فيه فتتركه
الاطعمة الدنياوية والشهوات الحيوانية ويتحقق معنى قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولا يقدر على ما وصفناه الا عبد تصير
اعماله واقواله وساير احواله ضرورة قيناوله من الطعام ايضا ضرورة ولو
تكلم مثلا بكلمة من غير ضرورة التهب فيه نار الجوع التهاب الحلفا بالنار لان النفس
الملقيه تستيقظ بكلما يوقظها واذا استيقظت انزعجت الى هواها فالعبد المراد
بهذا اذا ظهر لسانه النفس ورزق العلم سهل عليه الطي وتداركه المعونة من
الله تعالى لا سيما ان كوشف بشي من المنح الالهية وقد حكى لي فقير انما اشتد به الجوع
وكان لا يطلب ولا يتسبب قال فلما انتهى جوعي الى الغاية بعد ايام فتح على بتفاحة قال

فتناولنا التفاحة وقصدت اكلها فلما كسرتها كوشفت بحورا انظرت اليها عقيب كسر
التفاحة فحدث عندي من الفرح بذلك ما استغنيت به عن الطعام اياما وذكر لي
ان الحورا اخرجت من وسط التفاحة والايمان بالقدرة ركن من اركان الايمان
فسلم ولا تنكر وقال سهل بن عبد الله من طوى اربعين ليلة ظهرت له القدرة في
الملكوت وكان يقال لا يزهد العبد حقيقة الزهد الذي لا مشوبة فيه الا بشاهدة
قدرة من الملكوت قال الشيخ ابو طالب المكي عرفنا من طوى اربعين يوما برياضة
النفس في تاخير القوت كان يوخر فطره كل ليلة الى نصف سبع الليل حتى يطوي
ليلة في نصف شهر فيطوي الاربعين في سنة واربعة اشهر فتدرج الايام
والليالي حتى تكون الاربعين بمنزلة يوم واحد وذكر ان الذي فعل ذلك ظهرت
له ايات من الملكوت وكوشف بمعاني قدرة من الجبروت تجلى الله له بها كيف شا
واعلم بان هذا المعنى من الطمع العليل وانه عين الفضيلة ما فات احدا من الانبيا
ولكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ من ذلك الى اقصى غاياته ولا تنكر ان لذلك فضيلة
لا تنكر ولكن لا تنحصر مواهب الحق سبحانه وتعالى في ذلك فقد يكون من ياكل كل يوم افضل ممن
يطوي اربعين يوما وقد يكون من لا يكاشف بشي من معاني القدرة افضل ممن يكاشف بها
اذ كاشفه الله تعالى بصرف المعرفة والقدرة اثر من القادر ومن اهل القرب بالقادر لا
يستغرب ولا يستكثر شيئا من القدرة ويرى القدرة تجلى له من حجب الحق اعلام الحكمة
فاذا اخلص العبد لله تعالى اربعين صباحا واجتهد في ضبط احواله فيه من الانواع التي ذكرنا
من العمل والذكر والقوت وغير ذلك تعود بركة ذلك الاربعين على جميع اوقاته وساعاته
وهو طريق حسن اعتمده طايفة من الصالحين يختارون الاربعين ذو القعدة وعشر ذي
الحجة وهو اربعين موسى عليه السلام اخبرنا شيخنا ضيا الدين ابو النجيب اجازة انا ابو
منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون اجازة انا ابو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة انا ابو عمر

محمد

محمد بن العباس انا ابو محمد يحيى بن محمد بن صاعد نا الحسين بن الحسن المروزي نا عبد الله
بن المبارك نا ابو معوية الضرير نا الحجاج عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اخلص لله العبادة اربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه

الباب التاسع والعشرون في اخلاق الصوفية وشرح الخلق

الصوفية اوفر الناس حظا
من الاقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم واحقهم باحيا سنته والتخلق باخلاقه من
حسن الاقتدا به واحيا سنته على ما اخبرنا الصدر الاوحد العالم ضيا الدين شيخ الاسلام
ابو احمد عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح عبد الملك بن ابي القسم الهروي قال انا ابو
نصر عبد العزيز بن محمد الترياقي قال انا ابو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي قال انا ابو العباس
محمد بن احمد المحبوبي قال انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي قال انا مسلم بن حاتم
الانصاري البصري قال انا محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن
المسيب قال قال انس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان
تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي
فقد احياني ومن احياني كان معي في الجنة فالصوفية احيوا سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانهم وقفوا في بداياتهم لرعاية اقواله وفي وسط حالهم اقتدوا باعماله فاثمر لهم
ذلك ان تحققوا في نهاياتهم باخلاقه وتحسين الاخلاق لا ياتي الا بعد تزكية النفس وطريق
التزكية بالاذعان لسياسة الشرع وقد قال الله تعالى لنبيه وانك لعلى خلق عظيم لما
كان اشرف الناس وازكاهم نفسا كان احسنهم خلقا قال مجاهد على خلق عظيم اي على
دين عظيم والدين مجموع الاعمال الصالحة والاخلاق الحسنة سيلت عايشة رضي الله
عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القران قال قتادة هو ما
كان ياتمر من امر الله وينتهي عما نهى الله وفي قول عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران
سر كبير وعلم غامض ما نطقت بذلك الا بلحظها الله تعالى من بركة الوحي السماوي وصحة
عظيمة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيصه اياها بكلمة خذوا اشطر دينكم من هذه الحميرا وذكر
ان النفوس مجبولة على غرائز وطبائع هي من لوازمها وضروراتها لانها خلقت من تراب ولها
بحسب ذلك طبع وخلقت من صلصال ولها بحسب ذلك طبع وهكذا من حمإ مسنون ومن صلصال
كالفخار وبحسب تلك الاصول التي هي مبادي تكونها استفادت صفات البهيمية والسبعية
والشيطانية والى الصفة الشيطانية في الانسان اشارة بقوله تعالى من صلصال كالفخار
لدخول النار في الفخار وقد قال الله تعالى وخلق الجان من مارج من نار والله تعالى بخفي لطفه
وعظيم عنايته نزع نصيب الشيطان من رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد في حديث
حليمة ابنة الحارث انها قالت في حديث طويل فبينما نحن خلف بيوتنا ورسول الله مع
اخ له من الرضاعة في بهم لنا جاءنا اخوه يشتد فقال ذاك اخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما
ثياب بيض فاضجعاه وشقا بطنه فخرجنا انا وابوه نشتد نحوه فوجدناه قائما منتقعا
لونه فاعتنقه ابوه وقال اي بني ما شانك فقال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاني
فشقا بطني ثم اخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه يا حليمة
لقد خشيت ان يكون ابني هذا اصيب انطلقي بنا فلنرده الى اهله قبل ان يظهر به ما نتخوف
قالت فاحتملناه فلم ترع امه الا به قد قدمنا به عليها قالت ما ردكما قد كنتما عليه حريصين
قلنا لا والله يا ظئر الا ان الله عز وجل قد ادى عنا وقضينا الذي علينا وقلنا نخشى
الاتلاف والاحداث نرده الى اهله فقالت ما ذاك بكما فاصدقاني شانكما فلم تدعنا حتى
اخبرناها خبره فقالت اتخشيان عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه
لكائن لابني هذا شان عظيم الا اخبركما خبره قلنا بلى قالت حملت به فما حملت حملا قط اخف
منه فاريت في المنام حين حملت به كانه خرج مني نور اضاءت له قصور الشام ثم وقع حين
ولدته وقوعا ما يقعه المولود معتمدا على يديه رافعا راسه الى السماء فدعاه عنكما فقعد
تطهير الله رسوله عن نصيب الشيطان بقيت النفس الزكية النبوية على حد نفوس البشر

لها

حادي عشر

100

لها ظهور بصفات واخلاق مبقاة على رسول الله رحمة للخلق لوجود امهات تلك الصفات
في نفوس الامة ليزيد من الظلمة لتفاوت حال النبي صلى الله عليه وسلم وحال الامة فاستمدت
تلك الصفات المبقاة بظهورها في رسول الله تنزيل الآيات المحكمات بازائها لقمعها تاديبا من
الله تعالى لنبيه رحمة من الله خاصة له وعامة للامة موزعا تنزل الآيات على الآنات
والاوقات عند ظهور الصفات قال الله تعالى وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك
لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا وتثبيت الفؤاد بعد اضطرابه لحركة النفس بظهور الصفات
لارتباط بين القلب والنفس وعند كل اضطراب آية متضمنة لخلق صالح سني اما انتصارا و
تعويضا كما تحركت النفس الشريفة النبوية لما كسرت رباعيته وصار الدم يسيل على الوجه
ورسول الله يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل
الله سبحانه ليس لك من الامر شيء فاكتسى القلب لباس الاصطبار وقر بعد الاضطراب الى
القرار فلما توزعت الآيات على ظهور الصفات في مختلف الاوقات تضمنت الاخلاق
النبوية بالقرآن ليكون خلقه القرآن ويكون في ابقاء تلك الصفات في نفس رسول الله
صلى الله عليه وسلم معنى من قوله عليه الصلاة والسلام انما انسى لاسن فظهور صفات نفسه
الشريفة استنزل الآيات لتاديب نفوس الامة وتهذيبها رحمة في حقهم حتى تزكى نفوسهم
وتشرف اخلاقهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخلاق مخزونة عند الله تعالى فاذا
اراد الله تعالى بعبد خيرا منحه منها خلقا وقال عليه الصلاة والسلام انما بعثت لاتمم
مكارم الاخلاق وروي عنه عليه الصلاة والسلام ان لله تعالى مائة وسبعة عشر خلقا
من اتاه واحدا منها دخل الجنة فتقديرها وتحديدها لا يكون الا بوحي سماوي لمرسل
نبي والله تعالى ابرز الى الخلق اسماء منبئة عن صفاته سبحانه وتعالى وما اظهرها لهم
الا ليدعوهم اليها ولولا ان الله تعالى اودع في القوى البشرية التخلق بهذه الاخلاق ما ابرزها
لهم دعوة لهم اليها يختص برحمته من يشاء ولا يبعد والله اعلم ان قول عائشة رضي الله عنها

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم

كان خلقه القرآن فيحدس غامض وايما خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية
ان تقول كان متخلقا باخلاق الله فعبرت المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحيا من سبحات
الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور علمها وكمال ادبها وبين قوله تعالى ولقد آتيناك
سبعا من المثاني والقرآن العظيم وبين قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم مناسبة مشعرة
بقول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن قال الجنيد رحمه الله سمي خلقه عظيما لانه
لم يكن له همة سوى الله تعالى وقال الواسطي لانه جاد بالكونين عوضا عن الحق وقيل لانه عليه
الصلوة والسلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه وهذا ما قال بعضهم في معنى التصوف الخلق
مع الخلق والصدق مع الحق وقيل عظم خلقه حيث صغرت الاكوان في عينه لمشاهدة مكونها
وقيل سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم امته
الى حسن الخلق في حديث اخبرنا الصدر الاوحد العالم ضيا الدين عبد الوهاب بن علي انا ابو الفتح
الهروي انا ابو نصر الترياقي انا ابو محمد الجراحي انا ابو العباس المحبوبي انا ابو عيسى بن محمد الحافظ
الترمذي نا احمد بن الحسن بن خراش قال نا حبان بن هلال نا مبارك بن فضالة قال حدثني
عبد الله ابن سعيد عن محمد بن المنكدر عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من
احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا وابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا
يوم القيمة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله علمنا الثرثارون والمتشدقون
فما المتفيهقون قال المتكبرون والثرثار هو المكثار يكثر من الحديث والمتشدق المتطاول
على الناس في الكلام وقال الواسطي الخلق العظيم ان لا يخاصم وقال ايضا وانك لعلى خلق عظيم ولا يخاصم
لوجدانك حلاوة المطالعة على سرك وقال ايضا لانك قبلت فنون ما اسديت اليك من نعمي احسن
مما قبله غيرك من الانبيا والرسل وقال الحسين لانه لم يؤثر فيك جفا الخلق مع مطالعة الحق
وقيل الخلق العظيم لباس النعوت والتخلق باخلاق الله اذ لم يبق للاعواض عنده خطر وقال
بعضهم في قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لانه حين قال

ونك

وانك لا تحضره واذا احضر اغفله وحجبه وقوله لاخذنا منه ثم لان فيه فنا وفي قول هذا
القائل نظر فهلا قال ان كان في ذلك فنا ففي قوله وانك لعلى بقا وبقا بعد فنا والبقا اتم
من الفنا وهذا البقا منصب الرسالة لان الفنا انما عز لمزاحمة وجود مذموم فاذا نزع
المذموم من الوجود وتبدل ثبت النعوت اي عزة تبقى في الفنا فيكون حضوره بالله لا بنفسه
فاي حجبة تبقى هنالك وقيل من اوتي الخلق فقد اوتي اعظم المقامات لان المقامات ارتباط
عام وللخلق ارتباط بالنعوت والصفات وقال الجنيد اجتمع فيه اربعة اشيا السخا والا لفة
والنصيحة والشفقة وقال ابن عطا الخلق العظيم ان لا يكون له اختيار ويكون تحت
الحكم مع فنا النفس وفنا المالوفات وقال ابو سعيد القرشي العظيم هو الله ومن اخلاقه الجود
والكرم والصفح والعفو والاحسان الا ترى قول النبي عليه الصلوة والسلام ان لله مائة
وبضع عشر خلقا من اتى بواحد منها دخل الجنة فتخلق باخلاق الله فوجد الثنا عليه
بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقيل عظم خلقك لانك لم ترض بالاخلاق وسرت ولم تسكن
الى النعوت حتى وصلت الى الذات وقيل لما بعث محمد الى الحجاز حجزه بها عن اللذات
والشهوات والقاه في الغربة والجفوة فلما صفا بذلك عن دنس الاخلاق قال له وانك
لعلى خلق عظيم واخبرنا الشيخ ابو زرعة بن الحافظ ابي محمد بن طاهر المقدسي
عن ابيه انا ابو عمرو المليحي انا ابو محمد عبد الله بن يوسف انا ابو سعيد بن الاعرابي نا
جعفر ابن الحجاج الرقي نا ايوب بن محمد الوزان قال حدثني ابو الوليد قال حدثني ثابت عن
زيد عن الاوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان نبي الله عليه
الصلوة والسلام يقول مكارم الاخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون
في الابن ولا تكون في ابيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن
اراد به السعادة صدق الحديث وصدق الباس وان لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان
واعطا السائل والمكافاة بالصنائع وحفظ الامانة وصلة الرحم والتذمم للصاحب

الاحوال ان الغم والفرح

واقرا الضيف ورأسهن الحيا وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل
الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الغم
والفرح يكون هذا الغم فوات الحظوظ العاجلة لان ذلك يتضمن التسخط والتضجر وفيه الاعتراض
على الله وعدم الرضى بالقضا ويكون الفرح المشار اليه فرح بالحظوظ العاجلة الممنوع منه
بقوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وهو الفرح الذي قال الله تعالى اذ
قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين لما راى مفاتحه تنوء بالعصبة اولي القوة واما الفرح
بالاقسام الاخروية فمحمود منافس فيه قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
وفسر عبد الله بن المبارك حسن الخلق فقال هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الاذى
فالصوفية راضوا نفوسهم بالمكابدات والمجاهدات حتى اجابت الى تحسين الاخلاق وكم
من نفس تجيب الى الاعمال ولا تجيب الى الاخلاق فنفوس العباد اجابت الى الاعمال وجمحت عن
الاخلاق ونفوس الزهاد اجابت الى بعض الاخلاق دون البعض ونفوس الصوفية اجابت
الى الاخلاق الكريمة كلها اخبرنا ابو زرعة اجازة عن ابي بكر بن خلف اجازة عن السلمي
قال سمعت الحسين بن احمد بن جعفر يقول سمعت ابا بكر الكتاني يقول التصوف خلق من زاد
عليك في الخلق زاد عليك في التصوف فالعباد اجابت نفوسهم الى الاعمال لانهم سلكوا
بنور الاسلام والزهاد اجابت نفوسهم الى بعض الاخلاق لكونهم سلكوا بنور الايمان والصوفية
اهل القرب سلكوا بنور الاحسان فلما باشر بواطن اهل القرب والصوفية نور اليقين
وتاصل في بواطنهم ذلك انصلح القلب بكل ارجائه وجوانبه لان القلب يبيض بعضه بنور
الاسلام وبعضه بنور الايمان وكله بنور الاحسان والايقان فاذا ابيض القلب وتنور
انعكس نوره على النفس وللقلب وجه الى النفس ووجه الى الروح وللنفس وجه الى القلب
ووجه الى الطبع والغريزة والقلب اذا لم يبيض كله لم يتوجه الى الروح بكله ويكون
ذا وجهين وجه الى الروح ووجه الى النفس واذا ابيض توجه الى الروح بكله فتداركه

مدد

102

مدد الروح ويزداد اشراقا وتنورا وكلما انجذب القلب الى الروح انجذبت النفس الى القلب
وكلما انجذبت توجهت الى القلب بوجهها الذي يليه وتتنور النفس لتوجهها الى
القلب بوجهها الذي يلي القلب وعلامة تنورها طمانينتها قال الله تعالى يا ايتها النفس
المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية وتنور وجهها الذي يلي القلب بمثابة نورانية
احد وجهي الصدف لاكتساب النورانية من اللؤلؤ ويبقى شي من الظلمة على النفس كنسبة
وجهها الذي يلي الغريزة والطبع كنظاهر الصدف على ضرب من الكدر والنقصان يخالف
نورانية باطنه واذا تنور احد وجهي النفس عجيب الى تحسين الاخلاق وتبديل النعوت
ولذلك سموا الابدال الابدال الاول والسر الاكبر في ذلك ان قلب الصوفي بدوام الاقبال على الله تعالى
ودوام الذكر بالقلب واللسان يرتقي الى ذكر الذات ويصير حينئذ بمثابة العرش فالعرش
قلب الكائنات في عالم الخلق والحكمة والقلب عرش في عالم الامر والقدرة قال سهل بن
عبد الله التستري القلب كالعرش والصدر كالكرسي وقد ورد لا يسعني ارضي ولا سماي
ويسعني قلب عبدي المؤمن فاذا اكتحل القلب بنور ذكر الذات وصار بحرا مواجا من
نسمات القرب جرى في جداول اخلاق النفس صفاء النعوت والصفات وتحقق التخلق
باخلاق الله تعالى حكي عن الشيخ ابي علي الفارمذي انه حكى عن شيخه ابي القسم الكركاني
انه قال ان الاسما التسعة والتسعين تصير اوصافا للعبد السالك وهو بعد في السلوك
غير واصل ويكون الشيخ عني بهذا ان العبد ياخذ من كل اسم وصفا يلايم ضعف البشر وقصوره
مثل ان ياخذ من اسم الله تعالى الرحيم معنى من الرحمة على قدر قصور البشر وكل اشارات
المشايخ في الاسما والصفات التي هي اعز علومهم على هذا المعنى والتفسير وكل من توهم
بذلك شيئا من الحلول تزندق والحد وقد اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا بوصية
جامعة لمحاسن الاخلاق فقال له يا معاذ اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفا
بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل

السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القران وحب الاخرة والجزع
من الحساب وخفض الجناح واياك ان تسب حكيما او تكذب صادقا او تطيع اثما او تعصي
اماما عادلا او تفسد ارضا او صيك باتقا الله عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل
ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية بذلك ادب الله عباده ودعاهم الى مكارم
الاخلاق ومحاسن الاداب وروى معاذ ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حف
الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الآداب اخبرنا الصدر العالم الاوحد ضيا الدين
عبد الوهاب بن علي باسناده المتقدم الى الترمذي قال ثنا ابو كريب قال ثنا قبيصة بن
الليث عن مطرف عن عطا عن ام الدردا عن ابي الدردا رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من شي يوضع في الميزان اثقل من حسن الخلق وان صاحب
حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلوة وقد كان من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
كان اسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل ولم يجد من يعطيه وفاجاه الليل
لا ياوي الى منزله حتى يبرأ منه ولا ينال من الدنيا اكثر مما يكون قوت عامه من ايسر ما يجد من
التمر والشعير ويضع ما عدى ذلك في سبيل الله لا يسال شيا الا اعطى ثم يعود الى قوت
عامه فيوثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضا العام وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم
في مهنة اهله ويقطع اللحم معهن وكان اشد الناس حيا واكثرهم تواضعا صلى الله عليه وسلم

الباب الثلثون في تفاصيل اخلاق الصوفية

من احسن اخلاق الصوفية
التواضع ولا يلبس العبد لبسة اجمل من التواضع ومن ظفر بكنز التواضع والحكمة يقيم نفسه
عند كل احد مقدارا يعلم انه يقيمه ويقيم كل احد على ما عنده من نفسه ومن رزق هذا
فقد استراح واراح وما يعقلها الا العالمون اخبرنا ابو زرعة عن ابيه الحافظ المقدسي
انا عثمان بن عبيد الله انا عبد الرحمن بن ابرهيم بن حمدان ثنا ابو حاتم الرازي ثنا النضر بن
عبد الجبار ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب عن سنان بن سعد عن انس بن مالك رضي الله عنه

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اوحى الي ان تواضعوا ولا يبغي بعضكم
على بعض وقال عليه الصلوة والسلام في قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
قال على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن او فخذ ارنب ويكافي عليها
وياكلها ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين واخبرنا ابو زرعة اجازة عن ابن
خلف اجازة عن السلمي انا احمد بن علي المقري ثنا محمد بن المنهال قال حدثني ابي عن محمد بن
جابر اليماني عن سليمان بن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان من راس التواضع ان تبدأ بالسلام على من لقيت وترده على من سلم عليك وان ترضى بالدون من
المجلس وان لا تحب المدحة والتزكية والبر وورد عنه ايضا عليه الصلوة والسلام طوبى لمن
تواضع من غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة سيل الجنيد عن التواضع فقال خفض
الجناح ولين الجانب وسيل الفضيل عن التواضع فقال تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن
قاله وتسمع منه وقال ايضا من راى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب وقال وهب
بن منبه مكتوب في كتب الله اني اخرجت الذر من صلب آدم عليه السلام فلم اجد قلبا اشد
تواضعا لي من قلب موسى عليه السلام فلذلك اصطفيته وكلمته وقيل من عرف كون نفسه لم يطمع
في العلو والشرف وسلك سبيل التواضع فلا يخاصم من يذمه ويشكر الله لمن يمدحه وقال
ابو حفص من احب ان يتواضع قلبه فليصحب الصالحين وليلتزم حرمتهم فمن شرة تواضعهم في
انفسهم يتعدى بهم ولا يتكبر وقال لقمن لكل شي مطية ومطية العمل التواضع وقال سفين
الثوري رحمة الله عليه خمسة انفس اعز الخلق في الدنيا عالم زاهد وفقيه صوفي وغني
متواضع وفقير شاكر وشريف سني وقال الجلا لولا شرف التواضع كنا اذا مشينا خطرنا وقال
يوسف بن اسباط وقد سيل ما غاية التواضع قال ان تخرج من بيتك فلا تلقى احدا الا رايته
خيرا منك ورايت شيخنا ضيا الدين ابا النجيب وكنت معه في سفرة الى الشام وقد بعث بعض

ابنا الله طعاما فاحضروني الاسارى من الافرنج وهم في قيودهم فلما مدت السفرة والاسارى
ينتظرون الاواني حتى يفرغ قال للخادم احضر الاسارى حتى يقعدون على السفرة مع الفقرا
فجاء بهم واقعدهم على السفرة صفا واحدا وقام الشيخ من سجادته ومشى اليهم وقعد بينهم
كالواحد منهم فاكل واكلوا وظهر لنا على وجهه ما نازل باطنه من التواضع لله والانكسار
في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بايمانه وعلمه انا ابو زرعة اجازة عن ابي بكر بن
خلف عن السلمي قال سمعت ابا الحسين الفارسي يقول سمعت الجريري يقول صح عند اهل
المعرفة ان للتواضع عشر خصال خمسة في الظاهر وخمسة في الباطن واما اللواتي
في الظاهر فصدق في اللسان وسخاوة في الملك وتواضع في الابدان وكف الاذى
واحتماله بلا اباء واما اللواتي في الباطن فحب وجود شكله وخوف الفراق من سيده ورجا الوصول
الى سيده والندم على فعله والحيا من ربه وقال يحيى بن معاذ التواضع حسن ولكن في
الاغنيا احسن والتكبر سمج في الخلق ولكن في الفقرا اسمج وقال ذو النون ثلثة من
علامات التواضع تصغير النفس معرفة بالعيب وتعظيم الناس حرمة للتوحيد وقبول
الحق والنصيحة من كل احد وقيل لابي يزيد متى يكون الرجل متواضعا قال اذا لم ير
لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى ان في الخلق شرا منه
قال بعض الحكما وجدنا التواضع مع الجهل والبخل احمد من الكبر مع الادب والسخا وقيل
لبعض الحكما هل تعرف نعمة لا تحسد عليها وبلا لا يرحم صاحبه عليه قال نعم اما النعمة
فالتواضع واما البلا فالكبر والكشف عن حقيقة التواضع ان التواضع رعاية الاعتدال
بين الكبر والضعة فالكبر رفع الانسان نفسه فوق قدره والضعة وضع الانسان
نفسه مكانا يزري به ويفضي الى تضييع حقه وقد ابهم من كثير من اشارات المشايخ
في شرح التواضع الى حد اقاموا التواضع مقام الضعة ويلوح فيه الهوي من اوج
الافراط الى حضيض التفريط ويوهم انحرافا عن حد الاعتدال ويكون قصدهم في المبالغة

لهم نفوس المريدين خوفا عليهم من العجب والكبر فقل ان يتمكن مريد في مبادي ظهور سلطان
الحال من العجب حتى لعل تنقل عن جمع من الكبار كلمات موذنة بالاعجاب وكلما نقل من ذلك
القبيل عن المشايخ لبقايا السكر عندهم وانحصارهم في مضيق سكر الحال وعدم الخروج الى
فضا الصحو في ابتدا امرهم وذلك اذا حقق صاحب البصيرة نظره يعلم انه من استراق النفس
السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس اذا استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب
ظهرت بصفتها على وجه لا يعفو على الوقت وملاقة الحال فيكون من ذلك كلمات موذنة
بالعجب كقول بعضهم من تحت خضرا السما مثلي وقول بعضهم قدمي على رقبة كل ولي لله
وكقول بعضهم اسرجت والجمت وطفت في اقطار الارض وقلت هل من مبارز فلم يخرج
الي احد اشارة منه الى تفرده في وقته ومن اشكل عليه ذلك ولم يعلم انه من استراق النفس
السمع فليرد ذلك لميزان احوال الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواضعهم واجتنابهم
امثال هذه الكلمة واستبعادهم ان يجوز للعبد التظاهر بشي من ذلك ولكن يحمل الكلام من
الصادقين وجها في الصحة ويقال ان ذلك طفح عليهم بسكر الحال وكلام السكارى يحمل فالمشايخ
ارباب التمكين لما علموا في النفوس هذا الدا الدفين بالغوا في شرح التواضع الى حد يلحق
بالضعة تداويا للمريدين والاعتدال في التواضع ان يرضى للانسان منزلة دون ما يستحقه
ولو امن التخصص جموح النفس لوقفها على حد يستحقه من غير زيادة ونقصان ولكن لما
كان الجموح في جبلة النفس لكونها مخلوقة من صلصال كالفخار فيها نسبة النارية وطلب
الاستعلا بطبعها الى مركز النار احتاجت الى التداوي بالتواضع وايقافها دون ما تستحقه
لئلا تتطرق اليها الكبر فالكبر ظن الانسان انه اكبر من غيره والتكبر اظهاره ذلك وهذه
صفة لا تستحقها الا الله تعالى ومن ادعاها من المخلوقين يكون كاذبا والكبر يتولد من
الاعجاب والاعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل الانسلاخ من الانسانية حقيقة
وقد عظم الله شان الكبر بقوله تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال الله اليس في جهنم مثوى

للمتكبرين وقد ورد يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدًا
منهما قصمته وفي رواية قذفته في نار جهنم وقال الله تعالى بعدًا للانسان في طغيانه الى
حده ولا تمش في الارض مرحًا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولًا وقال الله تعالى فلينظر
الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وابلغ من هذا قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي
شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره وقد قال بعضهم لبعض المتكبرين اولك نطفة مذرة
واخرك جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك تحمل العذرة وقد نظم الشاعر هذا المعنى شعر
كيف يزهو من رجيعه ابد الدهر ضجيعه ۝ واذا ارتحل التواضع من القلب وسكن
الكبر يتبين اثره في بعض الجوارح ويرشح الاناء بما فيه فتارة يظهر اثره في العنق بالتمايل
وتارة في الخد بالتصعير قال الله تعالى ولا تصعر خدك للناس وتارة يظهر في الراس عند
استعصاء النفس قال الله تعالى لووا رؤسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون وكان
للكبر اقسامًا على الجوارح والاعضاء تتشعب منه شعب بعضها اكثف من البعض كالتيه
والزهو والعزة وغير ذلك الا ان العزة تشتبه بالكبر من حيث الصورة وتختلف من حيث
الحقيقة كاشتباه التواضع بالضعة والتواضع محمود والضعة مذمومة والكبر مذموم
والعزة محمودة قال الله تعالى فلله العزة ولرسوله وللمومنين والعزة غير الكبر ولا
يحل للمومن ان يذل نفسه فالعزة معرفة الانسان بحقيقة نفسه واكرامها ان لا يضعها
لاقسام عاجلة دنياوية كما ان الكبر جهل الانسان بحقيقة نفسه وانزالها فوق
منزلتها قال بعضهم للحسن ما اعظمك في نفسك قال لست بعظيم ولكني عزيز لما كانت
العزة غير مذمومة وفيها مشاكلة بالكبر قال الله تعالى يتكبرون في الارض بغير الحق
فيه اشارة خفية لاثبات العزة بالحق والوقوف على حد التواضع من غير انحراف
الى الضعة ووقوف على صراط العزة المنصوب على متن نار الكبر ولا يؤتي في ذلك ولا يثبت
عليها الا اقدام العلماء الراسخين والسادة المقربين ورؤساء الابدال والصادقين قال

بعضهم

105 بعضهم من تكبر فقد اخبر عن نذالة نفسه ومن تواضع فقد اظهر كرم نفسه وقال
الترمذي التواضع على ضربين وهو ان يتواضع العبد لامر الله ونهيه فان النفس لطلب الراحة
تتعلى في امره وللشهوة التي فيها تهوي في نهيه فاذا وضع نفسه لامره ونهيه فهو تواضع
والثاني ان يرفع نفسه لعظمة الله وان اشتهت نفسه شيئًا مما اطلق له من كل نوع من
الانواع منعها ذلك وجملة ذلك ان يترك مشيئته لمشيئة الله تعالى واعلم ان العبد لا يبلغ
حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي
ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق وللخلق لمحو اثارها وسكون
وهجها وغبارها وكان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا عليه الصلوة والسلام في اوطان
القرب فيما روت عائشة رضي الله عنها في الحديث الطويل قالت فقدت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات ليلة فاخذني ما ياخذ النساء من الغيرة ظنًا مني انه عند بعض ازواجه
فطلبته في حجر نسائه فلم اجده فوجدته في المسجد ساجدًا كالثوب الخلق وهو يقول
في سجوده سجد لك سوادي وخيالي وامن بك فؤادي واقر بك لساني وها انا ذا بين
يديك يا عظيم يا غافر الذنب العظيم وقوله عليه الصلوة والسلام سجد لك سوادي
وخيالي استقصاء في التواضع لمحو اثار الوجود وحيث لم تتخلف ذرة عن السجود ظاهرًا
وباطنًا ومتى لم يكن للصوفي حظ من التواضع الخاص على بساط القرب لا يتوفر حظه من
التواضع للخلق وهذه سعادة اذا اقبلت جاءت بكليتها والتواضع من اشرف اخلاق
الصوفية ومن اخلاق الصوفية المداراة واحتمال الاذى من الخلق وبلغ من مداراة
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه وجد قتيلًا من اصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد
على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به وكان
من حسن مداراته ان لا يذم طعامًا ولا ينهر خادمًا اخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح الكروخي قال انا ابو نصر الترياقي قال انا الجراحي

قال انا ابو العباس المحبوبي قال انا ابو عيسى الترمذي قال انا قتيبة قال نا جعفر
بن سليمان عن ثابت عن انس رضي الله عنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر
سنين فما قال لي اف قط وما قال لشي صنعته لم صنعته ولا لشي تركته لم تركته
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا
حريرا ولا شيا كان الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا
عطرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمداراة مع كل احد من
الاهل والاولاد والجيران والاصحاب والخلق كافة من اخلاق الصوفية وباحتمال
الاذى يظهر جوهر النفس وقد قيل لكل شي جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل
الصبر اخبرنا ابو زرعة طاهر عن ابيه الحافظ المقدسي قال انا ابو محمد الحريمي
قال انا ابو القسم عبد الله بن حبابة قال انا ابو القسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز
قال نا علي بن الجعد قال انا شعبة عن الاعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من هو قال ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال المومن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي
لا يخالطهم ولا يصبر على اذاهم وفي الخبر ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قيل
ماذا يصنع ابو ضمضم قال كان اذا اصبح قال اللهم اني اليوم تصدقت بعرضي على
من ظلمني فمن ضربني لا اضربه ومن شتمني لا اشتمه ومن ظلمني لا اظلمه واخبرنا ضيا
الدين عبد الوهاب انا ابو الفتح الهروي انا الترياقي انا الجراحي انا المحبوبي
انا ابو عيسى الترمذي قال حدثنا ابن ابي عمر نا سفين عن محمد بن المنكدر عن عروة
عن عايشة رضي الله عنها قالت استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا عنده
فقال بيس ابن العشيرة او اخ العشيرة ثم اذن له فالان له القول فلما خرج قلت
يا رسول الله قلت له ما قلت ثم النت له القول قال يا عايشة ان من شر الناس من

يتركه

يتركه الناس او يدعه الناس اتقا فحشه وروى ابو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن
فما شي يستدل به على قوة عقل الشخص ووفور علمه وحلمه كحسن المداراة والنفس لا تزال
تشمئز ممن يعكس مرادها ويستفزها الغيظ والغضب وبالمداراة قطع حمة النفس
ورد طيشها ونفورها وقد ورد من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله
يوم القيمة على رؤس الخلايق حتى يخيره في اي الحور شا وروى جابر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب وروى
ابو مسعود الانصاري قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه فارعد فقال هون
عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش كانت تاكل القديد وعن بعضهم في
معنى لين جانب الصوفية هينون لينون ايسار بنو يسر سواس مكرمة ابنا ايسار
لا ينطقون عن الفحشا ان نطقوا ولا يمارون ان ماروا باكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري
وروى ابو الدردا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعطي حظه من الرفق
فقد اعطي حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من الخير حدثنا
شيخنا ضيا الدين ابو النجيب املا قال انا ابو عبد الرحمن محمد بن عبد الله الماليني قال انا
ابو الحسن عبد الرحمن بن ابي طلحة الداودي قال انا ابو محمد عبد الله الحموي السرخسي
قال انا ابو عمران عيسى بن عمر السمرقندي قال انا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال نا
محمد بن احمد بن ابي خلف قال نا عبد الرحمن بن محمد عن محمد بن اسحق قال حدثني
عبد الله بن ابي بكر عن رجل من العرب قال زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين
وفي رجلي نعل كثيفة فوطيت بها على رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفحني نفحة بسوط
في يده وقال بسم الله اوجعتني قال فبت لنفسي لايما اقول اوجعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال بت بليلة كما يعلم الله فلما اصبحنا اذا رجل يقول ابن فلان فقلت هذا
والله الذي كان مني بالامس قال فانطلقت وانا متخوف فقال لي انك وطيت بنعلك على
رجلي بالامس فاوجعتني فنفحتك نفحة بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بها ومن
اخلاق الصوفية الايثار والمواساة ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعا
وقوة النفس شرعا يوثرون بالموجود ويصبرون على المفقود قال ابو يزيد البسطامي
رحمه الله عليه ما غلبني احد ما غلبني شاب من اهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا ابا يزيد
ما حد الزهد عندكم قلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ فقلت عندنا
وما حد الزهد عندكم قال اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا آثرنا وقال ذو النون رحمه الله
من علامة الزاهد المشروح صدره ثلث تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار عند
القوت روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة
وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شي من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم
لهم من اموالنا وديارنا ونوثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فانزل الله تعالى ويوثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وروى ابو هريرة قال جا رجل الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد اصابه جهد فقال يا رسول الله اني جايع فاطعمني فبعث النبي
صلى الله عليه وسلم الى ازواجه هل عندكن شي فكلهن قلن والذي بعثك بالحق نبيا ما
عندنا الا الما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عندنا ما نطعمك هذه الليلة ثم
قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله
فاتى به منزله فقال لاهله هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكرميه ولا تدخري
عنه شيا فقالت ما عندنا الا قوت الصبية فقال قومي عليهم عن قوتهم حتى يناموا ولا
يطعموا شيا ثم اسرجي فاذا اخذ الضيف ليا كل فقومي كانك تصلحين السراج فاطفيه وتعالي

نمضغ

نمضغ السنتنا لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشبع ضيف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقامت الى الصبية فعللتهم حتى ناموا عن قوتهم ولم يطعموا شيا ثم قامت فاثردت
واسرجت فلما اخذ الضيف ليا كل قامت كانها تصلح السراج فاطفته فجعلا يمضغان
السنتهما لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وظن الضيف انهما ياكلان معه حتى شبع
الضيف وباتا طاويين فلما اصبحوا غدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر
اليهما تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة
فانزل الله تعالى ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال انس اهدي لبعض الصحابة
راس شاة مشوي وكان مجهودا فوجه به الى جار له فتداولته سبعة انفس ثم عاد
الى الاول فانزلت الاية لذلك وروي ان ابا الحسن الانطاكي اجتمع عنده نيف وثلثون
رجلا بقرية بقرب الري ولهم ارغفة معدودة لم تشبع خمسة منهم فكسروا الرغفان
واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع الطعام واذا هو بحاله لم ياكل احد منهم ايثارا
منه على نفسه وحكي عن حذيفة العدوي قال انطلقت يوم اليرموك لطلب ابن عم
لي ومعي شي من ما وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت وجهه واذا انا به فقلت
اسقيك فاشار الي نعم فاذا رجل يقول آه فقال ابن عمي انطلق به اليه فاذا هو هشام
بن العاص فقلت اسقيك فسمع هشام اخر يقول آه فقال انطلق به اليه فجيته فاذا هو
قد مات ثم رجعت الى هشام فاذا هو قد مات ثم رجعت به الى ابن عمي فاذا هو قد مات
وسئل ابو الحسن البوشنجي عن الفتوة فقال الفتوة عندي ما وصف الله تعالى به الانصار
في قوله والذين تبوؤا الدار والايمان قال ابن عطا يوثرون على انفسهم جودا وكرما
ولو كان بهم خصاصة يعني جوعا وفقرا قال ابو حفص الايثار هو ان يقدم حظوظ
الاخوان على حظوظه في امر الدنيا والاخرة وقال بعضهم الايثار لا يكون الا عن اختيار
انما الايثار ان يقدم حقوق الخلق اجمع على حقك ولا تميز في ذلك بين اخ وصاحب

وذي معونة وقال يوسف بن الحسين من راى لنفسه ملكا لا يصح منه الايثار لانه
يرى نفسه احق بالشي برويته ملكه انما الايثار ممن يرى الاشيا للحق فمن وصل اليه فهو
احق به فاذا وصل شي من ذلك اليه يرى نفسه ويده فيه يد امانة يوصلها الى صاحبها
او يوديها اليه وقال بعضهم حقيقة الايثار ان يوثر بحظ اخرتك على اخوانك فان
الدنيا اقل خطرا من ان يكون لايثارها محل او ذكر ومن هذا المعنى ما نقل ان بعضهم
راى اخا له فلم يظهر البشر الكثير في وجهه فانكر اخوه ذلك منه فقال يا اخي سمعت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا التقا المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة تسعون
لاكثرهما بشرا وعشرة لاقلهما بشرا فاردت ان يكون اكثر بشرا مني ليكون لك الاكثر
اخبرنا شيخنا ضيا الدين ابو النجيب اجازة قال انا ابو حفص عمر بن الصفار النيسابوري
قال انا ابو بكر احمد بن خلف الشيرازي قال انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت ابا
القسم الشيرازي يقول سمعت ابا بكر بن ابي سعدان يقول من صحب الصوفية فليصحبهم
بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمتى نظر الى شي من اسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده وقال
سهل بن عبد الله الصوفي من يرى دمه هدرا وملكه مباحا وقال رويم التصوف
مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التعرض
والاختيار وقيل لما سعي بالصوفية وتميز الجنيد بالفقه وقبض على الشحام والرقام
والنوري وبسط النطع لضرب رقابهم تقدم النوري فقيل الى ماذا تبادر فقال اوثر اخواني
بفضل حيوة ساعة وقيل دخل الروذباري دار بعض اصحابه فوجده غايبا وباب بيته
مغلق فقال الصوفي وله باب مغلق اكسروا الباب فكسروا وامر بجميع ما وجدوا في البيت
انفذوه الى السوق واتخذوا قوتا من الثمن وقعدوا في الدار فدخل صاحب المنزل ولم يقل
شيا ودخلت امراته وعليها كسا فدخلت بيتا ورمت بالكسا وقالت هذا ايضا من بقية
المتاع فبيعوه فقال الزوج لها لم تكلفت هذا باختيارك قالت اسكت مثل الشيخ يباسطنا

ونعم

ويحكم علينا ويبقى لنا شي ندخره عنه وقيل مرض قيس بن سعد فاستبطا اخوانه
في عيادته فسال عنهم فقالوا انهم يستحيون لما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا
يمنع الاخوان عن الزيارة ثم امر مناديا ينادي من كان لقيس عليه مال فهو منه في حل
فكسرت عتبته بالعشي من كثرة عواده وقيل اتى رجل صديقا له ودق عليه الباب
فلما خرج قال لماذا جيتني قال لاربع مائة درهم علي دين فدخل الدار ووزن اربع مائة
واخرج اليه ودخل الدار باكيا فقالت امراته هلا تعللت حين شق عليك الاجابة فقال
انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج ان يفاتحني به واخبرنا الشيخ ابو زرعة عن
ابيه الحافظ المقدسي قال انا محمد بن محمد بن محمد امام جامع اصفهان قال انا ابو عبد الله
الجرجاني قال انا ابو طاهر محمد بن الحسن المحمداباذي قال نا ابو البختري قال نا ابو
اسامة نا بريد بن ابي بردة عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الاشعريين اذا ارملوا في الغزو وقل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم في ثوب
واحد ثم اقتسموا في اناء واحد بالسوية فهم مني وانا منهم وحدث جابر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه اراد ان يغزو فقال يا معشر المهاجرين والانصار ان
من اخوانكم قوما ليس لهم مال ولا عدة فليضم احدكم اليه الرجل والرجلين والثلثة
فما لاحدكم من ظهر جمله الا عقبة كعقبة احدهم قال فضممت الي اثنين او ثلثة ما لي
الا عقبة كعقبة احدهم من جمله وروى انس قال لما قدم عبد الرحمن بن عوف
المدينة اخا النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع فقال له اقاسمك
مالي ولي امراتان فاطلق احدهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال له عبد الرحمن عمر
بارك الله لك في اهلك ومالك فما حمل الصوفي على الايثار الا طهارة نفسه وشرف
غريزته وما جعله الله تعالى صوفيا الا بعد ان سوى غريزته لذلك وكل من
كانت غريزته السخا يوشك ان يكون صوفيا لان السخا صفة الغريزة وفي مقابلته

الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون حكم بالفلاح لمن يوق الشح وحكم بالفلاح لمن انفق وبذل فقال ومما رزقناهم
ينفقون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون والفلاح اجمع اسم لسعادة
الدارين والنبي عليه الصلوة والسلام نبه بقوله ثلث مهلكات وثلاث منجيات فجعل
احدى المهلكات شحا مطاعا ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكا بل يكون مهلكا اذا كان
مطاعا فاما كونه موجودا في النفس غير مطاع لا ينكر ذلك لانه من لوازم النفس
مستمدا من اصل جبلتها التراب وفي التراب قبض وامساك وليس ذلك بالعجب من الادمي
وهو جبلي فيه وانما العجب وجود السخا في الغريزة وهي لنفوس الصوفية الداعي لهم
الى البذل والايثار والسخا اتم واكمل من الجود ففي مقابلة الجود البخل وفي مقابلة السخا
الشح والجود والبخل يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخا اذا
كان ذلك من ضرورة الغريزة فكل سخي جواد وليس كل جواد سخي والحق تعالى لا
يوصف بالسخا لان السخا من نتيجة الغرايز والله تعالى منزه من الغريزة والجود
يتطرق اليه الريا ويأتي به الانسان متطلعا الى عوض من الخلق او الحق بمقابله
شيا من الثنا وغيره من الخلق والثواب من الله تعالى والسخا لا يتطرق اليه الريا لانه
ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاعواض دنيا واخرة لان طلب العوض مشعر
بالبخل لكونه معلولا بطلب العوض فما محض سخا فالسخا لاهل الصفا والايثار لاهل
الانوار ويجوز ان يكون قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
انه نفي في الآية الاطعام لطلب الاعواض حيث قال لا نريد وقوله تعالى لوجه
الله فما كان لله لا يشعر بطلب العوض بل الغريزة لطهارتها تجذب الى مراد الحق
لا للعوض وذلك اكمل السخا من طهر الغرايز روت اسما بنت ابي بكر رضي الله
عنها قالت قلت يا رسول الله ليس لي من شي الا ما ادخل على الزبير افاعطي قال

نعم

109

نعم لا توكي فيوكا عليك ومن اخلاق الصوفية التجاوز والعفو ومقابلة السيئة
بالحسنة قال سفين الاحسان ان تحسن الى من اسا اليك فان الاحسان الى
المحسن متاجرة كنقد السوق خذ شيا وهات شيا وقال الحسن الاحسان ان
يعم ولا يخص كالشمس والريح والغيث وروي انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رايت قصورا مشرفة على الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه قال للكاظمين
الغيظ والعافين عن الناس روي ابو هريرة ان ابا بكر رضي الله عنه كان
مع النبي عليه الصلوة والسلام في مجلس فجا رجل فوقع في ابي بكر وهو ساكت
والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم رد ابو بكر عليه بعض الذي قال فغضب النبي
صلى الله عليه وسلم وقام فلحقه ابو بكر فقال يا رسول الله يشتمني وانت تبتسم ثم رددت
عليه بعض ما قال فغضبت وقمت فقال انك حيث كنت ساكتا كان معك ملك يرد عليه
فلما تكلمت وقع الشيطان فلم اكن لاقعد في مقعد فيه الشيطان يا ابا بكر ثلاث ذكرهن
كلهن حق حتى تعلم انه ليس عبد يظلم مظلمة فيعفو عنها الا اعز الله نصره وليس عبد
يفتح بابا يريد به كثرة الا زاده الله قلة وليس عبد يفتح عطية او صلة الا زاده
الله بها كثرة اخبرنا ضيا الدين عبد الوهاب بن علي قال انا الكروخي قال انا الترياقي
قال انا الجراحي قال انا المحبوبي قال انا ابو عيسى الترمذي قال نا ابو هشام الرفاعي
قال نا محمد بن فضيل عن الوليد بن عبد الله بن جميع عن ابي الطفيل عن حذيفة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا امعة تقولون ان احسن الناس
احسنا وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا انفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا وان اساوا
فلا تظلموا وقال بعض الصحابة يا رسول الله الرجل امر به فلا يقريني ولا يضيفني
فيمر بي افاجزيه قال لا اقره وقال الفضيل الفتوة الصفح عن الاخوان وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الواصل المكافي ولكن الواصل الذي اذا قطعت

امعة ضعيف الرأي او لوب
هر كسه تابع او لا كشي

رحمه وسلها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكارم الاخلاق ان تعفو
عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك ومن اخلاق الصوفية البشر وطلاقة
الوجه الصوفي بكاه في خلوته والبشر وطلاقة الوجه مع الناس فالبشر على
وجهه من اثار انوار قلبه وقد تنازل باطن الصوفي منازلات الاهية ومواهب
قدسية يرتوي منها القلب ويمتلي فرحا وسرورا قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا والسرور اذا تمكن من القلب فاض على الوجه آثاره قال الله تعالى
وجوه يومئذ مسفرة اي مضيئة مشرقة مستبشرة اي فرحة قيل اشرقت من
طول ما اغبرت في سبيل الله ومثال فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج
على الزجاج والمشكوة فالوجه مشكوة والقلب زجاج والروح مصباح فاذا تنعم القلب
بلذيذ المسامرة ظهر البشر على الوجه قال الله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم
اي نضارته وبريقه يقال انضر النبات اذا ازهر ونور وجوه يومئذ ناضرة الى
ربها ناظرة فلما نظرت نضرت فارباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصايرهم
بنور المشاهدة وانصقلت مرآئي قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الازلي فاذا
اشرقت الشمس على المرآة المصقولة استنارت الجدران قال الله تعالى سيماهم
في وجوههم من اثر السجود واذا تاثر الوجه بسجود الظلال وهي القوالب في قول
الله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال كيف لا يتاثر بشهود الجمال اخبرنا ضيا الدين
عبد الوهاب بن علي قال انا الكروخي قال انا الترياقي قال انا الجراحي قال انا المحبوبي
قال انا ابو عيسى الترمذي قال ثنا قتيبة قال ثنا المنكدر بن محمد بن المنكدر عن
ابيه عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة
وان من المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق وان تفرغ من دلوك في اناء اخيك
وقال سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي يعجبني من القرا كل سهل طلق مضحاك فاما

من

من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس كانه يمن عليك فلا اكثر الله في القرا مثله ومن
اخلاق الصوفية السهولة ولين الجانب والنزول مع الناس الى اخلاقهم وطباعهم
وترك التعسف والتكلف وقد روي في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخلاق الصوفية تحاكي اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول عليه
الصلوة والسلام اما اني امزح ولا اقول الا حقا روي ان رجلا يقال له زاهر
بن حزام وكان بدويا وكان لا ياتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا جا بطرفة
يهديها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجا يوما من الايام فوجده رسول الله
في سوق المدينة يبيع سلعة له لم يكن اتاه ذلك اليوم فاحتضنه النبي عليه الصلوة
والسلام من ورايه بكفيه فالتفت فابصر النبي صلى الله عليه وسلم فقبل كفيه فقال النبي عليه
افضل الصلوة والسلام من يشتري العبد فقال اذا تجدني كاسدا يا رسول الله فقال
ولكن عند الله ربيح فقال النبي عليه الصلوة والسلام لكل اهل حضر بادية وبادية آل
محمد زاهر بن حزام اخبرنا ابو زرعه طاهر بن الحافظ المقدسي عن ابيه قال انا المطهر
بن محمد الفقيه قال انا ابو الحسن قال انا ابو عمرو بن حكيم قال انا ابو امية قال ثنا عبيد بن
اسحق العطار قال ثنا سنان بن هرون عن حميد عن انس قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله احملني على جمل فقال احملك على ابن الناقة قال اقول لك احملني على ابن ٣
جمل تقول احملك على ابن الناقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالجمل ابن الناقة
وروي صهيب قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر ياكل فقال
اصب من هذا الطعام فجعلت آكل من التمر فقال اتاكل من التمر وانت رمد فقلت اذا
امضغ من الجانب الاخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم يا ذا الاذنين وسيلت عايشة رضي الله عنها
كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا في البيت قالت الين الناس بساما

مطلب

مجاحا كما وروت ايضا ان رسول الله سابقها فسبقته ثم سابقها بعد ذلك فسبقها
فقال هذه بتلك اخبرنا الشيخ ضيا الدين عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح الهروي
قال انا ابو نصر الترياقي قال انا ابو محمد الجراحي قال انا ابو العباس المحبوبي قال انا ابو عيسى
الحافظ الترمذي قال نا عبد الله بن الوضاح الكوفي قال نا عبد الله بن ادريس عن
شعبة عن ابي التياح عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى ان
كان يقول لاخ لي صغير يا ابا عمير ما فعل النغير والنغير عصفور صغير وروي ان
عمر رضي الله عنه سابق زبيرا رضي الله عنهما فسبقه الزبير فقال سبقتك ورب الكعبة
ثم سابقه مرة اخرى فسبقه عمر فقال عمر سبقتك ورب الكعبة وروي عبد الله
بن عباس قال قال لي عمر تعال انافسك في الما اينا اطول نفسا ونحن محرمون وروي
بكر بن عبد الله قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمادحون بالبطيخ
فاذا كانت الحقايق كانوا هم الرجال يقال بدح يبدح اذا رمى اي يترامون بالبطيخ
واخبرنا ابو زرعة عن ابيه قال انا الحسن بن احمد الكروخي قال نا ابو طالب
محمد بن محمد بن ابرهيم قال نا ابو بكر احمد بن محمد بن عبد الله قال حدثني اسحق الحربي
قال نا ابو سلمة قال نا حماد بن خالد قال نا محمد بن عمرو بن علقمة قال نا ابو الحسن
بن محصن الليثي عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن ابي بلتعة قال ان عايشة رضي
الله عنها قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بخزيرة طبختها له وقلت لسودة والنبي
بيني وبينها كلي فابت فقلت لها كلي فابت فقلت لتاكلن او لالطخن بها وجهك فابت
فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع
فخذه لها وقال لسودة لطخي وجهها فلطخت بها وجهي فضحك النبي عليه الصلوة
والسلام ايضا فمر عمر رضي الله عنه على الباب فنادى يا عبد الله يا عبد الله فظن
النبي عليه الصلوة والسلام انه سيدخل فقال قوما فاغسلا وجوهكما قالت عايشة

قالت

فما زالت اهاب عمر رضي الله عنه لهيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه ووصف بعضهم
ابن طاوس فقال كان مع الصبي صبيا ومع الكهل كهلا وكان فيه مزاحة اذا خلا
وروي معوية بن عبد الكريم قال كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان
يقول ويمزح عنده ويمازح وكنا نخرج من عنده ونحن نضحك وكنا اذا دخلنا على
الحسن نخرج من عنده ونحن نكاد نبكي فهذه الاخبار والآثار دالة على حسن
لين الجانب وصحة حال الصوفية وحسن اخلاقهم فيما يعتمدونه من المداعبة
في الربط وينزلون مع الناس على حسب طباعهم لنظرهم الى سعة رحمة الله فاذا
خلوا وقفوا موقف الرجال واكتسوا ملابس الاعمال والاحوال ولا يتفق في هذا
المعنى على حد الاعتدال الا صوفي قاهر للنفس عالم باخلاقها وطباعها سايس
لها بوفور العلم حتى يقف في ذلك على صراط الاعتدال بين الافراط والتفريط ولا
يصلح الاكثار من ذلك للمريدين المبتدين لقلة علمهم ومعرفتهم بالنفس وتعديهم حد
الاعتدال وللنفس في هذه المواطن نهضات ووثبات تجر الى الافساد وتخرج الى العناد
فالنزول الى طباع الناس يحسن ممن صعد عنهم وترقى لعلو حاله ومقامه فينزل اليهم
والى طباعهم حتى يتنزل بالعلم فاما من لم يصعد بصفا حاله عنهم وفيه بقية مزج
من طباعهم ونفوسهم الجامحة الامارة بالسوء اذا دخل في هذه المداخل اخذت
النفس حظها واغتنمت مآربها واستروحت الى الرخصة والنزول الى الرخصة مع
يحسن لمن ركب العزيمة غالبا وفاته وليس ذلك شان المبتدي فللصوفية العلما
فيما ذكرنا ترويح يعلمون حاجة القلب الى ذلك والشي اذا وضع للحاجة يتقدر بقدر
الحاجة ومعيار مقدار الحاجة في ذلك علم غامض لا يسلم لكل احد قال سعيد
بن العاص لابنه اقتصد في مزاحك فالافراط فيه يذهب البها ويجري عليك
السفها وتركه يغيظ المؤانسين ويوحش المخالطين وقال بعضهم المزاح مسلبة

للبها مقطعة للاخا، وكما يصعب معرفة الاعتدال في ذلك يصعب معرفة الاعتدال
في الضحك والضحك من خصايص الانسان وتميزه عن جنس الحيوان ولا يكون
الضحك الا عن سابقة تعجب والتعجب يستدعي الفكر والفكر شرف الانسان وخاصيته
ومعرفة الاعتدال فيه ايضا شان من رسخ قدمه في العلم ولهذا قيل اياك وكثرة
الضحك فانه يميت القلب وقيل كثرة الضحك من الرعونة وروي عن عيسى
عليه السلام انه قال ان الله يبغض الضحاك من غير عجب والمشاء في غير ارب
وذكر فرق بين المداعبة والمزاح قيل المداعبة ما لا يغضب جده والمزاح ما
يغضب جده وقد جعل ابو حنيفة رحمه الله القهقهة من الذنب وحكم ببطلان
الوضوء بها في الصلوة وقال يقيم الاثم مقام خروج الخارج فالاعتدال في المزاح والضحك
لا يتاتى الا اذا خلص وخرج من مضيق الخوف والقبض والهيبة فانه يقوم بكل
مضيق من هذه المضايق بعض التقويم فيعتدل الحال فيه ويستقيم فاما البسط والرجا
ينسيه الخوف والقبض فيكون بالعدل فيه ومن اخلاق الصوفية ترك التكلف وذلك
ان التكلف تصنع وتعمل وتمايل على النفس لاجل الناس وذلك يباين حال الصوفية
فيه وفي بعضه خفي منازعة الاقدار وعدم الرضا بما قسم الجبار ويقال التصوف
ترك التكلف ويقال التكلف تخلف وهو تخلف عن شاو الصادقين روى انس
بن مالك قال شهدت وليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيها خبز ولا لحم وروي
عن جابر انه اتاه ناس من اصحابه فاتاهم بخبز وخل وقال كلوا فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول نعم الادام الخل وروي سفيان بن سلمة قال دخلت
على سلمان الفارسي فاخرج الي خبزا وملحا وقال كل لولا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهانا عن التكلف ان يتكلف احد لاحد لتكلفت لكم والتكلف مذموم في جميع الاشيا
كالتكلف في الملبوس للناس من غير نية فيه والتكلف في الكلام وزيادة التملق الذي

صار

صار داب اهل الزمان وقلما يسلم من ذلك الا احاد وافراد وكم من متملق لا يعرف
انه يتملق ولا يفطن له وقد يتملق الشخص الى حد يخرجه الى صريح النفاق وهو
مباين لحال الصوفي اخبرنا الشيخ العالم ضيا الدين عبد الوهاب بن علي قال
انا ابو الفتح الهروي قال انا ابو نصر الترياقي قال انا ابو محمد الجراحي قال انا ابو
العباس المحبوبي انا ابو عيسى الترمذي قال ثنا احمد بن منيع قال ثنا يزيد بن هرون
عن محمد بن مطرف عن حسان بن عطية عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال الحيا والعي شعبتان من الايمان والبذا والبيان شعبتان من النفاق
البذا الفحش واراد بالبيان هاهنا كثرة الكلام والتكلف للناس بزيادة تملق وثنا
عليهم واظهار التفصح وذلك ليس من شان اهل الصدق وحكي عن ابي وايل قال
مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبي
لو كان في هذا الملح سعترا كان اطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته واخذ سعترا فلما
اكلنا قال صاحبي الحمد لله قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقك لم تكن
مطهرتي مرهونة وفي هذا من سلمان ترك التكلف قولا وفعلا وفي حديث
يونس النبي عليه السلام انه زاره اخوانه فقدم اليهم كسرا من خبز شعير وجز
لهم بقلا كان يزرعه ثم قال لولا ان الله تعالى لعن المتكلفين لتكلفت لكم وقال
بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر واذا استزرت فلا تبق ولا تذر
وروى زبير بن العوام قال نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
اللهم اغفر للذين يدعون لاموات امتي ولا يتكلفون الا اني بريء من التكلف
وصالحو امتي وروي ان عمر رضي الله عنه قرأ فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا
وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا ثم قال هذا كله قد عرفناه فما الاب
قال وبيد عمر عصاة فضرب بها الارض ثم قال هذا لعمر الله هو التكلف فخذوا ايها

ايها الناس ما بين لكم منه فما عرفتم اعملوا به وما لم تعلموا فكلوا علمه الى الله ومن
اخلاق الصوفية الانفاق من غير اقتار وترك الادخار وذلك ان الصوفي يرى
خزاين فضل الحق فهو بمثابة من هو مقيم على شاطي بحر والمقيم على شاطي البحر لا يدخر
الما في قربته وراويته روى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ما من يوم الا وملكان ينا ديان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا
ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا وروى انس بن مالك قال كان رسول الله لا يدخر
شيا لغد وروى انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث طواير فاطعم خادمه
طيرا فلما كان الغد اتاه به فقال رسول الله الم انهك ان تخبا شيا لغد فان الله ياتي
برزق كل يوم وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على بلال
وعنده صبرة من تمر فقال ما هذا يا بلال فقال ادخر يا رسول الله فقال اما تخشى انفق
بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا وروي ان عيسى بن مريم عليه السلام
كان ياكل الشجر ويلبس الشعر ويبيت حيث امسى ولم يكن له ولد يموت ولا بيت
يخرب ولا يخبا شيا لغد فالصوفي كل خباياه في خزاين الله لصدق توكله وثقته
بربه فالدنيا للصوفي كدار الغربة ليس فيها ادخار ولا لمنها استكثار قال
عليه الصلاة والسلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا
خماصا وتروح بطانا اخبرنا شيخنا ضيا الدين شيخ الاسلام ابو النجيب السهروردي
قال اخبرنا ابو عبد الرحمن محمد بن عبد الله الماليني قال انا ابو الحسن عبد الرحمن
الداودي قال انا ابو محمد عبد الله السرخسي قال انا ابو عمران السمرقندي قال انا
عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال انا محمد بن يوسف عن سفين عن ابن المنكدر
عن جابر رضي الله عنه قال ما سيل النبي عليه الصلوة والسلام شيا قط فقال
لا قال ابن عيينة اذا لم يكن عنده وعد وبالاسناد الى الدارمي قال اخبرنا يعقوب

ابن حميد

115

ابن حميد قال نا عبد العزيز بن محمد عن ابن اخي الزهري قال ان جبريل قال ما في الارض
اهل عشرة ابيات الا قلبتهم فما وجدت احدا اشد انفاقا لهذا المال من رسول الله
عليه الصلوة والسلام ومن اخلاق الصوفية القناعة باليسير من الدنيا قال ذو النون
المصري من قنع استراح من اهل زمانه واستطال على اقرانه وقال بشر بن الحارث
لو لم يكن في القناعة الا التمتع بالعز لكفى صاحبه وقال بنان الحمال الحر عبد ما طمع
والعبد حر ما قنع وقال بعضهم انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص
وقال ابو بكر المراغي العاقل من دبر امر الدنيا بالقناعة والتسويف ودبر امر الاخرة
بالحرص والتعجيل وقال يحيى بن معاذ من قنع بالرزق فقد ذهب بالاخرة وطاب عيشه
وقال امير المومنين علي ابن ابي طالب القناعة سيف لا ينبو اخبرنا ابو زرعة عن
ابيه عن الفضل قال انا ابو القسم عبد الله بن الحسن الخلال ببغداد قال انا ابو حفص
عمر بن ابرهيم قال نا ابو القسم البغوي قال نا محمد بن عباد قال نا ابو سعيد عن
صدقة بن الربيع عن عمارة بن غزية عن عبد الرحمن بن ابي سعيد عن ابيه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الاعواد يقول ما قل وكفى خير مما كثر والهى وروى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال افلح من اسلم وكان رزقه كفافا ثم صبر عليه
وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا وقال اللهم اجعل رزق ال محمد
قوتا وروى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القناعة مال لا ينفد وروى
عن عمر رضي الله عنه انه قال كونوا اوعية الكتاب وينابيع الحكمة وعدوا انفسكم في
الموتى واسألوا الله رزق يوم بيوم ولا يضركم ان لا يكثر لكم واخبرنا طاهر بن ابي
الفضل عن والده قال انا ابو القسم اسمعيل بن عبد الله الساوي قال انا احمد بن علي
الحافظ قال انا ابو عمرو بن حمدان قال نا الحسن بن سفيان قال نا عمرو بن مالك البصري
قال نا مروان بن معوية قال نا عبد الرحمن بن ابي سلمة الانصاري قال اخبرني سلمة

قوله لا ينبو من النبوة بعض ... ويقال نبا السيف اذا لم ... الضرب ولم يقطع وبعض ...

ابن عبد الله بن محصن عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح آمنا في
سربه معافا في بدنه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقيل
في تفسير قوله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة هي القناعة فالصوفي قوام على نفسه عالم
بطبايع النفس ومجذوب الى القناعة والتوصل الى استخراج ذلك من النفس لعلمه بدآيها
ودوآيها قال ابو سليمان الداراني القناعة من الرضى كما ان الورع من الزهد ومن
اخلاق الصوفية ترك المرا والمجادلة والغضب الا بحق واعتماد الرفق والحلم وذلك
ان النفوس تثب وتظهر في المماراة والصوفي كلما راى نفس صاحبه ظاهرة قابلها
بالقلب واذا قوبلت النفس بالقلب ذهبت الوحشة وانطفت الفتنة قال الله تعالى
تعليما لعباده ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ولا
ينزع المرا الا من نفوس زكية انتزع الغل منها ووجود الغل في النفوس من المرا الباطن
واذا انتزع المرا من الباطن ذهب من الظاهر ايضا وقد يكون الغل في النفس مع من
يشاكله ويماثله لوجود المنافسة ومن استقصى في تذويب النفس بنار الزهادة في
الدنيا ينمحي الغل من باطنه ولا يبقى عنده منافسة دنياوية في حظوظ عاجلة من
جاه ومال قال الله تعالى في وصف اهل الجنة ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين قال ابو حفص كيف يبقى الغل في قلوب ائتلفت بالله واتفقت
على محبته واجتمعت على مودته وانست بذكره فان تلك قلوب صافية من هواجس
النفوس وظلمات الطبايع بل كحلت بنور التوفيق فصارت اخوانا فهكذا قلوب
اهل التصوف والمجتمعين على الكلمة الواحدة من التلازم بشروط الطريق والاكباب
على الظفر بالتحقيق والناس بخلاف ذلك رجل طالب ما عند الله ويدعو الى ما عند الله
نفسه وغيره فما للمحق الصوفي مع هذا منافسة ومرا وغل فان هذا معه في طريق
واحد ووجهة واحدة واخوة دمعية والمومنون كالبنيان يشد بعضه بعضا

ورجل

ورجل مفتتن بشي من محبة الجاه والمال والرياسة ونظر الخلق فالصوفي مع هذا
منافسة لانه زهد فيما رغب فيه شأن الصوفي ان ينظر الى مثل هذا نظر رحمة وشفقة
حيث يراه محجوبا مفتتنا فلا ينطوي له على غل ولا يماريه في الظاهر على شي لعلمه بظهور
نفسه الامارة بالسو في المرا والمجادلة اخبرنا الشيخ العالم ضيا الدين عبد الوهاب
بن علي قال انا ابو الفتح الهروي قال اخبرنا ابو نصر الترياقي قال انا ابو محمد الجراحي قال انا
ابو العباس المحبوبي قال انا ابو عيسى الترمذي قال ثنا زياد بن ايوب قال ثنا المحاربي
عن ليث بن عبد الملك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تمار اخاك ولا تعده موعدا فتخلفه وفي الخبر من ترك المرا وهو مبطل بني
له في ربض الجنة ومن ترك المرا وهو محق بني له في وسطها ومن حسن خلقه بني له
في اعلاها واخبرنا شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب السهروردي قال انا ابو عبد الرحمن
محمد بن عبد الله الماليني انا ابو الحسن عبد الرحمن الداودي قال انا ابو محمد بن عبد الله
بن احمد الحموي انا ابو عمران عيسى السمرقندي انا ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن
الدارمي انا يحيى بن بسطام عن يحيى بن حمزة قال حدثني نعمان عن مكحول عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليباهي به العلما او يماري به السفها
او يريد ان يقبل بوجوه الناس اليه ادخله الله تعالى جهنم انظر كيف جعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم المماراة مع السفها سببا لدخول النار وذلك لظهور نفوسهم في طلب
القهر والغلبة والقهر والغلبة من الصفات الشيطانية في الادمي قال بعضهم المجادل
المماري يضع في نفسه عند الخوض في الجدال ان لا يقنع بشي ومن لا يقنع الا ان لا يقنع
فما الى قناعته سبيل فنفس الصوفي تبدلت صفاتها وذهب عنه صفة الشيطنة والسبعية
وتبدلت باللين والرفق والسهولة والطمانينة روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يومن حتى

يأمن جاره بوائقه انظر كيف جعل النبي عليه الصلوة والسلام من شرط الاسلام سلامة
القلب واللسان وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقوم وهم يجذون حجرا
فقال ما هذا قالوا هذا حجر الاشدا قال الا اخبركم باشد من هذا رجل كان بينه وبين
اخيه غضب فاتاه فغلب شيطانه وشيطان اخيه فكلمه وروي انه جا غلام لابي ذر
وقد كسر رجل شاة فقال ابو ذر من كسر رجل هذه الشاة فقال انا فقال ولم فعلت
ذلك قال عمدا فعلت قال ولم قال اغيظك فتضربني فتاثم فقال ابو ذر لاغيظن
من حظك على غيظي فاعتقه وروي الاصمعي عن اعرابي فقال اذا اشكل عليك امران
لا تدري ايهما ارشد فخالف اقربهما الى هواك فان اكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى
اخبرنا ابو زرعة عن ابيه ابو الفضل قال انا ابو بكر احمد بن علي قال اخبرنا ابن
خورشيد قوله ابراهيم بن عبد الله قال نا احمد بن محمد بن مسلم قال نا زبير بن بكار
قال نا سعيد بن سعد عن اخيه عن جده عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ثلث منجيات وثلث مهلكات فاما المنجيات فخشية الله في
السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضى والاقتصاد عند الفقر والغنى
واما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالحكم بالحق
عند الغضب والرضى لا يصح الا من عالم رباني امير على نفسه يصرفها بعقل
حاضر وقلب يقظان ونظر الى الله بحسن الاحتساب نقل انهم كانوا يتوضون
عن اذي المتكلم يقول بعضهم لان اتوضى من كلمة خبيثة احب الي من ان اتوضا
من طعام طيب وقال عبد الله بن عباس للحدث حدثنا نحدث من فرحك
وحدثنا من فيك فلا يحل حبوة الوقار والحكم الا الغضب ويخرج عن حد العقل
الى العدوان ويتجاوز الحد فبالغضب يتحرك دم القلب فان كان الغضب على من
فوقه ممن يعجز عن انفاذ الغضب ذهب الدم من ظاهر الجلد واجتمع في القلب

فيصير

فيصير منه الحزن والهم والانكاد ولا ينطوي الصوفي على مثل هذا لانه يرى
الحوادث والاعراض من الله تعالى فلا يتنكد ولا يغتم والصوفي صاحب الرضى
صاحب الروح والراحة والنبي عليه الصلوة والسلام اخبر ان الهم والحزن في
الشك والسخط سئل عبد الله بن عباس عن الغضب والغم قال مخرجهما واحد
واللفظ مختلف فمن نازع من يقوى عليه اضمره غضبا ومن نازع من لا يقوى
عليه كتمه حزنا والحرد غضب ايضا ولكن يستعمل اذا قصد المغضوب عليه وان
كان الغضب على من دونه كله وبماثله ممن يتردد في الانتقام منه يتردد دم القلب
بين الانقباض والانبساط فيتولد منه الغل والحقد ولا ياوي مثل هذا الى
قلب الصوفي قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل فصار قلب الصوفي
وحاله يقذف زبد الغل والحقد كما يقذف البحر الزبد لما فيه من تلاطم امواج
الانس والهيبة وان كان الغضب على من دونه ممن يقدر على الانتقام منه ثار دم
القلب والقلب اذا ثار دمه يحمر ويقسو او يتصلب وتذهب عنه الرقة واللين
ومنه تحمر الوجنات لان الدم في القلب ثار وطلب الاستعلاء وانتفخ منه العروق
وظهر عكسه واثره على الجسد فيتعدى الحدود حينئذ بالضرب والشتم ولا يكون
هذا للصوفي الا عند هتك الحرمات والغضب لله تعالى فاما في غير ذلك ينظر
الصوفي عند الغضب الى الله ثم تقواه يحمله على ان يزن حركته وقوله بميزان الشرع
والعدل ويتهم النفس بعدم الرضى بالقضا قيل لبعضهم من اقهر الناس لنفسه قال
ارضاهم بالمقدور وقال بعضهم لاصحابه ما لي سرور الا مواقع القضا فاذا اتهم
الصوفي النفس عند الغضب تدارك العلم واذا لاح علم العلم قوي القلب وسكنت
النفس وعاد دم القلب الى موضعه ومقره واعتدل الحال وغاض حمرة الخد
وبان فضيلة العلم قال عليه الصلوة والسلام السمت الحسن والتؤدة والاقتصا

جزء من اربع وعشرين جزوًا من النبوة روى جارثه بن قدامة قال قلت يا
رسول الله اوصني واقلل لعلي اعيه قال لا تغضب فاعاد عليه كل ذلك يقول لا
تغضب وقال عليه الصلوة والسلام ان الغضب جمرة من النار الم تر الى حمرة عينيه
وانتفاخ اوداجه من وجد ذلك منكم فان كان قايما فليجلس وان كان جالسا
فليضطجع اخبرنا ضيا الدين عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح الهروي انا ابو
نصر الترياقي انا الجراحي انا المحبوبي انا ابو عيسى الترمذي نا محمد بن عبد الله نا
بشر بن المفضل عن قرة بن خالد عن ابي جمرة عن ابن عباس ان النبي عليه الصلوة والسلام
قال لاشج عبد القيس ان فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والاناة ومن اخلاق الصوفية صح
التودد والتالف والموافقة مع الاخوان وترك المخالفة قال الله تعالى في وصف
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اشدآء على الكفار رحمآء بينهم وقال الله تعالى
لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم والتودد والتالف
من ايتلاف الارواح على ما ورد في الخبر الذي اوردنا فما تعارف منها ايتلف وقال الله
تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال النبي
عليه الصلوة والسلام المومن الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وقال
عليه الصلوة والسلام مثل المومنين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احدهما الاخرى
وما التقى مومنان الا استفاد احدهما من صاحبه خيرا قال ابو ادريس الخولاني
لمعاذ اني احبك في الله فقال ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ينصب لطايفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيمة وجوههم كالقمر
ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم اوليا الله
الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قيل من هولآء يا رسول الله قال المتحابون في
الله وقيل لو تحاب الناس وتعاطوا المحبة لاستغنوا بها عن العدل وقيل العدالة

خليفة

خليفة المحبة يستعمل حيث لا توجد المحبة وقيل طاعة المحبة افضل من طاعة
الرهبة لان طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج ولهذا المعنى كان صحبة
الصوفية موثرة من البعض في البعض لانهم لما تحابوا في الله تواصوا بمحاسن
الاخلاق ووقع القبول لوجود المحبة فانتفع لذلك المريد بالشيخ والاخ بالاخ
ولهذا المعنى امر الله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات في المساجد
اهل كل درب وكل محلة وفي الجامع في كل اسبوع مرة اهل كل بلد وانضمام
اهل السواد الى البلدان في الاعياد في جميع السنة مرتين واهل الاقطار
من البلدان المتفرقة في العمر مرة للحج كل ذلك لحكمة بالغة منها تاكيد الالفة
والمودة بين المومنين وقد قال عليه الصلوة والسلام المومن للمومن كالبنيان
يشد بعضه بعضا اخبرنا ابو زرعة قال انا والدي ابو الفضل قال انا
ابو نصر محمد بن سليمان العدل قال انا ابو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي
انا ابو العباس بن عبد الله بن يعقوب الكرماني قال حدثنا حماد بن زيد عن
مجالد بن سعيد عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الا ان مثل المومنين في توادهم وتحابهم وتراحمهم كمثل الجسد
كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سايره بالسهر والحمى والتالف والتودد يوكد
اسباب الصحبة مع الاخيار موثر جدا وقيل لقا الاخوان لقاح ولا شك ان البواطن
تتلقح ويقوى البعض بالبعض بل مجرد النظر الى اهل الصلاح يوثر صلاحا والنظر
في الصور يوثر اخلاقا مناسبة لخلق المنظور اليه كدوام النظر الى المحزون
يحزن ودوام النظر الى المسرور يسر وقد قيل من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه والجمل
الشرود يصير ذلولا بمقارنة الجمل الذلول فالمقارنة لها تاثير في الحيوان والنبات
والجماد والماء والهوا يفسدان بمقارنة الجيف والزروع تنقى عن انواع العروق

في الارض والنبات لموضع الافساد بالمقارنة واذا كانت المقارنة موثرة في هذه
الاشيا ففي النفوس الشريفة البشرية اكثر تاثيرا وقيل سمي الانسان انسانا لانه
يانس بما يراه من خير وشر والتالف والتودد يستجلب المزيد وانما العزلة والوحدة
تحمل بالنسبة الى اراذل الناس واهل الشر فاما اهل العلم والصفا والوفا والاخلاق
الحميدة فتغنم مقاربتهم والاستيناس بهم استيناس بالله تعالى كما ان محبتهم من محبة
الله والجامع معهم رابطة الحق ومع غيرهم رابطة الطبع فالصوفي مع غير الجنس
كاين باين ومع الجنس كاين محاين والمومن مراة المومن اذا نظر الى اخيه يستشف
من ورا اقواله واعماله واحواله تجليات الهية وتعريفات وتلويحات من الله
الكريم خفية غابت عن الاغيار وادركها اهل الانوار ومن اخلاق الصوفية شكر المحسن
على الاحسان والدعا له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفا توحيدهم وقطعهم
النظر الى الاغيار ورويتهم النعم من المنعم الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتدا برسول
الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال
ما من الناس احد آمن علينا في صحبته وذات يده من ابن ابي قحافة ولو كنت متخذا
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا وقال ما نفعني مال كمال ابي بكر رضي الله عنه فالخلق
حجبوا عن الله تعالى بالخلق في المنع والعطا والصوفي في الابتدا يفني الخلق ويرى
الاشيا من الله تعالى حيث طالع ناصية التوحيد وخرق الحجاب الذي منع الخلق عن
صرف التوحيد فلا يثبت للخلق منعا ولا عطا ويحجبه الحق عن الخلق فاذا ارتقى الى
ذروة التوحيد يشكر الخلق بعد شكر الحق ويثبت لهم وجودا في المنع والعطا بعد
ان يرى المسبب اولا وذلك لسعة علمه وقوة معرفته يثبت الوسايط فلا يحجبه
الخلق عن الحق كعامة المسلمين ولا يحجبه الحق عن الخلق كارباب الارادة والمبتدين
فيكون شكره للحق لانه المنعم والمعطي والمسبب ويشكر الخلق لانهم واسطة وسبب

قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يدعى الى الجنة الحمادون الذين يحمدون
الله في السرا والضرا وقال عليه الصلوة والسلام من عطس او تجشى فقال الحمد
لله على كل حال دفع به عنه سبعين دا اهونها الجذام وروى جابر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من عبد ينعم عليه نعمة فحمد الله الا كان الحمد افضل منها فقوله
عليه الصلوة والسلام كان الحمد افضل منها يحتمل انه اراد استرضا بها شكرا ويحتمل
ان الحمد افضل منها نعمة فيكون نعمة الحمد افضل من النعمة التي حمد عليها فاذا شكروا
المنعم الاول يشكرون الواسطة المنعم من الناس ويدعون له روى انس قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افطر عند قوم قال افطر عندكم الصايمون
واكل طعامكم الابرار ونزلت عليكم السكينة اخبرنا ابو زرعة عن ابيه قال
انا احمد بن محمد بن احمد البزاز قال انا ابو حفص عمر بن ابرهيم قال ثنا عبد الله
بن محمد البغوي قال ثنا عمر بن زرارة قال ثنا عيينة بن يونس عن موسى بن عبيدة
عن محمد بن ثابت عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لاخيه
جزاك الله خيرا فقد ابلغ في الثنا ومن اخلاق الصوفية بذل الجاه للاخوان والمسلمين
كافة اذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعيوب النفس وآفاتها وشهواتها يتوصل الى
قضا حوايج المسلمين ببذل الجاه والمعاونة في اصلاح ذات البين وفي هذا المعنى
يحتاج الى مزيد علم لانها امور تتعلق بالخلق ومخالطتهم ومعاشرتهم ولا يصلح لذلك
الا لصوفي تام الحال عالم رباني روى زيد بن اسلم انه قال كان نبي من الانبياء
ياخذ بركاب الملك يتالفه بذلك لقضا حوايج الناس وقال عطا لين يرائي
الرجل ستين فيكتسب جاها يعيش فيه مومن اتم له من ان يخلص العمل لنجاة نفسه
وهذا باب غامض لا يومن ان يفتتن به خلق من الجهال المدعين ولا يصلح هذا الا
لعبد اطلع الله على باطنه فعلم منه ان لا رغبة له في شي من الجاه والمال ولو انه

ملوك الارض وعوا في خدمته ما طغى ولا استطال ولو دخل الى اتون يوقد ما ظهرت
نفسه بصريح الانكار لهذا الحال وهذا لا يصلح الا لاحاد من الخلق وافراد من الصادقين
ينسلخون من اراداتهم واختيارهم ويكاشفهم الله بمراده منهم فيدخلون في الاشيا بمراد
الله فاذا علموا ان الحق يريد منهم المخالطة وبذل الجاه يدخلون في ذلك بغير صفات
النفس وهذا الاقوام هاموا ثم خمدوا واحكموا مقام الفنا ثم رقوا الى مقام البقا فيكون
لهم في كل مدخل ومخرج برهان وبيان واذن من الله تعالى على بصيرة من امرهم ليس
فيه ارتياب لصاحب قلب مكاشف بصريح المراد في خفي الخطاب فياخذ وقته ابدا
من الاشيا ولا ياخذ الاشيا من وقته ولا يكون هذا الا في كل وقت من الاوقات
واحد متحقق بهذا الحال قال ابو عثمن الحيري لا يكمل الرجل حتى يستوي في قلبه
اربعة اشيا المنع والعطا والعز والذل فلمثل هذا الرجل يصلح بذل الجاه والدخول
فيما ذكرناه منه قال سهل بن عبد الله لا يستحق الانسان الرياسة حتى يجتمع
فيه ثلث خصال يصرف جهله عن الناس ويحتمل جهل الناس ويترك ما في ايديهم ويبذل
ما في يده لهم وهذه الرياسة آنفا غير الرياسة التي زهد فيها ويتعين الزهد فيها
لضرورة صدقه وسلوكه وانما هذه رياسة اقامها الحق لصلاح خلقه فهو فيها
بالله يقوم بواجب حقها وشكر نعمتها الله تعالى

الباب الحادي والثلثون في ذكر الادب ومكانه من التصوف

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ادبني ربي فاحسن تاديبي فالادب تهذيب الظاهر والباطن فاذا تهذب
ظاهر العبد وباطنه صار صوفيا اديبا سميت المادبة مادبة لاجتماع الناس عليها
ولا يتكامل الادب في العبد الا بتكامل مكارم الاخلاق ومكارم الاخلاق مجموعها
من تحسين الخلق والخلق فالخلق صورة الانسان والخلق معناه فقال بعضهم الخلق
لا سبيل الى تغييره كالخلق وقد ورد فرغ ربكم من الخلق والخلق والرزق والاجل

وقد قال الله تعالى لا تبديل لخلق الله والاصح ان تبديل الاخلاق ممكن مقدور عليه
بخلاف الخلق وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حسنوا اخلاقكم
وذلك ان الله تعالى خلق الانسان وهياه لقبول الصلاح والفساد وجعله اهلا للادب
ومكارم الاخلاق ووجود الاهلية فيه كوجود النار في الزناد ووجود النخل في
النوى ثم ان الله تعالى بقدرته الهم الانسان ومكنه من اصلاحه بالتربية الى ان يصير
النوى نخلا والزناد بالعلاج حتى يخرج منه نار وكما جعل في نفس الادمي صلاحية
للخير والشر احال الاصلاح والافساد عليه فقال سبحانه ونفس وما سويها
فالهمها فجورها وتقويها فنسبتها بصلاحيتها للشيئين جميعا ثم قال سبحانه قد افلح
من زكيها وقد خاب من دسيها فاذا تزكت النفس تدبرت بالعقل واستقامت
احوالها الظاهرة والباطنة وتهذبت الاخلاق وتكونت الاداب فالادب استخراج
ما في القوة والخلق الى الفعل وهذا يكون لمن ركبت السجية الصالحة فيه والسجية
فعل الحق لا قدرة للبشر على تكوينها لتكوين النار في الزناد اذ هو فعل الله المحض
واستخراجه بكسب الادمي فهكذا الآداب منبعها السجايا الصالحة والمنح الالهية
ولما هيا الله تعالى بواطن الصوفية بتكميل السجايا فيها توصلوا بحسن الممارسة
والرياضة الى استخراج ما في النفوس مركوز بخلق الله تعالى الى الفعل فصاروا
مودبين مهذبين والآداب تقع في حق بعض الاشخاص من غير زيادة ممارسة
ورياضة لقوة ما اودع الله تعالى في غرايزهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ادبني ربي فاحسن تاديبي ومن بعض الناس من يحتاج الى طول ممارسة لنقصان
قوة اصولها في الغريزة ولهذا احتاج المريدون الى صحبة المشايخ لتكون الصحبة
والتعليم عونا على استخراج ما في الطبيعة الى الفعل قال الله تعالى قوا انفسكم
واهليكم نارا قال ابن عباس فقهوهم وادبوهم وفي لفظ آخر قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم ادبني ربي فاحسن تاديبي ثم امرني بمكارم الاخلاق فقال
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال يوسف بن الحسين بالادب
يفهم العلم وبالعلم يصح العمل وبالعمل تنال الحكمة وبالحكمة تقيم الزهد وبالزهد
تترك الدنيا وبترك الدنيا ترغب في الاخرة وبالرغبة في الاخرة تنال الرتبة عند الله
قيل لما ورد ابو حفص العراق جا اليه الجنيد فراى اصحاب ابي حفص وقوفا على
راسه يامرون لامره لا يخطي احد منهم فقال يا ابا حفص ادبت اصحابك ادب الملوك
فقال لا يا ابا القاسم ولكن حسن الادب في الظاهر عنوان الادب في الباطن قال ابو
الحسين النوري ليس يسمى عبده مقام ولا حال ولا معرفة يسقط معها اداب
الشريعة واداب الشريعة حلية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من
التحلي بمحاسن الاداب قال عبد الله بن المبارك ادب الخدمة اعز من الخدمة ه
حكي عن ابي عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكنت ربما اقعد عند الكعبة
وربما كنت استلقي وامد رجلي فجاتني عايشة المكية فقالت لي يا ابا عبيد يقال
انك من اهل العلم اقبل مني كلمة لا تجالسه الا بادب والا فيمحى اسمك من ديوان القرب
قال ابو عبيد وكانت من العارفات وقال عطا النفس مجبولة على سوء الادب
والعبد مامور بملازمة الادب والنفس تجري بطباعها في ميدان المخالفة والعبد
يردها بجهده الى حسن المطالبة فمن اعرض عن الجهد فقد اطلق عنان النفس
وغفل عن الرعاية ومهما اعانها فهو شريكها وقال الجنيد من اعان نفسه على هواها
فقد اشرك في قتل نفسه لان العبودية ملازمة الادب والطغيان سوء الادب
اخبرنا الشيخ ضيا الدين عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح الهروي قال انا ابو
نصر الترياقي قال انا ابو محمد الجراحي قال انا ابو العباس المحبوبي قال انا ابو عيسى
الترمذي قال نا قتيبة قال نا يحيى بن يعلى عن ناصح عن سماك عن جابر بن سمرة قال

قال

119 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يؤدب الرجل ولده خير له من ان يتصدق
بصاع وروي ايضا انه قال عليه الصلوة والسلام ما نحل والد ولدا من
نحل افضل من ادب حسن وروت عايشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن ادبه وقال
ابو علي الدقاق العبد يصل بطاعته الى الجنة وبادبه في طاعته الى الله تعالى
وقال ابو القسم القشيري كان الاستاذ ابو علي لا يستند الى شي وكان
يوما في مجمع فاردت ان اضع وسادة خلف ظهره لاني رايته غير مستند
فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت انه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة
او سجادة فقال لا اريد الاستناد فتاملت بعد ذلك فعلمت انه لا يستند
الى شي ابدا وقال الجلاجلي البصري التوحيد يوجب الايمان فمن لا ايمان
له لا توحيد له والايمان يوجب الشريعة فمن لا شريعة له لا ايمان له ولا
توحيد له والشريعة توجب الادب فمن لا ادب له لا شريعة له ولا ايمان له
ولا توحيد له وقال بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فما اسا احد الادب
في الظاهر الا عوقب ظاهرا وما اسا احد الادب باطنا الا عوقب باطنا
قال بعضهم وهو غلام الزقاق نظرت الى غلام امرد فنظر الي الزقاق
وانا انظر اليه فقال لتجدن غبها ولو بعد سنين قال فوجدت غبها بعد
عشرين سنة ان انسيت القران وقال سري صليت وردي ليلة من
الليالي ومددت رجلي في المحراب فنوديت يا سري كذا تجالس الملوك
فضممت رجلي وقلت وعزتك لا مددت رجلي ابدا قال الجنيد فبقي ستين
سنة ما مد رجله ليلا ولا نهارا قال عبد الله بن المبارك من تهاون بالادب
عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرايض ومن

يتهاون بالفرائض وقيل حرمان المعرفة سئل السري عن مسئلة فجعل يتكلم فيها
فدب على رجله عقرب فجعل يضربه بابرته فقيل له الا تدفعه عن نفسك قال
استحي من الله ان اتكلم في حال ثم اخالف ما اعلم فيه وقيل في ادب رسول الله
صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها ولم يقل رايت
وقال انس بن مالك الادب في العمل علامة قبول العمل وقال ابن عطاء
الادب الوقوف مع المستحسنات قيل ما معناه قال ان تعامل الله سرا وعلانية
بالادب فاذا كنت كذلك كنت اديبا وان كنت اعجميا ثم انشد

اذا نطقت جاءت بكل مليحة ... وان سكتت جاءت بكل مليح

وقال الجريري منذ عشرين سنة ما مددت رجلي في الخلوة فان حسن
الادب مع الله اولى واحسن وقال ابو علي ترك الادب موجب للطرد
فمن اساء الادب على البساط رد الى الباب ومن اساء الادب على الباب
رد الى سياسة الدواب

الباب الثاني والثلثون في ادب الحضرة الالهية لاهل القرب

كل الآداب تتلقى من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانه صلوات الله عليه وسلامه مجمع الآداب ظاهرا وباطنا واخبر
الله سبحانه عن حسن ادبه في الحضرة بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى
وهذه غامضة من غوامض الآداب اختص بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخبر الله عن اعتدال قلبه المقدس في الاعراض والاقبال اعرض
عما سوى الله وتوجه الى الله وترك وراء ظهره الارضين والدار العاجلة
بحظوظها والسموات والاخرة بحظوظها فما التفت الى ما اعرض عنه ولا لحقه
الاسف على الفائت في اعراضه قال الله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم فهذا
الخطاب للعموم وما زاغ البصر اخبار عن حال النبي صلى الله عليه وسلم بوصف خاص

الدار

من معنى

120

من معنى ما خاطب به العموم فكان ما زاغ البصر اخبارا عن حاله في طرف الاعراض
وفي طرف الاقبال تلقى ما ورد عليه في مقام قاب قوسين بالروح والقلب ثم قرن
استحياءه وهيبة واجلالا وطوى نفسه بقراره في مطاوي انكساره وافتقاره
لكيلا تنبسط النفس فتطغى لان الطغيان عند الاستغناء وصف النفس قال الله تعالى
كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى والنفس عند المواهب الواردة على الروح
والقلب تسترق السمع ومتى نالت قسطا من المنح استغنت وطغت والطغيان يظهر من
فرط البسط والافراط في البسط سد باب المزيد وطغيان النفس لضيق وعائها
عن المواهب وموسى عليه السلام صح له في الحضرة احد طرفي ما زاغ البصر وما التفت الى
ما فاته متاسفا لحسن ادبه ولكن امتلا من المنح واسترقت النفس السمع وتطلعت
الى القسط والحظ فلما حظيت النفس استغنت وطفح عليها ما وصل اليها وضاق نطاقها
فتجاوز الحد من فرط البسط وقال ارني انظر اليك فمنع ولم ينطلق في فضاء المزيد وظهر
الفرق بين الحبيب والكليم عليهما السلام وهذه دقيقة لارباب القرب والاحوال السنية
فكل قبض يوجد عقوبة لان كل قبض سد في وجه الفتوح والعقوبة بالقبض وجبت للافراط
في البسط ولو حصل الاعتدال في البسط ما وجبت العقوبة بالقبض والاعتدال في
البسط باتفاق النازل من المنح على الروح والقلب والاتفاق على الروح والقلب بما ذكرناه
من حال النبي عليه الصلوة والسلام من تغييب النفس في مطاوي الانكسار فذلك القرار
من الله الى الله وهو غاية الادب حظي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قوبل
بالقبض فدام مزيده وكان قاب قوسين او ادنى ويشاكل الشرح الذي شرحناه قول
ابي العباس بن عطاء في قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى قال لم يره بطغيان بل راه
على شرط اعتدال القوى وقال سهل بن عبد الله التستري لم يرجع رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى شاهد نفسه ولا الى مشاهدتها وانما كان مشاهدا بكليته لربه

ويشاهد ما يظهر عليه من الصفات التي اوجبت الثبوت في ذلك المحل وهذا الكلام
لمن اعتبره موافق لما شرحناه برمز في ذلك من سهل بن عبد الله ويويد ذلك ايضا
ما اخبرنا شيخنا ضيا الدين ابو النجيب السهروردي اجازة قال اخبرنا الشيخ العالم
عصام الدين ابو حفص عمر بن احمد بن منصور الصفار النيسابوري قال انا ابو بكر
احمد بن خلف الشيرازي قال انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت ابا نصر عبد الله بن
علي السراج قال اخبرني ابو الطيب العكي عن ابي محمد الجريري قال التسرع الي السوال
علم الانقطاع وسيلة والانقطاع والوقوف على حد الانكسار نجاة واللياذ بالهرب
من علم الدنو وصلة واستفتاح وفقد ترك الجواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعي
استماع الخطاب تكلف وخوف فوت علم ما انطوي من فصاحة الفهم في حيز الاقبال
مساءة والاصغا الي تلقي ما ينفصل من معدنه بعد والاستسلام عند التلاقي جراة
والانبساط في محل الانس غرة وهذه الكلمات كلها من اداب الحضرة لاربابها وفي قوله تعالي
ما زاغ البصر وما طغي وجه اخر الطف مما سبق ما زاغ البصر حيث لم يتخلف عن
البصيرة ولم يتقاصر وما طغي لم تسبق البصيرة البصر فيتجاوز حده ويتعدي مقامه
بل استقام البصر مع البصيرة والظاهر مع الباطن والقلب مع القالب والنظر مع القدم
وفي تقدم النظر علي القدم طغيان والمعني بالنظر علم وبالقدم حال فلم يتقدم النظر
علي القدم فيكون طغيانا ولم يتخلف القدم عن النظر فيكون تقصيرا فلما اعتدلت
الاحوال وصار قلبه كقالبه وقالبه كقلبه وظاهره كباطنه وباطنه كظاهره وبصره
كبصيرته وبصيرته كبصره فحيث انتهي نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله ولهذا المعني
انعكس حكم معناه ونوره علي ظاهره واتي ببراق ينتهي خطوه حيث ينتهي نظره لا يتخلف
قدم البراق عن موضع نظره كما جا في حديث المعراج فكان البراق بقالبه مشاكلا
لمعناه ومتصفا بصفته لقوة حاله ومعناه واشار في حديث المعراج الي مقامات
الانبيا

الانبيا وراي في كل سما بعض الانبيا اشارة الي تعويقهم وتخلفهم عن شاوه ودرجته
وراي موسي عليه السلام في بعض السموات فمن هو في السموات يكون قوله ارني انظر
اليك تجاوز النظر عن حد القدم وتخلف القدم عن النظر وهذا هو الاخلال باحد
الوصفين من قوله تعالي ما زاغ البصر وما طغي فرسول الله صلي الله عليه وسلم حمل مفترنا
قدمه ونظره في مجال الحيا والتواضع وتطاول بالنظر متعديا حد القدم تعوق
في بعض السموات كتعوق غيره من الانبيا فلم يزل صلوات الله عليه وسلامه مستخلص
حاله في خفارة ادب حاله حتي خرق حجب السموات فانصبت اليه اقسام القرب انصبابا
وانقشعت عنه سحايب الحجب حجابا حجابا حتي استقام علي صراط ما زاغ البصر وما طغي
فمر كالبرق الخاطف الي مخدع الوصل واللطايف وهذا غاية في الادب ونهاية في
الادب قال ابو محمد رويم حين سيل عن ادب المسافر فقال لا يجاوز همه قدمه حيث
وقف قلبه يكون مقره اخبرنا شيخنا ضيا الدين ابو النجيب السهروردي اجازة قال
عمر بن احمد قال انا ابو بكر بن خلف قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال انا القاضي ابو محمد
يحيي بن منصور قال نا ابو عبد الله محمد بن علي الترمذي قال نا محمد بن رزام الايلي
قال نا محمد بن عطا الهجيمي قال نا محمد بن نصير عن عطا بن ابي رباح عن ابن عباس قال تلا
رسول الله صلي الله عليه وسلم هذه الاية رب ارني انظر اليك قال قال يا موسي انه لا يراني
حي الا مات ولا يابس الا تدهده ولا رطب الا تفرق وانما يراني اهل الجنة الذين لا تموت
اعينهم ولا تبلي اجسادهم ومن اداب الحضرة ما قال الشبلي الانبساط بالقول مع الحق
ترك الادب وهذا يختص ببعض الاحوال والاشيا دون البعض ليس هو علي الاطلاق
لان الله تعالي امر بالدعا وانما الامساك عن القول كما امسك موسي عليه السلام عن
الانبساط في طلب المارب والحاجات الدنياوية حتي رفعه الحق مقاما في القرب واذن
له في الانبساط وقال اطلب مني ولو ملحا لعجينك فلما انبسط وقال رب اني لما انزلت

بعض
بالطريق الانبساط عليه نادما علي
ولم يخرج من مجال الحيا و
ايضا ملازم

اليّ من خير فقير لانه كان يسال حوائج الاخرة ويستعظم الحضرة ان يسال حوائج الدنيا
لحقارتها وهو في حجاب الحشمة عن سوال المستحقرات ولهذا مثال من الشاهد فان
الملك العظيم يسال المعظمات ويحتشم في طلب المحقرات فلما رفع بساط الحشمة صار في
مقام خاص من القرب يسال الحقير كما يسال الخطير قال ذو النون المصري رحمه الله
ادب العارف فوق كل ادب لان معروفه مودب قلبه وقال بعضهم يقول الحق سبحانه
من الزمته القيام مع اسمائي وصفاتي الزمته الادب ومن كشفت له عن حقيقة ذاتي
الزمته العطب فاختر ايهما شيت الادب او العطب وقول القايل هذا يشير الى الاسما
والصفات تستقل بوجود ويحتاج الى الادب لبقاء رسوم البشرية وحظوظ النفس ومع
لمعان نور عظمة الذات تتلاشى الاثار بالانوار ويكون معنى العطب التحقق بالفنا وفي ذلك
العطب نهاية الادب وقال ابو علي الدقاق في قوله عز وجل وايوب اذ نادى ربه
اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين قال لم يقل ارحمني لانه حفظ ادب الخطاب وقال
تعالى حاكيا عن عيسى عليه السلام ان كنت قلته فقد علمته ولم يقل لم اقل رعاية لادب
الحضرة وقال ابو نصر السراج ادب اهل الخصوصية من اهل الدين في طهارة القلوب
ومراعاة الاسرار والوفا بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات الى الخواطر والعوارض
والبوادي والعوايق واستوا السر والعلانية وحسن الادب في مواقف الطلب
ومقامات القرب واوقات الحضور والادب ادبان ادب قول وادب فعل فمن تقرب
الى الله بادب فعله منحه محبة القلوب قال ابن المبارك نحن الى قليل من الادب
احوج منا الى كثير من العلم وقال ايضا الادب للعارف بمنزلة التوبة للمستانف
وقال النوري من لم يتادب للوقت فوقته مقت وقال ذو النون اذا خرج المريد
عن حد استعمال الادب فانه يرجع من حيث جا وقال ابن المبارك ايضا قد اكثر الناس
في الادب ونحن نقول معرفة النفس وهذه اشارة منه الى ان النفس هي منبع الجهالات

وترك الادب من نتايج الجهل فاذا عرف النفس صادف نور العرفان على ما ورد من
عرف نفسه فقد عرف ربه ولهذا النور لا يظهر النفس بجهالة الا ويقمعها بصريح
العلم وحينئذ يتادب ومن اقام باداب الحضرة فهو بغيرها اقوم وعليها اقدر

الباب الثالث والثلثون في اداب الطهارة ومقدماتها

قال الله تعالى في وصف اصحاب الصفة فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب
المطهرين قيل في التفسير يحبون ان يتطهروا من الاحداث والجنابات والنجاسات
بالما قال الكلبي هو غسل الادبار بالما وقال عطا كانوا يستنجون بالما ولا ينامون
بالليل على الجنابة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قبا لما نزلت هذه
الاية ان الله عز وجل قد اثنى عليكم في الطهور فما هو قالوا انا نستنجي بالما وكان قبل
ذلك قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم الخلا فليستنجي بثلثة احجار
وهكذا كان الاستنجا في الابتدا حتى نزلت الاية في اهل قبا قيل لسلمان رضي الله
عنه قد علمكم نبيكم كل شي حتى الخراة فقال سلمان اجل نهانا ان نستقبل القبلة لغايط
او بول او ان نستنجي باليمين او يستنجي احدنا باقل من ثلثة احجار او نستنجي برجيع او
عظم حدثنا شيخنا ضيا الدين ابو النجيب السهروردي املا قال انا ابو منصور الكرخي
قال انا ابو بكر الخطيب قال انا ابو عمر الهاشمي قال انا ابو علي اللولوي قال انا ابو داود قال
عبد الله بن محمد قال انا ابن المبارك عن ابن عجلان عن القعقاع عن ابي صالح عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم فاذا اتى احدكم
الغايط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطيب بيمينه وكان يامر بثلثة
احجار وينهى عن الروث والرمة والغرض في الاستنجا شيان ازالة الخبث وطهارة
المزيل وهو ان لا يكون رجيعا وهو الروث ولا مستعملا مرة اخرى ولا رمة وهو
عظم الميتة ووتر الاستنجا سنة فاما ثلثة احجار او خمس او سبع واستعمال الما بعد

استعمال الحجر سنة وقد قيل في الاية يحبون ان يتطهروا فالوا لما سئلوا عن ذلك
قالوا كنا نتبع الما الحجر والاستنجا بالشمال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجا
سنة وهذا يكون في الصحرا اذا كان ارضا طاهرة وترابا طاهرا وكيفية الاستنجا
ان ياخذ الحجر بيساره ويضع على مقدم المخرج قبل ملاقاة النجاسة ويمده بالمسح
ويدير الحجر في مده حتى لا تنتقل النجاسة من موضع الى موضع يفعل ذلك الى ان ينتهي
الى موخر المخرج وياخذ الثاني ويضعه على الموخر كذلك ويمسح الى المقدم ويأخذ
الثالث ويديره حول المسربة وان استجمر بحجر ذي ثلث شعب جاز واما الاستبرا
اذا انقطع البول يمد ذكره من اصله ثلثا الى الحشفة بالرفق لئلا يندفق بقية البول
ثم ينتره ثلثا ويتعاطى الاستبرا بالاستنقا وهو ان يتنحنح ثلثا لان العروق
ممتدة من الحلق الى الذكر وبالتنحنح تتحرك وتقذف ما في مجرى البول فان مشي
خطوات وزاد في التنحنح فلا باس ولكن يراعي حد العلم ولا يجعل للشيطان عليه
سبيلا بالوسوسة وتضييع الوقت ثم يمسح الذكر ثلث مسحات او اكثر الى ان لا يرى
الرطوبة وشبه بعضهم الذكر بالضرع وقال لا يزال يظهر منه الرطوبة ما دام يمد
فيراعي الحد في ذلك ويراعي الوتر في ذلك ايضا والمسحات تكون على الارض الطاهرة
او حجر طاهر وان احتاج الى اخذ الحجر لصغره فلياخذ الحجر باليمين والذكر باليسار
ويمسح على الحجر ويكون الحركة باليسار لئلا يكون مستنجيا باليمين واذا اراد استعمال
الما انتقل الى موضع آخر ويقنع الحجر ما لم ينتشر البول على الحشفة وفي ترك الاستنقا
في الاستبرا وعيد ورد فيما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال مر رسول
الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال انهما يعذبان وما يعذبان في كبير اما
هذا فكان لا يستبرئ من البول ولا يستنزه من البول واما هذا فكان يمشي
بالنميمة ثم دعا بعسيب نخل فشقه باثنين ثم غرز على هذا واحدا وعلى هذا واحدا

وقال

123 وقال العلما يخفف عنهما ما لم ييبسا والعسيب الجريد واذا كان في الصحرا ابعد عن العيون
روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد البراز انطلق حتى لا يراه احد
وروى المغيرة بن شعبة قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فابعد في المذهب وروى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يتبوأ الحاجة كما يتبوأ الرجل المنزل وكان يستتر بحايط
او نشز من الارض او كوم من الحجارة ويجوز ان يستتر الرجل براحلته في الصحراء
او بذيله اذا حفظ الثوب من الرشاش ويتحرى البول في ارض دمثة او على تراب
مهيل قال ابو موسى كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يبول فاتى
دمثا في اصل جدار فبال ثم قال اذا اراد احدكم ان يبول فليرتد لبوله وينبغي ان
لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستقبل الشمس ولا القمر ولا يكره استقبال
القبلة في البنيان والاولى اجتنابه لذهاب بعض الفقها الى الكراهة ذلك في
البنيان ايضا ولا يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض ويتجنب مهاب الريح احترازا
من الرشاش قال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه ما لا تحسن
تحسن الخراة فقال بلى وابيك اني بها لحاذق قال فصفها لي فقال ابعد من البشر
واعد المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح واقعي اقعا الظبي واجفل اجفال
النعام يعني استقبل اصول النبات من الشيح وغيره واستدبر الريح احترازا من
الرشاش والاقعا هاهنا ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع
عجزه ويقول عند الفراغ من الاستنجا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وطهر قلبي
من الريا وحصن فرجي من الفواحش ويكره ان يبول الرجل في المغتسل روى
عبد الله بن مغفل ان النبي عليه الصلوة والسلام نهى ان يبول الرجل في مستحمه
وقال ان عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك يوسع في البول في المستحم

اذا جري فيه الماء واذا كان في البنيان يقدم رجله اليسرى لدخول الخلاء
ويقول قبل الدخول بسم الله واعوذ بالله من الخبث والخبائث حدثنا شيخنا
شيخ الاسلام ابو النجيب السهروردي قال انا ابو منصور المقرئ قال انا ابو بكر ضياء الدين ح
الخطيب قال انا ابو عمر الهاشمي قال انا ابو علي اللؤلؤي قال انا ابو داود قال نا عمرو
هو ابن مرزوق البصري قال انا شعبة عن قتادة عن النضر بن انس عن زيد بن
ارقم عن النبي عليه الصلوة والسلام قال ان هذه الحشوش محتضرة فاذا اتى احدكم
الخلاء فليقل اعوذ بالله من الخبث والخبائث واراد بالحشوش الكنف واصل الحش
جماعة النخل الكثيف كانوا يقضون حوائجهم اليها قبل ان تتخذ الكنف في البيوت
وقوله محتضرة اي يحضرها الشياطين وفي الجلوس للحاجة يعتمد على الرجل
اليسرى ولا يتولع بيده ولا يخط في الارض والحائط وقت قعوده ولا يكثر
النظر الى عورته الا للحاجة الى ذلك ولا يتكلم فقد ورد ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عورتهما يتحدثان
فان الله تعالى يمقت على ذلك ويقول عند خروجه غفرانك الحمد لله الذي
اذهب عني ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني ولا يستصحب معه شيئا عليه اسم
الله تعالى من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل حاسر الراس روت عائشة
عن ابيها ابي بكر رضي الله عنهما انه قال استحيوا من الله واني لادخل الكنيف فالزق
ظهري واغطي راسي استحيا من ربي

الباب الرابع والثلثون في ادب الوضوء واسراره

اذا اراد الوضوء يبتدي بالسواك حدثنا شيخنا
قال انا ابو عبد الله الطائي قال انا الحافظ الفراء قال انا عبد الواحد بن احمد
المليحي قال انا ابو منصور محمد بن محمد قال انا ابو جعفر محمد بن احمد بن عبد
الجبار قال نا حميد بن زنجويه قال نا يعلى بن عبيد قال انا محمد بن اسحق

عن

عن محمد بن ابرهيم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لاخرت العشاء الى ثلث الليل ولامرتهم بالسواك
عند كل مكتوبة وروت عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السواك مطهرة للفم
مرضاة للرب وعن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل
يشوص فاه بالسواك والشوص الدلك ويستحب السواك عند كل صلوة وعند كل وضوء وكلما تغير
الفم من ازم وغيره واصل الازم امساك الاسنان بعضها على بعض وقيل للسكوت ازم
لان الاسنان تنطبق وبذلك يتغير الفم ويكره للصايم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال
واكثر استحبابه مع غسل الجمعة وعند القيام من النوم ويندي السواك اليابس بالماء ويستاك
عرضا وطولا وان اقتصر فعرضا فاذا فرغ من السواك يغسله ويجلس للوضوء والاولى ان يكون
مستقبل القبلة يبتدي بسم الله الرحمن الرحيم ويقول رب اعوذ بك من همزات الشياطين
واعوذ بك رب ان يحضرون ويقول عند غسل اليد اللهم اني اسالك اليمن والبركة واعوذ بك
من الشوم والهلكة ويقول عند المضمضة اللهم صل على محمد وعلى ال محمد واعني على تلاوة
كتابك وكثرة الذكر لك ويقول عند الاستنشاق اللهم صل على محمد واوجدني رايحة الجنة
وانت عني راض ويقول عند الاستنثار اللهم صل على محمد وعلى ال محمد واعوذ بك من
روايح النار وسوء الدار ويقول عند غسل الوجه اللهم صل على محمد وبيض وجهي يوم تبيض
فيه وجوه اوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود فيه وجوه اعدائك وعند غسل اليمين
اللهم صل على محمد واتني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا وعند غسل الشمال اللهم اني
اعوذ بك ان تؤتيني كتابي بشمالي او من وراء ظهري وعند مسح الراس اللهم صل على محمد
وغشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك
ويقول عند مسح الاذنين اللهم صل على محمد واجعلني ممن يستمع القول فيتبع احسنه اللهم
اسمعني منادي الجنة مع الابرار ويقول عند مسح الرقبة اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك

من السلاسل والاغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى اللهم صل على محمد وثبت قدمي
على الصراط مع اقدام المومنين ويقول عند اليسرى اللهم صل على محمد واعوذ بك ان تزل
قدمي عن الصراط يوم تزل فيه اقدام المنافقين واذا فرغ من الوضو يرفع راسه الى السما
ويقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك
اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوا وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب
علي فانك انت التواب الرحيم اللهم صل على محمد واجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين
واجعلني صبورا شكورا واجعلني اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا وفرايض الوضو
النية عند غسل الوجه وغسل الوجه وحد الوجه من مبدا سطح الوجه الى
منتهى الذقن وما ظهر من اللحية وما استرسل منها ومن الاذن الى الاذن عرضا
ويدخل في الغسل البياض الذي بين الاذنين واللحية وموضع الصلع وما انحسر
عنه الشعر وهما النزعتان من الراس ويستحب غسلهما مع الوجه ويوصل الما الى
شعر التحذيف وهو القدر الذي تزيله النسا من الوجه ويوصل الما الى العنفقة
والشارب والحاجب والعذار وما عدا ذلك لا يجب من اللحية ان كانت خفيفة يجب
ايصال الما الى البشرة وحد الخفيف ان ترى البشرة من تحته وان كانت كثيفة فلا
يجب ويجتهد في تنقية مجتمع الكحل من مقدم العينين الواجب الثالث غسل اليدين
الى المرفقين ويجب ادخال المرفقين في الغسل ويستحب غسلهما الى انصاف العضدين
وان طالت الاظافر حتى خرجت من روس الاصابع يجب غسل ما تحتها على الاصح الواجب
الرابع مسح الراس يكفي ما يطلق عليه اسم المسح واستيعاب الراس بالمسح سنة وهو
ان يلصق روس اصابع اليمنى باليسرى ويضعها على مقدم الراس ويمدها الى القفا
ثم يردها الى الموضع الذي بدا منه ويضع بلل الكفين مستقبلا ومستدبرا والواجب
الخامس غسل القدمين ويجب ادخال الكعبين في الغسل ويستحب غسلهما الى انصاف

الساقين

الساقين ويقع غسل القدمين مع الكعبين ويجب تخليل الاصابع الملتفة فيخلل بخنصر
يده اليسرى من باطن القدم يبدا بخنصر رجله اليمنى ويختم بخنصر اليسرى وان كان في
الرجل شقوق يجب ايصال الما الى باطنها وان ترك فيها عجينا او شحما يجب ازالة عين الشي
الواجب السادس الترتيب على النسق المذكور في كلام الله تعالى والواجب السابع التتابع
في القول القديم عند الشافعي رحمة الله عليه وحد التفريق الذي يقطع التتابع نشاف
الوضو مع اعتدال الهوا وسنن الوضو ثلثة عشر التسمية في اول الطهارة وغسل اليدين
الى الكوعين والمضمضة والاستنشاق والمبالغة فيهما فيغرغر في المضمضة حتى
يرد الما الى الغلصمة ويصعد في الاستنشاق الما بالنفس الى الخياشيم ويرفق
في ذلك اذا كان صايما وتخليل اللحية الكثة وتخليل الاصابع المنفرجة والبداية
بالميامن واطالة الغرة واستيعاب الراس بالمسح والتثليث وفي القول الجديد
التتابع ويجتنب ان يزيد على الثلث ولا ينفض اليد ولا يتكلم في اثنا الوضو ولا يلطم
وجهه بالما لطما وتجديد الوضو مستحب بشرط ان يصلي بالوضو ما تيسر والا فمكروه

الباب الخامس والثلثون في اداب اهل الخصوص والصوفية في الوضو

ادب الصوفية بعد القيام بمعرفة الاحكام ادبهم في الوضو حضور القلب
في غسل الاعضا سمعت بعض الصالحين يقول اذا حضر القلب في الوضو حضر في الصلوة
واذا دخل السهو فيه دخل الوسوسة في الصلوة ومن ادبهم استدامة الوضو فالوضو
سلاح المومن والجوارح اذا كانت في حماية الوضو الذي هو اثر شرعي يقل طروق الشيطان
عليها قال عدي بن حاتم ما اقيمت صلوة منذ اسلمت الا وانا على وضو وقال انس
بن مالك قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وانا يوميذ ابن ثمان سنين فقال لي يا بني
ان استطعت ان لا تزال على الطهارة فافعل فانه من اتاه الموت وهو على الوضو اعطي
الشهادة فشان العاقل ان يكون ابدا مستعدا للموت ومن الاستعداد لزوم الطهارة

حكي عن الحصري انه قال مهما انتبه من الليل لا يحملني النوم الا بعد ما اقوم واجدد
الوضو لئلا اعود الى النوم وانا على غير طهارة وسمعت من صحب الشيخ علي بن الهيتي انه
كان يقعد الليل جميعه فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكلما انتبه يقول لا اكون
اسأت الادب فيقوم ويجدد الوضو ويصلي ركعتين روى ابو هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند صلوة الفجر يا بلال حدثني بارجى عمل
عملته عندي في الاسلام منفعة فاني سمعت الليلة خشفة نعليك بين يدي في الجنة
فقال ما عملت عملا في الاسلام ارجى عندي منفعة من اني لم اتطهر طهورا تاما في ساعة
من ليل او نهار الا صليت لربي عز وجل ما كتب لي ان اصلي ومن آدابهم في الطهارة ترك الاسراف
في الما والوقوف على حد العلم اخبرنا ضيا الدين عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح
الهروي قال انا ابو نصر الترياقي قال انا ابو محمد الجراحي قال انا ابو العباس المحبوبي قال انا
ابو عيسى الترمذي قال نا محمد بن بشار قال نا ابو داود قال نا خارجة بن مصعب عن
يونس بن عبيد عن الحسن عن عتي بن ضمرة السعدي عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال للوضو شيطان يقال له الولهان فاتقوا وسواس الما قال ابو عبد الله الروذباري
ان الشيطان يجتهد ان ياخذ نصيبه من جميع اعمال بني آدم فلا يبالي ان ياخذ نصيبه بان
يزدادوا فيما امروا به او ينقصوا منه وحكي عن ابن الكرنبي انه اصابته جنابة ليلة من
الليالي وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة فجا الى الدجلة وكان برد شديد فحرنت
نفسه عن الدخول في الما لشدة البرد فطرح نفسه في الما مع المرقعة ثم خرج من
الما وقال عقدت ان لا انزعها من بدني حتى تجف علي فلم تجف عليه شهرا كاملا لثخانتها
وغلظها ادب بذلك نفسه لما حرنت عند الايتمار لامر الله تعالى وقيل ان سهل بن عبد
الله كان يحث اصحابه على كثرة شرب الما وقلة صبه على الارض وكان يرى ان في الاكثار
من شرب الما اضعاف النفس واماتة الشهوات وكسر القوى ومن افعال الصوفية الاحتياط

في

126

في استقصا الما للوضو قيل كان ابرهيم الخواص اذا دخل البادية لا يحمل معه الا
ركوة من الما وربما كان لا يشرب منها الا القليل يحفظه للوضو وقيل انه كان يخرج من
مكة الى الكوفة ولا يحتاج الى التيمم يحفظ الما للوضو ويقنع بالقليل للشرب وقيل
اذا رايت الصوفي ليس معه ركوة او كوز فاعلم انه قد عزم على ترك الصلوة شا ام ابى
وحكي عن بعضهم انه ما ادب نفسه في الطهارة الى حد انه اقام بين ظهراني جماعة من
النساك وهم مجتمعون في دار فما راه احد منهم انه دخل الخلا لانه كان يقضي حاجته
اذا خلا الموضع في وقت يريد لتاديبه نفسه وقيل مات الخواص في جامع الري في
وسط الما وذاك انه كان به علة البطن فكلما قام دخل الما وغسل نفسه فدخل مرة فيه
ومات فيه كل ذلك لحفظه على الوضو والطهارة وقيل كان ابرهيم بن ادهم به قيام فقام
في ليلة واحدة نيفا وسبعين مرة وكل مرة يجدد الوضو ويصلي ركعتين وقيل ان بعضهم
ادب نفسه حتى لا يخرج منه الريح الا وقت البراز يراعي الادب في الخلوات واتخاذ
المنديل بعد الوضو كرهه قوم وقالوا ان ما الوضو يوزن واجازه بعضهم ودليلهم ما
اخبرنا ضيا الدين عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح قال انا ابو نصر قال انا ابو محمد قال انا
ابو العباس قال انا ابو عيسى الترمذي نا سفيان بن وكيع نا عبد الله بن وهب عن زيد
بن حباب عن ابي معاذ عن الزهري عن عروة عن عايشة رضي الله عنها قالت كانت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم خرقة ينشف بها بعد الوضو وروى معاذ بن جبل قال رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضا مسح وجهه بطرف ثوبه واستقصا الصوفية
في تطهير البواطن من الصفات والاخلاق المذمومة لا الاستقصا في طهارة الظاهر
الى حد يخرج عن حد العلم وتوضا عمر رضوان الله عليه من جرة نصرانية مع كون النصارى
لا يحترزون عن الخمر واجرى الامر على الظاهر واصل الطهارة وقد كان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلون على الارض من غير سجادة حفاة في الطرق وقد كانوا

يمشون

لا يعملون وقت النوم بينهم وبين التراب حايلا وقد كانوا يقتصرون على الحجر في الاستنجا
في بعض الاوقات وكان امرهم في الطهارات الظاهرة على التساهل واستقصاهم
في طهارة الباطن وهكذا اشغل الصوفية وقد يكون في بعض الاشخاص يتشدد في
الطهارة ويكون منشا ذلك رعونة النفس فلو اتسخ ثوبه يتحرج ولا يبالي بما في باطنه
من الغل والحقد والكبر والعجب والريا والنفاق ولعله ينكر على الشخص لو داس الارض
حافيا مع وجود رخصة الشرع ولا ينكر عليه ان يتكلم بكلمة غيبة يخرب بها دينه وكل
ذلك من قلة العلم وترك التادب بصحبة الصادقين من العلما الراسخين وكانوا يكرهون
كثرة الدلك في الاستبرا لانه ربما استرخى العرق ولا يمسك البول ويتولد منه القطر المفرط
ومن حكايات الصوفية في الوضو والطهارة ان ابا عمرو الزجاجي جاور بمكة ثلثين سنة
وكان لا يتغوط في الحرم ويخرج الى الحل واقل ذلك فرسخ **وقيل** كان بعضهم على وجهه قرح
لم يندمل اثني عشر سنة لان الما كان يضره وكان مع ذلك لا يدع تجديد الوضو عند كل فريضة
وبعضهم نزل في عينه الما فحمل اليه المداوي وبذلوا له مالا كثيرا ليداويه فقال المداوي
يحتاج ان لا يمس الما اياما ويكون مستلقيا على قفاه فلم يفعل ذلك واختار ذهاب بصره على
ترك الوضو

الباب السادس والثلثون في فضل الصلوة وكبر شانها

روى عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله جنة عدن ومن لم يعرفها
وخلق فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال لها تكلمي قالت قد افلح
المومنون ثلثا شهد القران المجيد بالفلاح للمصلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني
جبريل لدلوك الشمس حين زالت وصلى بي الظهر واشتقاق الصلوة قيل من الصلي
وهو النار والخشبة المعوجة اذا ارادوا تقويمها تعرض على النار ثم تقوم وفي العبد اعوجاج
لوجود نفسه الامارة بالسو وسبحات وجه الله الكريم التي لو كشف حجابها احرقت
من ادركته يصيب بها المصلي من وهج السطوة الالهية والعظمة الربانية ما يزول به

اعوجاجه

اعوجاجه بل يحقق به معراجه فالمصلي كالمصطلي بالنار ومن اصطلى بنار الصلوة وزال
بها اعوجاجه لا يعرض على نار جهنم الا تحلة القسم **اخبرنا** الشيخ العالم رضي الدين
احمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال انا ابو سعد محمد ابن ابي العباس بن محمد الخليلي انا ابو سعيد
الفرخزادي انا ابو اسحق احمد بن محمد انا ابو القسم الحسين بن الحسن انا ابو زكريا يحيي بن محمد
بن محمد العنبري قال انا جعفر بن احمد الحافظ انا احمد بن نصير نا آدم بن ابي اياس
عن ابن العلا عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول
الله تعالى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم
قال الله عز وجل مجدني عبدي فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال حمدني عبدي فاذا
قال الرحمن الرحيم قال اثنى علي عبدي فاذا قال مالك يوم الدين قال فوض الي عبدي
فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي فاذا قال اهدنا الصراط
المستقيم قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سال فالصلوة صلة بين العبد وبين الرب
وما كان صلة بينه وبين الله يحق العبد ان يكون خاشعا لصولة الربوبية على العبودية
وقد ورد ان الله تعالى اذا تجلى لشي خضع له ومن تحقق بالصلة في الصلوة تلمع له طوالع
التجلي فيخشع والفلاح للذين هم في صلوتهم خاشعون وبانتفا الخشوع ينتفي الفلاح
وقال الله تعالى واقم الصلوة لذكري واذا كانت الصلوة للذكر كيف يسع فيها النسيان
وقال الله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فمن قال ولا يعلم
ما يقول كيف يصلي وقد نهاه الله تعالى عن ذلك فالسكران يقول الشي لا بحضور عقل
والغافل يصلي لا بحضور عقل فهو كالسكران **وقيل** في غرايب التفسير في قوله تعالى
اخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى قيل نعليك همك بامراتك وغنمك فالاهتمام بغير
الله تعالى سكر **وقيل** كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون ابصارهم الى
السما في الصلوة وينظرون يمينا وشمالا فلما نزلت الذين هم في صلوتهم خاشعون جعلوا

وجوههم حيث يسجدون وما روي بعد ذلك احد منهم ينظر الا الى الارض وروى
ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا قام الى الصلوة
فانه بين يدي الرحمن فاذا التفت قال له الرب الى من تلتفت الى من هو خير لك يا ابن
ادم اقبل الي فانا خير لك ممن تلتفت اليه وابصر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا
يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا صليت صلوة فصل صلوة مودع فالمصلي سائر الى الله بقلبه يودع
هواه ودنياه وكل شي سواه والصلوة في اللغة هي الدعا فكان المصلي يدعو الله بجميع
جوارحه فصارت اعضاوه كلها السنة يدعو بها ظاهرا وباطنا ويشارك الظاهر
والباطن بالتضرع والتقلب في الهيات ملتفتا متضرعا سايل محتاج فاذا دعا بكليته
اجابه مولاه لانه وعد فقال ادعوني استجب لكم وكان خالد الربعي يقول عجبت لهذه
الاية ادعوني استجب لكم امرهم بالدعا ووعدهم بالاجابة ليس بينهما شرط والاستجابة
والاجابة هو نفوذ دعا العبد فان الداعي الصادق العالم بمن يدعوه بنور يقينه يخرق
الحجب ويقف الدعوه بين يدي الله عز وجل معاضيه للحاجة وخص الله تعالى
هذه الامة بما انزل فاتحة الكتاب وفيها تقديم الثنا على الدعا ليكون اسرع الى الاجابة
وهي تعليم الله عباده كيفية الدعا وفاتحة الكتاب هي السبع المثاني والقران العظيم
قيل سميت مثاني لانها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة بمكة ومرة
بالمدينة وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة نزلت منها فهم اخر بل كان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة يقراها على التردد مع طول الزمان فهم اخر هكذا
المصلون المحققون من امته يكشف لهم عجايب اسرارها وتقذف لهم كل مرة درر بحارها
وقيل سميت مثاني لانها استثنيت من الرسل وهي سبع ايات وروت ام رومان قالت
راني ابو بكر رضي الله عنه وانا اتميل في الصلوة فزجرني زجرا كدت ان انصرف من

صلوتي

128

صلوتي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا قام احدكم الى الصلوة فليسكن
اطرافه لا يتميل تميل اليهود فان سكون الاطراف من تمام الصلوة وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تعوذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال خشوع البدن
ونفاق القلب فاما تميل اليهود قيل كان موسى عليه السلام يعامل بني اسرايل على ظاهر
الامور لعلة ما في باطنهم فكان يهيب الامور ويعظمها ولهذا المعنى اوحى الله تعالى
اليه ان حلي التورية بالذهب ووقع لي والله اعلم ان موسى عليه السلام كان يرد
عليه الوارد في صلوته ومحال مناجاته فيموج باطنه كبحر ساكن تهب عليه ريح فتلاطم
الامواج فكان تمايل موسى لتلاطم امواج بحر القلب اذا هبت عليه نسمات الفضل وربما
كانت الروح تتطلع الى الحضرة الالهية فتهم بالاستعلا وللقالب بها تشبك وامتزاج
فيضطرب القالب ويتمايل فراوا اليهود ظاهره فتمايلوا من غير حظ لبواطنهم من ذلك
ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكارا على اهل الوسوسة هكذا خرجت
عظمة الله من قلوب بني اسرايل حتى شهدت ابدانهم وغابت قلوبهم لا يقبل الله صلوة
امري لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه وان الرجل على صلوته دايم ولا يكتب له عشرها
اذا كان قلبه ساهيا لاهيا واعلم ان الله سبحانه اوجب الصلوات الخمس وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين فمن ترك الصلوة فقد كفر وبالصلوة
تحقق العبودية واداء حق الربوبية وساير العبادات وسايل الى تحقيق سر الصلوة
قال سهل بن عبد الله التستري يحتاج العبد الى السنن الرواتب لتكميل الفرايض
ويحتاج الى النوافل لتكميل السنن ويحتاج الى الاداب لتكميل النوافل ومن الاداب ترك
الدنيا والذي ذكره سهل هو معنى ما قال عمر رضي الله عنه على المنبر ان الرجل ليشيب
عارضاه في الاسلام وما اكمل لله صلوة قيل وكيف ذاك قال لا يتم خشوعها وتواضعها
واقباله على الله فيها وقد ورد في الاخبار ان العبد اذا قام الى الصلوة رفع الله تعالى

الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه الكريم وقامت الملائكة من لدن منكبيه
يصلون بصلوته ويؤمنون على دعايه وان المصلي لينثر عليه من البر من لينتثر
عنان السما الى مفرق راسه ويناديه مناد لو علم المصلي من يناجي ما التفت وما
انفتل وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة ما فرق على اهل السموات فلله ملائكة
في الركوع منذ خلقهم الله تعالى لا يرفعون من الركوع الى يوم القيمة وهكذا في السجود
والقيام والقعود والعبد المتيقظ يتصف في ركوعه بصفة الراكعين منهم وفي
السجود بصفة الساجدين وفي كل هيئة هكذا ويصير كالواحد منهم وبينهم وفي
غير الفريضة ينبغي للمصلي ان يمكث في ركوعه متلذذا بالركوع غير متبرم بالوقوف فيها
وان طرقته سامة بحكم الجبلة استغفر منها ويستديم الهيئة ويتطلع الى ان يتداركه
الخشوع اللايق بهذه الهيئة ليصير قلبه بلون الهيئة وربما يترايا للراكع المحق انه
ان سوى همه في حال الركوع والسجود الى الرفع منهما ما وفى الهيئة حقها فيكون همه لحظه
مستغرقا فيها مشغولا بها عن غيرها من الهيآت فعند ذلك يتوفر حظه من بركة كل هيئة فان
السرعة التي يتقاضى بها الطبع تسد باب الفتوح ويقف في مهاب النفحات الالهية حتى
يتكامل حظ العبد فيحمي اثاره حسن الاسترسال ويستقر في مقعد الوصال وقيل في
الصلوة اربع هيآت وستة اذكار فالهيآت الاربع القيام والقعود والركوع والسجود
والاذكار الستة التلاوة والتسبيح والحمد والاستغفار والدعاء والصلوة على النبي
عليه الصلوة والسلام فصارت عشرة كاملة تفرق هذه العشرة على عشرة صفوف من
الملائكة كل صف عشرة آلاف فيجمع في الركعتين ما تفرق على ماية الف من الملائكة

الباب السابع والثلثون في وصف صلوة اهل القرب

ونذكر في هذا الباب كيفية الصلوة بهيآتها وشروطها وآدابها الظاهرة والباطنة على الكمال باقصى
ما انتهى اليه فهمنا وعلمنا على الوجه مع الاعراض عن نقل الاقوال في كل شي من ذلك

اذ في

اذ في ذلك كثرة ويخرج عن حد الاختصار والايجاز المقصود فنقول وبالله التوفيق
ينبغي للعبد ان يستعد للصلوة قبل دخول وقتها بالوضوء ولا يوقع الوضوء في وقت الصلوة
فذلك من المحافظة عليها ويحتاج لمعرفة الوقت الى معرفة الزوال وتفاوت الاقدام
لطول النهار وقصره ويعتبر الزوال بان الظل ما دام في الانتقاص فهو النصف الاول
من النهار فاذا اخذ الظل في الازدياد فهو النصف الاخير وقد زالت الشمس فاذا
عرف الزوال وان الشمس على كم قدم تحرر له اول الوقت وآخره ووقت العصر ويحتاج
الى معرفة المنازل ليعلم طلوع الفجر ويعلم اوقات الليل وشرح ذلك يطول ويحتاج ان
يفرد له باب فاذا دخل وقت الصلوة يقدم السنة الراتبة ففي ذلك سر وحكمه
وذلك والله اعلم ان العبد تشعث باطنه وتفرق همه بما يلي به من المخالطة مع
الناس وقيامه بمهام المعاش وسهو جرى بوضع الجبلة او صرف همه الى اكل او نوم
بمقتضى العادة فاذا قدم السنة ينجذب باطنه الى الصلوة ويتهيا للمناجاة
ويذهب باستعمال السنة آثار الغفلة والكدورة من الباطن فيصلح الباطن ويصير
مستعدا للفريضة فالسنة مقدمة صالحة تستنزل البركات وتطرق النفحات
ثم يجدد التوبة مع الله تعالى عند الفريضة عن كل ذنب عمله ومن الذنوب عامة
وخاصة فالعامة الكباير والصغاير مما اومى اليه الشرع ونطق به الكتاب والسنة
وللخاصة ذنوب حال التخصص فكل عبد على قدر صفا حاله له ذنوب تلايم حاله ويعرفها
صاحبها وقيل حسنات الابرار سيات المقربين ثم لا يصلي الا جماعة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تفضل صلوة الجماعة صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة ثم يستقبل القبلة
بظاهره والحضرة الالهية بباطنه ويقرا قل اعوذ برب الناس ويقرا في نفسه آية
التوجه وهذا التوجه قبل الصلوة والاستفتاح قبل الصلوة لوجه الظاهر بانصرافه
الى القبلة وتخصيص جهة بالتوجه دون جهة للصلوة ثم يرفع يديه حذو منكبيه بحيث

يكون كفاه حذو منكبيه وابهاماه عند شحمتي اذنيه ورؤوس الاصابع مع الاذنين
ويضم الاصابع وان نشرها جاز والضم اولى فانه قيل النشر نشر الكف لا نشر الاصابع
ويكبر ولا يدخل بين باء اكبر وراية الفا ويجزم الاكبر ويجعل المد في الله ولا يبالغ
في ضم الهاء من الله ولا يبتدي بالتكبير الا اذا استقرت اليدان حذو المنكبين ويرسلهما
مع التكبير من غير نفض فالوقار اذا اسكن القلب تشكلت به الجوارح وتأدبت بالاولى
والاصوب ويجمع بين نية الصلوة والتكبير بحيث لا يغيب عن قلبه حالة التكبير انه يصلي
الصلوة بعينها حكي عن الجنيد رحمة الله عليه انه قال لكل شي صفوة وصفوة الصلوة
التكبيرة الاولى وانما كانت التكبيرة صفوة لانها موضع النية واول الصلوة قال ابو نصر
السراج سمعت ابن سالم يقول النية بالله لله ومن الله والافات التي تدخل في صلوة
العبد بعد النية من العدو نصيب العدو وان كثر لا يوازن بالنية التي هي لله وبالله
وان قل وسئل ابو سعيد الخراز كيف الدخول في الصلوة فقال هو ان تقبل على الله تعالى
اقبالك عليه يوم القيمة ووقوفك بين يدي الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك
وانت تناجيه وتعلم بين يدي من انت واقف فانه الملك العظيم وقيل لبعض العارفين
كيف تكبر التكبيرة الاولى فقال ينبغي اذا قلت الله اكبر ان يكون مصحوبك في الالف التعظيم
مع الالف والهيبة مع اللام والمراقبة والقرب مع الهاء واعلم ان من الناس من اذا قال
الله اكبر غاب في مطالعة العظمة والكبريا وامتلا باطنه نورا وصار الكون باسره في
فضاء شرح صدره كخردلة بارض فلاة ثم يلقي الخردلة فما يحس من الوسوسة وحديث
النفس وما يتخايل في الباطن هو من الكون الذي صار متلاشيا كالخردلة والغيب فكيف تزاحم
الوسوسة مثل هذا العبد وقد تزاحم مطالعة العظمة والغيبوبة في ذلك كون النية
غير انه لغاية لطف الحال تختص الروح بمطالعة العظمة والقلب يتميز بالنية فكون النية
موجودة بالطف صفاتها مندرجة في نور العظمة اندراج الكوكب في ضوء الشمس ثم

بقبض

يقبض بيده اليمنى يده اليسرى ويجعلهما بين السرة والصدر واليمنى لكونها تحمل فوق 130
اليسرى ويمد المسبحة والوسطى على الساعد ويقبض بالثلاثة البواقي اليسرى من
الطرفين وقد فسر امير المومنين علي رضوان الله عليه قوله تعالى فصل لربك وانحر قال
انه وضع اليمين على الشمال تحت الصدر وذلك ان تحت الصدر عرق يقال له الناحر اي
ضع يدك على الناحر وقال بعضهم وانحر اي استقبل القبلة بنحرك وفي ذلك سر خفي
يكاشف به من وراء استار الغيب وذلك ان الله تعالى بلطيف حكمته خلق الادمي وشرفه
وكرمه وجعله محل نظره ومورد وحيه ونخبة ما في ارضه وسمايه روحانيا جسمانيا
ارضيا سماويا منتصب القامة مرتفع الهيئة فنصفه الفوقاني من حد الفواد مستودع اسرار
السموات ونصفه التحتاني مستودع اسرار الارض فمحل نفسه ومركزها النصف الاسفل
ومحل روحه الروحاني والقلب النصف الاعلى فجواذب الروح مع جواذب النفس يتطاردان
ويتحاربان وباعتبار تطاردهما وتحاربهما وتغالبهما لمة الملك ولمة الشيطان ووقت
الصلوة يكثر التطارد لوجود التجاذب بين الايمان والطبع فيكاشف المصلي الذي صار قلبه
سماويا مترددا بين الفنا والبقا جواذب النفس متصاعدة من مركزها بالجوارح ونصرتها
ومركزها مع معاني الباطن تسلط وموازنة فبوضع اليمين على الشمال حصر النفس ومنع من
صعود جواذبها واثر ذلك يظهر برفع الوسوسة وزوال حديث النفس في الصلوة ثم اذا
استولت جواذب الروح وتملكت من الفرق الى القدم عند كمال الانس وتحقق قرة العين
واستيلا سلطان المشاهدة تصير النفس مقهورة ذليلة ويستنير مركزها بنور الروح
فتنقطع حينئذ جواذب النفس وعلى قدر استنارة مركز النفس نزوله كل العبادة ويستغني
حينئذ عن مقاومة النفس ومنع جواذبها بوضع اليمين على الشمال فيسبل حينئذ ولعل
ذلك والله اعلم ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى مسبلا وهو مذهب
مالك رضي الله عنه ثم يقرأ وجهت وجهي الاية وهذا التوجه ليوجه قلبه والذي قبل

الصلوة لوجه قالبه ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك
اللهم انت الملك لا اله الا انت انا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا
انه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق فانه لا يهدي لاحسنها الا انت
واصرف عني سيئها فانه لا يصرف عني سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله بيديك
تباركت وتعاليت استغفرك واتوب اليك ويطرق راسه في قيامه ويكون نظره الى موضع
السجود ويكمل القيام بانتصاب القامة وترك يسير الانطوا من الركبتين والخواصر ومعاطف
البدن ويقف كانه ناظر يجمع جسده الى الارض فهذا من خشوع ساير الاجزا ويكون الجسد
بلون القالب من الخشوع ويراوح بين القدمين مقدار اربع اصابع فان ضم الكعبين هو الصفد
المنهي عنه ولا يرفع احدى الرجلين فانه الصفن المنهي عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الصفد والصفن واذا كان الصفن المنهي عنه ففي زيادة الاعتماد على احد الرجلين دون
الاخر معنىً من الصفن فالاولى رعاية الاعتدال في الاعتماد على الرجلين جميعا ويكره اسمال
الصما وهو ان يخرج يده من قبل صدره ويكره السدل وهو ان يرخي اطراف الثوب الى
الارض ففيه معنى الخيلا وقيل هو الذي يلتف بالثوب ويجعل يديه من داخل فيركع ويسجد
كذلك وفي معناه اذا جعل يديه داخل القميص ويكره الكف وهو ان يرفع ثيابه بيديه
عند السجود ويكره الاختصار وهو ان يجعل يده على الخاصرة ويكره الصلب وهو وضع اليدين
جميعا على الخصرين وتجافي العضدين فاذا وقف في الصلوة على الهيئة التي ذكرناها فليحتسب
لمكانه فقد تم القيام وكمله فيقرأ التوجه والدعا كما ذكرنا ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم ويقولها في كل ركعة امام القراءة ويقرأ الفاتحة وما يقرأ بعدها بحضور قلب
وجمع همّ ومواطاة بين القلب واللسان بحظ وافر من الوصلة والهيبة والخشوع والخشية والدنو
والتعظيم والوقار والمشاهدة والمناجاة وان قرأ بين الفاتحة وما يقرأ بعدها اذا كان
اماما في السكتة الثانية اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب

ونقني

161

ونقني من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد
فحسن وان قالها في السكتة الاولى فحسن روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك
وان كان منفردا يقولها قبل القراءة ويعلم العبد ان تلاوته نطق اللسان ومعناها نطق
القلب وكل مخاطب لشخص يتكلم بلسانه يعبر عما في قلبه ولو امكن المتكلم افهام من
يكلمه من غير لسان فعل ولكن حيث تعذر الافهام الا بالكلام جعل اللسان ترجمانا فاذا قال
باللسان من غير مواطاة القلب فما اللسان ترجمان ولا القاري متكلم فاسد اسماع اصحاب
ولا مستمع الى الله فانه عنه سبحانه ما يخاطبه وما عنده غير حركة اللسان بقلب غايب
عن قصد ما يقول فلا يكون متكلما مناجيا ولا مستمعا واعيا فاقل مراتب اهل الخصوص
في الصلوة الجمع بين القلب واللسان في التلاوة وما زاد لكل احوال الخواص يطول شرحها قال
بعضهم ما دخلت في صلوة قط فاهمني فيها غير ما اقول وقيل لعامر بن عبد الله هل تحدث
في الصلوة شيا من امور الدنيا فقال لان تختلف علي الاسنة احب الي ان احدث في الصلوة ما
تحدثون وقيل لبعضهم هل تحدث نفسك في الصلوة بشيء من الدنيا فقال لا في الصلوة
ولا في غيرها ومن الناس من اذا اقبل على الله في صلوته تحقق بمعنى الانابة لان الله تعالى قدم
الانابة وقال منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة فينيب الى الله تعالى ويتقي الله بالتبري
عما سواه ويقيم الصلوة بصدر منشرح بالاسلام وقلب منفتح بنور الانعام فيخرج الكلمة من
القران من لسانه ويسمعها بقلبه فتقع الكلام في فضاء قلب ليس فيه غيرها فيتملكها القلب بحسن
الفهم ولذاذة الاصغاء ويشربها بحلاوة الاستماع وكمال الوعي ويدرك لطيف معناها ويرى
نحواها معاني يلطف عن تفصيل الفكر ويشكل تحقيق الذكر ويصير الظاهر من معاني القران
قوتا للنفس والنفس المطمئنة متعوضة بمعاني القران عن حديثها لكونها معاني ظاهرة تنمو
الى عالم الحكمة والشهادة بقرب مناسبتها من النفس المكونة لانها رسم الحكمة ومعاني
القران الباطنة التي يكتشف بها من الملكوت قوت القلب فيتخلص الروح المقدس الى

او الى مراد فان الحروف بمطالعة عظمة المتكلم ومثل هذه المطالعة يكون كمال
الاستغراق في لجج الاشواق كما نقل عن مسلم بن يسار انه صلى ذات يوم في البصرة فوقعت سجدة
اسطوانة تسامع بسقوطها اهل السوق وهو واقف في الصلاة لم يعلم بذلك ثم اذا
اراد الركوع يفصل بين القراة والركوع ثم يركع منطويا للقامة والنصف الاسفل بحاله في
القيام من غير انطوا الركبتين ويجافي مرفقيه عن جنبيه ويمد عنقه مع ظهره ويضع راحتيه
على ركبتيه منشورة الاصابع روى مصعب بن سعد قال صليت الى جنب سعد بن مالك
فجعلت يدي بين ركبتي وبين فخذي وطبقتهما فضرب بيدي وقال اضرب بكفيك على ركبتيك
وقال يا بني انا كنا نفعل ذلك فامرنا ان نضرب بالاكف على الركب ويقول سبحان ربي العظيم
ثلثا وهو ادنى الكمال والكمال ان يقول عشرا وما ياتي به من العدد يكون بعد التمكن من الركوع
ومن غير ان يمزج آخر ذلك بالرفع ويرفع يديه للركوع وللرفع من الركوع ويكون في ركوعه
ناظرا نحو قدميه فهو اقرب الى الخشوع من النظر الى موضع السجود وانما ينظر الى موضع سجوده
في قيامه ويقول بعد التسبيح اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك اسلمت خشع سمعي
وبصري وعظمي ومخي وعصبي ويكون قلبه في الركوع من التواضع والاخبات ثم يرفع راسه قايلا معنى الركوع
سمع الله لمن حمده عالما بقلبه ما يقول فاذا استوى قايما يحمد ويقول ربنا لك الحمد ملا السموات
وملا الارض وملا ما شيت من شي بعد ثم يقول اهل الثنا والمجد حق ما قال العبد كلنا
لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وان طال في النافلة
القيام بعد الرفع من الركوع فليقل ربي الحمد مكررا ذلك مهما شا فاما في الفريضة فلا يطول
تطويلا يزيد على الحد زيادة بينة ويتمنع في الرفع من الركوع تمام الاعتدال باقامة الصلب
ورد عن رسول الله عليه الصلوة والسلام انه قال لا ينظر الله الى من لا يقيم صلبه بين الركوع
والسجود ثم يهوي ساجدا ويكون في هويه مكبرا مسقطا جاهرا خاشعا عالما بما يهوي
فيه والمهوي له فمن الساجدين من يكاشف انه يهوي الى تخوم الارضين منغمسا في انوار

الملك

132 الملك لا متلاء قلبه من الحيا واستشعار روحه عظم الكبريا كما ورد ان جبريل ينتشر
عا فقيه من حياه حيا من الله تعالى ومن الساجدين من يكاشف انه يطوي بسجوده
بساط الكون والمكان وتنشرح قلبه في فضا الكشف والعيان فيهوي دون هويه اطباق
السموات ويحيى لقوة شهوده تماثيل الكاينات ويسجد على طرف رداء العظمة وذلك اقصى
ما ينتهي اليه طاير الهمة البشرية ويفي بالوصول اليه القوى الانسانية ويتفاوت الانبيا
والاوليا في مراتب العظمة واستشعار كنهها لكل منهم على قدره حظ من ذلك وفوق كل
ذي علم عليم ومن الساجدين من يتسع وعاه وينتشر صباه ويحظى بالصفتين ويبسط
الجناحين فيتواضع بقلبه اجلالا ويرفع بروحه اكراما وافضالا فيجمع له الانس والهيبة
والحضور والغيبة والقرار والفرار والاسرار والجهار فيكون في سجوده ساعيا في
عرش شهوده لم يتخلف منه عن السجود شي كما قال سيد البشر في سجوده سجد لك سوادي
وخيالي ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها فالطوع للروح والقلب لما فيهما
من الاهلية والكره من النفس لما فيها من الاجنبية ويقول في سجوده سبحان ربي الاعلى
ثلثا الى العشر الذي هو الكمال ويكون في السجود مفتوح العينين لانهما يسجدان وفي الهوي
يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وانفه ويكون ناظرا نحو ارنبة انفه في السجود فهو ابلغ
في الخشوع للساجد ويباشر بكفيه المصلى لا يلفهما في الثوب ويكون راسه بين كفيه
ويديه حذو منكبيه غير مفترش ومباشر بها ويقول بعد التسبيح اللهم لك سجدت
وبك آمنت ولك اسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله
احسن الخالقين وروى امير المومنين علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول في سجوده ذلك وان قال سبوح قدوس رب الملايكة والروح فحسن روت
عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك ويجافي
مرفقيه عن جنبيه ويوجه اصابعه في السجود نحو القبلة ويضم اصابع كفيه مع الابهام

ولا يفترش ذراعيه على الارض ثم يرفع راسه مكبرًا ويجلس على رجله اليسرى وينصب
اليمنى موجهًا بالاصابع الى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف ضمها وتفريجها ويقول
رب اغفر لي وارحمني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطيل هذه الجلسة في الفريضة
اما في النافلة فلا باس بها اطال قايلا رب اغفر وارحم مكررًا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية
مكبرًا ويكره الاقعا في القعود وهو هاهنا ان يضع اليتيه على عقبيه ثم اذا اراد النهوض
الى الركعة الثانية يجلس جلسة خفيفة للاستراحة ويفعل في بقية الركعات هكذا
ثم يتشهد وفي الصلوة سر المعراج وهو معراج القلوب والتشهد مقر الوصول بعد قطع
مسافات الهيات على تدريج طبقات السموات والتحيات سلام على رب الارباب فليدهش
لما يقول ومع من يقول وكيف يقول ويسلم على النبي عليه الصلوة والسلام ويمثله بين
عينيه وليسلم على عباد الله الصالحين فلا يبقى في الارض والسما عبد من عباد الله
الا يسلم عليه بالنسبة الروحية والخاصية الفطرية ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى
مقبوضة الاصابع الا المسبحة ويرفع المسبحة في الشهادة في الا الله لا في كلمة النفي
ولا يرفعها منتصبة بل مايلة راسها الى الفخذ منطوية فهذه هيئة خشوع المسبحة ثم
ودليل سرايه خشوع القلب اليها ويدعو في آخر صلوته لنفسه وللمومنين وان كان
امامًا ينبغي ان لا ينفرد بالدعا بل يدعو لنفسه ولمن وراه فان الامام المستقبل في الصلوة
كحاجب دخل على سلطان ووراه اصحاب الحوايج يسال لهم ويعرض حاجاتهم والمومنون
كالبنيان يشد بعضهم بعضا وبهذا وصفهم الله تعالى في كلامه فقال كانهم بنيان مرصوص
وفي وصف هذه الامة في الكتب السالفة صفهم في صلوتهم كصفهم في قتالهم حدثنا
بذلك شيخنا ضيا الدين ابو النجيب السهروردي املا قال انا ابو عبد الرحمن محمد بن عيسى بن
شعيب الماليني قال انا ابو الحسن بن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الواعظ قال انا ابو محمد عبد الله بن
عبد الرحمن السرخسي قال انا ابو عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي قال انا ابو محمد عبد الله بن

عبد الرحمن

133 عبد الرحمن الدارمي انا مجاهد بن موسى قال نا معن هو ابن عيسى انه سال كعب الاحبار
كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية قال نجد محمد بن عبد الله يولد
بمكة ويهاجر بطيبة ويكون ملكه بالشام وليس بفحاش ولا سخاب في الاسواق ولا
يكافي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح امته الحمادون يحمدون الله تعالى في كل
سرا ويكبرون الله على كل نجد يوضئون اطرافهم ويأتزرون في اوساطهم يصفون في
صلوتهم كما يصفون في قتالهم دويهم في مساجدهم كدوي النحل يسمع مناديهم في جو
السما والامام في الصلوة مقدمة الصف في محاربة الشيطان فهو اولى المصلين
المتبعطرم بالخشوع والاتيان بوظايف الادب ظاهرًا وباطنًا والمصلون كلما اجتمعت ظواهرهم
تجمع بواطنهم ويتناصر ويتعاضد ويسري من البعض الى البعض انوار وبركات تجمع
المومنين المصلين في اقطار الارض بينهم تعاضد وتناصر بحسب القلوب ونسب
الاسلام ورابطة الايمان بل يمدهم الله تعالى بالملايكة الكرام كما امد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالملايكة المومنين فحاجتهم الى محاربة الشيطان اشد من حاجاتهم الى
محاربة الكفار ولهذا كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر فتداركهم الاملاك بانفاسهم الصادقة تماسك الافلاك فاذا اراد الخروج
من الصلوة يسلم عن يمينه وينوي مع التسليم الخروج من الصلوة والسلام على الملايكة
والحاضرين من المومنين ومومني الجن ويجعل خده مبتينا لمن على يمينه بالتواء عنقه وبفصل
بين هذا السلام والسلام عن يساره فقد ورد النهي عن المواصلة والمواصلة خمس اثنان
تختص بالامام وهو ان لا يوصل القراءة بالتكبير والركوع بالقراءة واثنان على المأموم وهو
ان لا يوصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة على الامام
والمأمومين وهو ان لا يوصل تسليم الفرض بتسليم النفل ويجزم التسليم ولا يمده مدًا ثم يدعو
بعد التسليم بما شا من امر دينه ودنياه ويدعو قبل التسليم ايضا في صلب الصلوة فانه يستحب

ومن اقام الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة وكل المقامات والاحوال
ربدتها الصلوات الخمس وهي ستر الدين وكفارة للمومن وتمحيص الخطايا على ما اخبرنا
شيخنا ضياء الدين ابو النجيب السهروردي اجازة قال انا ابو منصور محمد بن عبد الملك بن
خيرون انا ابو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة انا ابو عمر محمد بن العباس بن زكريا قال ثنا
ابو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ثنا الحسين بن الحسن المروزي ثنا عبد الله بن المبارك انا يحيى
بن عبد الله قال سمعت ابي يقول سمعت ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصلوات كفارة للخطايا واقرؤوا ان شئتم ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى
للذاكرين

الباب الثامن والثلثون في ذكر اداب الصلوة واسرارها

احسن آداب المصلي ان لا يكون مشغول القلب بشيء قل او كثر لان الاكياس لم يرفضوا
الدنيا الا ليقيموا الصلوة كما امروا لان الدنيا واشغالها لما كانت شاغلة للقلب رفضوها
عزماً على تحصيل المناجات ورغبة في اوطان القربات وادعانا بالباطن لرب الارباب لان
حضور الصلوات بالظاهر ادعان للظاهر وفراغ القلب في الصلوة عما سوى الله اذعان
الباطن فلم يروا حضور الظاهر وعلق الباطن حتى لا يختل ادعانهم فيحرم عبوديتهم فيجب
ان يكون باطنه مرتهنا بشيء ويدخل الصلوة وقيل من فقه الرجل ان يبدأ بقضاء حاجته
قبل الصلوة ولهذا ورد اذا حضر العشاء والعشاء فقدموا العشاء على العشاء ولا يصلي
وهو حاقن يطالبه البول ولا حازق يطالبه الغائط ولا حرق بما ضيق الخف ولا يصلي
وخفه ضيق يشغل قلبه فقد قيل لا راي لحازق وقيل الذي يكون خفه ضيقا وفي الجملة
ليس من الادب ان يصلي وعنده ما يغير مزاج باطنه عن الاعتدال كهذه الاشياء التي
ذكرناها والاهتمام المفرط والغضب وفي الخبر لا يدخل احدكم في الصلوة وهو مقطب ولا
يصلين احدكم وهو غضبان ولا ينبغي للعبد ان يتلبس بالصلوة الا وهو على اتم الهيئات
واحسن هيئة المصلي سكون الاطراف وعدم الالتفات والاطراق ووضع اليمين على الشمال

فاحسنها من هيئة عبد ذليل واقف بين يدي ملك عزيز وفي رخصة الشرع دون
الثلث حركات متواليات جايز وارباب العزيمة يتركون الحركة في الصلوة جملة وقد حركت
يدي في الصلوة وعندي شخص من الصالحين فلما انصرفت من الصلوة انكر علي وقال عندنا
ان العبد اذا وقف في الصلوة ينبغي ان يبقى جامدا مجمدا لا يتحرك منه شيء وقد جا في الخبر
ستة اشياء في الصلوة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاوب
والحكاك والالتفات والعبث بالشيء وقيل السهو والشك وقد روي عن عبد الله
بن عباس رضي الله عنهما انه قال ان الخشوع في الصلوة ان لا يعرف المصلي من على يمينه
وشماله ونقل عن سفيان انه قال من لم يخشع فسدت صلواته وروي عن معاذ بن جبل
رضي الله عنه اشد من ذلك قال من عرف من عن يمينه وشماله في الصلوة متعمدا فلا صلوة
له وقال بعض العلما من قرأ كلمة مكتوبة في حايط او بساط في صلوته فصلوته باطلة
قال بعضهم لان ذلك عدوه عملا وقيل في تفسير قوله تعالى والذين هم على صلوتهم دايمون
قيل هو سكون الاطراف والطمانينة قال بعضهم اذا كبرت التكبيرة الاولى فاعلم ان الله
ناظر الى قلبك عالم بما في ضميرك مثل في صلواتك الجنة عن يمينك والنار عن شمالك وانما ذكر
ان تمثل الجنة والنار ان القلب اذا اشتغل بذكر الاخرة ينقطع عنه الوسواس فيكون
هذا التمثيل تداويا للقلب لدفع الوسوسة اخبرنا ضياء الدين ابو النجيب السهروردي
اجازة انا عمر بن احمد الصفار انا ابو بكر بن خلف انا ابو عبد الرحمن قال سمعت ابا الحسين
الفارسي يقول سمعت محمد بن الحسين يقول قال سهل من خلا قلبه من ذكر الاخرة
تعرض لوساوس الشيطان فاما من باشر باطنه صفو اليقين ونور المعرفة يستغني
بشاهده عن تمثيل مشاهدة قال ابو سعيد الخراز اذا ركع فالادب في ركوعه ان
ينتصب ويدنو ويتدلى في ركوعه حتى لا يبقى منه مفصل الا وهو منتصب نحو العرش
ثم يعظم الله تعالى حتى لا يبقى في قلبه شيء اعظم من الله تعالى ويصغر في نفسه حتى يكون

افل من الهبا فاذا رفع راسه وحمد الله يعلم انه سبحانه يسمع ذلك وقال ايضا ويكون
معه من الخشية ما يكاد يذوب قال السراج اذا اخذ في التلاوة فالادب في
ذلك ان يشاهد بسمع قلبه كانه يسمع من الله او كانه يقرا على الله وقال السراج
مرادهم قبل الصلوة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والعوارض وذكر كل
شي غير ذكر الله فاذا قاموا الى الصلوة بحضور القلب فكانهم قاموا من الصلوة الى
الصلوة يبقون مع النفس والعقل اللذين دخلوا في الصلوة بهما فاذا اخرجوا من الصلوة
رجعوا الى حالهم من رجوع القلب فكانهم ابدا في الصلوة فهذا هو ادب الصلوة وقيل
كان بعضهم لا يتهيا له حفظ العدد من كمال استغراقه وكان يجلس واحدا من اصحابه
يعدّ عليه كم ركعة صلى وقيل للصلوة اربع شعب حضور القلب في المحراب وشهود
العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخضوع الاركان بلا ارتقاب
لان عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل رفع العتاب وعند حضور النفس
فتح الابواب وعند خضوع الاركان وجود الثواب فمن اتى الصلوة بلا حضور القلب
فهو مصلٍّ لاهٍ ومن اتاها بلا شهود العقل فهو مصلٍّ ساهٍ ومن اتاها بلا خشوع
النفس فهو مصلٍّ خاطئ ومن اتاها بلا خشوع الاركان فهو مصل جافٍ ومن اتاها
كما وصف فهو مصلٍّ وافٍ وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام (العبد)
الى الصلوة المكتوبة مقبلا على الله بقلبه وسمعه وبصره انصرف من صلوته وقد
خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وان الله ليغفر بغسل الوجه خطيئة اصابها
وبغسل يديه خطيئة اصابتها وبغسل رجليه خطيئة اصابتها حتى يدخل في
صلوته وليس عليه وزر وذكرت السرقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اي السرقة اقبح قالوا الله ورسوله اعلم فقال ان اقبح السرقة ان يسرق
الرجل صلوته قالوا كيف يسرق الرجل صلوته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا

خشوعها

135

خشوعها ولا القراءة فيها وروي عن ابي عمرو بن العلا انه قدم للامامة فقال
لا اصلح فلما الحوا عليه كبر فغشي عليه فقدموا اماما اخر فلما افاق سئل فقال
لما قلت استووا هتف بي هاتف هل استويت انت مع الله قط وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا احسن الوضوء وصلى الصلوة لوقتها وحافظ على
ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما حفظتني ثم صعدت ولها نور حتى
تنتهي الى السما وحتى تصل الى الله فتشفع لصاحبها واذا اضاعها قالت ضيعك الله كما
ضيعتني ثم صعدت ولها ظلمة حتى تنتهي الى ابواب السما فتغلق دونها ثم تلف كما يلف
الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها وقال ابو سليمان الداراني اذا وقف العبد في
الصلوة يقول الله ارفعوا الحجب فيما بيني وبين عبدي فاذا التفت يقول الله ارخوها
فيما بيني وبينه وخلوا عبدي وما اختار لنفسه وقال ابو بكر الوراق ربما اصلي
ركعتين فانصرف منهما وانا استحيي من الله تعالى حيا رجل انصرف من الزنا فقوله هذا
لتعظيم الادب عنده ومعرفة كل انسان بادب الصلوة على قدر حظه من القرب
وقيل لموسى بن جعفر ان الناس افسدوا عليك الصلوة بمرورهم بين يديك قال
ان الذي اصلي له اقرب اليّ من الذي يمشي بين يدي وقيل كان زين العابدين
علي بن الحسين رضي الله عنهما اذا اراد ان يخرج الى الصلوة لا يعرف من تغير لونه
فيقال له في ذلك فيقول اتدرون بين يدي من اريد اقف وروي عمار بن ياسر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يكتب للعبد من صلوته الا ما يعقل وقد
ورد في لفظ اخر ما منكم من يصلي الصلوة كاملة ومنكم من يصلي النصف والثلث (والخمس)
والربع والثمن حتى بلغ العشر وقال الخواص ينبغي للرجل ان ينوي بنوافله لفرايضه
فان لم ينوها لم تحسب له منها بلغنا ان الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة يقول
الله مثلكم كمثل العبد السو يبدا بالهدية قبل قضا الدين وقال ايضا انقطع الخلق

عن الله بخصلتين احدهما انهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرايض والثاني انهم عملوا
اعمالا بالظواهر ولم ياخذوا انفسهم بالصدق فيها والنصح لها وابى الله ان يقبل من
عامل عملاً الا بالصدق واصابة الحق وفتح العين في الصلوة اولى من تغميض العين
الا ان يتشتت همه بتفريق النظر فيغمض العين للاستعانة على الخشوع وان يتاوب
في الصلوة فيضم شفتيه بقدر الامكان ويلزق ذقنه بصدره ولا يزاحم في الصلوة
غيره وقيل ذهب المزحوم بصلوة الزاحم وقيل من ترك الصف الاول مخافة
ان يضيق على اهله فقام في الثاني اعطاه الله مثل ثواب الصف الاول من غير ان
ينقص من اجورهم شيا وقيل ان ابرهيم الخليل عليه السلام كان اذا قام الى
الصلوة يسمع خفقان قلبه من ميل وروت عايشة رضي الله عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع من صدره ازير كازير المرجل حتى كان يسمع في
بعض سكك المدينة وسيل الجنيد ما فريضة الصلوة قال قطع العلايق وجمع
الهم والحضور بين يديه وقال الحسين ماذا يعز عليك من امر دينك اذا هانت
عليك صلوتك وقيل اوحى الله تعالى الى بعض الانبيا وقال اذا دخلت الصلوة فهب
لي من قلبك الخشوع ومن يديك الخضوع ومن عينيك الدموع فاني قريب وقال
ابو الخير الاقطع رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله اوصني
فقال يا ابا الخير عليك بالصلوة فاني استوصيت ربي فاوصاني بالصلوة وقال ان
اقرب ما اكون منك وانت تصلي وقال بن عباس ركعتان في تفكر خير من قيام
ليلة وقيل ان محمد بن يوسف الفرغاني راى حاتم الاصم واقفا يعظ الناس
فقال له يا حاتم اراك تعظ الناس افتحسن ان تصلي قال نعم قال كيف تصلي قال
اقوم بالامر وامشي بالخشية وادخل بالهيبة واكبر بالعظمة واقرا بالترتيل
واركع بالخشوع واسجد بالتواضع واجلس للتشهد بالتمام واسلم على السنة واسلمها

الى ربي احفظها ايام حيوتي وارجع باللوم على نفسي واخاف ان لا تقبل مني
وارجوا ان تقبل مني وانا بين الخوف والرجا واشكر من علمني واعلمها من سالني واحمد
ربي اذ هداني فقال محمد بن يوسف مثلك يصلح ان يكون واعظا وقيل لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى قيل من حب الدنيا وقيل من الاهتمام وقال عليه الصلوة والسلام
من صلى ركعتين لم يحدث نفسه بشي من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال
ايضا انما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع وتنادم وترفع يديك وتقول اللهم اللهم
فمن لم يفعل ذلك فهي خداج اي ناقصة وقد ورد ان المومن اذا توضا للصلوة
تباعدت عنه الشياطين في اقطار الارض خوفا منه لانه يتاهب للدخول على الملك
فاذا كبر حجب عنه ابليس ويضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر اليه وواجهه
الجبار بوجهه واذا قال الله اكبر اطلع الملك في قلبه فاذا راه ليس في قلبه اكبر من
الله عز وجل فيقول صدقت الله تعالى في قلبك كما تقول ويتشعشع من قلبه نور
يلحق بملكوت العرش ويكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض ويكتب له حشو
ذلك النور حسنات وان الغافل الجاهل اذا قام الى الصلوة احتوشته الشياطين
كما تحتوش الذباب على نقطة العسل فاذا كبر اطلع الملك على قلبه فاذا كان شي في
قلبه اكبر من الله عنده فيقول له كذبت ليس الله تعالى اكبر في قلبك كما تقول فيثور
من قلبه دخان يلحق بعنان السما فيكون حجابا للقلب عن الملكوت فيزداد ذلك
الحجاب صلابة ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس اليه
ويزين حتى ينصرف من صلوته ولا يعقل ما كان فيه وفي الخبر لولا ان الشياطين
يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السما فالقلوب الصافية التي كمل ادبها
لكمال الادب فانها تصير سماوية تدخل بالتكبير في السما كما تدخل في الصلوة والله تعالى
حرس السما من تصرف الشياطين فالقلب السماوي لا سبيل للشيطان اليه فيبقى

هواجس نفسانية عند ذلك لا ينقطع بالتحصن بالسما كانقطاع تصرف الشيطان
والقلوب المراده بالقرب تدرج بالتقريب وتعرج في طبقات السموات وفي
كل طبقة من اطباق السما يتخلف شي من ظلمة النفس وبقدر ذلك يقل الهاجس
الى ان يتجاوز السموات ويقف امام العرش فعند ذلك يذهب بالكلية هاجس
النفس بساطع نور العرش وتندرج ظلمات النفس في نور القلب اندراج الليل
في النهار وتتادى حينئذ حقوق الاداب على وجه الصواب وما ذكرناه من
ادب الصلوة يسير من كثير وشان الصلوة اكبر مما وصفنا واكثر مما ذكرنا وقد
غلط اقوام وظنوا ان المقصود من الصلوة ذكر الله واذا حصل الذكر فاي حاجة
الى الصلوة وسلكوا طرقا من الضلال وركنوا الى اباطيل الخيال ومحوا الرسوم ○
والاحكام ورفضوا الحلال والحرام وقوم اخرون سلكوا في ذلك طريقا اداهم
الى نقصان الحال حيث سلموا من الضلال لانهم اعترفوا بالفرايض والكروا فضل
النوافل واغتروا بتيسير روح الحال واهملوا افضل الاعمال ولم يعلموا ان لله في كل
هيئة من الهيات وكل حركة من الحركات اسرار وحكم لا توجد في شي من الاذكار
والاحوال والاعمال روح وجثمان ما دام العبد في دار الدنيا اعراضه عن الاعمال
عين الطغيان فالاعمال تزكوا بالاحوال والاحوال تنموا بالاعمال

الباب التاسع والثلثون في فضل الصوم وحسن اثره

روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال الصبر نصف الايمان والصوم نصف الصبر وقيل ما من عمل
ابن آدم شي الا ويذهب برد المظالم الا الصوم فانه لا يدخله قصاص ويقول
الله عز وجل يوم القيمة هذا لي فلا يقتص احد منه شيا وفي الخبر الصوم لي
وانا اجزي به قيل اضافة الى نفسه لان فيه خلقا من اخلاق الصمدية وايضا لانه
من اعمال السر من قبيل الترك ولا يطلع عليه احد الا الله تعالى وقيل في تفسير

قوله

قوله تعالى السايحون الصايمون لانهم ساحوا الى الله بجوعهم وعطشهم وقيل انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب هم الصايمون لان الصبر اسم من اسما الصوم يفرغ للصايم
افراغا ويجازى له مجازفة وقيل احد الوجوه في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين جزا بما كانوا يعملون كان عملهم الصوم وقال يحيى بن معاذ اذا
ابتلي المريد بكثرة الاكل بكت عليه الملايكة رحمة له ومن ابتلي بحرص الاكل فقد احرق
بنار الشهوة وفي نفس ابن ادم الف عضو من الشر كلها في كف الشيطان متعلق بها فاذا
جوع بطنه واخذ حلقه وروض نفسه ييبس كل عضو واحترق بنار الجوع وفر
الشيطان من ظله واذا شبع بطنه وترك حلقه في لذايذ الشهوات فقد رطب اعضاه
وامكن الشيطان والشبع نهر في النفس يردها الشياطين والجوع نهر في الروح يردها
الملايكة ويهزم الشيطان من جايع نايم فكيف اذا كان قايما ويعانق الشيطان شبعانا
قايما فكيف اذا كان نايما فقلب المريد الصادق يسرح الى الله من طلب النفس الطعام
والشراب دخل رجل على الطيالسي وهو ياكل خبزا يابسا قد بله بالماء بملح جريش
فقال له كيف تشتهي هذا قال ادعه حتى اشتهيه وقيل من اسرف في مطعمه ومشربه
يعجل الصغار والذل اليه في دنياه قبل اخرته وقال بعضهم الباب العظيم الذي يدخل
منه الى الله قطع الغذا وقال بشر الجوع يصفي الفواد ويميت الهوى ويورث العلم
الدقيق وقال ذو النون ما اكلت حتى شبعت ولا شربت حتى رويت الا عصيت
الله او هممت بمعصية وروى القسم بن محمد عن عايشة رضي الله عنها قالت كان يأتي علينا
الشهر ونصف الشهر لا يدخل بيتنا نار لا لمصباح ولا لغيره قال قلت سبحان الله فباي
شي كنتم تعيشون قالت بالتمر والما وكان لنا جيران من الانصار جزاهم الله خيرا كانت
لهم منايح فربما ارسلوا بالنبي وروى ان حفصة بنت عمر رضي الله عنها وعن ابيها قالت
لابيها ان الله قد اوسع الرزق فلو اكلت طعاما اكثر من طعامك ولبست ثيابا الين من

بابك فقال انا اخاصمك الى نفسك لم يكن من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا يقول
مرارًا فبكيت فقال قد اخبرتك والله لاشاركنه في عيشه الشديد لعلي اصيب عيشه
الرخي وقال بعضهم ما اغلت لعمر دقيقا الا وانا له عاصٍ وقالت عائشة ما شبع آل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام من خبز بر حتى مضى لسبيله وقالت عائشة
ادیموا قرع باب الملكوت يفتح لكم قالوا وكيف نديم قالت بالجوع والعطش والظمإ وقيل
ظهر ابليس ليحيى بن زكريا وعليه معاليق فقال ما هذه قال الشهوات التي اصيب بها
ابن آدم قال فهل لي فيها شهوة قال لا غير انك شبعت ليلة فثقلناك عن الصلوة والذكر
فقال لا جرم اني لا اشبع ابدا فقال ابليس لا جرم اني لا انصح احدًا ابدا وقال شقيق
العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلاتها الجوع وقال لقمن لابنه اذا امتلئت المعدة
نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال الحسن لا تجمعوا بين
الادمين فانه من طعام المنافقين وقال بعضهم اعوذ بالله من زاهد قد افسدت
معدته الوان الطعام ويكره للمريد ان يوالي في الافطار اكثر من اربعة ايام فان النفس الاغتيا
عند ذلك تركن الى العادة وتتسع بالشهوة وقيل الدنيا بطنك على قدر زهدك في بطنك
زهدك في الدنيا وقال عليه الصلوة والسلام ما ملأ آدمي وعاءً شرا من بطن حسب
ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث لنفسه
وقال فتح الموصلي صحبت ثلثين شيخا كل يوصيني عند مفارقتي اياه بترك عشرة الاحداث
وقلة الاكل

الباب الاربعون في اختلاف احوال الصوفية بالصوم والافطار

جمع من مشايخ الصوفية كانوا يديمون الصوم في السفر والحضر على الدوام
حتى لقوا الله تعالى وكان ابو عبد الله بن جابار صام نيفا وخمسين سنة لا يفطر في
السفر والحضر فجهد به اصحابه يوما فافطر فاعتل من ذلك اياما فاذا رأى المريد صلاح
قلبه في دوام الصوم فليصم دائما ويدع الافطار جانبا فهو عون حسن له على ما يريد

روى ابو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الدهر ضيقت
عليه جهنم هكذا وعقد تسعين اي لم يكن له فيها موضع وكره قوم صوم الدهر وقد ورد
في ذلك ما رواه قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف من صام الدهر
قال لا صام ولا افطر وأوّل قوم ان صوم الدهر هو ان لا يفطر العيدين وايام التشريق
فهذا الذي يكره واذا افطر هذه الايام فليس هو الصوم الذي كرهه رسول الله ومنهم
من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد ورد افضل الصيام صوم اخي داود كان يصوم
يوما ويفطر يوما واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليكون بين حال الصبر وحال الشكر
ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما او يصوم يوما ويفطر يومين ومنهم من
كان يصوم الاثنين والخميس والجمعة وقيل كان سهل بن عبد الله ياكل في كل خمسة
عشر يوما مرة وفي رمضان ياكل اكلة واحدة وكان يفطر بالماء القراح للسنة وحكي
عن الجنيد انه كان يصوم على الدوام فاذا دخل عليه اخوانه افطر معهم ويقول
ليس فضل المساعدة مع الاخوان باقل من فضل الصوم غير ان هذا الافطار يحتاج
الى علم فقد يكون الداعي الى ذلك شره النفس لا نية الموافقة وتخليص النية لمحض
الموافقة مع وجود شره النفس صعب وسمعت شيخنا يقول لي سنين ما اكلت
شيئا تشتهيه نفسي ابتداءً واستدعاءً بل يقدم الي الشيء فاري فضل الله ونعمته وفعله
فاوافق الحق في فعله وذكر انه ذات يوم اشتهى الطعام ولم يحضر من عادته تقديم
الطعام اليه قال ففتحت باب البيت الذي فيه الطعام واخذت رمانة لآكلها فدخلت
السنور واخذت دجاجة كانت هناك فقلت هذا عقوبة لي على تصرفي في اخذ الرمان
ورايت الشيخ ابا السعود يتناول الطعام في اليوم مرات اي وقت احضر الطعام اكل
منه ويرى ان تناوله الطعام موافقة الحق لان حاله مع الله كان ترك الاختيار في
ماكوله وملبوسه وجميع تصاريفه وكان حاله الوقوف مع فعل الحق وقد كان له في

ذلك بداية تعثر مثلها حتى لعل كان يبقى اياما لا ياكل ولا يعلم احد بحاله ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتسبب الى تناول شي وينتظر فعل الحق بسياقة الرزق اليه ولم يشعر بحاله احد مدة من الزمان ثم ان الله تعالى اظهر حاله واقام له الاصحاب والتلامذة وكانوا يتكلفون للاطعمة وياتون بها اليه وهو يرى في ذلك فعل الحق والموافقة سمعته يقول اصبح كل يوم واحب ما الي الصوم فينقض الحق على بحبي الصوم بفعله فاوافق الحق في فعله وحكي عن بعض الصادقين من اهل واسط انه صام سنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس الا في رمضان قال ابو نصر السراج اكره هذا لمخالفة العلم وان كان الصوم تطوعا واستحسنه اخرون لان صاحبه كان يريد بذلك تاديب النفس بالجوع وان لا يتمتع برؤية الصوم ووقع لي والله اعلم ان هذا ان قصد ان لا يتمتع برؤية الصوم فقد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم وهذا يتسلسل والاولى موافقة العلم وامضا الصوم قال الله تعالى ولا تبطلوا اعمالكم ولكن اهل الصدق لهم نيات فيما يفعلون فلا يعارضون فالصدق محمود لعينه كيف كان والصادق في خفارة صدقه كيف تقلب وقال بعضهم اذا رايت الصوفي يصوم بصوم التطوع فاتهمه فانه قد اجتمع معه شي من الدنيا وقيل اذا كانوا جماعة متوافقين اشكالا وفيهم مريد يحثونه على الصيام فان لم يساعدوه دعوه الى الافطار ويتكلفوا له رفقا به ولا يحملون حاله على حالهم وان كانوا جماعة مع شيخ يصومون لصومه ويفطرون لافطاره وقيل ان بعضهم صام سنين بسبب شاب كان يصحبه حتى ينظر الشاب اليه فيتادب به ويصوم بصيامه وحكي عن ابي الحسن المكي انه كان يصوم الدهر وكان مقيما بالبصرة وكان لا ياكل الخبز الا ليلة الجمعة وكان قوته في كل شهر اربع دوانيق يعمل بيده حبال الليف ويبيعها وكان الشيخ ابو الحسن بن سالم يقول لا اسلم عليه الا ان يفطر وياكل وكان ابن سالم اتهمه بشهوة خفية في ذلك لانه

كان

كان مشهورا بين الناس وقال بعضهم ما اخلص عبد قط الا احب ان يكون في جب لا يعرف ومن اكل فضلا من الطعام اخرج فضلا من الكلام وقيل اقام ابو الحسن التنيسي بالحرم مع اصحابه تسعة ايام لم ياكلوا فخرج بعض اصحابه ليتطهر فراى قشر بطيخ فاخذه واكله فراه انسان فاتبع اثره وجا برفق فوضعه بين يدي القوم فقال الشيخ من جنى منكم هذه الجناية فقال الرجل انا وجدت قشر بطيخ فاكلته فقال كن انت في جنايتك ورفقك فقال انا تائب من جنايتي فقال لا كلام بعد التوبة وكانوا يستحبون صيام ايام البيض وهو الثالث والرابع عشر والخامس عشر روي ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض اسود جسده من اثر المعصية فلما تاب الله عليه امره ان يصوم ايام البيض فابيض ثلث جسده بكل يوم صام حتى ابيض جميع جسده بصيام ايام البيض ويستحبون صوم النصف الاول من شعبان وافطار نصفه الاخير وان واصل بين شعبان ورمضان فلا باس به ولكن ان لم يكن صام فلا يستقبل رمضان بيوم او بيومين وكان يكره بعضهم ان يصام رجب جميعه كراهة المضاهاة برمضان ويستحب صوم العشر من ذي الحجة والعشر من المحرم ويستحب الخميس والجمعة والسبت ان يصام من الاشهر الحرم وورد في الخبر من صام ثلثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت بعد من النار سبع مائة عام

الباب الحادي والاربعون في ادب الصوم ومهامّه

ادب الصوفية في الصوم ضبط الظاهر والباطن وكف الجوارح عن الاثام كمنع النفس عن الطعام ثم كف النفس عن الاهتمام بالاقسام سمعت ان بعض الصالحين بالعراق كان طريقه وطريق اصحابه انهم كانوا يصومون وكلما فتح عليهم قبل وقت الافطار يخرجونه ولا يفطرون الا على ما فتح لهم وقت الافطار وليس من الادب ان يمسك المريد عن مباح الطعام ويفطر على حرام الاثام قال ابو الدردا يا حبذا نوم الاكياس

وفطرهم كيف يغبنون قيام الحمقى وصيامهم ولذرة من ذي يقين وتقوى افضل
من امثال الجبال من اعمال المغترين ومن فضيلة صومه وادبه ان يقلل الطعام
عن الحد الذي كان ياكله وهو مفطر والا اذا جمع الاكلات باكلة واحدة فقد ادرك
ما فوت ومقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها من الاتساع واخذهم من الطعام
قدر الضرورة لعلمهم ان الاقتصار على الضرورة يجذب النفس في ساير الافعال والاقوال
الى الضرورة والنفس من طبعها انها اذا قهرت لله تعالى في شي واحد على الضرورة تادى
ذلك الى ساير احوالها فيصير بالاكل ضرورة النوم ضرورة والقول والفعل ضرورة وهذا
باب من ابواب الخير لاهل الله يجب رعايته وافتقاده ولا يختص بعلم الضرورة وفايدتها
وطلبها الا عبد يريد الله تعالى به ان يقربه ويدنيه ويصطفيه ويربيه ويمتنع
في يوم صومه من ملاعبة الاهل والملامسة لان ذلك اثره للصوم وينبغي استعمالا
للسنة وهو ادعى الى قضا الصوم لمعنيين احدهما عود بركة السنة عليه والثاني
التقوية بالطعام على الصيام روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال تسحروا فان في السحور بركة ويعجل الفطر عملا بالسنة فان لم يرد تناول الطعام الا
بعد العشا ويريد احيا ما بين العشايين يفطر بالما او على اعداد من الزبيب او التمر
او باكل لقما ان كانت النفس تنازع ليتصفوا له الوقت بين العشايين ففي احيا ذلك فضل
كثير والا فيقتصر على الما لاجل السنة اخبرنا ضيا الدين عبد الوهاب بن علي ثنا ابو
الفتح الهروي ثنا ابو نصر الترياقي ثنا ابو محمد الجراحي ثنا ابو العباس المحبوبي ثنا ابو عيسى
الترمذي ثنا اسحق بن موسى الانصاري ثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعي عن قرة عن
الزهري عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الله عز وجل احب عبادي الي اعجلهم فطرًا وقال عليه الصلوة والسلام
لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر والافطار قبل الصلوة سنة كان رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم يفطر على جرعة من ما او مذقة من لبن او تمرات وفي
الخبر كم من صايم حظه من صيامه الجوع والعطش قيل هو الذي يجوع بالنهار
ويفطر على الحرام وقيل هو الذي يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر على لحوم الناس
بالغيبة وقال سفيان من اغتاب فسد صومه وعن مجاهد خصلتان يفسدان الصوم
الغيبة والكذب قال الشيخ ابو طالب المكي رحمه الله قرن الله الاستماع الى الباطل
والقول بالاثم الى اكل الحرام فقال سماعون للكذب اكالون للسحت وورد في الخبر
ان امراتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش
من اخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاذنانه
في الافطار فارسل اليهما قدحًا وقال قولوا لهما قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احديهما
نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملاتاه فعجب الناس
من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما احل الله لهما وافطرتا
على ما حرم الله عليهما وقال عليه الصلوة والسلام اذا كان يوم صوم احدكم فلا
يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل اني صايم وفي الخبر الصوم امانة فليحفظ
احدكم امانته والصوفي الذي لا يرجع الى معلوم ولا يدري متى يساق اليه الرزق
فاذا ساق الله اليه الرزق تناوله بالادب وهو دايم المراقبة لوقته هو في
افطاره افضل من الذي له معلوم معد فان كان مع ذلك يصوم فقد اكمل الفضل
حكي عن رويم قال اجتزت في الهاجرة ببعض سكك بغداد فعطشت فتقدمت
الى باب دار فاستسقيت فاذا جارية قد خرجت ومعها كوز جديد ملان من الما
المبرد فلما اردت ان اتناول من يدها قالت صوفي ويشرب بالنهار وضربت بالكوز
على الارض وانصرفت قال رويم استحييت من ذلك ونذرت ان لا افطر ابدًا
والجماعة الذين كرهوا دوام الصوم كرهوه لمكان ان النفس اذا الفت الصوم وتعودت

اشد عليها الافطار وهكذا يعتادها الافطار تكره الصوم فيرون الفضل ان لا تترك
النفس الى عادة وراوا ان افطار يوم وصوم يوم اشد على النفس ومن ادب الفقرا
ان الواحد اذا كان بين جمع وفي صحبة جماعة لا يصوم الا باذنهم وانما كان ذلك لان
قلوب الجمع يتعلق بفطوره وهم على غير معلوم فان صام باذن الجمع وفتح شي لا يلزمهم عليهم
ادخاره للصايم مع العلم بان الجمع المفطرين يحتاجون الى ذلك فان الله تعالى ياتي للصايم
برزقه الا ان يكون الصايم محتاج الى الرفق لضعف حاله او ضعف بنيته لشيخوخته
وغير ذلك وهكذا الصايم لا يليق ان ياخذ نصيبه فيدخره لان ذلك من ضعف الحال
فان كان ضعيفا او يعترف بحاله وضعفه فيدخر والذي ذكرناه لاقوام هم على غير
معلوم فاما الصوفية المقيمون في رباط على معلوم فلا يليق بحالهم الصيام ولا يلزمهم
موافقة الجمع في الافطار اذا كان الافطار يستمر في جمع منهم ولهم معلوم يقدم لهم
بالنهار فاما اذا كانوا على غير معلوم فقد قيل مساعدة الصوام للمفطرين احسن من تشدد
الموافقة من المفطرين للصوام وامر القوم مبناه على الصدق ومن الصدق افتقاد
النية واحوال النفس فكلما صحت النية فيه من الصوم والافطار والموافقة وترك
الموافقة هو الافضل فاما من حيث السنة ففي يوافق له وجه اذا كان صايما وافطر
للموافقة وان صام ولم يوافق فله وجه فاما وجه من يفطر ويوافق ما اخبرنا
به ابو زرعة طاهر عن ابيه ابي الفضل الحافظ المقدسي انا ابو الفضل محمد بن عبد الله
انا السيد الحسن محمد بن الحسين العلوي انا ابو بكر محمد بن حمدويه قال نا عبد الله بن
حماد نا عبد الله بن صالح قال حدثني عطاف بن خالد عن حماد بن حميد عن محمد بن المنكدر
عن ابي سعيد الخدري قال صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه طعاما فلما
قدم اليهم قال رجل من القوم اني صايم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاكم اخوكم
وتكلف لكم ثم تقول اني صايم افطر واقض يوما مكانه واما وجه من لا يوافق فقد ورد

ان

141 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اكلوا وبلال صايم فقال صلى الله ناكل رزقنا ورزق
بلال في الجنة فاذا علم ان هناك قلبا يتاذى او فضلا يرجى من موافقته من يغتنم موافقته
يفطر بحسن النية لا بحكم الطبع وتقاضيه فان لم يجد هذا المعنى لا ينبغي ان يلبس عليه
الشره وداعية النفس بالنية فليتم صومه وقد تكون الاجابة لداعية النفس لا لفضل حق
اخيه ومن احسن ادب الفقير الطالب انه اذا افطر وتناول الطعام ربما يجد باطنه
متغيرا عن هيئته ونفسه يتثبطه عن اداء وظايف العبادة فيعالج مزاج القلب المتغير
باذهاب التغير عنه ويردف الطعام بركعات يصليها او بايات يتلوها او باذكار واستغفار
ياتي به فقد ورد في الخبر اذيبوا طعامكم بالذكر ومن مهام اداب الصوم كتمانه مهما
امكن الا ان يكون متمكنا من الاخلاص فلا يبالي ظهر ام بطن

الباب الثاني والاربعون في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة

الصوفي بحسن نيته
وصحة مقصده ووفور علمه واتيانه بادبه تصير عاداته عبادة والصوفي موهوب
وقته لله ومريد حيوته لله كما قال الله تعالى عن ابرهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ان
صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين فيدخل على الصوفي امور العادة لموضع
حاجته وضرورته بكثرته ويحف بعاداته نور يقظته وحسن نيته فيتنور العادات
ويتشكل بالعبادات ولهذا ورد نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح هذا مع كون النوم
عين الغفلة ولكن كل ما يستعان به على العبادة يكون عبادة فتناول الطعام اصل كبير
يحتاج الى علوم كثيرة لاشتماله على المصلحة الدينية والدنيوية ويتعلق اثره بالقلب والقالب
وبه قوام البدن باجراء سنة الله تعالى بذلك والقالب مركب القلب وبهما عمارة الدنيا
والاخرة وقد ورد ارض الجنة قيعان نباتها التسبيح والتقديس والقالب بمفرده
على طبيعة الحيوانات يستعان به على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة الملكية
يستعان به على عمارة الاخرة وباجتماعهما صلحا لعمارة الدارين والله سبحانه وتعالى

ركب الآدمي بلطيف حكمته من أخص جواهر الجسمانيات والروحانيات وجعله مستودع
خلاصة الأرضين والسموات وجعل عالم الشهادة وما فيها من النبات والحيوان لقوام بدن
الآدمي قال الله تعالى خلق لكم ما في الأرض جميعا فكون الطبائع وهي الحرارة والرطوبة
والبرودة واليبوسة وكون بواسطتها النبات وجعل النبات قواما للحيوانات مسخرة
للآدمي يستعين بها على أمر معاشه لقوام بدنه فالطعام يصل إلى المعدة وفي المعدة طباع
أربع فإذا أراد الله اعتدال مزاج البدن أخذ كل طبع من طباع المعدة ضده من الطعام
فتأخذ الحرارة للبرودة والرطوبة لليبوسة فيعتدل المزاج ويأمن الاعوجاج وإذا
أراد الله تعالى آفة قالب وخراب بنية أخذت كل طبيعة جنسها من المأكول فيميل الطباع
ويضطرب المزاج ويسقم البدن ذلك تقدير العزيز العليم روى عن وهب بن منبه قال
وجدت في التوراة صفة آدم عليه السلام إني خلقت آدم وركبت جسده من أربعة أشيا
من رطب ويابس وبارد وسخن وذلك لأني خلقته من تراب وهو يابس ورطوبته من الما
وحرارته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح وخلقت في الجسد بعد هذا الخلق الأول
أربعة أنواع من الخلق هن ملاك الجسم بإذني وهن قوامه فلا يقوم الا بهن ولا تقوم منهن
واحدة الا بالأخرى منهن المرة السودا والمرة الصفرا والدم والبلغم ثم أسكن بعض هذا
الخلق في بعض فجعل مسكن اليبوسة في المرة السودا ومسكن الرطوبة في المرة الصفرا
ومسكن الحرارة في الدم ومسكن البرودة في البلغم فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع
التي جعلتها ملاكه وقوامه فكانت كل واحدة منهن ربعا لا تزيد ولا تنقص كملت صحته واعتدلت
بنيته فإن زادت منهن واحدة عليهن قهرتهن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيتها
بقدر غلبتها حتى يضعف عن طاقتهن ويعجز عن مقدارهن فأهم الأمور في الطعام أن يكون
حلالا وكل ما لا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله تعالى لعباده ولولا رخصة الشرع
لعز الأمر وانقطع طلب الحلال ومن آداب الصوفية رؤية المنعم على النعمة ويبتدي بغسل

اليد

142 اليد قبل الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر
وإنما كان موجبا لنفي الفقر لأن غسل اليد قبل الطعام استقبال النعمة بالأدب وذلك
من شكر النعمة والشكر يستوجب المزيد فصار غسل اليد مستجلبا للنعمة مذهبا
للفقر وقد روى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يكثر
خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه ثم يسمي الله تعالى لقوله سبحانه وتعالى ولا
تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه تفسيره تسمية الله تعالى عند ذبح الحيوان واختلف
الشافعي وأبو حنيفة في وجوب ذلك وفهم الصوفي من ذلك بعد القيام بظاهر
التفسير أن لا يأكل الطعام إلا مقرونا بالذكر وذلك فريضة وقته وأدبه ويرى
أن تناول الطعام والما ينتج من آفة النفس ومتابعة هواها ويرى ذكر الله دواه
وترياقه وروت عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل
الطعام في ستة نفر من أصحابه فجا أعرابي فأكله بلقمتين فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أما إنه لو كان يسمي الله لكفاكم فإذا أكل أحدكم طعاما فليقل بسم الله فإن
نسي أن يقول بسم الله فليقل بسم الله أوله وآخره ويستحب أن يقول في أول لقمة بسم
الله وفي الثانية بسم الله الرحمن وفي الثالثة بسم ويشرب الما بثلاثة أنفاس يقول في
أول نفس الحمد لله إذا شرب وفي الثانية الحمد لله رب العالمين وفي الثالثة الحمد لله رب
العالمين الرحمن الرحيم وكان للمعدة طباع تدبر كما ذكرنا بموافقة طباع الطعام
فللقلب أيضا مزاج وطباع لأرباب التفقد والرعاية واليقظة يعرف انحراف مزاج
القلب من اللقمة المتناولة تارة يحدث من اللقمة حرارة الطيش بالنهوض إلى الفضول
وتارة يحدث في القلب برودة الكسل بالتقاعد عن وظيفة الوقت وتارة تحدث
رطوبة السهو والغفلة وتارة يبوسة الهم والحزن بسبب الحظوظ العاجلة فهذه
كلها عوارض يتفطن لها المستيقظ ويرى تغير القلب بهذه العوارض تغير مزاج القلب

عن الاعتدال والاعتدال كما هو مهم طلبه للقالب فللقلب اهم واولى وتطرق الانحراف
الى القلب اسرع منه الى القالب ومن الانحراف ما يسقم منه القلب ثم يكون القالب
واسم الله تعالى دوآ نافع مجرب ينفي الاسوا ويذهب الدآ ويجلب الشفا حكي ان الشيخ
الامام محمد الغزالي رحمة الله عليه لما رجع الى طوس وصف له في بعض القرى عبد صالح
فقصده زائرا فصادفه وهو في صحرا له يبذر الحنطة في الارض فلما راى الشيخ محمدا جا
اليه واقبل عليه فجا رجل من اصحابه وطلب منه البذر لينوب الشيخ في ذلك وقت
اشتغاله بالغزالي فامتنع ولم يعطه البذر فسال له الغزالي عن سبب امتناعه فقال
لاني ابذر هذا البذر بقلب حاضر ذاكر ارجو البركة فيه لكل من يتناول منه شيا فلا
احب ان اسلمه الى هذا فيبذر بلسان غير ذاكر وقلب غير حاضر وكان بعض الفقرا عند الاكل
يشرع في تلاوة سورة من القران يحضر الوقت بذلك حتى يغمر اجزا الطعام بانوار الذكر
ولا يعقب الطعام مكروها ويغير مزاج القلب وقد كان شيخنا ابو النجيب السهروردي
قدس الله روحه يقول انا آكل وانا اصلي يشير الى حضور القلب في الطعام وربما
كان يوقف من يمنع عنه الشواغل وقت اكله لئلا يتفرق همه وقت الاكل ويرى للذكر
وحضور القلب في الاكل اثرا كبيرا لا يسعه الاهمال له ومن الذكر عند الاكل الفكر
فيما هيأ الله تعالى من الاسنان المعينة على الاكل فمنها الكاسرة ومنها القاطعة ومنها
الطاحنة وما جعل الله من الما الحلو في الفم حتى لا يتغير الذوق كما جعل ما العين مالحا
لما كان شحما حتى لا يفسد وكيف جعل نداوة تنبع من تحت اللسان والفم ليعين ذلك
على المضغ والسوغ وكيف جعل القوة الهاضمة مسلطة على الطعام تفصله وتجزيه
متعلقا مددها بالكبد والكبد بمثابة النار والمعدة بمثابة القدر وعلى قدر فساد
الكبد تقل الهاضمة ويفسد الطعام فلا ينفصل ولا يصل الى كل عضو نصيبه وهكذا
سائر الاعضا كلها من الكبد والطحال والكليتين ويطول شرح ذلك فمن اراد الاعتبار

طالع

طالع شرح الاعضا يرى العجب من قدرة الله تعالى من تعاضد الاعضا وتعاونها
وتعلق بعضها بالبعض في اصلاح الغذا واستجلاب القوة منه للاعضا وانقسامه
الى الدم والثفل واللبن ليغذيه المولود من بين فرث ودم لبنا خالصا سايغا للشاربين
فتبارك الله احسن الخالقين فالفكر في ذلك وقت الطعام ويعرف لطيف الحكم
والقدر فيه من الذكر ومما يذهب دآ الطعام المغير لمزاج القلب ان يدعو في اول
الطعام ويسال الله تعالى ان يجعله عونا على الطاعة ويكون من دعائه اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد وما رزقتنا مما نحب اجعله عونا لنا على ما تحب وما زويت عنا
مما نحب اجعله فراغا لنا فيما تحب الباب الثالث والاربعون في ادب
الاكل فمن ذلك يبتدي بالملح ويختم به روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لعلي يا علي ابدأ طعامك بالملح واختم بالملح فان الملح شفا من سبعين دآ منها
الجنون والجذام والبرص ووجع البطن ووجع الاضراس وروت عايشة رضي الله عنها
قالت لدغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابهامه من رجله اليسرى لدغة فقال
علي بذلك الابيض الذي يكون في العجين فجينا بملح فوضعه في كفه ثم لعق منه
ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه ويستحب الاجتماع على الطعام
وهو سنة الصوفية في الربط وغيرها روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان احب الطعام الى الله تعالى ما كثرت عليه الايدي وروي انه قيل يا
رسول الله انا ناكل ولا نشبع قال لعلكم تفترقون على طعامكم اجتمعوا واذكروا اسم الله
عليه يبارك لكم فيه ومن عادة الصوفية الاكل على السفرة وهو سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخبرنا الشيخ ابو زرعة عن المقومي باسناده الى ابن ماجة الحافظ
القزويني قال ثنا محمد بن المثنى ثنا معاذ بن هشام ثنا ابي عن يونس بن ابي الفرات
عن قتادة عن انس بن مالك قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا سكر جة

قال فعلى ما كانوا ياكلون قال على السفر وبصغر اللقمة ويجود الاكل بالمضغ وينظر
بين يديه ولا يطالع وجوه الآكلين ويقعد على رجله اليسرى وينصب اليمنى ويجلس
جلسة التواضع غير متكئ ولا متعزز نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياكل الرجل
متكئا وروي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فجثا رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ركبتيه ياكل فقال اعرابي ما هذه الجلسة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله خلقني عبدا ولم يجعلني جبارا عنيدا ولا يبتدي بالطعام حتى
يبدأ المتقدم او الشيخ روي حذيفة قال كنا اذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم طعاما لم يضع احدنا يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكل باليمين
روي ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لياكل احدكم بيمينه وليشرب بيمينه
وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه فان الشيطان ياكل بشماله ويشرب بشماله ويعطي بشماله
ويأخذ بشماله وان كان الماكول تمرا او ما له عجم لا يجمع من ذلك ما يرمي وما يوكل على الطبق
ولا في كفه بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه ويرميه ولا ياكل من ذروة الثريد روي
عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع الطعام فخذوا من
حاشيته وذروا وسطه فان البركة تنزل في وسطه ولا يعيب الطعام روي ابو
هريرة قال ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه
واذا سقطت اللقمة ياكلها فقد روي انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا سقطت لقمة احدكم فليمط عنها الاذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان وليلعق اصابعه
فقد روي جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اكل احدكم الطعام فليمص
اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه يكون البركة وهكذا امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم باسلات القصعة وهو مسحها من الطعام قال انس امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم باسلات القصعة ولا ينفخ في الطعام فقد روت عايشة عن رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم النفخ في الطعام يذهب بالبركة وروي عبد الله بن عباس قال لم
يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في طعام ولا شراب ولا يتنفس في الاناء فليس
من الادب ذلك والخل والبقل على السفرة من السنة قيل ان الملايكة تحضر
المايدة اذا كان عليها بقل روت ام سعد قالت دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم على عايشة وانا عندها فقال هل من غداء فقالت عندنا خبز وتمر وخل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الادام الخل اللهم بارك في الخل فانه ادام
بشر الانبيا قبلي ولم يفتقر بيت فيه خل ولا يصمت على الطعام فهو من سيرة الاعاجم
ولا يقطع اللحم والخبز بالسكين ففيه نهي ولا يكف يده عن الطعام حتى يفرغ الجمع
فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا وضعت المايدة فلا يقوم رجل حتى ترفع المايدة ولا يرفع يده وان شبع حتى
يفرغ القوم وليتعلل فان الرجل يخجل جليسه فيقبض يده وعسى ان يكون له في
الطعام حاجة واذا وضع الخبز لا ينتظر غيره فقد روي ابو موسى الاشعري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الخبز فان الله عز وجل سخر لكم بركات السما
والارض والحديد والبقر وابن آدم ومن احسن الآداب واهمه ان لا ياكل الا بعد الجوع
ويمسك عن الطعام قبل الشبع فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملأ
آدمي وعاء شرا من البطن ومن عادة الصوفية ان يلقم الخادم اذا لم يجلس مع القوم
ويؤنسه روي ابو هريرة قال قال ابو القسم صلى الله عليه وسلم اذا جا احدكم خادمه
بطعامه فان لم يجلسه معه فليناوله اكلة او اكلتين فانه ولي حره ودخانه واذا
فرغ من الطعام حمد الله تعالى روي ابو سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اكل طعاما قال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين وروي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اكل طعاما فقال الحمد لله الذي اطعمني هذا ورزقنيه

من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ويتخلل فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تخللوا فانه نظافة والنظافة تدعوا الى الايمان والايمان مع صاحبه في الجنة ويغسل يده فقد روي ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بات وفي يده غمر لم يغسل فاصابه شي فلا يلومن الا نفسه ومن السنة غسل الايدي في طست واحد روي ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزعوا الطسوس وخالفوا المجوس ويستحب مسح العين ببلل اليد روي ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأتم فاشربوا اعينكم الما ولا تنفضوا ايديكم فانها مراوح الشيطان قيل لابي هريرة في الوضو وغيره قال نعم في الوضو وغيره وفي غسل اليد باخذ الاشنان باليمين وفي الخلال لا يزدرد مما يخرج بالخلال من الاسنان وما يلوكه باللسان فلا باس به ويجتنب التصنع في الطعام ويكون اكله بين الجمع كاكله منفردا فان الريا يدخل على العبد في كل شي وصف لبعض العلما بعض العباد فلم يثن عليه قيل له تعلم به باسا قال نعم رايته يتصنع في الاكل ومن تصنع في الاكل لا يومن عليه التصنع في العمل وان كان الطعام حلالا فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم اطعمنا طيبا واستعملنا صالحا وان كان شبهة يقول الحمد لله على كل حال اللهم صل على محمد ولا تجعله عونا على معصيتك ويكثر الحزن على اكل الشبهة فليس من ياكل وهو يبكي كمن ياكل وهو يضحك ويقرا بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف قريش ويجتنب الدخول على قوم في وقت اكلهم فقد ورد من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما وسمعنا لفظا آخر دخل سارقا وخرج مغيرا الا ان يتفق دخوله على قوم يعلم منهم فرحهم بموافقته ويستحب ان يخرج الرجل مع ضيفه الى باب الدار ولا يخرج الضيف بغير اذن صاحب الدار ويجتنب المضيف التكلف الا ان يكون له نية فيه من كثرة الانفاق ولا يفعل ذلك حيا وتكلفا واذا اكل عند قوم طعاما فليقل عند فراغه افطر عندكم الصايمون واكل طعامكم

الابرار

الابرار وصلت عليكم الملايكة وروي ايضا عليكم صلوة قوم ابرار ليسوا باثمين ولا فجار يصلون بالليل ويصومون بالنهار كان بعض الصحابة يقول ذلك ومن الادب ان لا يستحقر ما قدم اليه من الطعام وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ما ندري ايهم اعظم وزرا الذي يحقر ما يقدم اليه او الذي يحتقر ما عنده ان يقدمه ويكره اكل طعام المباهات وما يكلف للاعراس والتعازي وما عمل للنوايح لا يوكل وما عمل لاهل العزا لا باس به وما يجري مجراه واذا علم الرجل من حال اخيه انه يفرح بالانبساط اليه في التصرف في شي من طعامه فلا حرج ان ياكل من طعامه بغير اذنه قال الله تعالى او صديقكم قيل دخل قوم على سفين الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة واكلوا فدخل سفين الثوري وفرح وقال ذكرتموني اخلاق السلف هكذا كانوا ومن دعي الى طعام فالاجابة من السنة واوكد ذلك الوليمة وقد تخلف بعض الناس عن الدعوة تكبرا وذلك خطا وان عمل ذلك تصنعا وريا فهو اشر من التكبر روي ان الحسن بن علي مر بقوم من المساكين الذين يسالون الناس على الطرق وقد نثروا كسرا على الارض وهو على بغلته فلما مر بهم سلم عليهم وركب وكان يقال الاكل مع الاخوان افضل فردوا عليه السلام وقالوا هلم الغدا يا ابن رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب المستكبرين ثم ثنى وركه ونزل عن دابته وقعد معهم على الارض واقبل ياكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الاكل مع الاخوان افضل من الاكل مع العيال روي ان هرون الرشيد دعا ابا معاوية الضرير وامر ان يقدم له طعاما فلما اكل صب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا ابا معاوية تدري من صب على يدك الما قال لا قال امير المومنين قال يا امير المومنين انما اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك كما اكرمت العلم

الباب الرابع والاربعون في ذكر ادبهم في اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه

اللباس من حاجات النفس وضرورتها لدفع الحر والبرد كما ان الطعام من حاجات النفس لدفع الجوع وكان النفس

غير قانعة بقدر الحاجة من الطعام بل تطلب الزيادات والشهوات فهكذا في اللباس
تتغنن فيه ولها فيه اهوية متنوعة ومآرب مختلفة فالصوفي برد النفس في اللباس
الى متابعة صريح العلم قيل لبعض الصوفية ثوبك ممزق قال ولكنه من وجه حلال قيل
له وهو وسخ قال ولكنه طاهر فينظر الصادق في ثوبه ان يكون من وجه حلال لانه ورد
في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم
من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا اي لا فريضة ولا نافلة ثم بعد ذلك ينظر فيه
ان يكون طاهرا لان طهارة الثوب شرط في صحة الصلوة وما عدا هذين النظرين فنظره
في كونه يدفع الحر والبرد لان ذلك مصلحة للنفس وبعد ذلك ما تدعوا النفس اليه فكله
فضول وزيادة ونظر الى الخلق فالصادق لا ينبغي ان يلبس الثوب الا لله وهو ستر العورة
او لنفسه لدفع الحر والبرد حكى ان سفين الثوري خرج ذات يوم وعليه ثوب قد لبسه
مقلوبا فقيل له ولم يعلم بذلك فهم ان يخلعه ويغيره ثم ترك وقال حين لبسته نويت
ان البسه لله والآن فما اغيره الا لنظر الخلق فلا انقض النية الاولى بهذه والصوفية
حفظوا بطهارة الاخلاق وما رزقوا طهارة الاخلاق الا بالصلاحية والاهلية والاستعداد الذي هيأ الله لنفوسهم ولطهارة الاخلاق ونقاصدها تناسب واقع لوجود
تناسب هيئة النفس وتناسب هيئة النفس هو المشار اليه بقوله تعالى فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فالتناسب هو التسوية ومن التناسب ان يكون لباسهم مشاكلا
لطعامهم وطعامهم مشاكلا لكلامهم وكلامهم مشاكلا لمنامهم لان التناسب الواقع في النفس
مقيد بالعلم والتشابه والتماثل في الاحوال محكم بحكم العلم ومتصوفة هذا الزمان ملتزمون
بشيء من التناسب مع مزج الهوى وما عندهم من التطلع الى التناسب رشح حال سلفهم في
وجود التناسب قال ابو سليمن الداراني يلبس احدهم عباة بثلثة دراهم وشهوته
في بطنه بخمسة دراهم انكر ذلك لعدم التناسب فمن خشن ثوبه ينبغي ان يكون مأكوله

من جنسه

146

من جنسه واذا اختلف الثوب والمأكول يدل على وجود انحراف لوجود هوى كامن
في احد الطرفين اما في طرف الثوب لموضع نظر الخلق واما في طرف المأكول لفرط الشره
فكلا الوصفين مرض يحتاج الى المداواة ليعود الى حد الاعتدال لبس ابو سليمن الداراني
ثوبا غسيلا فقال له احمد لو لبست ثوبا اجود من هذا فقال ليت قلبي في القلوب
مثل قميصي في الثياب فكل الفقرا يلبسون المرقع وربما كانوا يأخذون الخرق من المزابل
ويرقعون بها ثوبهم وقد فعل ذلك طايفة من اهل الصلاح وهولاء ما كان لهم معلوم
يرجعون اليه فكما كان رفاعهم من المزابل كان لقمهم من الابواب كان ابو عبد الله م
يسافر على الفقر والتوكل ثلثين سنة وكان اذا حضر للفقرا طعام لا ياكل معهم فيقال له
في ذلك فيقول انتم تاكلون بحق التوكل وانا آكل بحق المسكنة ثم يخرج بين العشايين
يتصدق الكسر من الابواب وهذا شان من لا يرجع الى معلوم ولا يدخل تحت منة حكى
ان جماعة من اصحاب المرقعات دخلوا على بشر بن الحارث فقال لهم يا قوم اتقوا
الله ولا تظهروا هذا الزي فانكم تعرفون به وتكرمون له فسكتوا كلهم فقام شاب
من بينهم وقال الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به ويكرم له والله لنظهرن هذا الزي
حتى يكون الدين كله لله فقال له بشر احسنت يا غلام مثلك من يلبس المرقعة فكان
احدهم يبقى زمانه لا يطوى له ثوب ولا يملك غير ثوبه الذي عليه وروي ان امير
المومنين عليا رضي الله عنه لبس قميصا اشتراه بثلثة دراهم ثم قطع كمه من روس اصابعه
وروي عنه انه قال لعمر بن الخطاب ان اردت ان تلقى صاحبك فرقع قميصك واخصف
نعلك وقصر املك وكل دون الشبع وحكى عن الجريري قال كان في جامع بغداد
رجل لا تكاد تجده الا في ثوب واحد في الشتا والصيف فسئل عن ذلك فقال قد
كنت ولعت بكثرة الثياب فرايت ليلة فيما يرى النايم كاني دخلت الجنة فرايت جماعة
من اصحابنا من الفقرا على مايدة فاردت ان اجلس معهم فاذا بجماعة من الملايكة اخذوا

رضي الله عنه م

يدي واقاموني وقالوا هولاء اصحاب ثوب واحد وانت لك قميصان فلا تجلس
معهم فانتبهت ونذرت ان لا البس الا ثوبا واحدا الى ان القى الله عز وجل وقيل
مات ابو يزيد ولم يترك الا قميصه الذي كان عليه وكان عارية فردوه الى صاحبه
وحكى لنا عن الشيخ حماد الدباس شيخ شيخنا رحمهم الله انه بقي زمانا لا يلبس الثوب
الا مستاجرا حتى لا يلبس على ملك نفسه شيا وقال ابو حفص الحداد اذا رايت ضوء
الفقير في ثوبه فلا ترج خيره وقيل مات ابن الكريني وكان استاذ الجنيد وعليه
مرقعة قيل كان وزن فرد كم له وتخاريصه ثلثة عشر رطلا وقد يكون جمع من
الصالحين على هذا الزي والتخشن وقد يكون جمع من الصالحين يتكلفون لبس غير
المرقع وزي الفقرا ويكون نيتهم في ذلك ستر الحال او خوف عدم النهوض بواجب
حق المرقعة وقيل كان ابو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرش فيه الرمل
لعله كان ينام عليه بلا وطاء وقد كان قوم من اصحاب الصفة يكرهون ان يجعلوا
بينهم وبين التراب حايلا ويكون لبس ابي حفص الناعم بعلم ونية يلقى الله تعالى بصحتها
وهكذا الصادقون ان لبسوا غير الخشن من الثياب لنية في ذلك فلا يعترض عليهم
غير ان لبس الخشن والمرقع يصلح لساير الفقرا بنية التقلل من الدنيا وزهرتها وبهجتها
وقد ورد من ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه البسه الله تعالى من حلل الجنة
واما لبس الناعم فلا يصلح الا لعالم بحاله بصير بصفات نفسه متفقد خفي شهوات النفس
يلقى الله تعالى بحسن النية في ذلك وحسن النية في ذلك وجوه متعددة يطول شرحها
ومن الناس من لا يقصد لبس ثوب بعينه لا لخشونته ولا لنعومته بل يلبس ما يدخل
الوقت عليه فيكون بحكم الوقت وهذا حسن واحسن من ذلك انه يتفقد نفسه فيه
فان راى لنفسه شرها او شهوة خفية او جلية في الثوب الذي ادخله الله عليه يخرجه
الا ان يكون حاله مع الله ترك الاختيار فعند ذلك لا يسعه الا ان يتلبس بالثوب الذي

ساقه الله اليه وكان شيخنا ابو النجيب السهروردي قدس الله روحه لا يتقيد
بهيئة من الملبوس بل كان يلبس ما يتفق من غير تعمل وتكلف واختيار وقد كان
يلبس العمامة بعشرة دنانير ويلبس العمامة بدانق وكان الشيخ عبد القادر
رحمه الله يلبس هيئة مخصوصة ويتطيلس وكان علي بن الهيتي يلبس لبس
فقرا السواد وكان ابو بكر الفرا بزنجان يلبس فروا خشنا كاحاد العوام ولكل
في لبسه وهيئته نية صالحة وشرح تفاوت الاقدام في ذلك يطول وكان
الشيخ ابو السعود حاله مع الله ترك الاختيار وقد يساق اليه الثوب الناعم
فيلبسه وكان يقال له ربما يسبق الى بواطن بعض الناس الانكار عليك في لبسك
هذا الثوب فيقول لا نلقى الا احد رجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فنقول
له هل ترى ان ثوبا يكرهه الشرع او يحرمه فيقول لا او رجل يطالبنا بحقايق
القوم من ارباب العزيمة فنقول له هل ترى لنا فيما لبسنا اختيارا او ترى عندنا فيه
شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدر على لبس الناعم ولبس الخشن ولكن
يحب ان يختار الله تعالى له هيئة مخصوصة فيكثر الالتجا الى الله والافتقار اليه ويساله
ان يريه احب الزي الى الله له واصلحه لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض وهوى
في زي بعينه فالله تعالى يفتح عليه ويعرفه زيا مخصوصا فيلتزم بذلك الزي
فيكون لبسه بالله ويكون هذا اتم واكمل ممن يكون لبسه لله ومن الناس من يتوفر
حظه من العلم وينبسط بما بسطه الله فيلبس الثوب على علم وايقان ولا يبالي بما
لبس ناعما لبس او خشنا وربما لبس ناعما ولنفسه فيه اختيار وحظ وذلك الحظ فيه
يكون مكفرا لمردودا عليه موهوبا له بموافقة الله تعالى في ارادة نفسه ويكون
هذا التخصص باتم التزكية محبوبا مرادا يسارع الله تعالى الى مراده محابته غير ان هاهنا
مزلة القدم لكثير من المدعين حكي عن يحيى بن معاذ الرازي انه كان يلبس الصوف

والخلقان في ابتدا امره نهار آخر عمره يلبس الناعم فقيل لابي يزيد ذلك فقال مسكين يحيى لم يصبر على الدون فكيف يصبر على التعب ومن الناس من يسوق اليه علم ما سوف يدخل عليه من الملبوس فيلبسه ويكون محمولا فيه وكل احوال الصادقين على اختلاف تنوعها مستحسنة قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ولبس الخشن من الثياب هو الاحب والاولى والاسلم للعبد والابعد من الآفات قال مسلم بن عبد الملك دخلت على عمر بن عبد العزيز اعوده في مرضه فرايت قميصه وسخا فقلت لامراته فاطمة اغسلوا ثياب امير المومنين فقالت نفعل ان شا الله قال ثم عدته فاذا القميص على حاله فقلت يا فاطمة الم امركم ان تغسلوا ثياب امير المومنين فقالت والله ماله قميص غيره وقال سالم كان عمر بن عبد العزيز من الين الناس لباسا من قبل ان يسلم عليه بالخلافة فلما سلم عليه بالخلافة ضرب راسه بين ركبتيه وبكى ثم دعا باطمار له فلبسها وقيل لما مات ابو الدردا وجد في ثوبه اربعون رقعة وكان عطاوه اربعة الاف دينار وقال زيد بن وهب لبس علي بن ابي طالب قميصا رازيا وكان اذا مد كمه بلغ اطراف اصابعه فعابه الخوارج بذلك فقال اتعيبوني على لباس هو ابعد من الكبر واجدر ان يقتدي بي المسلم وقيل كان عمر اذا راى على رجل ثوبين رقيقين علاه بالدرة وقال دعوا هذه البراقات للنسا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنوروا قلوبكم بلباس الصوف فانه مذلة في الدنيا ونور في الاخرة واياكم ان تفسدوا دينكم بحمد الناس وثنايهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احتذى نعلين فلما نظر اليهما اعجبه حسنهما فسجد لله فقيل له في ذلك قال خشيت ان يعرض عني ربي فتواضعت له لا جرم لا يبيتان في منزلي لما تخوفت المقت من الله من اجلهما واخرجهما فدفعهما الى اول مسكين لقيه ثم امر فاشتري له نعلان مخصوفتان وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس الصوف واحتذى المخصوف واكل

رضي الله عنه

مع العبيد واذا كانت النفس محل الآفات والوقوف على دسايسها وخفي شهواتها وكامن هواها عسر جدا فالاجدر والاولى الاخذ بالاحوط وترك ما يريب لما لا يريب ولا يجوز للعبد الدخول في السعة الا بعد اتقان علم السعة وكمال تزكية النفس وذلك اذا غابت النفس بغيبة هواها المتبع وتخلصت النية وتسدد التصرف بعلم صريح واضح وللعزيمة اقوام يركبونها ويراعونها لا يرون النزول الى الرخص خوفا من فوت فضيلة الزهد في الدنيا واللباس الناعم من الدنيا وقد قيل من رق ثوبه رق دينه وقد رخص في ذلك لمن لا يلتزم بالزهد ويقف على رخصة الشرع روى علقمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال الرجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال النبي عليه الصلوة والسلام ان الله جميل يحب الجمال ويكون هذه الرخصة في حق من يلبسه لهوى نفسه في ذلك غير مفتخر به ومتخيل فاما من لبس الثوب للتفاخر بالدنيا والتكاثر بها فقد ورد فيه وعيد روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ازرة المومن الى نصف الساق فما بينه وبين الكعبين وما كان اسفل من الكعبين فهو في النار من جر ازاره بطرا لا ينظر الله اليه يوم القيمة فبينما رجل ممن كان قبلكم يتبختر في ردايه اذ اعجبه رداوه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمه ⊙ والاحوال تختلف ومن صح حاله بصحة علمه تحسن نيته في ماكوله وملبوسه وساير تصاريفه وكل الاحوال تستقيم وتسدد باستقامة الباطن مع الله وبقدر ذلك تستقيم تصاريف العبد كلها بحسن توفيق الله تعالى وصلى الله على محمد وآله وسلم

الباب الخامس والاربعون في ذكر فضل قيام الليل

قال الله سبحانه وتعالى اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان نزلت هذه الاية في المسلمين يوم بدر حيث نزلوا على كثيب

من الرمل تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر العظمى
وغلبوهم عليها واصبح المسلمين بين محدث وجنب واصابهم الظما ووسوس
اليهم الشيطان انكم تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وقد غلب المشركون على
الما وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون الظفر عليهم فانزل الله تعالى
مطرًا من السما سال منه الوادي فشربوا المسلمين وتغسلوا وتوضوا وسقوا الدوا
وملاوا الاسقية ولبد الارض حتى تثبت به الاقدام قال الله تعالى ويثبت به
الاقدام اذ يوحي ربك للملايكة امدهم الله تعالى بالملايكة حتى غلبوا المشركين
ولكل اية من القران ظهر وبطن وحد ومطلع والله تعالى كما جعل النعاس رحمة
وامنة للصحابة خاصة من تلك الواقعة والحادثة فهو رحمة نعم المومنين والنعاس
قسم صالح من الاقسام العاجلة للمريدين وهو امنة لقلوبهم عن منازعات النفس
لان النفس بالنوم تستريح ولا تشكوا الكلال والتعب اذ هي شكايتها وتعبها تكدر القلب
وباستراحتها بالنوم بشرط العلم والاعتدال راحة القلب لما بين القلب والنفس من
المواطاة عند طمانينتها للمريدين السالكين فقد قيل ينبغي ان يكون ثلث الليل والنهار
نومًا حتى لا يضطرب الجسد فيكون ثمان ساعات للنوم ساعتين من ذلك يجعلها
المريد بالنهار وست ساعات بالليل ويزيد في احدهما وينقص من الاخر على قدر
طول النهار وقصره في الشتا والصيف وقد يكون بحسن الارادة وصدق الطلب
ينقص النوم عن قدر الثلث ولا يضر ذلك اذا صار بالتدريج عادة وقد يحمل ثقل
السهر وقلة النوم وجود الروح والانس فان النوم طبعه بارد رطب ينفع الجسد
والدماغ ويسكن من الحرارة واليبس الحادث في المزاج فان نقص من الثلث يفتر
الدماغ ويخشى منه اضطراب الجسم فاذا ناب عن النوم روح القلب وانسه لا يضر
نقصانه لان طبيعة الروح والانس بارد رطب كطبيعة النوم وقد ينقص مدة

طول

طول الليل وجود الروح فيصير بالروح اوقات الليل الطويلة كالقصيرة كما يقال
سنة الوصل سنة وسنة الهجر سنة فيقصر الليل لاهل الروح نقل عن علي
بن بكار انه قال منذ اربعين سنة ما احزنني الا طلوع الفجر وقيل لبعضهم كيف
انت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تاملته وقال ابو
سليمان الداراني اهل الليل في ليلهم الذ لذة من اهل اللهو في لهوهم وقال بعضهم ليس
في الدنيا شي يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة
المناجاة فحلاوة المناجاة ثواب عاجل لاهل الليل وقد قال بعض العارفين ان الله
تعالى يطلع على قلوب المستيقظين في الاسحار فيملاها نورًا فترد الفوايد على
قلوبهم فتستنير ثم ينتشر من قلوبهم العوافي الى قلوب الغافلين وقد ورد ان الله
تعالى اوحى في بعض ما اوحى الى بعض انبيايه ان لي عبادًا يحبوني واحبهم ويشتاقون
الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت
طريقهم احببتك وان عدلت عن ذلك مقتك فقال يا رب ما علامتهم قال يراعون
الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطير الى اوكارها
فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا
الي وجوههم ناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه
وشاك بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشكون من حبي اول ما اعطيهم ان
اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثاني لو كانت السموات
السبع والارضون وما فيها في موازينهم استقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم
فترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه فالصادق المريد اذا
خلا في ليله بمناجاة ربه انتشر انوار ليله على جميع اجزا نهاره ويصير نهاره
في حماية ليله وذلك لامتلا قلبه بالانوار فتكون حركاته وتصاريفه بالنهار تتعلق

من منبع الانوار المجتمعة من الليل ويصير قالبه في قبة من قباب الحق يسدد حركاته موقر
سكناته وقد ورد من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار ويجوز ان يكون بمعنيين احدهما
ان المشكاة تستنير بالمصباح فاذا صار سراج اليقين في القلب يزهر بكثرة زيت العمل بالليل
يزداد المصباح اشراقا ويكتسب مشكاة القالب نورا وضيا كان يقول سهل بن عبد الله
اليقين نار والاقرار فتيلة والعمل زيت وقد قال الله تعالى سيماهم في وجوههم من اثر
السجود وقال تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فنور اليقين من نور الله
في زجاجة القلب يزداد ضيا بزيت العمل فتبقى زجاجة القلب كالكوكب الدري وينعكس
انوار الزجاجة على مشكاة القالب وايضا يلين القلب بنار النور ويسري بلينه الى القالب
فيلين القالب للين القلب فيتشابهان لورود اللين الذي عمهما قال الله تعالى ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله وصف الجلود باللين فاذا امتلا القلب بالنور ولان القالب يسري [illegible]
فيه من الانس والسرور ويندرج المكان والزمان في نور القلب ويندرج فيه الكلام
والآيات والسور وتشرق الارض ارض القالب بنور ربها اذ يصير القلب سما والقالب
ارضا ولذة تلاوة كلام الله تعالى في محل المناجاة تستر كون الكائنات والكلام المجيد
بكونه ينوب عن ساير الوجود في مزاحمة صفو الشهود فلا يبقى حينئذ للنفس حديث
ولا يسمع للهاجس حسيس في مثل هذه الحالة يتصور تلاوة القران من فاتحته الى
خاتمته من غير وسوسة وحديث نفس وذلك هو الفضل العظيم الوجه الثاني لقوله
صلى الله عليه وسلم من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار معناه ان وجوه اموره التي يتوجه
اليها يحسن وتداركها المعونة من الله الكريم في تصاريفه ويكون معانا في صدوره وورود[ه]
فيحسن وجه مقاصده وافعاله وينتظم في سلك السداد سداد اقواله لان الاقوال
تستقيم باستقامة القلب

الباب السادس والاربعون في ذكر الاسباب المعينة على قيام الليل وآداب النوم

فمن ذلك ان العبد يستقبل الليل عند غروب

الشمس

150

الشمس بتجديد الوضوء ويقعد مستقبل القبلة منتظرا لمجي الليل وصلوة المغرب مقيما
في ذلك على انواع الاذكار ومن اولاها التسبيح والاستغفار قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ومن ذلك ان
يواصل بين العشاءين بالصلوة او التلاوة او الذكر وافضل ذلك الصلوة فانه اذا وصل
بين العشاءين يغسل عن باطنه آثار الكدورة الحادثة في اوقات النهار من روية الخلق
ومخالطتهم وسماع كلامهم فان ذلك كله له اثر وخدش في القلوب حتى النظر اليهم يعقب
كدرا في القلب يدركه من برز في صفا القلب فيكون اثر النظر الى الخلق للبصيرة كالقذى
في العين للبصر وبالمواصلة بين العشاءين يرجى ذهاب ذلك الاثر ومن ذلك ترك
الحديث بعد العشا الاخر فان الحديث في ذلك الوقت يذهب طراوة النور الحادث في
القلب ثم تجديد الوضو بعد العشا الاخر ايضا معين على قيام الليل حكي لي بعض الفقراء
عن شيخ له بخراسان انه كان يغتسل بالليل ثلث مرات مرة بعد العشا الاخر ومرة في اثنا
الليل بعد الانتباه من النوم ومرة قبل الصبح فالوضو والغسل بعد العشا الآخر من طالعه
في تيسير قيام الليل ومن ذلك القعود على الذكر او القيام بالصلوة حتى يغلب النوم يعين
على سرعة الانتباه الا ان يكون وانقاص نفسه وعادته فيتعمد النوم ويتجلبه ليقوم
في وقته المعهود والا فالنوم على الغلبة هو الذي يصلح للمريدين والطالبين وبهذا
وصف المحبون قيل نومهم نوم الغرقى واكلهم اكل المرضى وكلامهم ضرورة فمن نام عن
غلبة بهم يجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وانما النفس اذا اطمعت ووطنت بصدق العزيمة
على النوم استرسلت فيه واذا ازعجت لا تسترسل في الاستقرار وهذا الانزعاج في
النفس بصدق العزيمة هو التجافي الذي قال الله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع لان
الهم بقيام الليل وصدق العزيمة يجعل بين الجنب والمضجع نبوا وتجافيا وقد قيل للنفس
نظران نظر الى تحت لاستيفا الاقسام البدنية ونظر الى فوق لاستيفا الاقسام الروحانية

[illegible]

فارباب العزيمة تجافت جنوبهم عن المضاجع لنظرهم الى فوق الى الاقسام العلوية
الروحانية فاعطوا النفوس حقها ومنعوها حظها فالنفس بما فيها مركوز من الترابية
والجمادية ترسب وتستحلس وتستلذ النوم قال الله تعالى هو الذي خلقكم من تراب وللادمي
بكل اصل من اصول خلقه طبيعة لازمة له والرسوب صفة التراب والكسل والتقاعد
والتناوم بسبب ذلك طبيعة في الانسان فارباب الهمة اهل العلم الذين حكم الله لهم بالعلم
في قوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقايما حتى قال قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون حكم لهولاء الذين قاموا بالليل بالعلم فهم لموضع علمهم ازعجوا النفوس
عن مقار طبيعتها ورفعوها بالنظر الى اللذات الروحانية الى ذرى حقيقتها فتجافت جنوبهم
عن المضاجع وخرجوا من صفة الغافل الهاجع ومن ذلك ان تغيير العادة فان كان ذا
وسادة يترك الوسادة وان كان ذا وطا يترك الوطا وقد كان بعضهم يقول لا اري
في بيتي شيطانا احب الي من ان اري وسادة فانها تدعوا الى النوم ولتغيير العادة في
الوسادة والغطا والوطا تاثير في ذلك ومن ترك شيا من ذلك والله عالم بنيته وعزيمته
يثيبه على ذلك تيسير ما رام من ذلك خفة المعدة من الطعام ثم يتناول ما ياكل من الطعام
اذا اقترن بذكر الله وبيقظة الباطن اعان على قيام الليل لان بالذكر يذهب داه فان وجد
للطعام ثقلا على المعدة ينبغي ان يعلم ان ثقله على القلب اكثر فلا ينام حتى يذيب الطعام
بالذكر والتلاوة والاستغفار ويقول بعضهم لان انفس من عشاي لقمة احب الي ان
اقوم ليلة والاحوط ان يوتر قبل النوم فانه لا يدري ماذا يحدث ويعد طهوره وسواكه
عنده ولا يدخل النوم الا وهو على الطهارة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد
وهو على الطهارة عرج بروحه الى العرش فكانت روياه صادقة وان لم ينم على الطهارة قصرت
روحه عن البلوغ فيكون المنامات اضغاث احلام لا تصدق والمريد المتاهل اذا نام في
الفراش ينتقض وضوه باللمس ولا يفوته بذلك فايدة النوم على الطهارة ما لم يسترسل

من النوم

مع الزوجة

في

في التذاذ النفس باللمس ولا يعدم يقظة القلب فاما اذا استرسل في الالتذاذ
وغفل تحجب الروح ايضا لمكان ملافته والطهارة التي تثمر صدق الرويا طهارة
الباطن عن خدوش الهوى وكدورة محبة الدنيا والنقاوة عن انجاس الغل والحقد
والحسد وقد ورد من اوى الى فراشه لا ينوي ظلم احد ولا يحقد على احد غفر
له ما اجترم واذا طهرت النفس من الرذايل انجلى مراة القلب وقابل اللوح المحفوظ
في النوم وانتقش فيه عجايب الغيب وغرايب الانبا ففي الصديقين من يكون له
في منامه مكالمة ومحدثة ويامره الله تعالى وينهاه ويفهمه في المنام ويعرفه
ويكون موضع ما يفتح له في نومه من الامر والنهي كالامر والنهي الظاهر يعصي الله
تعالى ان اخل بها بل تكون هذه الاوامر اكد واعظم وقعا لان المخالفات الظاهرة
محوها التوبة والتايب من الذنب كمن لا ذنب له وهذه اوامر خاصة تتعلق
بحاله فيما بينه وبين الله فاذا اخل بها يخشى ان ينقطع عليه طريق الارادة ويكون
في ذلك الرجوع عن الله واستجاب مقام المقت فان ابتلي العبد في بعض الاحايين
بكسل وفتور عزيمة تمنع من تجديد الطهارة عند النوم بعد الحدث فيمسح اعضاه
بالما مسحا حتى يخرج بهذا القدر عن زمرة الغافلين حيث تقاعد عن فعل
المتيقظين وهكذا اذا اكسل عن القيام عقيب الانتباه يجتهد ان يستاك ويمسح اعضاه
بالما مسحا في تقلباته وانتباهاته ففي ذلك فضل كثير لمن كثر نومه وقل قيامه
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نوم
وعند الانتباه منها ويستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فاما على جنبه
الايمن كالملحود واما على ظهره مستقبلا للقبلة كالميت المسجى ويقول باسمك اللهم
وضعت جنبي وبك ارفعه اللهم ان امسكت نفسي فاغفر لها وارحمها وان ارسلتها فاحفظها
بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم اني وجهت وجهي اليك وفوضت امري اليك

والجان ظهري اليك رهبة ورغبة اليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك آمنت بكتابك
الذي انزلت ونبيك الذي ارسلت اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك الحمد لله الذي
علا فقهر الحمد لله الذي بطن فخبر الحمد لله الذي ملك فقدر الحمد لله الذي هو يحيي
الموتي وهو علي كل شي قدير اللهم اني اعوذ بك من غضبك وسوء عقابك وشر عبادك وشر
الشيطان وشركه ويقرا خمس ايات من البقرة الاربع من الاول والاية ان في خلق
السموات والارض واية الكرسي وامن الرسول وان ربكم الله وقل ادعوا الله واول
سورة الحديد واخر سورة الحشر وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد والمعوذتين
وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وجسده وان اضاف اليها قرا عشرا من اول
الكهف وعشرا من اخرها فحسن ويقول اللهم ايقظني في احب الساعات اليك واستعملني
باحب الاعمال اليك التي تقربني اليك زلفي وتبعدني من سخطك بعدا اسالك فتعطيني
واستغفرك فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي اللهم لا تؤمني مكرك ولا توليني غيرك ولا
ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين ورد ان من قال هذه الكلمات
بعث الله تعالي اليه ثلاثة املاك يوقظونه للصلوة فان صلي ودعا امنوا علي دعايه
وان لم يقم تعبدت الاملاك في الهوا وكتب له ثواب عبادتهم ويسبح ويحمد ويكبر كل واحد
ثلثا وثلثين ويتم الماية بلا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم

الباب السابع والاربعون في اداب الانتباه من النوم والعمل بالليل

اذا فرغ المؤذن من اذان المغرب يصلي ركعتين خفيفتين
بين الاذان والاقامة وكان العلما يصلون هاتين الركعتين في البيت ويعجلون
بها قبل الخروج الي الجماعة كيلا يظن الناس انهما سنة مرتبة فيقتدي بهم ظنا
منهم انها سنة واذا صلي المغرب يصلي ركعتين السنة بعد المغرب يعجلهما فانهما
ترفع مع الفريضة يقرا فيهما بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ثم يسلم علي

ملايكة

152

مرحبا بملايكة الليل

ملايكة الليل والكرام الكاتبين فيقول مرحبا بالملكين الكريمين الكاتبين اكتبا
في صحيفتي اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واشهد ان الجنة حق
والنار حق والحوض حق والشفاعة حق والصراط حق والميزان حق واشهد
ان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور اللهم اودعك هذه
الشهادة ليوم حاجتي اليها اللهم احطط بها وزري واغفر بها ذنبي وثقل بها
ميزاني واوجب لي بها اماني وتجاوز عني يا ارحم الراحمين فان واصل بين العشايين
في مسجد جماعة يكون جامعا بين الاعتكاف ومواصلة العشايين وان راي
انصرافه الي منزله والمواصلة بين العشايين في بيته افضل واسلم لدينه واقرب
الي الاخلاص واجمع للهم فليفعل وسيل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن قوله
تعالي تتجافي جنوبهم عن المضاجع فقال هي الصلوة بين العشايين وقال
عليه الصلوة والسلام عليكم بالصلوة بين العشايين فانها تذهب بملاغاة النهار
وتهذب آخره وتجعل من الصلوة بين العشايين ركعتين بسورة البروج والطارق
ثم ركعتين يقرا في الاولي عشر ايات من اول سورة البقرة والايتين والهكم اله
واحد الي آخر الايتين وخمسة عشر مرة قل هو الله احد وفي الثانية اية الكرسي
وامن الرسول وخمسة عشر مرة قل هو الله احد ويقرا في الركعتين الاخريين
سورة الزمر والواقعة ويصلي بعد ذلك ما شا فان اراد ان يقرا شيا من حزبه
في هذا الوقت في الصلوة او غيرها وان شا صلي عشرين ركعة خفيفة بسورة
الاخلاص والفاتحة ولو واصل بين العشايين بركعتين يطيلهما فحسن وفي هاتين
الركعتين يطيل القيام تاليا للقران حزبه او مكررا آية فيها الدعا والتلاوة مثل
ان يقرا مكررا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير او اية اخري في معناها
فيكون جامعا بين التلاوة والصلوة والدعا ففي ذلك جمع الهم وظفر بالفضل ثم

يصلي قبل العشا اربعًا وبعدها ركعتين ثم ينصرف الي منزله او موضع خلوته فيصلي
اربعا اخر وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في بيته اول ما يدخل
قبل ان يجلس ويقرا في هذه الاربع بسورة سورة لقمن ويس وحم الدخان وتبارك
الملك وان اراد ان يخفف فيقرا فيها اية الكرسي وامن الرسول واول سورة الحديد
واخر سورة الحشر ويصلي بعد الاربع احدى عشر ركعة يقرا فيها بثلثماية اية من
القران ومن السما والطارق الي اخر القران ثلثماية اية هكذا ذكر الشيخ ابو طالب
المكي رحمه الله وان اراد ان يقرا هذا القدر في اقل من هذا العدد من الركعات
وان قرا من سورة الملك الي اخر القران فهو الف اية فهو خير عظيم كثير وان لم
يحفظ القران يقرا في كل ركعة خمس مرات قل هو الله احد الي عشر مرات الي
اكثر ولا يوخر الوتر الا ان يكون واثقا من نفسه في عادتها الانتباه للتهجد
فيكون تاخير الوتر الي اخر التهجد حينيذ افضل وقد كان بعض العلما اذا اوتر
قبل النوم ثم قام يتهجد يصلي ركعة يشفع بها وتره ثم يتنفل ما شا ويوتر في
اخر ذلك واذا كان الوتر من اول الليل يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا يقرا فيهما
باذا زلزلت الارض زلزالها والهاكم وقيل الركعتين قاعدًا بمنزلة الركعة قايما انه
يشفع له الوتر حتى اذا اراد التهجد ياتي به ويوتر في اخر تهجده ونية هاتين
الركعتين نية النفل لا غير ذلك فكثيرا رايت الناس يتفاوتون في كيفية نيتهما
وان قرا في كل ليلة المسبحات واضاف اليها سورة الاعلى فتصير سبعا فقد كان
العلما يقرون هذه السورة ويتعرفون بركتها واذا استيقظ من النوم فمن احسن
الادب عند الانتباه ان يذهب بباطنه الي الله ويصرف فكره الي امر الله قبل ان
يجول الفكر في شي سوي الله ويشغل اللسان بالذكر فالصادق كالطفل المكلف
بالشي اذا نام ينام علي محبة الشي واذا انتبه يطلب ذلك الشي الذي كان كلفا به وعلي
حسب

153
حسب هذا الكلف والشغل يكون الموت والقيام الي الحشر فلينظر وليعتبر عند انتباهه انه
ما همه فانه هكذا يكون عند القيام من القبر كان همه الله والا فهمه غير الله والعبد
اذا انتبه من النوم فباطنه عايدًا الي طهارة الفطرة فلا يدع الباطن يتغير بغير
ذكر الله تعالي حتي لا يذهب عنه نور الفطرة الذي انتبه عليه ويكون فارا الي ربه
بباطنه خوفا من ذكر الاغيار ودمها وفي الباطن بهذا العيار فقد بقي طريق الانوار
وطرق النفحات الالهية فجدير ان ينصب اليه اقسام الليل انصبابا ويصير خباب
القدس والقرب له موئلا ومابا ويقول باللسان الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا
واليه النشور ويقرا العشر الاواخر من سورة ال عمران ثم يقصد الما الطهور قال
الله تعالى وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به وقال تعالى انزل من السما ما فسالت
اودية بقدرها قال عبد الله بن عباس الما القران والاودية القلوب فسالت
بقدرها واحتملت ما وسعت والما مطهر والقران مطهر والقران بالتطهير اجدر فالما
يقوم غيره مقامه والقران والعلم لا يقوم غيرها مقامها ولا يسد مسدها فالما
الطهور يطهر الظاهر والعلم والقران يطهر الباطن ويذهب برجس الشيطان فالنوم
غفلة وهو من اثار الطبع وجدير ان يكون من رجس الشيطان لما فيه من الغفلة عن
الله تعالى وذلك ان الله تعالى امر بقبض القبضة من التراب من وجه الارض
وكانت القبضة جلدة الارض والجلد فظاهرها بشرة وباطنها ادمة قال الله
تعالى اني خالق بشرا من طين فالبشرة والبشر عبارة عن ظاهره وصورته والادمة
عبارة عن باطنه وادميته والادمية مجمع الاخلاق الحميدة وكان التراب موطي
اقدام ابليس ومن ذلك اكتسب ظلمة وصارت تلك الظلمة معجونة في طينة الادمي
ومنها الصفات المذمومة والاخلاق الردية ومنها الغفلة والسهو فاذا استعمل
الما وقرا القران اتي بالمطهرين جميعا ويذهب عنه رجس الشيطان واثر وطاته

ويحكم له بالعلم والخروج من حيز الجهل فاستعمال الطهور امر شرعي له تاثير في
تنور القلب بازا النوم الذي هو الحكم الطبعي الذي له تاثير في تكدير القلب
فيذهب نور هذا بظلمة ذلك ولهذا راي بعض العلما الوضو مما مست النار وحكم
ابو حنيفة بالوضو من القهقهة حيث راي حكما طبعيا جالبا للاثم والاثم رجس
الشيطان والما يذهب رجس الشيطان حتي كان بعضهم يتوضا عند الغيبة
والكذب وعند الغضب لظهور النفس وبمرفا الشيطان في هذه المواطن ولو ان
المتحفظ المراعي المراقب المحاسب كلما انطلقت النفس في مباح من كلام او مساكنة
الي مخالطة الناس او غير ذلك مما هو بعرضية تحليل عقد العزيمة كالخوض فيما لا
يعني قولا وفعلا عقب ذلك بتجديد الوضو ثبت القلب علي طهارته ونزاهته ولكان
الوضو لصفا البصيرة بمثابة الجفن الذي لا يزال بخفة حركته يجلوا البصر وما يعقلها
الا العالمون فيتفكر فيما نبهنا عليه تجد بركته واثره ولو اغتسل عند هذه التجددات
والعوارض والانتباه من النوم كان ازيد في تنوير قلبه ولكان الاجدر ان العبد يغتسل
لكل فريضة باذلا مجهوده في الاستعداد لمناجاة الله ويجدد غسل الباطن بصدق
الانابة وقد قال الله تعالي منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة فقدم الانابة للدخول
في الصلوة ولكن رحمة الله تعالي وحكم الحنيفية السمحة السهلة رفع الحرج وعوض بالوضو
عن الغسل وجوز ادا مفترضات بوضو واحد دفعا للحرج عن عامة الامة وللخواص
واهل العزيمة مطالبات من بواطنهم تحكم عليهم بالاولي وتجلبهم الي سلوك طريق
الاعلي فاذا قام الي الصلوة واراد استفتاح التهجد يقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا
وسبحان الله وبحمده بكرة واصيلا ويقول سبحان الله والحمد لله الكلمات عشر مرات
ويقول الله اكبر ذو الملك والملكوت والجبروت والكبريا والعظمة والجلال والقدرة
اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت بها السموات والارض

ومن

154

ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاك حق والجنة حق والنار حق والنبيون
حق ومحمد صلي الله عليه وسلم حق اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت وبك خاصمت
واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت
الموخر لا اله الا انت اللهم ات نفسي تقويها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها
اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها
الا انت اسالك مسئلة البايس المسكين وادعوك دعا الفقير الذليل فلا تجعلني بدعايك رب
شقيا وكن لي رووفا رحيما يا خير المسولين ويا اكرم المعطين ثم يصلي ركعتين تحية الطهارة
يقرا في الاولي بعد الفاتحة ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك الاية وفي الثانية ومن يعمل
سوا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ويستغفر بعد الركعتين مرات
ثم يستفتح الصلوة بركعتين خفيفتين ان اراد يقرا فيهما باية الكرسي وامن الرسول
وان اراد غير ذلك ثم يصلي ركعتين طويلتين اقصر من الاولتين وهكذا يدرج الي ان يصلي
اثني عشرة ركعة او ثمان ركعات او يزيد علي ذلك ففي كل ذلك فضل عظيم وصلي الله علي محمد وآله وسلم

الباب الثامن والاربعون في تقسيم قيام الليل

قال الله تعالي والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل في قوله تعالي فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين جزا بما كانوا يعملون كان عملهم قيام الليل وقيل استعينوا بالصبر والصلوة
واستعينوا بالصبر والصلوة واستعينوا بصلوة الليل علي مجاهدة النفس ومصابرة العدو
وفي الخبر عليكم بقيام الليل فانه مرضات لربكم وهو داب الصالحين قبلكم ومنهاة عن
الاثم وملغاة للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطردة للدا عن الجسد وقد كان جمع من
الصالحين يقومون الليل كله حتي نقل ذلك عن اربعين من التابعين كانوا يصلون الغداة
بوضو العشا منهم سعيد ابن المسيب وفضيل بن عياض ووهب بن الورد وابو سليمن
الداراني وعلي بن بكار وحبيب العجمي وكهمش بن المنهال وابو حازم ومحمد بن المنكدر وغيرهم

عدهم وسماهم باسمائهم الشيخ ابو طالب المكي في كتابه قوت القلوب فمن عجز عن ذلك يستحب
له قيام ثلثيه او ثلثه واقل الاستحباب سدس الليل فاما ان ينام ثلث الليل ويقوم نصفه
وينام سدسه الاخير او ينام النصف الاول ويقوم ثلثه وينام السدس روي ان
داود عليه الصلوة والسلام قال يا رب اني احب ان اتعبد لك فاي وقت اقوم فاوحى الله
اليه يا داود لا تقم اول الليل ولا اخره فانه من قام اوله نام اخره ومن قام اخره نام اوله
ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي واخلو بك وارفع الي حوائجك فيكون القيام بين نومتين
والا يغالب النفس من اول الليل ويتنفل فاذا غلب عليه النوم ينام فاذا انتبه يتوضا فلو
له قومتان ونومتان ويكون ذلك من افضل ما يفعله ولا يصلي وعنده نوم يشغله عن
الصلوة والتلاوة حتى يعقل ما يقول فقد ورد لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان فلانة تصلي من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال
عليه الصلوة والسلام ليصل احدكم من الليل ما تيسر فاذا غلبه النوم فلينم وقال عليه الصلوة
والسلام لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض الى نفسك عبادة
الله ولا يليق بالطالب ولا ينبغي له ان يطلع الفجر وهو نائم الا ان يكون قد سبق له في الليل
قيام طويل فيعذر في ذلك على انه اذا استيقظ قبل الفجر بساعة مع قيام قليل سبق في
الليل يكون افضل من قيام طويل ثم النوم الى بعد طلوع الفجر فاذا استيقظ قبل الفجر طلوع
يكثر الاستغفار والتسبيح ويغتنم تلك الساعة فكلما يصلي بالليل جلس قليلا بعد كل
ركعتين ويسبح ويستغفر ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجد بذلك
ترويحا وقوة على القيام وقد كان بعض الصالحين يقول هي اول نومة فان انتبهت ثم عدت
الى نومة اخرى فلا انام الله عيني وحكي لي بعض الفقراء عن شيخ له انه كان يامر الاصحاب
بنومة واحدة بالليل واكلة واحدة لليوم والليلة وقد جا في الخبر قم من الليل ولو قدر حلب
شاة وقيل يكون ذلك قدر اربع ركعات وقدر ركعتين وقيل في تفسير قوله تعالى

يوتي

يوتي الملك من يشا وينزع الملك ممن يشا هو قيام الليل ومن حرم قيام الليل كسلا وفتورا
في العزيمة او تهاونا به بقلة الاعتداد بذلك واغترارا بحاله فليبك عليه فقد قطع
عليه طريق كثير من الخير وقد يكون من ارباب الاحوال من يكون له ابوا الى القرب
ويجد من دعة القرب ما يفتر عليه داعية الشوق ويرى ان القيام وقوف في مقام
الشوق وهذا يغلط فيه ويهلك به خلق من المدعين والذي له ذلك ينبغي ان يعلم
ان استمرار هذه الحالة متعذر والانسان يعرض للقصور والتخلف والشبهة ولا حالة
اجل من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما استغنى عن قيام الليل وقام حتى تورمت
قدماه وقد يقول بعض من يحتج في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تشريعا
فنقول يا بالنا لا نتبع تشريعه وهذه دقيقة غامضة تعلم ان روية الفضيلة في ترك القيام وادعا
والابتلا الابوا الى جناب القرب واستوا النوم واليقظة امتلا حالي وتقيد بالحال وتحكم للحال
وتحكم من الحال في العبد والاقويا لا تتحكم فيهم الحال ويصرفون الحال في صور الاعمال
فهم متصرفون في الحال لا الحال متصرف فيهم فليعلم ذلك فانا راينا من الاصحاب من كان
في ذلك ثم انكشف لنا بتاييد الله تعالى ان ذلك وقوف وقصور قال رجل للحسن يا ابا
سعيد اني ابيت معافا واحب قيام الليل واعد طهوري فما بالي لا اقوم قال ذنوبك قيدتك
فليحذر العبد في نهاره ذنبا يقيده في ليله وقال الثوري حرمت قيام الليل سبعة
اشهر بذنب اذنبته فقيل له ما كان الذنب قال رايت رجلا بكا فقلت في نفسي هذا
مراي وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت ما لك اتاك نعي بعض
اهلك فقال اشد فقلت وجع يولمك قال اشد قلت فما ذاك قال بابي مغلق وستري
مسبل ولم اقرا حزبي البارحة وما ذاك الا بذنب احدثته وقال بعضهم الاحتلام
عقوبة وهذا صحيح لان المراعي المحتفظ يحسن تحفظه وعلمه بحاله ينفذ ويتمكن
من سد باب الاحتلام ولا يتطرق الاحتلام الا على جاهل بحاله او مهمل حكم وقته واد

حاله ومن كمل تحفظه ورعايته وقيامه بادب حاله فقد يكون من ذنبه الموجب
للاحتلام وضع الراس على الوساد اذا كان ذا عزيمة في ترك الوسادة فقد تمهد النوم
ووضع الراس على الوسادة بحسن النية من لا يكون ذلك ذنبه وله فيه نية للعون على
القيام وقد يكون ذلك بالنسبة الى بعض الناس فاذا كان هذا القدر يصلح ان يكون
ذنبا جالبا للاحتلام فقس على هذا ذنوب الاحوال فانها تختص باربابها ويعرفها اصحابها
وقد يترفق بانواع الرفق من الفراش الوطي والوسادة ولا يعاقب بالاحتلام وغيره على فعله
اذا كان عالما ذا نية يعرف مداخل الامور ومخارجها وكم من نايم سبق القايم لوفور علمه
وحسن نيته وفي الخبر اذا نام العبد عقد الشيطان على راسه ثلث عقد فان قعد
وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضا انحلت عقدة اخرى وان صلى ركعتين انحلت العقد
كلها فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح كسلانا خبيث النفس وفي خبر آخر ان نام
حتى اصبح بال الشيطان في اذنه والذي يخل بقيام الليل كثرة الاهتمام بامور الدنيا وكثرة
اشغال الدنيا واتعاب الجوارح والامتلا من الطعام وكثرة الحديث واللغو واللغط واهمال
القيلولة فالموفق من يغتنم وقته ويعرف داءه ودواءه ولا يُهمل فيُهمل والله اعلم

الباب التاسع والاربعون في استقبال النهار والادب فيه والعمل

قال الله تعالى اقم الصلوة طرفي النهار اجمع المفسرون على ان احد الطرفين اراد به الفجر
وامر بصلوة الفجر واختلفوا في الطرف الاخر قال قوم اراد المغرب وقال اخرون صلوة العشا
وقال قوم صلوة الفجر والظهر طرف وصلوة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل صلوة العشا
ثم ان الله تعالى اخبر عن عظيم بركة الصلوة وشرف فايدتها وثمرتها وقال ان الحسنات يذهبن
السيات اي الصلوات الخمس يذهبن الخطيات وروي ان ابا اليسر كعب بن عمرو الانصاري
كان يبيع التمر فاتته امراة تبتاع تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه
فهل لك فيه رغبة قالت نعم فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها

وندم ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ما تقول في رجل راود امراة عن
نفسها ولم يبق شيا مما يفعل الرجال بالنسا الا ركبه غير انه لم يجامعها قال عمر بن
الخطاب لقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك ولم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه شيا وقال انتظر امر ربي وحضرت صلوة العصر فصلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر
فلما فرغ اتاه جبريل بهذه الاية فقال النبي عليه الصلوة والسلام اين ابو اليسر فقال ها
انا ذا يا رسول الله قال شهدت معنا هذه الصلوة قال نعم قال اذهب فانها كفارة لما عملت
فقال عمر يا رسول الله هذا له خاصة اولنا عامة فقال بل للناس عامة فيستعد العبد
لصلوة الفجر باستكمال الطهارة قبل طلوع الفجر ويستقبل الفجر بتجديد الشهادة كما ذكرنا في
اول الليل ثم يوذن ان لم يكن اجاب المؤذن ثم يصلي ركعتي الفجر يقرا في الاولى قل يا ايها الكافرون
بعد الفاتحة وفي الثانية قل هو الله احد وان اراد قرا في الاولى قولوا امنا بالله وما انزل
الينا الاية في سورة البقرة وفي الاخرى ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول ثم يستغفر
الله ويسبح الله تعالى بما تيسر له من العدد وان اختصر على كلمة استغفر الله لذنبي سبحان
الله بحمد ربي اي بالمقصود من التسبيح والاستغفار ثم يقول اللهم صلي على محمد وعلى ال
محمد اللهم اني اسلك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتني
وتصلح بها ديني وتحفظ بها غايبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي
وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده
كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والاخرة اللهم اني اسلك الفوز عند القضا ومنازل
الشهدا وعيش السعدا والنصر على الاعدا ومرافقة الانبيا اللهم اني انزل بك حاجتي وان قصر
رايي وضعف عملي وافتقرت الى رحمتك واسلك يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير
من البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر
عنه رايي وضعف فيه عملي ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك

اوخيرًا انت معطيه احدًا من خلقك فانا ارغب اليك فيه واسلك هو يارب العالمين اللهم
اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين حربًا لاعدايك وسلما لاوليايك نحب بحبك
الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعا ومنك الاجابة وهذا الجهد
وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد اسالك
الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود
انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان من تعطف بالعز وقال به سبحان من لبس المجد
وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي الجود
والكرم سبحان الذي احصى كل شي بعلمه اللهم اجعل لي نورًا في قلبي ونورًا في سمعي ونورًا في
بصري ونورًا في شعري ونورًا في بشري ونورًا في لحمي ونورا في دمي ونورًا في عظامي
ونورًا من بين يدي ونورا من خلفي ونورًا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي
ونورا من تحتي اللهم زدني نورًا واعطني نورًا واجعل لي نورا ولهذا الدعا اثر كثير وما
رايت احدًا يحافظ عليه الا وعنده خير ظاهر وبركة وهو من وصية الصادقين بعضهم
بعضا حفظه والمحافظة عليه منقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقراه
بين الفريضة والسنة من صلوة الفجر ثم يقصد المسجد للصلوة في الجماعة ويقول عند
خروجه من منزله وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل
لي من لدنك سلطانا نصيرًا ويقول في الطريق اللهم اني اسلك بحق السايلين عليك وبحق
ممشاي هذا اليك لم اخرج اشرًا ولا بطرا ولا ريا ولا سمعة خرجت اتقا سخطك وابتغا
مرضاتك اسلك ان تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت روى
ابو سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال ذلك اذا خرج الى الصلوة
وكل الله به سبعين الف ملك يستغفرون له واقبل الله عليه بوجهه حتى يقضي صلوته
واذا دخل المسجد او دخل سجادته للصلوة يقول بسم الله والحمد لله والصلوة والسلام

على

157

على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك ويقدم رجله اليمنى للدخول
واليسرى في الخروج من المسجد والسجادة فسجادة الصوفي بمنزلة البيت والمسجد
ثم يصلي صلوة الصبح في جماعة فاذا سلم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شي قدير لا اله الا الله وحده
صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله اهل النعمة والفضل
والثنا الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
ويقرا هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم التسعة والتسعين اسمًا الى اخرها
فاذا فرغ يقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى ال محمد صلوة تكون
لك رضا ولحقه ادا واعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا افضل
ما جزيت نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين
اللهم صل على محمد في الاولين وصل على محمد في الاخرين وصل على محمد الى يوم الدين اللهم
صل على روح محمد في الارواح وصل على جسد محمد في الاجساد واجعل شرايف صلواتك
ونوامي بركاتك ورافتك ورحمتك وتحيتك ورضوانك على محمد عبدك ونبيك ورسولك اللهم
انت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام
تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم اني اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما
ارجو واصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير افقر مني اللهم لا تشمت بي
عدوي ولا تسو بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلط
علي من لا يرحمني اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك
وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها
لي انك غفور رحيم ودود رضيت بالله ربًا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا
اللهم اني اسلك خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه واعوذ بك من شر

طوارق الليل والنهار ومن بغتات الامور وفجاة الاقدار ومن شر كل طارق
يطرق الا طارقا يطرق منك بخير يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما واعوذ بك ان
ازل او اضل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي عز جارك وجل ثناوك وتقدست
اسماوك وعظمت نعماوك اعوذ بك من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من
السما وما يعرج فيها اعوذ بك من حدة الحرص وشدة الطمع وسورة الغضب وسنة
الغفلة وتعاطي الكلفة اللهم اني اعوذ بك من مباهاة المكثرين والازرا على المقلين
وان انصر ظالما او اخذل مظلوما وان اقول في العلم بغير علم او اعمل في الدين بغير يقين
اعوذ بك ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ
برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك انت اللهم
ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وابن عبدك وانا على عهدك ووعدك ما
استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابو بنعمتك علي وابو بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر
الذنوب الا انت اللهم اجعل اول يومنا هذا صلاحا واخره نجاحا واوسطه فلاحا
اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة واخره تكرمة اصبحنا واصبح الملك والعظمة
والكبريا لله والجبروت والسلطان لله والليل والنهار وما سكن فيهما لله
الواحد القهار اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وملة ابينا ابرهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين اللهم انا
نسلك بان لك الحمد لا اله الا انت الحنان المنان بديع السموات والارض ذا الجلال
والاكرام انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد يا حي يا قيوم
يا حي حين لا حي في ديمومة ملكه وبقايه يا حي محيي الموتى يا حي مميت الاحيا
ووارث اهل الارض والسما اللهم اني اسلك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي
الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم اللهم اني اسلك باسمك الاعظم

الاجل

الاجل الاعز الاكرم الذي اذا دعيت به اجبت واذا سيلت به اعطيت يا نور الدنيا
النور يا مدبر الامور يا عالم ما في الصدور يا سميع يا قريب يا مجيب الدعا يا لطيف
لما يشا يا روف يا رحيم يا كبير يا عظيم يا الله يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام الم الله
لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم يا الهي واله كل شي الها واحدا
لا اله الا انت اللهم اني اسلك باسمك يا الله الله الله الله الله الله الذي لا اله الا هو
رب العرش العظيم فتعالى الله لا اله الا هو رب العرش الكريم انت الاول والاخر
والظاهر والباطن وسعت كل شي رحمة وعلما كهيعص حمعسق الر حم ن يا
واحد يا قهار يا عزيز يا جبار يا احد يا صمد يا ودود يا غفور هو الله الذي لا
اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين اللهم اني اعوذ باسمك المكنون المخزون المنزل الطهر الطاهر القدوس السلام
المقدس يا دهر يا ديهور يا ديهار يا ابد يا ازل يا من لم يزل ولا يزال على ما لم يزل
هو يا هو لا اله الا هو يا من لا يعلم ما هو الا هو يا كاين يا كينان يا روح يا كاين يا من لا هو الا هو
قبل كل كون يا كاين بعد كل كون يا مكون لكل كون اهيا شراهيا اذوني اصباوت
يا مجلي عظايم الامور فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو
رب العرش العظيم ليس كمثله شي وهو السميع البصير اللهم صل على محمد وعلى ال
محمد كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وال
ابرهيم انك حميد مجيد اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعا لا
يسمع اللهم اني اعوذ بك من فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا
والممات اللهم اني اعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم اعلم واعوذ بك من شر سمعي
وبصري ولساني وقلبي اللهم اني اعوذ بك من الفسوق والغفلة والذل والمسكنة
واعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق وسو الاخلاق وضيق الارزاق
والشنان

والسمعة والريا واعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص
وساير الاسقام اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحويل عافيتك ومن
فجاة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم اني اسالك الصلوة على محمد وعلى اله وسلم ○
واسالك من الخير كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر
كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم اعلم واسالك الجنة وما قرب اليها من قول
وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل واسالك ما سالك عبدك ونبيك محمد
عليه الصلوة والسلام واستعيذك مما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد عليه
الصلوة والسلام واسالك ما قضيت من امري ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك
يا ارحم الراحمين يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة عين
واصلح لي شاني كله يا جمال السموات والارض يا عماد السموات والارض يا بديع
السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا صريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين
يا منتهى رغبة الراغبين والمفرج عن المكروبين والمروح عن المغمومين ومجيب دعوة
المضطرين وكاشف السوء وارحم الراحمين واله العالمين منزول بك كل حاجة يا ارحم
الراحمين اللهم استر عوراتي وامن روعاتي واقلني عثراتي اللهم احفظني من بين
يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال من تحتي
اللهم اني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام
منتهى رضاي اللهم اني ضعيف فقوني اللهم اني ذليل فاعزني اللهم اني فقير فاغنني
برحمتك يا ارحم الراحمين اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي
فاعطني سولي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسالك ايمانا يباشر
قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي والرضا بما قسمت لي
يا ذا الجلال والاكرام يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ومقيل عثرة العاثرين

ارحم

ارحم عند كل ذا الخطر العظيم والمسلمين اجمعين واجعلنا مع الاحيا المرزوقين
الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصلحين امين يا رب العالمين
اللهم عالم الخفيات رفيع الدرجات تلقي الروح من امرك على من تشا من عبادك غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا انت اليك المصير يا من لا يشغله سمع
عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات يا من لا تغلطه المسايل ولا تختلف عليه اللغات
ويا من لا يتبرم بالحاح الملحين اذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك اللهم اني اسالك قلبا سليما
ولسانا صادقا وعملا متقبلا اسالك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما
تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم اني اسالك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين لا
تنقطع ومرافقة نبيك محمد واسالك حبك وحب من احبك وحب عمل يقربني الى حبك اللهم
بعلمك الغيب وقدرتك على خلقك احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة
خيرا لي اسالك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد
في الغنا والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقايك واعوذ بك من ضرا مضرة
وفتنة مضلة اللهم اقسم لي من خشيتك ما يحول بيني وبين معصيتك ومن طاعتك ما تدخلني
بجنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصايب الدنيا اللهم ارزقنا حزن خوف الوعيد وسرور
رجا الموعود حتى نجد لذة ما نطلب وخوف ما منه نهرب اللهم البس وجوهنا منك الحيا واملا
قلوبنا بك فرحا واسكن في نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك احب الينا
مما سواك واجعلنا اخشى لك من سواك نسالك تمام النعمة بتمام التوبة ودوام العافية بدوام
العصمة واداء الشكر بحسن العبادة اللهم اني اسالك بركة الحيوة وخير الوفاة واعوذ بك
من شر الحيوة وشر الوفاة واسالك خير ما بينهما احيني حيوة السعدا حيوة من تحب بقاه وتوفني
وفاة الشهدا وفاة من تحب لقاه يا خير الرازقين واحسن التوابين واحكم الحاكمين وارحم الراحمين
ورب العالمين اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وارحم ما خلقت واغفر ما قدرت وطيب ما رزقت

ونم ما انمت وتقبل ما امرت واحفظ ما استحفظت ولا تهتك ما استرت فانه لا اله
الا انت استغفرك من كل ذنب وزلة بغير ذكرك ومن كل راحة بغير خدمتك ومن كل
سرور بغير قربك ومن كل فرح بغير مجالستك ومن كل شغل بغير معاملتك اللهم اني استغفرك
من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه اللهم اني استغفرك من كل عقد عقدته لك ثم لم
أف به اللهم اني استغفرك من كل نعمة انعمت بها علي فتقويت بها على معصيتك اللهم اني
استغفرك من كل عمل عملته لك فخالطه ما ليس لك اللهم اني اسالك ان تصلي على محمد وعلى آل
محمد واسالك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه واعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه
اللهم احفظنا فيما امرتنا واحفظنا عما نهيتنا واحفظ لنا ما اعطيتنا يا حافظ الحافظين
ويا شاكر الشاكرين بذكرك ذكروا وبفضلك شكروا يا غياث يا مغيث يا مستغاث يا غياث
المستغيثين لا تكلني الى نفسي طرفة عين فاهلك ولا الى احد من خلقك فاضيع اكلاني
كلاءة الوليد ولا تخل عني وتولني بما تتولى به عبادك الصالحين فانه في مشيتك ان تعذب فاهل
ذلك انا وان ترحم فاهل ذلك انت فافعل اللهم يا مولاي يا الله يا رب ما انت له اهل ولا تفعل
اللهم يا رب يا الله ما انا له اهل انك اهل التقوى واهل المغفرة يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه
المغفرة هب لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك يا رب افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين توفني
مسلما والحقني بالصالحين انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ربنا عليك توكلنا
واليك انبنا واليك المصير ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على
القوم الكافرين ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا اتنا في الدنيا
في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد
وارزقنا العون على الطاعة والعصمة من المعصية وافراغ الصبر في الخدمة وايزاع
الشكر في النعمة واسالك حسن الخاتمة اسالك اليقين وحسن المعرفة بك واسالك المحبة وحسن
التوكل عليك واسالك الرضا وحسن الثقة بك واسالك حسن المنقلب اليك اللهم صلي على

محمد

160

محمد وعلى آل محمد واصلح امة محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم فرج عن امة محمد فرجا عاجلا
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا
انك رؤوف رحيم اللهم اغفر لي ولوالدي ولمن توالدا وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر لاعمامنا
وعماتنا واخوالنا وخالاتنا وازواجنا وذرياتنا ولجميع المومنين والمومنات والمسلمين
والمسلمات الاحيا منهم والاموات يا ارحم الراحمين ويا خير الغافرين ولما كان للدعاء مخ
العبادة احببنا ان نستوفي من ذلك قسما صالحا نرجوا بركته وهذه الادعية استخرجها
الشيخ ابو طالب المكي في كتابه وعلى نقله كل الاعتماد وفيه البركة فليدع بهذه الدعوات من داوم في
الجماعة اماما كان او ماموما ويختصر منها ما شا

الباب الخمسون في ذكر العمل جميع النهار وتوزيع الاوقات

فمن ذلك ان يلازم موضعه الذي صلى فيه مستقبل القبلة
الا ان يرى انتقاله الى زاويته اسلم لدينه لكيلا يحتاج الى حديث او التفات الى شي فان السكوت
في هذا الوقت وترك الكلام له اثر ظاهر بين يجده اهل المعاملة وارباب القلوب وقد ندب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك ثم يقرا الفاتحة واول سورة البقرة الى المفلحون
والايتين وإلهكم إله واحد وما بعدها واية الكرسي والايتين بعدها وآمن الرسول
والاية قبلها وشهد الله وقل اللهم مالك الملك فان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الى المحسنين
ولقد جاءكم رسول الى الاخر وقل ادعوا الله الايتين واخر الكهف من ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات وذا النون اذ ذهب مغاضبا الى خير الوارثين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وسبحان
ربك الى اخر السورة لقد صدق الله واول الحديد الى بذات الصدور واخر سورة الحشر
من لو انزلنا ثم يسبح ثلثا وثلثين ويحمد ثلثا وثلثين ويكبر مثله ويتمها ماية بلا اله الا الله
وحده لا شريك له فاذا فرغ من ذلك يشتغل بتلاوة القران حفظا او من المصحف او يشتغل
بانواع الاذكار ولا يزال كذلك من غير فتور وقصور ونعاس فان النوم في هذا الوقت مكروه
جدا فان غلبه النوم فليقم في مصلاه قايما مستقبل القبله فان لم يذهب النوم بالقيام تخطو

خطوات نحو القبلة ويتاخر بالخطوات كذلك ولا يستدبر القبلة ففي ادامة استقبال
القبلة وترك الكلام والنوم ودوام الذكر في هذا الوقت اثر كبير وبركة غير قليلة وجدنا
ذلك بحمد الله ونوصي به الطالبين واثر ذلك يتحقق من يجمع في الاذكار بين القلب واللسان
اكثر واظهر وهذا الوقت اول النهار والنهار مظنة الافات فاذا احكم اوله بهذه الرعاية
فقد احكم بنيانه ويبني اوقات النهار جميعا على هذا البنا فاذا قارب طلوع الشمس يبتدي
بقراة المسبعات وهي من تعليم الخضر عليه السلام علمها ابرهيم التيمي وذكر انه تعلمها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وينال بالمداومة عليها جميع المتفرق في الاذكار والدعوات
وهي عشرة اشيا سبعة سبعة الفاتحة والمعوذتين وقل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون
واية الكرسي وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والصلوة على النبي واله ويستغفر
لنفسه ولوالديه وللمومنين والمومنات ويقول سبعا افعل بي وبهم عاجلا واجلا في اللهم
الدين والدنيا والاخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولاي ما نحن له اهل انك غفور رحيم
جواد كريم روف رحيم وروى ان ابرهيم التيمي لما قرا هذه بعد ان تعلمها من الخضر راى في
المنام انه دخل الجنة وراى الملايكة والانبيا واكل من طعام الجنة وقيل انه مكث اربعة اشهر
لم يطعم قيل لعله كان ذلك لكونه اكل من طعام الجنة فاذا فرغ من المسبعات يقبل على التسبيح
والاستغفار والتلاوة الى ان تطلع الشمس فيدرج روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لان اقعد في مجلس اذكر الله فيه من صلوة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق
اربع رقاب ثم يصلي ركعتين قبل ان ينصرف من مجلسه فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه كان يصلي الركعتين وبهاتين الركعتين تتبين فايدة رعاية هذا الوقت واذا صلى
الركعتين بجمع همه وحضور فهم وحسن تدبر لما يقرا يجد في باطنه اثرا ونورا وروحا وانسا
اذا كان صادقا والذي يجده من البركة ثواب معجل له على عمله هذا واحب ان يقرا في هاتين
الركعتين في الاولى اية الكرسي وفي الاخرى امن الرسول والله نور السموات والارض الى اخر

الايه

الايه ويكون نيته فيها الشكر لله على نعمه في يومه وليلته ثم يصلي ركعتين اخريين يقرا
فيهما المعوذتين في كل ركعة سورة ويكون صلوته هذه ليستعيذ بالله من شر يومه وليلته
ويذكر بعد هاتين الركعتين كلمات الاستعاذة فيقول اعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر عذابك
وشر عبادك واعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر السامة والهامة واعوذ باسمك وكلمتك التامة
من شر عذابك وشر عبادك واعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر ما يجري به النهار ان ربي الله لا اله الا
هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ويقول بعد الركعتين الاولتين اللهم اني اصبحت لا
استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجو واصبحت مرتهنا بعملي واصبح امري بيد غيري
فلا فقير افقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسو بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني
ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا مبلغ علمي ولا تسلط علي من لا يرحمني اللهم اني اعوذ بك من الذنوب
التي تزيل النعم واعوذ بك من الذنوب التي توجب النقم ثم يصلي ركعتين اخريين بنية الاستخارة
لكل عمل يعمله في يومه وليلته وهذه الاستخارة تكون بمعنى الدعا على الاطلاق والا
فالاستخارة التي وردت بها الاخبار هي التي يصليها امام كل امر يريده ويقرا في هاتين الركعتين
قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ويقرا دعا الاستخارة كما سنذكره في غير هذا
الباب ويقول فيه كل قول وعمل اريده في هذا اليوم اجعل فيه الخيرة ثم يصلي ركعتين اخريين
يقرا في الاولى سورة الواقعة وفي الاخرى سورة الاعلى ويقول بعدها اللهم صل على
محمد وعلى ال محمد واجعل حبك احب الاشيا الي وخشيتك اخوف الاشيا عندي واقطع عني
حاجات الدنيا بالشوق الى لقايك واذا اقررت اعين اهل الدنيا بدنياهم فاقرر عيني بعبادتك
واجعل طاعتك في كل شي مني يا ارحم الراحمين ثم يصلي بعد ذلك ركعتين يقرا فيهما شيا من
حزبه من القران ثم بعد ذلك ان كان متفرغا ليس له شغل في الدنيا يشتغل في انواع العمل
من الصلوة والتلاوة والذكر الى وقت الضحى وان كان ممن له في الدنيا شغل اما لنفسه
اولعياله فليمض لحاجته ومهماته بعد ان يصلي ركعتين لخروجه من المنزل وهكذا ينبغي

ومن شر الشيطان الرجيم اللهم ... ولا تجعل لاحد ... اعوذ بك ... [illegible]

ان يتعمل ابدا لا يخرج من البيت الا بعد ان يصلي ركعتين ليقيه الله المخرج السو ولا يدخل البيت الا ويصلي ركعتين ليقيه الله المدخل السو وبعد ان يسلم على من في المنزل من الزوجة وغيرها وان لم يكن في البيت احد يسلم ايضا عليه يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وان كان متفرغا احسن اشغاله في هذا الوقت الى صلوة الضحى الصلوة فان كان عليه قضا يصلي صلوة يوم او يومين او اكثر والا يصلي ركعتين يطولهما ويقرا فيهما القران فقد كان من الصالحين من يختم القران في الصلوة بين اليوم والليلة والا فليصلي اعدادا من الركعات خفيفة بفاتحة الكتاب وقل هو الله احد وبالايات التي في القران وفيها الدعا مثل قوله تعالى ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير وامثال هذه الاية يقرا في كل ركعة اية منها اما مرة او يكررها مرات ويقدر الطالب ان يصلي من الصلوة التي ذكرناها بعد طلوع الشمس وبين صلوة الضحى ماية ركعة خفيفة وقد كان في الصالحين من ورده بين اليوم والليلة ماية ركعة الى ما تين الى خمسماية الى الف ركعة ومن ليس له في الدنيا شغل وقد ترك الدنيا على اهلها فما باله يبطل ولا يتنعم بخدمة الله تعالى قال سهل بن عبد الله التستري لا يكمل شغل قلب عبد بالله الكريم وله في الدنيا حاجة فاذا ارتفعت الشمس وتنصف الوقت من صلوة الصبح الى الظهر كما يتنصف العصر بين الظهر والمغرب يصلي الضحى فهذا الوقت افضل الاوقات لصلاة الضحى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الضحى اذا رمضت الفصال وهو ان تنام الفصيل في ظل امه عند حر الشمس وقيل الضحى اذا احمت الاقدام بحر الشمس واقل صلوة الضحى ركعتان واكثره اثنا عشر ركعة ويجعل لنفسه دعا بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ثم بعد ذلك ان كان هناك حق يقتضي ما ندب اليه من زيارة وعيادة يمضي والا فيديم العمل لله من غير فتور اما ظاهرا وباطنا وقلبا وقالبا والا فباطنا وترتيب ذلك انه يصلي ما دام منشرحا ونفسه مجيبة فان سام ينزل من الصلوة الى التلاوة فان مجرد التلاوة اخف على النفس من الصلوة فان سام التلاوة ايضا يذكر الله تعالى بالقلب واللسان فهو اخف من القراة فان سام الذكر ايضا يدع ذكر اللسان ويلازم المراقبة

والمراقبة

مطلب المراقبة وبيان حديث النفس

والمراقبة علم القلب بنظر الله اليه فما دام هذا العلم ملازم القلب فهو مراقب والمراقبة عين الذكر وافضله فان يعجز عن ذلك ايضا وتملكه الوساوس وتزاحم في باطنه حديث النفس فلينم ففي النوم السلامة والا كثرة حديث النفس يقسي القلب ككثرة الكلام لانه كلام من غير لسان فيحترز من ذلك قال سهل بن عبد الله اسوء المعاصي حديث النفس والطالب يريد ان يعتبر باطنه كما يعتبر ظاهره فانه يحدث النفس وما يتخايل له من ذكر ما مضا ورأى وسمع كشخص اخر في باطنه فيقيد الباطن بالمراقبة والرعاية كما يقيد الظاهر بالعمل وانواع الذكر ويمكن للطالب المجد ان يصلي من صلوة الضحى الى الاستوا ماية ركعة اخرى واقل ذلك عشرون ركعة يصليها خفيفة ويقرا في كل ركعتين جزوا من القران واقل او اكثر والنوم بعد الفراغ من صلوة الضحى وبعد الفراغ من اعداد اخر من الركعات حسن قال سفين كان يعجبهم اذا فرغوا ان يناموا طلبا للسلامة وهذا النوم فيه فوايد منها انه يعين على قيام الليل ومنها ان النفس تستريح ويصفو القلب لبقية النهار والعمل فيه والنفس اذا استراحت عادت جديدة فبعد الانتباه من نوم النهار يتجدد الباطن نشاطا اخر وشغفا اخر كما كان في اول النهار فيكون للصادق في النهار نهاران يختمهما لخدمة الله تعالى والدوب في العمل وينبغي ان يكون انتباهه من نوم النهار قبل الزوال بساعة حتى يتمكن من الوضوء والطهارة قبل الاستوا بحيث يكون وقت الاستوا مستقبل القبلة واستقبال القبلة ذاكرا ومسبحا وتاليا قال الله تعالى اقم الصلوة طرفي النهار وقال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قيل قبل طلوع الشمس صلاة الضحى وقبل الغروب صلوة العصر ومن اناء الليل فسبح اراد العشا الاخرة واطراف النهار اراد الظهر والمغرب لان الظهر صلوة في اخر الطرف الاول من النهار واخر الطرف الاخر غروب الشمس وفيها صلوة المغرب فصار الظهر اول الطرف الاخر فيستقبل الطرف الاخر باليقظة والذكر كما استقبل الطرف

الاول وقد عاد بنوم النهار جديدًا كما كان بنوم الليل ويصلي في اول الزوال قبل السنة
والفرض اربع ركعات بتسليمة واحدة كان يصليها رسول الله صلي الله عليه وسلم وهذه
صلوة الزوال قبل الظهر في اول اوقاته ويحتاج ان يراعي لهذه الصلوة اول الوقت بحيث
يفطن للوقت قبل الموذنين كما يذهب وقت الكراهة بالاستوا يشرع في صلوة الزوال
ويسمع الاذان وقد توسط هذه الصلوة ثم يستعد لصلوة الظهر فان وجد في باطنه
كدرًا من مخالطة ومجالسة اتفقت يستغفر الله تعالي ويتضرع اليه ولا يشرع في صلوة
الظهر الا بعد ان يجد الباطن عايدا الي حاله من الصفا والذا يفوت حلاوة المناجاة
وصفوا الانس في الصلوة يتكدرون بيسير من الاسترسال في المباح ويصير علي
بواطنهم من ذلك عقد وكدر وقد يكون ذلك بمجرد المخالطة والمجالسة مع الاهل
والولد مع كون ذلك عبادة ولكن حسنات الابرار سيات المقربين فلا يدخل الصلوة
الا بعد حل العقد واذهاب الكدورة وحل العقد بصدق الانابة والاستغفار والتضرع
الي الله تعالي ودوا ما يحدث من الكدر بمجالسة الاهل والاولاد ان يكون في مجالستهم
غير راكن اليهم كل الركون يسرق القلب في ذلك نظرات الي الله تعالي فتكون تلك النظرات
كفارة تلك المجالسة الا ان يكون قوي الحال لا يحجبه الخلق عن الحق فلا ينعقد علي باطنه
عقدة فهو كما يدخل في الصلوة يجدها ويجد باطنه وقلبه لانه حيث استروحت
نفس هذا الي المجالسة كان استرواح نفسه منغمرا بروح قلبه لانه يجالس ويخالط
فعين ظاهره ناظرة الي الخلق وعين قلبه مطالعة للحضرة الالهية فلا ينعقد علي
باطنه عقدة وصلوة الزوال التي ذكرناها تحل العقد وتهيي الباطن لصلوة الظهر
ويقرا في صلوة الزوال بمقدار سورة البقرة في النهار الطويل وفي القصير ما تيسر
من ذلك قال الله تعالي وعشيا وحين تظهرون وهذا هو الاظهار فان نظر بعد
السنة حضور الجماعة للفرض وقرا الدعا الذي بين الفريضة والسنة من صلوة

الفجر

الفجر فحسن وما ورد ان رسول الله صلي الله عليه وسلم دعا به الي صلوة الفجر
ثم اذا فرغ من صلوة الظهر يقرا الفاتحة واية الكرسي ويسبح ويحمد ويكبر ثلثه
وثلثين كما وصفنا ولو قدر علي الايات كلها التي ذكرناها بعد صلوة الصبح وعلي
الادعية ايضا كان ذلك خير كثير وفضل عظيم ومن له همة ناهضة وعزيمة صادقة
لا يستكثر شيا لله تعالي ثم يحيي بين الظهر والعصر كما يحيي بين العشايين علي
الترتيب الذي ذكرناه من الصلوة والتلاوة والذكر والمراقبة ومن دام سهره
ينام نومة خفيفة في النهار الطويل بين الظهر والعصر ولو احيي بين الظهر
والعصر بركعتين يقرا فيهما ربع القران او يقرا ذلك في اربع ركعات فهو خير كثير
وان اراد ان يحيي هذا الوقت بماية ركعة في النهار الطويل يمكن ذلك او بعشرين
ركعة يقرا فيها قل هو الله احد الف مرة في كل ركعة خمسين ويستاك قبل
الزوال اذا كان صايما وان لم يكن صايما فاي وقت تغير الفم من ازم وغيره وفي
الحديث السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعند القيام الي الفرايض تستحب قيل
ان الصلوة بالسواك تفضل علي الصلوة من غير سواك سبعين ضعفا وقيل هو خبر
وان اراد ان يقرا بين الصلاتين في صلوته في عشرين ركعة في كل ركعة اية او بعض
اية يقرا في الركعة الاولي ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
وقنا عذاب النار ثم في الثانية ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا
وانصرنا علي القوم الكافرين ثم ربنا لا تواخذنا الي اخر السورة ثم ربنا لا تزغ
قلوبنا الاية ثم ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان الاية ثم ربنا امنا بما
انزلت ثم انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا ثم فاطر السموات والارض انت وليي
ثم ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن الاية ثم وقل رب زدني علما ثم لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين ثم رب لا تذرني فردا ثم وقل رب اغفر وارحم وانت

خير الراحمين ثم ربنا هب لنا من ازواجنا ثم رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي
انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
ثم يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور ثم رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي
انعمت علي وعلى والدي الايه من سورة الاحقاف ثم ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا الايه ثم ربنا عليك توكلنا ثم رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي
مومنا وللمومنين والمومنات ولا تزد الظالمين الا تبارا مهما يصلي بهذه الايات
وبالمحافظة على هذه الايات في الصلوة مواظبا للقلب واللسان يوشك ان يرقي
الي مقام الاحسان ولو ورد فردا نيه من هذا في ركعتين بين الظهر والعصر
كان في جميع الوقت مناجيا لمولاه وداعيا وتاليا ومصليا والدوب في العمل
واستيعاب اجزا النهار بلذاذة وحلاوة من غير سامة لا يصح الا لعبد ترك
نفسه بكمال التقوي واستقصي في الزهد في الدنيا وانتزع منه متابعة الهوي
ومتي بقي على الشخص من التقوي والزهد والهوي بقية لا يدوم ووجه في العمل
بل ينشط وقتا ويسام وقتا وتناوب النشاط والكسل فيه لبقا متابعه
شي من الهوي بنقصان تقوي ومحبة للدنيا واذا صح في الزهد والتقوي ان
ترك العمل بالجوارح فلا يفتر عن العمل بالقلب فمن رام دوام الروح واستغنا الدوام
في العمل عليه بحسم مادة الهوي والهوي روح النفس لا تزول بالكلية ولكن
تزول متابعته والنبي عليه الصلوة والسلام ما استعاذ من وجود الهوي ولكن
استعاذ من متابعته فقال اعوذ بك من هوي متبع فقال شح مطاع ودفايق
متابعة الهوي تتبين على قدر صفا القلب وعلو الحال وقد يكون متبعا للهوي
باسترسال لا مجالسة الخلق ومكالمتهم والنظر اليهم وقد يتبع الهوي بتجاوز الاعتدال
في النوم والاكل الي غير ذلك من اقسام الهوي المتبع وهذا اشغل من ليس له شغل

في الدنيا

164

في الدنيا ثم يصلي العبد قبل العصر اربع ركعات وان امكنه تجديد الوضو لكل
فريضة كان اكمل واتم ولو اغتسل كان اكمل وكل ذلك له اثر ظاهر في تنوير
الباطن وتكميل الصلوة ويقرا في الاربع قبل العصر اذا زلزلت والعاديات والقارعة
والهاكم ويصلي العصر فعل ابن قرانه في بعض الايام والسما ذات البروج سمعت
ان قراة سورة البروج في صلوة العصر امان من الدماميل ويقرا بعد العصر ما ذكرنا
من الايات والدعا وما تيسر له من ذلك فاذا صلي العصر ذهب وقت التنفل
بالصلوة وبقي وقت الاذكار والتلاوة وافضل من ذلك مجالسة من يزهد
في الدنيا ويشد كلامه عري التقوي من العلما الزاهدين المتكلمين بما يقوي
عزايم المريدين فاذا صحت نية القايل والمستمع فهذه المجالسة افضل من
الانفراد والمداومة على الاذكار وان عدم هذه المجالسة وتعذرت فليتروح
بالتنقل في انواع الاذكار وان كان خروجه لحوايجه وامر معاشه في هذا الوقت
يكون افضل واولي من خروجه في اول النهار ولا يخرج من المنزل الا وهو على
الوضو وكره جمع من العلما تحية الطهارة بعد صلوة العصر واجازه المشايخ والقا
ويقول كلما خرج من منزله بسم الله ما شا الله حسبي الله لا حول ولا قوة الا بالله
اللهم اليك خرجت وانت اخرجتني وليقرا الفاتحة والمعوذتين ولا يدع ان يتصدق
كل يوم بما تيسر له ولو تمرة فان القليل بحسن النية كثير روي ان عايشة رضي
الله عنها اعطت السايل عنبة واحدة وقالت ان فيها مثاقيل ذر كثير وجا
في الخبر كل امري يوم القيمة تحت ظل صدقته ويكون من ذكره من العصر الي
المغرب مائة مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي
قدير وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من قال ذلك في يومه
مائة مرة لم يعمل احد في يومه افضل من عمله ويقول مائة مرة سبحان الله والحمد لله

الكلمات ومايه مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده استغفر الله ومايه مرة
لا اله الا الله الملك الحق المبين ومايه مرة اللهم صلي علي محمد وعلي ال محمد ومايه مرة استغفر الله
العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسله التوبه ومايه مرة ما شا الله لا قوة الا بالله العلي
العظيم ورايت بعض الفقرا من المغرب بمكة وله سبحة فيها الف حبة في كيس له ذكر ان ورده
ان يديرها كل يوم اثنا عشر مرة بانواع الذكر ونقل عن بعض الصحابة ان ذلك كان ورده
بين اليوم والليلة ونقل عن بعض التابعين كان ورده من التسبيح ثلثون الفا بين اليوم
والليلة وليقل مايه مرة بين اليوم والليلة هذا التسبيح سبحان الله العلي الديان سبحان
الله شديد الاركان سبحان من يذهب بالليل وياتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن
شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان روي ان بعض الابدال
بات علي شاطي البحر فسمع في هدو الليل هذا التسبيح فقال من الذي اسمع صوته ولا
اري شخصه فقال انا ملك من الملايكة موكل بهذا البحر اسبح الله تعالي بهذا التسبيح
منذ خلقت فقلت ما اسمك قال مهلهيائيل فقلت ما ثواب هذا التسبيح قال من قاله مايه
مرة لم يمت حتي يري مقعده من الجنة او يري له وروي ان عثمان سال رسول الله صلي
الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالي له مقاليد السموات والارض فقال سالتني عن شي
عظيم ما سالني عنه غيرك هو الله الذي لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول
ولا قوة الا بالله عز وجل واستغفر الله الاول الاخر الظاهر الباطن له الملك وله الحمد بيده
الخير وهو علي كل شي قدير من قالها عشرا حين يصبح وحين يمسي اعطي ست خصال فاول
خصلة ان يحرس من ابليس الثانيه يعطي قنطارا من الاجر الثالثه يرفع له درجة في الجنة
الرابعه يزوجه الله تعالي من الحور العين الخامسه اثنا عشر ملكا يستغفرون له
السادسه يكون له من الاجر كمن حج واعتمر ويقول ايضا في هذا الوقت وفي اول النهار
اللهم انت خلقتني وانت هديتني وانت تطعمني وانت تسقيني وانت تميتني وانت تحييني انت

ربي

ربي لا رب سواك ولا اله الا انت وحدك لا شريك لك ويقول ما شا الله لا قوة الا بالله العلي
العظيم ما شا الله كل نعمة من الله ما شا الله الخير كله بيد الله ما شا الله لا يصرف
السو الا الله ويقول حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ثم يستعد
لاستقبال الليل بالوضو والطهارة ويقرا المسبعات قبل الغروب ويديم التسبيح
والاستغفار بحيث تغيب الشمس وهو في التسبيح والاستغفار ويقرا عند الغروب
ايضا والشمس والليل والمعوذتين ويستقبل الليل كما استقبل النهار قال الله تعالي
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا فكما ان الليل يعقب
النهار والنهار يعقب الليل ينبغي ان يكون العبد بين الذكر والشكر يعقب احدهما الاخر لا
يتخللهما بشي كما لا يتخلل بين الليل والنهار شي والذكر جميعه اعمال القلب والشكر اعمال
الجوارح قال الله تعالي اعملوا آل داود شكرا والله الموفق المعين الباب الحادي
والخمسون في ادب المريد مع الشيخ ادب المريد مع الشيوخ عند الصوفية من مهام
الادب وللقوم في ذلك اقتدا برسول الله صلي الله عليه وسلم واصحابه وقد قال الله تعالي
يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم روي
عن عبد الله بن الزبير انه قال قدم وفد علي رسول الله صلي الله عليه وسلم من بني تميم
فقال ابو بكر رضي الله عنه امر القعقاع بن معبد وقال عمر رضي الله عنه امر الاقرع بن حابس
فقال ابو بكر رضي الله عنه ما اردت الا خلافي وقال عمر رضي الله عنه ما اردت خلافك
فتماريا حتي ارتفعت اصواتهما فانزل الله تعالي يا ايها الذين امنوا الايه قال ابن عباس لا تقدموا
لا تتكلموا بين يدي كلامه وقال جابر كان ناس يضحون قبل رسول الله صلي الله عليه وسلم
فنهوا عن تقديم الاضحية علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وقيل كان قوم يقولون لو
انزل في كذا وكذا فكره الله ذلك وقالت عايشة رضي الله عنها لا تصوموا قبل ان يصوم
نبيكم وقال الكلبي لا تسبقوا رسول الله صلي الله عليه وسلم بقول ولا فعل حتي يكون

هو الذي يأمركم به وهذا ادب المريد مع الشيخ ان يكون مسلوب الاختيار لا يتصرف في نفسه
وماله الا بمراجعة الشيخ وامره وقد استوفينا هذا المعني في باب المشيخة وقيل لا
تقدموا الا تمشوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابو الدرداء قال كنت امشي
امام ابو بكر رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمشي امام من هو خير منك
في الدنيا والاخرة وقيل نزلت في اقوام كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا سيل الرسول عن شي خاضوا فيه وتقدموا بالقول والفتوى فنهوا عن ذلك
وهكذا ادب المريد في مجلس الشيخ ينبغي ان يلزم السكوت ولا يقول شيا بحضرته من
كلام حسن الا اذا استاذن الشيخ ووجد من الشيخ فسحة له في ذلك وشان المريد في
حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل بحر ينتظر رزقا يساق اليه فتطلعه الى الاستماع
وما يرزق من طريق كلام الشيخ تحقق مقام ارادته وطلبه واستزادته من فضل الله ۞
وتطلعه الى القول يرده عن مقام الطلب والاستزادة الى مقام اثبات شي لنفسه وذلك
جناية المريد وينبغي ان يكون تطلعه الى مبهم من حاله يستكشف عنه بالسوال
من الشيخ على ان الصادق لا يحتاج الى السوال باللسان في حضرة الشيخ بل يباديه بما
يريد لان الشيخ يكون مستنطقا نطقه بالحق وهو عند حضور الصادقين يرفع قلبه
الى الله تعالى ويستمطر ويستسقي لهم فيكون لسانه وقلبه في القول والنطق ماخوذان
الى مهم الوقت من احوال الطالبين المحتاجين الى ما يفتح عليه لان الشيخ يعلم تطلع الطالب
الى قوله واعتداده بقوله فالقول كالبذر يقع في الارض فاذا كان البذر مفسودا لا
يريع وفساد الكلمة بدخول الهوى فيها فالشيخ ينقي بذر الكلام عن شوب الهوى ويسلمه
الى الله ويسال الله المعونة والسداد ثم يقول فيكون كلامه بالحق من الحق للحق فالشيخ
للمريدين امين الالهام كما ان جبريل عليه السلام امين الوحي فكما لا يخون جبريل في الوحي
لا يخون الشيخ في الالهام وكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى الشيخ

مقتدٍ

166 مقتدٍ برسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا لا يتكلم بهوى النفس وهوى النفس
في القول شيين احدهما طلب استجلاب القلوب وصرف الوجوه اليه وما هذا من شان
الشيوخ والثاني ظهور النفس باستحلاء الكلام والعجب وذلك خيانة عند المحققين
والشيخ فيما يجري على لسانه وراقد النفس يشغله مطالعة نعم الحق في ذلك والخذ
للحظ من فوايده عن ظهور النفس بالاستحلاء والعجب ويكون الشيخ فيما يجري به الحق
سبحانه وتعالى مستمعا كاحد المستمعين وكان الشيخ ابو السعود رحمه الله يتكلم مع
الاصحاب بما يلقي اليه وكان يقول انا في هذا الكلام مستمع كاحدكم فاشكل ذلك على
بعض الحاضرين وقال اذا كان القايل هو يعلم ما يقول كيف يكون مستمعا ما يعلم حتى يسمع
منه فرجع الى منزله فراي ليلة في المنام كان قايلا يقول له الیس الغواص يغوص في البحر
لطلب الدر ويجمع الصدف في مخلاته والدر قد حصل معه ولكن لا يراه الا اذا خرج
من البحر ويشاركم في روية الدر من هو على الساحل ففهم بالمنام اشارة الشيخ في
ذلك فاحسن ادب المريد مع الشيخ السكون والخمود حتى يباديه الشيخ بما له فيه الصلاح
قولا وفعلا وقيل ايضا في قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله لا تطلبوا منزلة
وراء منزلته وهذا من محاسن الاداب واعزها ينبغي للمريد ان لا يحدث نفسه
بطلب منزلة فوق منزلة الشيخ بل يحب للشيخ كل منزلة عالية ويتمنى للشيخ عزيز المنح
وغرايب المواهب وبهذا يظهر جوهر المريد في حسن الارادة وهذا يعتري في المريدين
فارادته للشيخ تعطيه ما يتمنى لنفسه ويكون قايما بادب الارادة قال السري رحمه
الله حسن الادب ترجمان العقل وقال ابو عبد الله بن خفيف قال لي رويم اجعل
عملك ملحا وادبك دقيقا وقيل التصوف كله ادب ولكل وقت ادب ولكل حال ادب
ولكل مقام ادب فمن لزم الادب يبلغ مبلغ الرجال ومن حرم الادب فهو بعيد من حيث
يظن القرب ومردود من حيث يرجوا القبول ومن تادب الله سبحانه وتعالى اصحاب

كمستمع

رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله سبحانه وتعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
كان ثابت بن قيس بن شماس في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا كلم انسانا
جهر بصوته وربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيتاذي بصوته فانزل الله الايه
تاديبا له ولغيره اخبرنا ضيا الدين عبد الوهاب بن علي انا ابو الفتح الهروي انا
ابو نصر الترياقي انا ابو محمد الجراحي انا ابو العباس المحبوبي انا ابو عيسى الترمذي قال
انا محمد بن المثنى نا مومل بن اسمعيل نا نافع بن عمر بن جميل الجمحي قال حدثني بن ابي
مليكة قال حدثني عبد الله بن الزبير ان الاقرع بن حابس قدم على النبي عليه الصلوة والسلام
فقال ابو بكر استعمله على قومه وقال عمر لا تستعمله يا رسول الله فتكلما عند النبي رضي الله عنهم
صلى الله عليه وسلم حتى علت اصواتهما فقال ابو بكر لعمر رضي الله عنهما ما اردت الا خلافي
وقال عمر ما اردت خلافك فانزل الله الايه فكان عمر بعد ذلك اذا تكلم عند النبي صلى
الله عليه وسلم لا يسمع كلامه حتى يستفهم وقيل لما نزلت الايه آلى ابو بكر رضي الله عنه
ان لا يتكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار فهكذا ينبغي ان يكون المريد مع
الشيخ لا ينبسط برفع الصوت وكثرة الضحك وكثرة الكلام الا اذا بسطه الشيخ ورفع
الصوت يخرق جلباب الوقار والوقار اذا سكن القلب عقل اللسان وقد بان باطن بعض
المريدين من الحرمة والوقار من الشيخ ما لا يستطيع المريد ان يشبع النظر الى الشيخ
وقد كنت احترم فيدخل علي عمي وشيخي ابو النجيب السهروردي رحمة الله عليه فيرشح جسدي
عرقا وكنت ابقى العرق يخف الحمى فكنت اجد ذلك عند دخول الشيخ علي ويكون في قلبي
بركة وشفا وكنت ذات يوم في البيت خاليا وهناك منديل وهبه لي الشيخ وكان يتعمم به
فوقع قدمي على المنديل اتفاقا فتالم باطني من ذلك وهالني الوطي بالقدم منديل الشيخ
وانبعث من باطني من الاحترام ما ارجو بركته قال ابن عطا في قوله تعالى لا ترفعوا
اصواتكم زجرا عن الادنى لئلا يتخطى احد الى ما فوقه من ترك الحرمة وقال سهل في

ذلك

في ذلك لا تخاطبوه الا مستفهمين وقال ابو بكر بن طاهر لا تبتدوه بالخطاب ولا
تجيبوه الا على حدود الحرمة ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض اي لا تغلظوا
له في الخطاب ولا تنادوه باسمه يا محمد يا احمد كما ينادي بعضكم بعضا ولكن فخموه
واحترموه وقولوا يا نبي الله ويا رسول الله ومن هذا القبيل يكون خطاب المريد مع الشيخ
واذا سكن الوقار القلب علم اللسان كيفية الخطاب ولما كلفت النفوس محبة الاولاد
والازواج وتمكنت اهوية النفوس والطباع استخرجت من اللسان عبارات غريبة هي
تحت وقتها صاغها كلف النفس وهواها واذا امتلا القلب حرمة ووقارا انعلم اللسان
العبارة فلما نزلت هذه الايه قعد ثابت بن قيس في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي
فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الايه اخاف ان تكون نزلت في ان تحبط اعمالكم وانتم لا
تشعرون وانا رفيع الصوت اخاف ان يحبط عملي واكون من اصحاب النار فمضى عاصم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابت البكا فاتى امراته جميلة بنت عبد الله بن ابي بن
سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي على الضبة بمسمار فضربته بمسمار حتى اذا
خرجت عطفته وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسول الله عليه الصلوة والسلام
فاتى عاصم النبي صلى الله عليه وسلم يخبره فقال اذهب فادعه فجا عاصم الى المكان الذي
راه فلم يجده فجا الى اهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيت واخاف ان تكون هذه الايه نزلت في فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش سعيدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة قال قد
رضيت ببشرى الله ورسوله ولا ارفع صوتي ابدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله قال انس كنا ننظر الى رجل من اهل
الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين بعض

الانكسار وانهزمت طايفة منهم فقال اُفٍ لهولآ وما يصنعون ثم قال ثابت لسالم بن حذيفة
ماكنا نقاتل اعدآ الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا ولم يزالا يقاتلان
حتى قتلا واستشهد ثابت كان وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه درع فراه رجل من
الصحابة بعد موته في المنام فقال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها
وهو في ناحية من العسكر وعنده فرس يستن في طوله معني يستن يذهب ويجي ماخوذ
من الستن وهو الطريق وعلى درعي برمة فات خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعي
وات ابابكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له ان علي دينا حتى يقضي عني وفلان
من عبيدي عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على وصفه واسترد الدرع
واخبر خالد ابابكر بتلك الرويا فاجاز ابوبكر وصيته قال مالك بن انس لا اعلم وصية
اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه فهذه كرامات ظهرت لثابت بحسن تقواه وادبه مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فليعتبر المريد الصادق ويعلم ان الشيخ عنده تذكرة من الله
ورسوله وان الذي يعتمده مع الشيخ عوض ما لو كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعتمده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام القوم بواجب الادب اخبر الحق عن
حالهم واثنى عليهم فقال اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اختبر قلوبهم واخلصها
كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه فكان اللسان ترجمان القلب وتهذب اللفظ
لتادب القلب فهكذا ينبغي ان يكون المريد مع الشيخ قال ابو عثمن الادب عند الاكابر
وفي مجالس السادات من الاوليا يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلى والخير في الاولى والعقبى
الا ترى الى قول الله تعالى ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم وما علمهم الله
قوله سبحانه ان الذين ينادونك من ورآ الحجرات اكثرهم لا يعقلون وكان هذا الحال
من وفد بني تميم جآوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادوا يا محمد اخرج الينا فان
مدحنا زين وذمنا شين قال فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم وهو يقول

انما ذلكم الله الذي ذمه شين ومدحه زين في قصة طويلة وكانوا اتوا بشاعرهم وخطيبهم
فغلبهم حسان بن ثابت وشبان المهاجرين والانصار بالخطبة وفي هذا تادب للمريد في
الدخول على الشيخ والاقدام عليه وتركه الاستعجال وصبره الى ان يخرج الشيخ من موضع خلوته
سمعت ان الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه كان اذا جآ اليه فقير زايرا يخبر بالفقير فلا
يخرج اليه ويفتح الباب من جانبه ويصافح الفقير ويسلم عليه ولا يجلس معه ويرجع الى خلوته واذا جآ
احد ممن ليس من زمرة الفقرآ يخرج ويجلس معه فخطر لبعض الفقرآ نوع انكار لتركه
الخروج الى الفقير وخروجه لغير الفقير فانتهى ما خطر للفقير الى الشيخ فقال الشيخ الفقير
رابطتنا معه رابطة قلبية وهو اهل وليس عنده اجنبية فيكتفي معه بموافقة القلوب
ويقنع من ملاقاة الظاهر بهذا القدر واما من هو من غير الجنس فهو واقف مع العادات
والظاهر فمتى لم نوفه حقه من الظاهر استوحش فحق المريد رعاية الباطن والظاهر بالادب
مع الشيخ قيل لابي منصور المغربي كم صحبت ابا عثمن قال خدمته لا صحبته فالصحبة مع الاخوان
والاقران ومع المشايخ خدمة وينبغي للمريد انه كلما اشكل عليه شي من حال الشيخ يذكر قصة
موسى مع الخضر عليهما السلام كيف كان الخضر يفعل اشيا ينكرها موسى عليه السلام فاذا
اخبره الخضر بسرها يرجع موسى عليه السلام عن انكاره فما ينكره المريد لقلة علمه بحقيقة
ما يوجد من الشيخ فللشيخ في كل شي عذر بلسان العلم والحكمة سال بعض اصحاب الجنيد
مسالة من الجنيد فاجابه الجنيد فعارضه في ذلك فقال الجنيد فان لم تومنوا لي فاعتزلون
وقال بعض المشايخ من لم يعظم حرمة من تادب به حرم بركة ذلك الادب وقيل من
قال لاستاذه لا لا يفلح اخبرنا ابو احمد ضيا الدين عبد الوهاب بن علي انا ابو الفتح الهروي
انا ابو نصر الترياقي انا ابو محمد الجراحي انا ابو العباس المحبوبي انا ابو عيسى الترمذي قال
حدثنا هناد عن ابي معوية عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتركوني ما تركتكم فاذا حدثتكم فخذوا عني فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سوالهم

مطلب

واختلافهم على انبيايهم قال الجنيد رحمة الله عليه رايت مع ابي حفص النيسابوري انسانًا
كثير الصمت لا يتكلم فقلت لاصحابه من هذا فقيل لي ان هذا انسان يصحب ابا حفص ويخدمنا
وقد انفق عليه مائة الف درهم كانت له واستدان مائة الف اخرى انفقها عليه ما يسوغ
ابو حفص ان يتكلم بكلمة واحدة وقال ابو يزيد البسطامي صحبنا ابا علي السندي فكنت
القنه ما يقيم به فرضه وكان يعلمني التوحيد والحقايق صرفا وقال ابو عثمن صحبت ابا
حفص وانا غلام حدث فطردني وقال لا تجلس عندي فلم اجعل مكافاتي له على كلامه ان
اولي ظهري اليه فانصرفت امشي الى خلف ووجهي مقابل وجهه حتى غبت عنه واعتقدت ان
احفر لنفسي بيرًا على بابه وانزل واقعد فيه ولا اخرج الا باذنه فلما راى ذلك مني قربني
وقبلني وصيرني من خواص اصحابه الى ان مات رحمه الله ومن ادابهم الظاهرة ان المريد
لا يبسط سجادته مع وجود الشيخ الا لوقت الصلوة فان المريد من شانه التبتل للخدمة
وفي السجادة ايما الى الاستراحة والتعزز ولا يتحرك في السماع مع وجود الشيخ الا ان يخرج
عن حد التمييز وهيبة الشيخ تملك المريد عن الاسترسال في السماع وتقيده واستغراقه في
الشيخ بالنظر اليه ومطالعته موارد فضل الحق عليه اجمع له من الاصغا الى السماع ومن
الادب ان لا يكتم الشيخ شيا من حاله ومواهب الحق عنده وما يظهر له من كرامة واجابة عز
ويكشف للشيخ من حاله وما يعلم الله تعالى منه وما يستحي من كشفه يذكره ايما وتعريضا
فان المريد متى انطوى ضميره على شيء لا يكشفه للشيخ تصريحا او تعريضا يصير على باطنه منه
عقدة في الطريق وبالقول مع الشيخ تنحل العقدة وتزول ومن الادب ان لا يدخل في صحبة الشيخ
الا بعد علمه ان الشيخ قيم بتاديبه وتهذيبه وانه اقوم بالتاديب من غيره ومتى كان عند
المريد تطلع الى شيخ اخر لا يصفو صحبته ولا ينفذ القول فيه ولا يستعد باطنه لسراية حال
الشيخ اليه فان المريد كلما ايقن تفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته والمحبة
والتالف هي الواسطة بين المريد والشيخ على قدر قوة المحبة تكون سراية الحال لان المحبة

علامة

169

علامة التعارف والتعارف علامة الجنسية والجنسية جالبة للمريد حال الشيخ او بعض
حاله اخبرنا الشيخ الثقة ابو الفتح محمد بن سليمان انا ابو الفضل احمد قال انا الحافظ ابو
نعيم قال ثنا سليمن بن احمد قال ثنا انس بن مسلم قال ثنا عتبة بن رزين قال سمعت اسمعيل
بن عياش قال ثنا محمد بن زياد الالهاني عن ابي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من علم عبدًا اية من كتاب الله فهو مولاه ينبغي له ان لا يخذله ولا يستاثر عليه
فمن فعل فقد قصم عروة من عرى الاسلام ومن الادب ان يراعي خطرات الشيخ في جزئيات
الامور وكلياتها ولا يستحقر كراهة الشيخ ليسير حركاته معتمدًا على حسن خلق الشيخ
وكمال حلمه ومداراته قال ابرهيم بن شيبان كنا نصحب ابا عبد الله المغربي ونحن شبان
ونسافر في البراري والفلوات وكان معه شيخ اسمه حسن وقد صحبه سبعين سنة فكان
اذا جرى من احدنا خطا وتغير علينا الشيخ يتشفع اليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا الى
ما كان ومن ادب المريد مع الشيخ ان لا يستقل بواقعته وكشفه دون مراجعة الشيخ
فان الشيخ علمه اوسع وبابه للفتوح الى الله اكبر فان كان واقعة المريد من الله يوافقه
الشيخ ويمضيه له وما كان من عند الله لا يختلف وان كان فيه شبهة تزول شبهة الواقعة
بطريق الشيخ ويكتسب المريد علما بصحة الوقايع والكشوف فالمريد لعلة في واقعته تخامر
كمون ارادة في النفس فيشتبك كون الارادة بالواقعة منامًا كان او يقظة ولهذا ستر
عجيب ولا يقوم المريد باستيصال شافة الكامن في النفس واذا ذكر الشيخ ما في المريد من
كون ارادة النفس مفقود في حق الشيخ فان كان من الحق يتبرهن بطريق الشيخ وان كان
ينزع واقعته الى كون هوى النفس تزول وتبرا ساحة المريد ويتحمل الشيخ ثقل ذلك لقوة
حاله وصحة ابوابه الى جناب الحق وكمال معرفته ومن الادب مع الشيخ ان المريد اذا كان
له كلام مع الشيخ في شيء من امر دينه وامر دنياه لا يستعجل بالاقدام على مكالمة الشيخ
والهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ انه مستعد له ولسماع كلامه ولقوله متفرغ

فكان للدعا اوقات وآداب وشروط لانه مخاطبة الله تعالى فللقول مع الشيخ ايضا
اداب وشروط لانه من معاملة الله ويسال الله تعالى قبل الكلام مع الشيخ التوفيق لما يجب
من الادب وقد نبه الحق سبحانه وتعالى على ذلك فيما امر اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مخاطبته فقال يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة
يعني امام مناجاتكم قال عبد الله بن عباس سال الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاكثروا حتى شقوا عليه واحفوه بالمسالة فادبهم الله وفطمهم عن ذلك وامرهم ان لا
يناجوه حتى يقدموا صدقة وقيل كان الاغنيا ياتون النبي صلى الله عليه وسلم ويغلبوا
الفقرا على المجلس حتى كره النبي طول حديثهم ومناجاتهم فامر الله بالصدقة عند المناجاة
فلما راوا ذلك انتهوا عن مناجاته فاما اهل العسرة فلانهم لم يجدوا شيا واما اهل اليسرة
فبخلوا ومنعوا فاشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الرخصة
فقال الله تعالى أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات وقيل لما امر الله بالصدقة
لم يناج رسول الله صلى الله عليه وسلم الا علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقدم دينارا
فتصدق به وقال علي رضي الله عنه في كتاب الله اية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها
احد بعدي **وروي** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت الاية دعا عليًّا وقال ما
ترى في الصدقة كم تكون دينارا قال علي لا يطيقونه قال كم قال علي تكون حبة او شعيرة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لزهيد ثم نزلت الرخصة ونسخت الاية وما نبه الحق
سبحانه عليه بالامر بالصدقة فيه من حسن الادب وتقييد اللفظ والاحترام ما نسخ
والفايدة باقية **اخبرنا** الشيخ الثقة ابو الفتح محمد بن سليمان انا ابو الفتح الفضل حمد انا
الحافظ ابو نعيم قال ثنا سليمن بن احمد ثنا مطلب بن شعيب ثنا عبد الله بن صالح ثنا ابن لهيعة
عن ابي قبيل عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس منا
من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه فاحترام العلما توفيق وهداية واهمال

ذلك

170 ذلك خذلان وعقوق

الباب الثاني والخمسون في ادب الشيخ وما يعتمده مع الاصحاب والتلامذة

اهم الاداب ان لا يتعرض الصادق للتقدم على
قوم ولا يتعرض لاستجلاب بواطنهم بلطف الرفق وحسن الكلام محبة للاستتباع فاذا
راى ان الله تعالى يبعث اليه المريدين والمسترشدين بحسن الظن وصدق
الارادة يحذر ان يكون ذلك ابتلاء واختبارا من الله تعالى والنفوس مجبولة على محبة
قبول الخلق والشهرة وفي الخمول السلامة فاذا بلغ الكتاب اجله وتمكن العبد من حاله
وعلم بتعريف الله تعالى اياه انه مراد بالارشاد والتعليم للمريدين فيكلمهم حينيذ
كلام الناصح المشفق الوالد لولده بما ينفعه في دينه ودنياه وكل مريد ومسترشد
ساقه الله اليه يراجع الله تعالى في معناه ويكثر اللجا اليه ان يتولاه فيه وفي
القول معه ولا يتكلم مع المريد بالكلمة الا وقلبه ناظر الى الله مستعين به في الهداية
للصواب من القول سمعت شيخنا ابا النجيب السهروردي رحمة الله عليه يوصي بعض
اصحابه ويقول لا تكلم احدا من الفقرا الا في اصفى اوقاتك وهذه وصية نافعة
لان الكلمة تقع في سمع المريد كالحبة تقع في الارض وقد ذكرنا ان الحبة المسوسة
تهلك وتضيع وفساد حبة الكلام بالهوى وقطرة من الهوى تكدر بحرا من العلم فعند
الكلام مع اهل الصدق والارادة ينبغي ان يستمد القلب من الله كما يستمد اللسان من
القلب وكما ان اللسان ترجمان القلب يكون ترجمان الحق عند العبد فيكون ناظرا الى الله
مصغيا اليه متلقيا ما يرد عليه موديا للامانة فيه ثم ينبغي للشيخ ان يعتبر حال
المريد ويتفرس فيه بنور الايمان وقوة العلم والمعرفة ما ياتي منه ومن صلاحيته
واستعداده فمن المريدين من يصلح للتعبد المحض واعمال القوالب وطريق الابرار ومن
المريدين من يكون مستعدا صالحا للقرب وسلوك طريق المقربين المرادين بمعاملات
القلوب والمعاملات السنية ولكل من الابرار والمقربين مبادي ونهايات فيكون

الشيخ صاحب الاشراف على البواطن يعرف كل شخص وما يصلح له والعجب ان الصحراوي
يعلم الاراضي والغروس ويعلم كل غرس وارضه وكل صاحب صنعة يعلم منافع صنعته
ومضارها حتى المراة تعلم قطنها وما يتاتى منه من الغزل ودقته وغلظه ولا يعلم الشيخ حال
المريد وما يصلح له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم الناس على قدر عقولهم ويامر
كل شخص بما يصلح له فمنهم من كان يامره بالانفاق ومنهم من امره بالامساك ومنهم من
امره بالكسب ومنهم من قرره على ترك الكسب كاصحاب الصفة فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعرف اوضاع الناس وما يصلح لكل احد فاما في رتبة الدعوة كان يعم الدعوة لانه
مبعوث لاثبات الحجة وايضاح المحجة يدعوا على الاطلاق ولا يخصص بالدعوة من
يتفرس فيه الهداية دون غيره ومن ادب الشيخ ان يكون له خلوة خاصة ووقت
خاص لا يسعه فيه معاناة الخلق حتى يفيض على جلوته فايدة خلوته ولا يدعي لنفسه قوة
ظنا منها ان استدامة المخالطة مع الخلق والكلام معهم لا يضره ولا ياخذ منه وانه غير محتاج
الى الخلوة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كمال حاله كان له قيام الليل وصلوة يصليها
ويداوم عليها واوقات يخلو فيها وطبع البشر لا يستغني عن السياسة قل ذلك او كثر لطف
ذلك او كثف وكم من مغرور قانع باليسير من طيبة القلب اتخذ ذلك راس ماله واغتر بطيبة
قلبه واسترسل في الممازجة والمخالطة وجعل نفسه مناخا للبطالين يلقمه توكل عنده
ورفق يوخذ منه فيقصده من ليس قصده الدين ولا بغيته سلوك طريق المتقين فافتتن
وافتن وبقي في خطة القصور ووقع في دايرة الفتور فما يستغني الشيخ عن الاستمداد من
الله والتضرع بين يدي الله بقلبه لانه لم يكن بقالبه وقلبه فيكون له في كل كلمة الى الله
رجوع وفي كل حركة بين يدي الله خضوع وانما دخلت الفتنة على المغرورين المدعين القوة
والاسترسال في الكلام والمخالطة لقلة معرفتهم بصفات النفس واغترارهم بيسير من الموهبة
وقلة تادبهم بالشيوخ كان الجنيد رحمه الله عليه يقول لاصحابه لو علمت ان صلوة ركعتين لي

افضل

افضل من جلوسي معكم ما جلست عندكم فاذا راى الفضل في الخلوة يخلو واذا راى الفضل
في الجلوس يجلس مع الاصحاب فيكون جلوسه في حماية خلوته وخلوته مزيدا لجلوته
وفي هذا سر وذلك ان الادمي ذو تركيب مختلف فيه تضاد وتغاير على ما اسلفنا
من كونه مترددا بين السفلي والعلوي ولما فيه من التغاير له حظ من الفتور عن الصبر
على صرف الحق ولهذا كان لكل عامل فترة والفترة قد تكون تارة في صورة العمل وتارة
في عدم الروح في العمل وان لم يكن في صورة العمل ففي وقت الفترة للمريدين والسالكين
تضييع واسترواح للنفس وركون الى البطالة فمن بلغ رتبة المشيخة انصرف قسم فترته
الى الخلق فافلح الخلق بقسم فترته وما ضاع قسم فترته كضياعه في حق المريدين فالمريد
يعود من الفترة بقوة الشره وحدة الطلب الى الاقبال على الله والشيخ يكتسب الفضيلة
من نفع الخلق بقسم فترته ويعود الى اوطان خلوته وخاص حاله بنفس مسترسلة اكثر
من عود الفقير بحدة ارادته من فترته فيعود من الخلق الى الخلوة متنزع الفتور بقلب
متعطش وافر النور وروح متخلصة عن مضيق مطالعة الاغيار فادمه بحدة شغفها
الى ديار القرار ومن وظيفة الشيخ وحسن خلقه مع اهل الارادة والطلب النزول من حقه
فيما يجب من التبجيل والتعظيم للمشايخ واستعماله التواضع حكي الرقي قال كنت بمصر
وكنا في المسجد جماعة من الفقرا جلوسا فدخل الزقاق فقام عند اسطوانة يركع فقلنا
يفرغ الشيخ من صلوته ونقوم نسلم عليه فلما فرغ جا الينا وسلم علينا فقلنا نحن كنا
بهذا اولى من الشيخ فقال ما عذب الله قلبي بهذا قط يعني ما تقيدت بان احترم واقصد
ومن ادب الشيوخ النزول الى حال المريدين من الرفق بهم وبسطهم قال بعضهم اذا
رايت الفقير القه بالرفق ولا تلقه بالعلم فان الرفق يونسه والعلم يوحشه فاذا فعل
الشيخ هذا المعنى من الرفق يستدرج المريد بترك ذلك الى الانتفاع بالعلم فيعامل حينيذ
بصريح العلم ومن ادب الشيوخ التعطف على الاصحاب وقضا حقوقهم في الصحة والمرض

ولا يترك حقوقهم اعتمادًا على ارادتهم وصدقهم قال بعضهم لا تضيع حق اخيك بما بينك وبينه من المودة وحكي عن الجريري قال وافيت من الحج فابتدات بالجنيد وسلمت عليه وقلت حتى لا يتعنا ثم اتيت منزلي فلما صلينا الغداة التفت واذا بالجنيد خلفي فقلت يا سيدي انما ابتدات بالسلام عليك لئلا تتعنا الي هاهنا فقال لي يا ابا محمد هذا حقك وذاك فضلك ومن اداب الشيوخ انهم اذا علموا من بعض المسترشدين ضعفا في مراغمة النفوس وقهرها واعتماد صدق العزيمة ان يرفق به ويوقفه على حد الرخصة ففي ذلك خير كثير ثم اذا ثبت وخالط الفقرا وتدرب في لزوم الرخصة تدرج بالرفق الى اوطان العزيمة قال ابو سعيد بن الاعرابي كان شاب يعرف بابرهيم الصايغ وكان لابيه نعمة فانقطع الى الصوفية وصحب ابا احمد القلانسي فربما كان يقع بيد ابي احمد شي من الدراهم فكان يشتري له الرقاق والحلوى والشوي ويوثره عليه ويقول هذا خرج من الدنيا وقلما تعود النعمة فيجب ان يرفق به ويوثر عليه ومن اداب الشيوخ التنزه عن مال المريد وخدمته والانتفاع من جانبه بكل وجه من الوجوه لانه جا لله تعالى فيجعل نفعه وارشاده خالصًا لوجهه فما يصل الشيخ الى المريد من افضل الصدقات وقد ورد ما تصدق متصدق بصدقة افضل من علم يبثه في الناس وقد قال الله تعالى منبها على خلوص ما لله وحراسته من الشوب انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزا ولا شكورا فلا ينبغي للشيخ ان يطلب على صدقته جزا الا ان يظهر له في شي من ذلك علم يرد عليه من الله في قبول الرفق منه او صلاح يرا للشيخ في حق المريد بذلك فيكون التلبس بماله والارتفاق بخدمته لمصلحة تعود على المريد مامونة الغايلة من جانب الشيخ قال الله تعالى يوتكم اجوركم ولا يسالكم اموالكم ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم معنى يحفكم اي يجهدكم ويلح عليكم وقال قتادة علم الله تعالى ان في مسالة المال اخراج الاضغان وهذا تاديب من الله الكريم والادب ادب الله قال جعفر الخلدي جا رجل الى الجنيد واراد ان يخرج من ماله

كله ويجلس معهم على الفقر فقال له الجنيد لا تخرج كل ما معك احبس منه بمقدار ما يكفيك واخرج الفضل وتقوت بما حبست واجتهد في طلب الحلال لا تخرج كل ما عندك فلست آمن عليك ان تطالبك نفسك وكان النبي عليه الصلوة والسلام اذا اراد ان يعمل عملا اثبته وقد يكون الشيخ يعلم من حال المريد انه اذا اخرج من الشي يكسبه من الحال ما لا يتطلع الى المال فيجوز له ان يفسح للمريد في الخروج من المال كما فسح رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه وقبل منه جميع ماله ومن ادب الشيخ اذا راى من بعض المريدين مكروها او علم من حاله اعوجاجا او احس منه بدعوى اورا ان داخله عجب ان لا يصرح له بالمكروه بل يتكلم على الاصحاب ويشير الى المكروه الذي يعلم ويكشف عن وجه المذمة مجملا فيحصل بذلك الفايدة للكل فهذا اقرب الى المداراة واكثر اثرا لتاليف القلوب واذا راى من المريد تقصيرا في خدمته ندبه اليها وحمل تقصيره ويعفوا عنه ويحرضه على الخدمة بالرفق واللين والى ذلك ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اخبرنا ضيا الدين عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح الكروخي قال انا ابو نصر الترياقي قال انا ابو محمد الجراحي قال اخبرنا ابو العباس المحبوبي انا ابو عيسى الترمذي قال نا قتيبة نا رشيد بن سعد عن ابي هاني الخولاني عن عباس بن خليد الحجري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم اعفوا عن الخادم قال كل يوم سبعين مرة واخلاق المشايخ مهذبة بحسن الاقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم احق الناس باحيا سنته في كل ما امر وندب وانكر واوجب ومن جملة مهام الاداب حفظ اسرار المريدين فيما يكاشفون به ويمنحون من انواع المنح فسر المريد لا يتعدى سره وشيخه ثم يحقر الشيخ في نفس المريد ما يجده في خلوته من كشف او سماع خطاب او شي من خوارق العادات ويعرفه ان الوقوف مع شي من هذا يشغل عن الله ويسد باب المزيد بل يعرفه ان هذه نعمة تشكر ومن وراها نعم لا تحصى ويعرفه ان شان المريد طلب المنعم لا النعمة حتى يبقى سره محفوظا عند نفسه وعند شيخه ولا يذيع

سره فاذاعة الاسرار من ضيق الصدر وضيق الصدر الموجب لاذاعة السر يوصف به النسوان
وضعفا العقول من الرجال وسبب اذاعة السر ان للانسان قوتين آخذة ومعطية وكلتاهما
تتشوفان الى الفعل المختص بهما ولولا ان الله تعالى وكل المعطية باظهار ما عندها ما
ظهرت الاسرار فكامل العقل كلما طلبت القوة الفعل قيدها ووزنها بالعقل حتى يضعها
في مواضعها فيجمل حال الشيوخ عن اذاعة الاسرار لرزانة عقولهم وينبغي للمريد ان يحفظ
سر من ذكره ففي ذلك صحته وسلامته وتاييد الله تعالى يتدارك المريدين الصادقين
في موردهم ومقصدهم **الباب الثالث والخمسون في حقيقة**
الصحبة وما فيها من الخير والشر المقاضي للصحبة وجود الجنسية وقد يدعوا اليها
اعم الاوصاف وقد يدعوا اليها ايضا اخص الاوصاف فالدعا باعم الاوصاف كميل جنس
البشر بعضهم الى بعض والدعا باخص الاوصاف كميل اهل كل ملة بعضهم الى بعض ثم اخص
من ذلك كميل اهل الطاعة بعضهم الى البعض وكميل اهل المعصية بعضهم الى البعض فاذا علم هذا
الاصل وان الجاذب الى الصحبة وجود الجنسية بالاعم تارة وبالاخص اخرى فليتفقد الانسان
نفسه عند الميل الى الصحبة ويتفحص وينظر ما الذي يميل به الى صحبته ويزن احوال من يميل
اليه بميزان الشرع فان راى احواله مسددة فليبشر نفسه بحسن الحال فقد جعل الله مرآته
يلوح في مرآة اخيه جمال حسن الحال وان راى احواله غير مسددة فيرجع الى نفسه بالملامة
والاتهام فقد لاح له في مرآة اخيه سوء حاله فبالجدير ان يفر منه كفراره من الاسد فانهما
اذا اصطحبا ازدادا ظلمة واعوجاجا ثم اذا علم من صاحبه الذي مال اليه حسن الحال
وحكم لنفسه بحسن الحال وطالع ذلك في مرآة اخيه فليعلم ان الميل بالوصف الاعم مركوز
في جبلته والميل بطريقه واقع وله بحسبه احكام وللنفس بسببه سكون وركون
فيسلب الميل بالوصف الاعم جدوى الميل بالوصف الاخص ويصير بين المصاحبين استرواحات
طبيعية وتلذذات جبلية لا يفرق بينها وبين خلوص الصحبة لله الا العلماء الزاهدون

وقد

173 وقد يفسد المريد الصادق باهل الصلاح اكثر مما يفسد باهل الفساد ووجه ذلك ان اهل
الفساد علم فساد طريقتهم فاخذ حذره واهل الصلاح عنده صلاحهم فمال اليهم لجنسية
الصلاحية ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جبلية فحالت بينهم وبين حقيقة الصحبة
لله فاكتسب من طريقهم الفتور في الطلب والتخلف عن بلوغ الارب فليتنبه الصادق
لهذه الدقيقة وياخذ من الصحبة اصفى الاقسام ويذر منها ما يسد في وجهه المرام قال
بعضهم هل رايت شرا قط الا ممن تعرف ولهذا المعنى انكر طايفة من السلف الصحبة وراوا
فضيلة العزلة والوحدة كابرهيم بن ادهم وداود الطائي وفضيل بن عياض وسليمن
الخواص رحمة الله عليهم وحكي عنه انه قيل له جا ابرهيم بن ادهم ما تلقاه قال لان القى
سبعا ضاريا احب الي من ان القى ابرهيم بن ادهم قال لاني اذا رايته احسن له كلامي وتظهر
نفسي باظهار احسن احوالها وفي ذلك الفتنة وهذا كلام عالم بالنفس واخلاقها وهذا واقع
بين المصاحبين الا من يعصمه الله تعالى اخبرنا الشيخ الثقة ابو الفتح محمد بن عبد الباقي
اجازة قال انا الحافظ ابو بكر محمد بن احمد انا ابو القسم اسمعيل بن مسعدة قال انا ابو عمرو
محمد بن عبد الله بن احمد قال نا ابو سليمن حمد بن محمد الخطابي قال نا محمد بن بكر بن عبد
الرزاق قال نا سليمن ابن الاشعث قال نا عبد الله بن مسلمة عن ملك عن عبد الرحمن بن
ابي صعصعة عن ابيه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوشك ان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه عن الفتن
قال الله سبحانه اخبارا عن خليله ابرهيم عليه السلام واعتزلكم وما تدعون من دون الله
وادعوا ربي استظهر بالعزلة على قومه قيل العزلة نوعان فريضة وفضيلة فالفريضة
العزلة عن الشر واهله والفضيلة عزلة عن الفضول واهله ويجوز ان يقال الخلوة
غير العزلة فالخلوة من الاغيار والعزلة من النفس وما تدعوا اليه وتشغل عن الله فالخلوة
كثيرة الوجود والعزلة قليلة الوجود قال ابو بكر الوراق ما ظهرت الفتنة الا بالخلطة

من لدن آدم الى يومنا هذا وما سلم الا من جانب الخلطة وقيل السلامة عشرة اجزا تسعة
في الصمت وواحدة في العزلة وقيل الخلوة اصل والخلطة عارض فليلزم الاصل ولا يخالط
الا بقدر الحاجة فاذا خالط لا يخالط الا بحجة واذا خالط يلازم الصمت فانه اصل
والكلام عارض ولا يتكلم الا لحجة فخطر الصحبة كثير يحتاج العبد الى مزيد علم والاخبار
والاثار في التحذير عن الخلطة والصحبة كثير والكتب بها مشحونة واجمع الاخبار في
ذلك ما اخبرنا الشيخ الثقة باسناده السابق الى ابي سليمان قال نا احمد بن سلمان النجاد
قال نا محمد بن يونس الكريمي قال نا محمد بن منصور الجشمي قال نا مسلم بن سالم قال نا السري
بن يحيى عن الحسن عن ابي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية
ومن شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذي يروغ قالوا ومتى ذلك يا رسول الله
قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك
يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج قال انه اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد ابويه فان
لم يكن له ابوان فعلى يدي زوجته وولده فان لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يدي قرابته
قالوا وكيف ذاك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق المعيشة فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده
موارد الهلكة وقد رغب جمع من السلف في الصحبة والاخوة في الله وراوا ان الله تعالى امتن
على اهل الايمان حيث جعلهم اخوانا فقال سبحانه وتعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال تعالى
هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت
بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقد اختار الصحبة والاخوة في الله سعيد بن المسيب
وعبد الله بن مبارك وغيرهم وفايدة انها تفتح مسام البواطن ويكتسب الانسان بها علم
الحوادث والعوارض قبل علم الناس بالافات اكثرهم آفات ويتصلب الباطن بتزيين العلم ويتمكن
الصدق بطريق هبوب الافات ثم التخلص منها بالايمان وينفع بطريق الصحبة والاخوة التناصح

والتعاون

174

والتعاون ويتقوى جنود القلب وتتروح الارواح بالتشام وينفق في التوجه الى
الرفيق الاعلى ويصير مثالها في الشاهد كالاصوات اذا اجتمعت خرقت الاجرام واذا انفردت
قصرت عن بلوغ المرام ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن كثير باخيه
وقال الله تعالى مخبرا عن من لا صديق له فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والاصل
في الحميم الهميم ابدلت الحا بالها لقرب مخرجها اذ هما من حروف الحلق والهميم ماخوذ من
الاهتمام اي يهتم بامر اخيه فالاهتمام بمهم الصديق حقيقة الصداقة وقال عمر رضي الله
عنه اذا راى احدكم ودا من اخيه فليتمسك به فقل ما يصيب ذلك وقد قال القايل
واذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد واين ذاك الواحد
واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قال يا داود ما لي اراك منتبذا وحدانا قال الهي
قليت الخلق من اجلك فاوحى الله اليه يا داود كن يقظانا مرتادا لنفسك اخوانا وكل خدن
لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فانه عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وقد ورد في الخبر
ان احبكم الى الله الذين يالفون ويولفون فالمومن آلف مالوف وفي هذا دقيقة ليس من اختار
الوحدة والعزلة لله يذهب عنه هذا الوصف فلا يكون آلفا مالوفا فان هذه الاشارة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخلق الجبلي وهذا الخلق يكمل في كل من كان اتم معرفة
ويقينا وارزن عقلا واتم اهلية واستعدادا وكان اوفر الناس من هذا الوصف الانبياء ثم
الاولياء واتم الجميع في هذا نبينا صلوات الله وسلامه عليه وكل من كان من الانبيا اتم الفة
كان اكثر تبعا ونبينا صلى الله عليه وسلم كان اكثرهم الفة واكثرهم تبعا وقال تناكحوا تكثروا
فاني مكاثر بكم الامم يوم القيمة وقد نبه الله تعالى على هذا الوصف من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وانما طلبوا العزلة مع وجود
هذا الوصف ومن كان هذا الوصف فيه اقوى واتم طلب العزلة اكثر ولهذا المعنى حبب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلوة في اول امره وكان يخلو في غار حرا ويتحنث الليالي

ذوات العدد وطلب العزلة لا يسلب وصف كونه آلفا مألوفا وقد غلط في هذا قوم
ظنوا ان العزلة تسلب هذا الوصف فتركوا العزلة طلبا لهذه الفضيلة وهذا خطا وشر
طلب العزلة لمن هذا الوصف فيه اتم من الانبيا ثم الامثل فالامثل ثم انا اسلفنا في اول
الباب في الانسان ميل الي الجنس بالوصف الاعم فلما علموا الحذاق ذلك الهمهم الله تعالي
محبة الخلوة والعزلة لتصفية النفس عن الميل بالوصف الاعم ليرتقي الهمم العالية عن
ميل الطباع الي تالف الارواح فاذا وفوا التصفية حقها اشرأبت الارواح الي جنسها
بالتالف الاصلي الاولي واعادها الله الي الخلق وخالطهم مصفاة واستنارت النفوس
الطاهرة بانوار الارواح وظهرت صفة الجبلة من الالفة المكملة آلفة مالوفة
فصارت العزلة من اهم الامور عند من يالف ويولف ومن ادل الدليل علي ان الذي
اعتزل آلف مالوف حتي يذهب الغلط عن الذي غلط في ذلك وذم العزلة علي الاطلاق
من غير علم بحقيقة الصحبة وحقيقة العزلة فصارت العزلة مرغوبا فيها في وقتها والصحبة
مرغوبا فيها في وقتها قال محمد بن الحنفية ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من
معاشرته بدا حتي يجعل الله له منه فرجا وكان بشر بن الحارث يقول اذا قصر العبد في
طاعة الله سلبه الله تعالي من يونسه فالانيس بقية الله تعالي للصادقين رفقا من
الله تعالي وثوابا للعبد معجلا والانيس قد يكون مفيدا كالمشايخ وقد يكون مستفيدا
كالمريدين فصحيح الخلوة والعزلة لا يترك من غير انيس فان كان قاصرا يونسه الله بمن
يتم حاله به وان كان غير قاصر ايقيض الله تعالي له من يونسه من المريدين وهذا
الانس ليس فيه ميل بالوصف الاعم بل هو بالله ومن الله وفي الله روي عن عبد الله بن
مسعود عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال المتحابون في الله علي عمود من ياقوتة حمرا
في راس العمود سبعون الف غرفة مشرفون علي اهل الجنة يضي حسنهم لاهل الجنة
كما تضي الشمس لاهل الدنيا فيقول اهل الجنة انطلقوا بنا ننظر الي المتحابين في الله

عز وجل

في الله عز وجل فاذا اشرفوا عليهم اضا حسنهم لاهل الجنة كما تضي الشمس لاهل الدنيا عليهم
ثياب سندس خضر مكتوب علي جباههم هولا المتحابون في الله عز وجل وقال ابو ادريس
الخولاني لمعاذ اني احبك في الله فقال له ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول الله صلي الله عليه
وسلم يقول تنصب لطايفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيمة وجوههم كالقمر ليلة
البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم اوليا الله الذين
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هولا يا رسول الله قال هم المتحابون في الله عز وجل
وروي عبادة بن الصامت عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل حقت
محبتي للمتحابين في والمتزاورين في والمتباذلين في والمتصادقين في اخبرنا
الشيخ ابو الفتح بن عبد الباقي اجازة قال اخبرنا احمد بن الحسن بن خيرون نا ابو عبد
الله احمد بن عبد الله المحاملي نا ابو القسم عمر بن جعفر بن محمد بن مسلم نا ابو اسحق ابرهيم
بن اسحق الحربي قال نا علي بن يحيي بن سعيد عن سعيد بن المسيب ان رسول الله عليه
الصلوة والسلام قال الا اخبركم بخير من كثير من الصلوة والصدقة قالوا وما هو قال اصلاح
ذات البين واياكم والبغضة فانها هي الحالقة وباسناد ابرهيم الحربي عن عبد الله بن عمر بن ابي
اسامة عن عبد الله بن الوليد عن عمران بن رباح قال سمعنا ابا مسلم يقول سمعنا ابا هريرة
رضي الله عنه يقول الخبر وفي الخبر تحذير عن البغضة وهو ان يجفوا المتخلي للناس مقتا
لهم وسو ظن بهم وهذا خطا وانما يريد ان يخلو مقتا لنفسه وعلما بما في نفسه من الافات
وحذرا علي الناس من نفسه وعلي الخلق ان يعود عليهم من شره فمن كانت خلوته بهذا
الوصف لا يدخل تحت هذا الوعيد والاشارة بالحالقة يعني ان البغضة حالقة للدين
لانه نظر الي المومنين والمسلمين بعين المقت اخبرنا الشيخ ابو الفتح باسناده الي
ابرهيم الحربي قال نا يعقوب بن ابرهيم قال نا ابو عاصم عن ثور عن خالد بن معدان
قال ان لله ملكا نصفه من نار ونصفه من ثلج وان من دعايه اللهم فكما الفت بين

هذا الثلج ولا هذا النار فلا الثلج يطفي النار ولا النار تذيب الثلج الف بين قلوب عبادك الصالحين
وكيف لا تتألف قلوب الصالحين وقد وجدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقته العزيز
بقاب قوسين في وقت لا يسعه فيه شي للطف حال الصالحين وجدهم في ذلك المقام
العزيز وقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فهم مجتمعون وان كانوا متفرقين وصحبتهم
لازمة وعزيمتهم في التواصل في الدنيا والاخرة جازمة وعن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه لو ان رجلا صام النهار وقام الليل وتصدق وجاهد ولم يحب في الله ولم يبغض
في الله ما نفعه ذلك اخبرنا رضي الدين احمد بن يوسف بن اسمعيل اجازة وان لم يكن
سماعا قال انا ابو المظفر عن والده ابي القسم القشيري قال سمعت ابا عبد الرحمن
السلمي يقول سمعت عبد الله بن المعلم يقول سمعت ابا بكر الطمستاني يقول اصحبوا مع الله صحبه
فان لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله ليوصلكم بركة صحبتهم الى الله واخبرنا
شيخنا ابو النجيب السهروردي اجازة رحمه الله قال انا عمر بن احمد الصفار النيسابوري
انا ابو بكر احمد بن خلف قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت ابا نصر الاصفهاني يقول
سمعت ابا جعفر الحداد يقول سمعت علي بن سهل يقول الانس بالله ان تستوحش
من الخلق الا من اهل ولاية الله فان الانس باهل ولاية الله هو الانس بالله وقد نبه
القايل نظما على حقيقة جامعة لمعاني الصحبة والخلوة وفوايدهما وما يحذر فيهما
بقوله وحدة الانسان خير من جليس السو عنده وجليس الخير خير من قعود المرء وحده

الباب الرابع والخمسون في ادا حقوق الصحبة والاخوة في الله تعالى

قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وتواصوا بالحق وتواصوا بالمرحمة وقال تعالى وقال تعم
وتواصوا بالصبر وقال تعالى في وصف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اشدا على
الكفار رحما بينهم كل هذه الايات تنبيه من الله الكريم للعباد على ادا حقوق الصحبة فمن
اختار صحبة او اخوة فادبه في اول ذلك ان يسلم نفسه وصاحبه الى الله تعالى بالمسلة

والدعا

والدعا والتضرع ويسال البركة في الصحبة فانه يفتح على نفسه بذلك اما بابا من ابواب الجنة
واما بابا من ابواب النار فان كان الله تعالى يفتح بينهما خيرا فهو باب من ابواب الجنة قال
الله تعالى الاخلا يوميذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقيل ان احد الاخوين في الله
تعالى يقال له ادخل الجنة فيسال عن منزل اخيه فان كان دونه لم يدخل الجنة حتى
يعطى اخوه مثل منزلته فان قيل له لم يكن يعمل مثل عملك فيقول كنت اعمل لي وله فيعطى جميع ان
ما يسال لاخيه ويرفع اخوه الى درجته وان فتح الله تعالى عليهما بالصحبة شرا فهو
باب من ابواب النار قال الله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت
مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا وان كانت الاية وردت في قصة
مشهورة ولكن الله تعالى نبه في ذلك لعباده على الحذر من كل خليل يقطع عن الله
واختيار الصحبة والاخوة اتفاقا من غير نية في ذلك وتثبت في اوله شان ارباب
الغفلة الجاهلين بالنيات والمقاصد والمنافع والمضار وقد قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما في كلام له وهل يفسد الناس الا الناس فالفساد بالصحبة متوقع والصلاح
متوقع وما هذا سبيله كيف لا يحتاط في اوله ويحكم الامر فيه بكثرة اللجا الى الله تعالى
وصدق الافتقار وسوال البركة والخيرة في ذلك وتقديم صلوة الاستخارة ثم ان اختيار
الصحبة والاخوة عمل وكل عمل يحتاج الى النية والى حسن الخاتمة وقال عليه الصلوة
والسلام في الخبر الطويل سبعة يظلهم الله فمنهم اثنان رجلان تحابا في الله فعاشا
على ذلك وماتا عليه اشارة الى ان الاخوة والصحبة من شرطها حسن الخاتمة حتى يكتب
لهما ثواب المواخاة ومتى افسد المواخاة بتضييع الحقوق فيه فسد العمل من الاول
قيل ما حسد الشيطان متعاونين على بر حسده متواخيين في الله متحابين فيه فانه
يجهد نفسه ويحث قبيله على افساد ما بينهما وكان يقول الفضيل اذا وقعت الغيبة
ارتفعت الاخوة والاخوة في الله تعالى مواجهة قال الله تعالى اخوانا على سرر متقابلين

ومتى اضمر احدهما للاخر سوءا او كره منه شيا ولم ينبهه عليه حتى يزيله او يتسبب الى
ازالته منه فما واجهه بل استدبره قال الجنيد ما تواخا اثنان في الله واستوحش احدهما
من صاحبه الا لعلة في احدهما فالمواخاة في الله صفاء من اثار الزلل وما كان لله فاسمه مطالب
بالمصافاة وكلما صفا دام والاصل في دوام صفاه عدم المخالفة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه قال ابو سعيد الخراز صحبت
الصوفية خمسين سنة ما وقع بيني وبينهم خلاف فقيل له وكيف ذاك قال لاني كنت معهم على
نفسي اخبرنا شيخنا ابو النجيب السهروردي اجازة قال انا عمر بن احمد الصفار انا ابو بكر
احمد بن خلف انا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت محمد بن عبد الله الرازي قال سمعت ابا عمرو
الدمشقي يقول سمعت ابا عبد الله بن الجلا يقول وقد ساله رجل على اي شرط اصحب الخلق
فقال ان لم تبرهم فلا تؤذهم وان لم تسرهم فلا تسوهم وبهذا الاسناد قال ابو عبد الله لا
تضيع حق اخيك بما بينك وبينه من المودة والصداقة فان الله تعالى فرض لكل مومن حقوقا
لم يضيعها الا من لم يراع حقوق الله عليه ومن حقوق الصحبة انه اذا وقع فرقة ومباينة
لا يذكر اخاه الا بخير قيل كان لبعضهم زوجة وكان يعلم منها ما يكره وكان يقال له
استخبارا عن حالها يقول لا ينبغي للرجل ان يقول في اهله الا خيرا ففارقها وطلقها فاستخبر
عن ذلك فقال امراة بعدت عني وليست مني بشي كيف اذكرها وهذا من التخلق باخلاق
الله تعالى انه سبحانه يظهر الجميل ويستر القبيح واذا وجد من احدهما ما يوجب التقاطع
فهل يبغضه او لا اختلف القول في ذلك كان ابو ذر يقول اذا انقلب عما هو عليه ابغضه
من حيث احببته وقال غيره لا يبغض الاخ بعد الصحبة ولكن يبغض عمله قال الله تعالى
لنبيه فان عصوك فقل اني بري مما تعملون ولم يقل اني بري منكم وقيل كان شاب
يلازم مجلس ابي الدردا وكان ابو الدردا يميزه على غيره فابتلي الشاب بكبيرة من الكباير
وانتهى الى ابي الدردا ما كان منه فقيل له لو ابعدته وهجرته فقال سبحان الله لا يترك

الصاحب

177 الصاحب لشي كان منه قيل الصداقة لحمة كلحمة النسب وقيل لحكيم من احب اليك اخوك
او صديقك فقال انما احب اخي اذا كان صديقي وهذا الخلاف في المفارقة ظاهرا وباطنا
وبالملازمة باطنا اذا وقعت المباينة ظاهرا يختلف باختلاف الاشخاص ولا يطلق القول
فيه اطلاقا من غير تفصيل فمن الناس من كان تغيره رجوعا عن الله وظهور حكم سو
السابقة فيجب بغضه وموافقة الحق فيه ومن الناس من كان تغيره عثرة حدثت
وفترة وقعت يرجى عوده فلا ينبغي ان يبغض ولكن يبغض عمله في الحالة الحاضرة
ويلحظ بعين الود منتظرا له الفرج والعود الى اوطان الصلح وقد ورد ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما شتم القوم الرجل الذي اتى بفاحشة قال مه وزبرهم لا تكونوا عونا للشيطان
على اخيكم وقال ابرهيم النخعي لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يرتكبه
اليوم ويتركه غدا وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وروي
ان عمر رضي الله عنه سال عن اخ له كان اخاه فخرج الى الشام فسال عنه بعض من قدم
عليه فقال ما فعل اخي فقال ذاك اخو الشيطان قال مه قال انه قارف الكباير
حتى وقع في الخمر فقال اذا اردت الخروج فاذني قال فكتب اليه حم تنزيل الكتاب من الله
العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما
قرا الكتاب بكا وقال صدق الله عز وجل ونصح عمر فتاب ورجع وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم راى بن عمر يلتفت يمينا وشمالا فساله فقال يا رسول الله احببت رجلا
فانا اطلبه ولا اراه فقال يا عبد الله اذا احببت احدا فاساله عن اسمه واسم ابيه وعن
منزله فان كان مريضا عدته وان كان مشغولا اعنته وكان يقول بن عباس ما اختلف
رجل الى مجلسي ثلثا من غير حاجة تكون له فعلمت ما مكافاته في الدنيا وكان يقول
سعيد بن العاص لجليسي علي ثلث اذا دنا رحبت به واذا حدث اقبلت عليه واذا جلس
اوسعت عليه وتعلم خلوص المحبة لله ان لا يكون فيها شايبة حظ عاجل من رفق او

احسان فانما كان معلولا تزول علته ومن لا يستند في خلته الى علة تحكم بدوام
خلته ومن شرط الحب في الله ايثار الاخ بكل ما يقدر عليه من امر الدين والدنيا قال
الله تعالى يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقوله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة
مما اوتوا اي لا يحسدون اخوانهم على ما لهم وهذان وصفان بهما يكمل صفو المحبة
احدهما انتزاع الحسد على شي من امر الدين والدنيا والثاني الايثار بالمقدور وفي
الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله ولا خير لك في صحبة من لا يرى
لك مثل ما يرى لنفسه وكان يقول ابو معوية الاسود اخواني كلهم خير مني قيل وكيف
ذلك قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلني على نفسه فهو خير مني ولبعضهم نظما

تذلل لمن ان تذللت له … يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لم يزل … على الاصدقا يرى الفضل له

الباب الخامس والخمسون في اداب الصحبة والاخوة

سئل ابو حفص عن ادب الفقرا في الصحبة فقال حفظ حرمات المشايخ وحسن العشرة مع الاخوان
والنصيحة للاصاغر وترك صحبة من ليس في طبقتهم وملازمة الايثار ومجانبة
الادخار والمعاونة في امر الدين والدنيا ومن ادبهم التغافل عن زلل الاخوان
والنصح فيما يجب فيه النصيحة وكتم عيب صاحبه واطلاعه على عيب يعلم منه قال
عمر بن الخطاب رحم الله امرا اهدى الي عيوبي وهذا فيه مصلحة كلية ان يكون
للشخص من ينبهه على عيوبه قال جعفر بن برقان قال لي ميمون بن مهران قل لي
في وجهي ما اكره فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له في وجهه ما يكرهه فان الصادق
يحب من يصدقه والكاذب لا يحب الناصح قال الله ولكن لا يحبون الناصحين والنصيحة بنصيحة
ما كانت في السر ومن ادب الصوفية القيام بخدمة الاخوان واحتمال الاذى منهم

فبذلك

178

فبذلك يظهر جوهر الفقير روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه امر بقلع ميزاب
كان في دار العباس بن عبد المطلب الى الطريق بين الصفا والمروة فقال له العباس
قلعت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه بيده فقال اذا لا يرده الى
مكانه غير يدك ولا يكون لك سلم غير عاتق عمر فاقامه على عاتقه ورده الى موضعه
ومن ادبهم ان لا يرون لانفسهم ملكا يختصون به قال ابرهيم بن شيبان كنا لا
نصحب من يقول نعلي اخبرنا بذلك رضي الدين عن ابي المظفر عن والده ابي القسم
القشيري قال سمعت ابا حاتم الصوفي قال سمعت ابا نصر السراج يقول ذلك وقال
احمد القلانسي دخلت على قوم من الفقرا يوما بالبصرة فاكرموني وبجلوني
فقلت يوما لبعضهم اين ازاري فسقطت من اعينهم وكان ابرهيم بن ادهم اذا
صحبه انسان شارطه على ثلثة اشيا ان تكون الخدمة والاذان له وان تكون
يده في جميع ما يفتح الله عليهم من الدنيا كيده فقال رجل من اصحابه انا لا اقدر
على هذا فقال اعجبني صدقك وكان ابرهيم بن ادهم ينطر البساتين ويعمل في الحصاد
وينفق على اصحابه وكان من اخلاق السلف ان كل من احتاج الى شي من مال
اخيه استعمله من غير مؤامرة قال الله تعالى وامرهم شورى بينهم اي مشاع
هم فيه سوا ومن ادبهم اذا استثقلوا صاحبا يتهمون نفوسهم ويتسببون الى
ازالة ذلك من بواطنهم لان انطوا الضمير على مثل ذلك للصاحب وليجة في الصحبة
قال ابو بكر الكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقيل فوهبت له شيا بنية ان
يزول ثقله من قلبي فلم يزل فخلوت به يوما وقلت له ضع رجلك على خدي
فابى فقلت له لا بد من ذلك ففعل ذلك فزال ما كنت اجده في باطني قال الرقي
قصدت من الشام الى الحجاز حتى سالت الكتاني عن هذه الحكاية ومن ادبهم
تقديم من يعرف فضله والتوسعة له في المجلس والايثار بالموضع روي ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في صفة ضيقة فجاء قوم من البدريين فلم يجدوا
موضعا يجلسون فيه فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن من اهل بدر فجلسوا مكانهم
فاشتد ذلك عليهم فانزل الله تعالى واذا قيل انشزوا فانشزوا الايه وحكي عن علي بن
بندار الصوفي انه ورد علي ابي عبد الله بن خفيف زايرا متماشيا فقال له ابو عبد الله تقدم
فقال باي عذر قال بانك لقيت الجنيد وما لقيته ومن ادبهم ترك صحبة من همه شي من
فضول الدنيا قال الله تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ومن ادبهم
بذل الانصاف للاخوان وترك مطالبة الانصاف قال ابو عثمن الحيري حق الصحبة
ان توسع علي اخيك مالك ولا تطمع في ماله وتنصفه من نفسك ولا تطلب منه الانصاف
وتكون تبعا له ولا تطمع ان تكون تبعا لك وتستكثر ما يصل اليك منه وتستقل ما يصل اليه
منك ومن ادبهم في الصحبة لين الجانب وترك ظهور النفس بالصولة قال ابو علي الروذباري
الصولة علي من فوقك قحة وعلي مثلك سو ادب وعلي من دونك عجز ومن ادبهم ان
لا يجري في كلامهم لو كان كذا لم يكن كذا وليت كان كذا وعسي ان يكون كذا فانهم يرون هذه
المقادير عاريه ومن ادبهم في الصحبة حذر المفارقة والحرص علي الملازمة قيل
صحب رجل رجلا ثم اراد المفارقة فاستاذن صاحبه فقال بشرط ان لا تصحب احدا
الا اذا كان فوقنا وان كان فوقنا ايضا فلا تصحبه لانك صحبتنا اولا فقال الرجل قد زال
عن قلبي المفارقه ومن ادبهم التعطف علي الاصاغر قيل كان ابرهيم بن ادهم يعمل في الحصاد
ويطعم الاصحاب وكانوا يجتمعون بالليل وهم صيام وربما كان يتاخر في بعض الايام في العمل
فقالوا ليلة تعالوا ناكل فطورنا دونه حتى يعود بعد هذا اسرع فافطروا وناموا فرجع ابرهيم
بن ادهم فوجدهم نياما فقال مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام فعمد الي شي من الدقيق فعجنه فانتبهوا
وهو ينفخ في النار واضعا محاسنه علي التراب فقالوا له في ذلك فقال قلت لعلكم لم تجدوا
فطورا فنمتم فقالوا انظروا باي شي عاملناه وباي شي يعاملنا ومن ادبهم ان لا يقولوا عند

الدعا

119

الدعا الي اين ولم وباي سبب قال بعض العلما اذا قال الرجل لصاحبه قم بنا فقال الي اين
فلا تصحبه وقال اخر من قال لاخيه اعطني من مالك فقال كم تريد ما قام بحق الاخا
وقد قال الشاعر ٭ لا يسالون اخاهم حين يندبهم للنايبات علي ما قال برهانا ٭
ومن ادبهم ان لا يتكلفوا للاخوان قيل لما ورد ابو حفص العراق تكلف له الجنيد انواع الاطعمة
فانكر ذلك ابو حفص وقال صير اصحابي مثل المخانيث يقدم لهم الالوان والفتوة عندنا
ترك التكلف واحضار ما حضر فان بالتكلف ربما يوثر مفارقة الضيف وبترك التكلف يستوي
مقامه وذهابه ومن ادبهم في الصحبة المداراة وترك المداهنة وتشبيه المداراة بالمداهنة
والفرق بينهما ان المداراة ما اردت به صلاح اخيك فداريته لرجا صلاحه واحتملت منه
ما تكره والمداهنة ما قصدت به شيا من الهوي من طلب حظ واقامة جاه ومن
ادبهم في الصحبة رعاية الاعتدال بين الانقباض والانبساط اليهم مجلبة لقرنا السو
فكن بين المنقبض والمنبسط ومن ادبهم ستر عورات الاخوان قال عيسي عليه الصلوة
والسلام لاصحابه كيف تصنعون اذا رايتم اخاكم نايما فكشفت الريح عنه ثوبه قالوا نستره
ونغطيه فقال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا قال احدكم يسمع في
اخيه الكلمة فيزيد عليها او يشيعها باعظم منها ومن ادبهم الاستغفار للاخوان بظهر الغيب
والاهتمام لهم مع الله تعالى في دفع المكاره عنهم حكي ان اخوين ابتلي احدهما بهوي فاظهر
عليه اخاه فقال اني ابتليت بهوي فان شيت ان لا تعقد علي محبتي لله فافعل فقال
ما كنت لاحل عقد اخايك لاجل خطيتك وعقد بينه وبين الله عقدا ان لا ياكل ولا يشرب
حتي يعافيه الله تعالى من هواه فطوي اربعين يوما كلما يسال عن هواه فيقول ما زال فلما كان
بعد الاربعين اخبره ان الهوي قد زال فاكل وشرب ومن ادبهم ان لا يحوجوا اصحابهم الي
المداراة ولا يلجوه الي الاعتذار ولا يكلفوا للصاحب ما يشق عليه بل يكونوا للصاحب
من حيث هو موثر امر الصاحب علي مراد نفسه قال علي بن ابي طالب رضوان الله عليه

يعني من الناس من ان اتي بالانقباض عنه انقبض والانبساط اليه انبسط

ثم الصدقا من احوجك الى المداراة او الجاك الى الاعتذار او تكلفت له قال جعفر الصادق
اثقل اخواني علي من يتكلف لي واتحفظ منه واخفهم على قلبي من اكون معه كما اكون وحدي
وآداب الصحبة وحقوق الاخوة كثيرة والحكايات في ذلك يطول نقلها وقد رايت في
كتاب الشيخ ابي طالب المكي من الحكايات في هذا المعنى شيا كثيرا وقد اودع كتابه كل شي حسن
من ذلك وحاصل الجميع ان العبد ينبغي ان يكون لمولاه ويريد كلما يريد لمولاه لا لنفسه
واذا صاحب شخصا تكون صحبته اياه لله تعالى واذا صحبه لله يجتهد له في كل شي يزيده
عند الله زلفى وكل من قام بحقوق الله تعالى يرزقه الله علما بمعرفة النفس وعيوبها
ومحاسن الاخلاق ومعرفة محاسن الاداب ويوفقه من ادا الحقوق على بصيرة ويفقهه
في كل ذلك ولا يفوته شي مما يحتاج اليه فيما يرجع الى حقوق الحق وفيما يرجع الى حقوق
الخلق فكل تقصير يوجد من خبث النفس وعدم تزكيتها وبقا صفاتها عليه فان صحبت للدنيا
ظلمت بالافراط تارة وبالتفريط اخرى وتقعد بالواجب فيما يرجع الى الحق والخلق
والحكايات والمواعظ والاداب وسماعها لا تعمل في النفس زيادة تاثير ويكون كحجر يتقلب
فيه الماء من فوق فلا يمكث فيه ولا ينتفع به واذا اخذت بالتقوى والزهد في الدنيا
نبع منه ما الحيوة وتفقهت وعلمت وادت الحقوق وقامت بواجب الاداب بتوفيق الله تعالى

الباب السادس والخمسون في معرفة الانسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك

حدثنا شيخنا ابو النجيب السهروردي قال انا الشريف نور الهدى
ابو طالب الزينبي انا كريمة المروزية انا ابو الهيثم الكشميهني انا ابو عبد الله الفربري
انا ابو عبد الله البخاري قال نا عمر بن حفص قال نا ابي قال نا الاعمش قال نا زيد بن وهب
قال نا عبد الله قال نا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال ان
احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين ثم يكون علقة مثل ثم يكون مضغة مثل ذلك ذكر
ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقي ام سعيد ثم ينفخ فيه

الروح وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخل الجنة وان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون
بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخل النار وقال الله
تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين اي حريز
مكين لاستقرارها فيه الى بلوغ امدها ثم قال بعد ذكر تقلباته ثم انشاناه خلقا اخر
قيل هذا الانشا نفخ الروح فيه الكلام في الروح صعب المرام والامساك عن ذلك سبيل
ذوي الاحلام وقد عظم الله تعالى شان الروح واسجل على الخلق بقلة العلم حيث قال
وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد اخبر الله تعالى في كلامه عن اكرامه بني ادم فقال
ولقد كرمنا بني آدم قيل قالت الملايكة ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون فيها ويتنعمون
ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الاخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت
بيدي كمن قلت له كن فكان مع هذه الكرامة واختياره سبحانه اياهم على الملايكة لما اخبر
عن الروح اخبر عنهم بقلة العلم وقال ويسلونك عن الروح قل الروح من امر ربي قال
ابن عباس رضي الله عنهما قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرنا ما الروح وكيف تعذب
الروح التي في الجسد وانما الروح من امر الله ولم يكن نزل اليه فيه شي فلم يجبهم فاتاه جبريل
بهذه الاية وحيث امسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاخبار عن الروح وماهيته
باذن الله تعالى ووحيه وهو صلوات الله وسلامه عليه معدن العلم وينبوع الحكمة كيف
يسوغ لغيره الخوض فيه والاشارة اليه لا جرم لما تقاضت النفس الانسانية المتطلعة
الى الفضول المتشوفة الى المعقول المتحركة بوضعها الى كل ما امرت بالسكون فيه والمنع
عرضها الى كل تحقيق وكل تمويه واطلقت عنان النظر في مسارح الفكر وخاضت غمرات
معرفة ماهية الروح تاهت في التيه وتنوعت آراؤها فيه ولم يوجد الاختلاف بين
ارباب النقل والعقل في شي كالاختلاف في ماهية الروح ولو لزمت النفوس حدها معترفة

بعجزها كان ذلك اجدر بها واولى فاما اقاويل من ليس متمسكا بالشرايع فننزه الكتاب عن
ذكرها لانها اقوال ابرزتها العقول التي ضلت عن الرشاد وطبعت على الفساد ولم يصبها نور الاهتدا
ببركة متابعة الانبيا فهم كما قال الله تعالى كانت اعينهم في غطا عن ذكري وكانوا لا يستطيعون
سمعا وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فلما حجبوا
عن الانبيا لم يسمعوا وحيث لم يسمعوا لم يهتدوا فاصروا على الجهالات وحجبوا [illegible] بالعقول
عن المامول والعقل حجة الله تعالى يهدي به اقواما ويضل به اخرين فلم ينقل اقوالهم في
الروح واختلافهم فيه واما المتمسكون بالشرايع تكلموا في الروح فقوم منهم بطريق الاستدلال
والنظر وقوم منهم بلسان الذوق والوجد لا باستعمال الفكر حتى تكلم في ذلك مشايخ الصوفية
ايضا وكان الاولى الامساك عن ذلك والتادب بادب النبي عليه الصلوة والسلام وقد قال
الجنيد الروح شي استاثر الله بعلمه ولا تجوز العبارة عنه باكثر من موجود ولكن نجعل للصادقين
محلا لاقوالهم وافعالهم ونجوز ان يكون كلامهم في ذلك بمثابة التاويل لكلام الله تعالى والايات
المنزلة حيث يحرم تفسيره وجوزنا تاويله اذ لا يسع القول في التفسير الا نقلا واما التاويل
فتمتد العقول اليه بالباع الطويل وهو ذكر ما تحتمل الاية من المعنى من غير القطع بذلك
واذا كان الامر كذلك فللقول فيه وجه ومحمل قال ابو عبد الله النباجي الروح جسم
يلطف عن الحس ويكبر عن اللمس ولا يعبر عنه باكثر من موجود وهو وان منع عن العبارة فقد
حكم بانه جسم فكانه عبر عنه وقال ابن عطا خلق الله الارواح قبل الاجساد لقوله تعالى
ولقد خلقناكم يعني الارواح ثم صورناكم يعني الاجساد وقال بعضهم الروح لطيف قايم في
كثيف كالبصر جوهر لطيف قايم في كثيف وفي هذا القول نظر وقال بعضهم الروح عبارة
والقايم بالاشيا هو الحق وهذا فيه نظر ايضا الا ان يحمل على معنى الاحيا فقد قال بعضهم
الاحيا صفة المحيي كالتخليق صفة الخالق وقال قل الروح من امر ربي وامره كلامه ليس
بمخلوق اي صار الحي حيا بقوله كن حيا وعلى هذا لا يكون الروح معنى في الجسد فمن الاقوال

مايدل

181 ما يدل على انه يعتقد حدوثه ثم ان الناس مختلفون في الروح الذي سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عنها فقال قوم هو جبريل عليه السلام ونقل عن امير المومنين علي بن ابي
طالب رضوان الله عليه انه قال هو ملك من الملايكة له سبعون الف وجه ولكل وجه
منه سبعون الف لسان ولكل لسان منه سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات
كلها ويخلق من كل تسبيحة ملك يطير مع الملايكة الى يوم القيمة وروي عن عبد الله بن
عباس ان الروح خلق من خلق الله صورهم على صور بني آدم وما نزل من السما ملك الا ومعه
واحد من الروح وقال ابو صالح الروح كهيئة الانسان وليسوا بناس وقال مجاهد
الروح على صورة بني آدم لهم ايد وارجل وروس ياكلون الطعام وليسوا بملايكة وقال
سعيد بن جبير لم يخلق الله تعالى خلقا اعظم من الروح غير العرش ولو شا ان يبتلع السموات
والارضين السبع في لقمة لفعل صورة خلقه صورة الملايكة وصورة وجهه على صورة
الادميين يقوم يوم القيمة عن يمين العرش والملايكة معه في صف واحد وهو ممن يشفع
لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملايكة سترا من نور لاحرق اهل السموات من نوره فهذه
الاقاويل لا تكون الا نقلا وسماعا بلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك واذا كان
الروح المسول شيا من هذا المنقول فهو غير الروح الذي في الجسد فعلى هذا يسوغ القول
في هذا الروح ولا يكون الكلام فيه ممنوعا قال بعضهم الروح لطيفة تسري من الله تعالى
الى اماكن معروفة لا يعبر عنه باكثر من موجود بايجاد غيره وقال بعضهم الروح لم
يخرج من كن لانه لو خرج من كن كان عليه الذل قيل فمن اي شي خرج قال من بين جماله وجلاله
سبحانه وتعالى بملاحظة الاشارة خصها بسلامه وحياها بكلامه فهي معتقة من ذل
كن وسيل ابو سعيد الخراز عن الروح امخلوقة هي قال نعم ولولا ذلك ما اقرت بالربوبية
حيث قالت بلى والروح هي التي قام بها البدن واستحق بها اسم الحيوة بالروح ثبت العقل
وبالروح قامت الحجة ولو لم يكن الروح كان العقل معطلا لا حجة عليه ولا له وقيل انها جوهر

مخلوق ولكنها الطف المخلوقات واصفا الجواهر وانورها وبها ترى المغيبات وبها
يكون الكشف لاهل الحقايق واذا احتجبت الروح عن مراعات السر اساءت الجوارح الادب
ولذلك صارت الروح بين التجلي والاستتار وقابض ونازع وقيل الدنيا والاخرة عند الارواح
سوا وقيل الارواح تجول في البرزخ وتبصر احوال الدنيا والملايكة تتحدثون في السماء
عن احوال الادميين وارواح تحت العرش وارواح طيارة الى الجنان والى حيث شاءت على
اقدارها من السعي الى الله ايام الحيوة وروى سعيد بن المسيب عن سلمان قال الارواح المومنين
تذهب في برزخ من الارض حيث شاءت بين السما والارض حتى يردها الى جسدها وقيل
اذا ورد على الارواح ميت من الاحيا التقوا وتحدثوا وتسايلوا ووكل الله بها ملايكة تعرض
عليها اعمال الاحيا حتى اذا عرض على الاموات ما يعاقب به الاحيا في الدنيا من اجل الذنو
كان عذر الله ظاهرا عند الاموات فانه لا احد احب اليه العذر من الله عز وجل وقد
ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس على الله
تعالى وتعرض على الانبيا والابا والامهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد
وجوههم بياضا وتشرقة فاتقوا الله ولا تؤذوا امواتكم وفي خبر اخر ان اعمالكم تعرض
على عشايركم واقاربكم من الموتى فان كان حسنا استبشروا وان كان غير ذلك قالوا اللهم
لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا وهذه الاقوال والاخبار تدل على انها اعيان في الجنة
وليست بمعاني واعراض سيل الواسطي لاي علة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم
الخلق قال لانه خلق روحه اولا فوقع له صحبة التمكين والاستقرار الا تراه يقول كنت نبيا
وادم بين الروح والجسد اي لم يكن روحا ولا جسدا وقال بعضهم الروح خلق من نور
العزة وابليس خلق من نار العزة ولهذا قال خلقتني من نار ولم يدر ان النور خير من النار
وقال بعضهم فرز الله العلم بالروح فهي للطافتها تنموا بالعلم كما ينموا البدن بالغذاء
وهذا في علم الله لان علم الخلق قليل لا يبلغ ذلك والمختار عند اكثر متكلمي الاسلام ان الانسانية

مطلب

والحيوانية

182

والحيوانية عرضان خلقا في الانسان والموت يعدمهما وان الروح هي الحيوة بعينها صار
البدن بوجودها حيا وبالاعادة اليه في القيمة يصير حيا وذهب بعض متكلمي الاسلام الى
انه جسم لطيف اشتبك بالاجسام الكثيفة اشتباك الما بالعود الاخضر وهو اختيار ابي
المعالي الجويني رحمه الله تعالى وكثير منهم مال الى انه عرض الا انهم ردهم عن ذلك الاخبار
الدالة على انه جسم لما ورد فيه من العروج والهبوط والتردد في البرزخ فحيث وصف
باوصاف دل على انه جسم لان العرض لا يوصف باوصاف اذ الوصف معنى والمعنى لا يقوم
بالمعنى واحتج بعضهم على انه عرض سيل ابن عباس رضي الله عنهما قيل له اين تذهب
الارواح عند مفارقتها الابدان قال اين يذهب ضو المصباح عند فنا الادهان قيل له
فاين تذهب الجسوم اذا بليت قال فاين يذهب لحمها اذا مرضت وقال بعض من تسمى
بالعلوم المردودة والمذمومة وينسب الى الاسلام الروح تنفصل من البدن في جسم
لطيف وقال بعضهم انها اذا فارقت البدن تحمل معها القوة الوهمية بتوسط النطقية
فيكون حينيذ مطالع للمعاني المحسوسات لان تجردها من هيات البدن عند المفارقة
غير ممكن وهي عند الموت متشاعرة بالموت وبعد الموت متخيلة نفسها مقبورة ويتصور جميع
ما كانت تعتقد حال الحيوة وتحس بالثواب والعقاب في القبر وقال بعضهم اسلم
المقالات ان يقال الروح شي مخلوق اجرى الله العادة ان يحيي البدن ما دام متصلا به
وانه اشرف من الجسد تذوق الموت بمفارقة الجسد كما ان الجسد بمفارقته يذوق
الموت فان الكيفية والماهية يتغاشى العقل فيه كما يتغاشى البصر في شعاع الشمس ولما
راى المتكلمون انه يقال لهم الموجودات محصورة قديم وجسم وجوهر وعرض فالروح
من اي هولا فاختار قوم منهم انه عرض وقوم منهم انه جسم لطيف كما ذكرنا واختار قوم
انه قديم لانه امر والامر كلام والكلام قديم فما احسن الامساك عن القول فيما هذا سبيله
وكلام الشيخ ابو طالب المكي في كتابه يدل على انه يميل الى ان الارواح اعيان في الجسد وهكذا

النفوس لانه يذكر ان الروح تحرك ومن حركتها يظهر نور في القلب يراه الملك فيلهم الخير عند
ذلك وان النفس تحرك ومن حركتها يظهر ظلمة في القلب فيري الشيطان الظلمة فيقبل
بالاغوا وحيث وجدت اقوال المشايخ تشير الي الروح اقول ما عندي في ذلك علي معني
ماذكرت من التاويل دون ان اقطع به اذ سبيلي في ذلك الي السكوت والامساك فاقول والله
اعلم ان الروح الانساني العلوي السماوي من عالم الامر والروح الحيواني البشري من عالم الخلق
والروح الحيواني البشري محل الروح العلوي ومورده والروح الحيواني جسماني لطيف حامل لقوة
الحس والحركة تنبعث من القلب اعني بالقلب هاهنا المضغة اللحمية المعروفة الشكل المودعة
في الجانب الايسر من الجسد وتنتشر في تجاويف العروق الضوارب وهذه الروح لساير
الحيوانات ومنه تفيض قوي الحواس وهو الذي قوامه باجرا سنة الله تعالي بالغذا غالبا
ويتصرف بعلم الطب باعتدال مزاج الاخلاط ولورود الروح الانساني العلوي علي هذا الروح
تجنس الروح الحيواني وباين ارواح الحيوانات واكتسب صفة اخري فصار نفسا محلا
للنطق والالهام قال الله تعالي ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقويها فتسويتها بورود
الروح الانساني عليها واقتطاعها عن جنس ارواح الحيوانات فتكونت النفس بتكوين الله
من الروح العلوي وصار تكون النفس التي هي الروح الحيواني من الادمي من الروح
العلوي في عالم الامر كتكون حوي من ادم في عالم الخلق وصار بينهما من التالف والتعاشق
كما بين آدم وحوي وصار كل واحد منهما يذوق الموت بمفارقة صاحبه قال الله تعالي
وجعل منها زوجها ليسكن اليها فسكن ادم الي حوي وسكن الروح الانساني العلوي الي الروح
الحيواني وصيره نفسا وتكون من سكون الروح الي النفس القلب واعني بهذا القلب اللطيفة
التي محلها المضغة اللحمية والمضغة اللحمية من عالم الخلق وهذه اللطيفة من عالم الامر
وكان تكون القلب من الروح والنفس في عالم الامر كتكون الذرية من آدم وحوي في عالم
الخلق ولولا المساكنة بين الزوجين اللذين احدهما النفس ما تكون القلب فمن القلوب

قلب

قلب متطلع الي الاب الذي هو الروح العلوي مايل اليه وهو القلب المويد الذي ذكره رسول
الله صلي الله عليه وسلم فيما رواه حذيفة قال القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر
فذلك قلب المومن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب مربوط علي علاقة
فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه مثل البقلة يمدها
الما الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المدتين غلبت
عليه حكم له بها والقلب المنكوس مايل الي الام التي هي النفس الامارة بالسو ومن
القلوب قلب متردد في ميله اليهما وبحسب غلبة ميل القلب يكون حكمه من السعادة
والشقاوة والعقل جوهر الروح العلوي ولسانه والدال عليه وتدبيره للقلب المويد
والنفس الزكية المطمينة تدبير الوالد للولد البار والزوجة الصالحة وتدبيره للقلب
المنكوس والنفس الامارة بالسو تدبير الوالد للولد العاق والزوجة السيية فمنكر
من وجه وينجذب الي تدبيرهما من وجه اذ لابد له منهما وقول القايلين واختلافهم
في محل العقل فمن قايل ان محله الدماغ ومن قايل ان محله القلب كلام القاصرين عن
درك حقيقة ذلك واختلافهم في ذلك لعدم استقرار العقل علي نسق واحد وانجذابه
الي البار تارة والي العاق اخري وللقلب وللدماغ نسبة الي البار والعاق فاذا رؤي
في تدبير العاق قيل مسكنه الدماغ واذا رؤي في تدبير البار قيل مسكنه القلب فالروح
العلوي يهم بالارتقا الي مولاه شوقا وحنوا وتنزها عن الاكوان ومن الاكوان القلب
والنفس فاذا ارتقي الروح يحنو القلب اليه حنو الولد الحنون البار الي الوالد وتحنو
النفس الي القلب الذي هو الولد حنين الوالدة الحنينة الي ولدها واذا حنت النفس
ارتفعت من الارض وانزوت عروقها الضاربة في العالم السفلي وانطوي هواها وانحسمت
مادتها وزهدت في الدنيا وتجافت عن دار الغرور وانابت الي دار الخلود وقد تخلد النفس
التي هي الام الي الارض بوضعها الجبلي لتكونها من الروح الحيواني الجنس ومستندها

في كونها الى الطبايع التي هي اركان العالم السفلي قال الله تعالى ولو شينا لرفعناه بها ولكنه
اخلد الى الارض واتبع هواه فاذا تكنت النفس التي هي الام الى الارض انجذب اليها القلب
المنكوس انجذاب الولد الميال الى الوالدة المعوجة الناقصة دون الوالد الكامل المستقيم
وتنجذب الروح الى الولد الذي هو القلب لما جبل عليه انجذاب الوالد الى ولده فعند ذلك تتخلف
عن حقيقة القيام بحق مولاه وفي هذين الانجذابين يظهر حكم السعادة والشقاوة ذلك
تقدير العزيز العليم ولقد ورد في اخبار داود عليه السلام انه سال ابنه سليمن اين موضع
العقل منك قال القلب لانه قالب الروح والروح قالب الحيوة وقال ابو سعيد القرشي الروح
روحان روح الحيوة وروح الممات فاذا اجتمعا عقل الجسم وروح الممات هي التي اذا خرجت
من الجسد يصير الحي ميتا وروح الحيوة ما به مجاري الانفاس وقوة الاكل والشرب وغيرهما
وقال بعضهم الروح نسيم طيب تكون به الحيوة والنفس ريح حارة يكون منها الحركات
والشهوات ويقال فلان حار الراس وفي الفصل الذي ذكرناه يقع التنبيه بماهية النفس
واشارة المشايخ في ماهية النفس الى ما يظهر من اثارها من الافعال المذمومة والاخلاق
الردية وهي التي تعالج بحسن الرياضة ازالتها وتبديلها والافعال الردية تزال والاخلاق
الردية تبدل اخبرنا الشيخ العالم رضي الدين احمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال
انا ابو سعيد محمد بن ابي العباس الخليلي انا القاضي محمد بن سعيد الفرخزاذي انا ابو
اسحق احمد بن محمد بن ابرهيم انا الحسين بن محمد بن عبد الله السفياني قال نا محمد بن
الحسن اليقطيني نا احمد بن عبد الله بن يزيد العقيلي قال نا صفوان بن صالح نا الوليد
بن مسلم عن ابن ابي لهيعة عن خالد بن يزيد عن سعيد بن ابي هلال ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان اذا قرا هذه الاية قد افلح من زكاها وقف ثم قال اللهم آت نفسي تقواها انت
وليها ومولاها وزكها انت خير من زكاها وقيل النفس لطيفة مودعة في القالب منها
الاخلاق والصفات المذمومة كما ان الروح لطيفة مودعة فيه منها الاخلاق والصفات

المحموده

المحمودة كما ان العين محل الروية والسمع محل الاذن والانف محل الشم والفم محل الذوق
هكذا النفس محل الاوصاف المذمومة والروح محل الاوصاف المحمودة وجميع اخلاق
النفس وصفاتها من اصلين احدهما الطيش والثاني الشره وطيشها من جهلها وشرهها
من حرصها وشبهت النفس في طيشها بكرة مستديرة على مكان املس مصوب لا تزال متحركة
بجبلتها ووضعها وشبهت في حرصها بالفراش الذي يلقي نفسه على ضو المصباح ولا يقنع
بالضو اليسير دون الهجوم على جرم الضو الذي فيه هلاكه فمن الطيش توجد العجلة
وقلة الصبر والصبر جوهر العقل والطيش صفة النفس وهواها وروحها ولا يغلبه
الا الصبر اذ العقل يقمع الهوى ومن الشره يظهر الطمع والحرص وهما اللذان ظهرا في آدم
حيث طمع في الخلود فحرص على اكل الشجرة وصفات النفس لها اصول من اصل تكونها لانها مخلوقة
من تراب ولها بحسبه وصف وقيل وصف الضعف في الادمي من التراب ووصف
البخل فيه من الطين ووصف الشهوة فيه من الحما المسنون ووصف الجهل فيه من
الصلصال وقيل قوله كالفخار بهذا الوصف فيه شي من الشيطنة لدخول النار في الفخار فمن
ذلك الخداع والحيل والحسد فمن عرف اصول النفس وجبلاتها عرف ان لا قدرة له عليها الا بالاستعانة
بباريها وفاطرها فلا يتحقق العبد بالانسانية الا بعد ان يبدد دواعي الحيوانية فيه بالعلم
والعدل وهو رعاية طرفي الافراط والتفريط ثم بذلك يقوي انسانيته ومعناه ويدرك
صفات الشيطنة فيه والاخلاق المذمومة وكمال الانسانية يتقاضاه انه لا يرضى لنفسه
بذلك ثم تنكشف له الاخلاق التي ينازع بها الربوبية من الكبر والعز ورؤية النفس
والعجب وغير ذلك فيرى ان صرف العبودية في ترك المنازعة للربوبية والله تعالى ذكر
النفس في كلامه القديم بثلثة اوصاف بالطمانينة فقال يا ايتها النفس المطمئنة وسماها
لوامة قال لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة وسماها امارة فقال ان النفس
لامارة بالسوء وهي نفس واحدة لها صفات متغايرة فاذا امتلا القلب سكينة خلع عليها

النفس خلع الطمانينة لان السكينة مزيد للايمان وفيها ارتقا القلب الي مقام الروح ولما منح
من حظ اليقين وعند توجه القلب الي محل الروح توجه النفس الي محل القلب وفي ذلك
طمانيتها واذا انزعجت من مقا رجلاتها ودواعي طبيعتها متطلعة الي مقام الطمانينة فهي لوامة
لانها تعود باللايمة علي نفسها لنظرها وعلمها بمحل الطمانينة ثم انجذابها الي محلها التي كانت فيه
امارة بالسو واذا اقامت في محلها لانغشاها نور العلم والمعرفة فهي علي ظلمتها امارة بالسوء
فالنفس والروح يتطاردان فتارة يملك القلب دواعي الروح وتارة يملكه دواعي النفس واما
السر فقد اشار القوم اليه ووجدت في كلام القوم ان منهم من جعله بعد القلب وقبل الروح
ومنهم من جعله بعد الروح واعلا منه والطف وقالوا السر محل المشاهدة والروح محل المحبة
والقلب محل المعرفة والسر الذي وقعت اشارة القوم اليه غير مذكور في كلام الله تعالي وانما
المذكور في كلام الله الروح والنفس وتنوع صفاتها والقلب والفواد والعقل وحيث لم يجد في
كلام الله ذكر السر بالمعني المشار اليه ورايتا الاختلاف في القول فيه واشار قوم الي انه
دون الروح وقوم الي انه الطف من الروح فنقول والله اعلم الذي يسمونه سرا ليس هو شي
يستقل بنفسه له وجود وذوات كالروح وانما لما صفت النفس وتزكت انطلق الروح من والنفس
وثاق ظلمة النفس فاخذ في الخروج الي اوطان القرب وانتزح القلب عند ذلك من مستقره
متطلعا الي الروح فاكتسب وصفا زايدا علي وصفه فانبهم علي الواجدين ذلك الوصف
حيث راوه اصفي من القلب فسموه سرا ولما صار القلب وصفا زايدا علي وصفه بتطلعه
الي الروح اكتسبت الروح وصفا زايدا في عروجه وانبهم علي الواجدين فسموه سرا والذي
زعموا انه الطف من الروح روح متصفة بوصف اخص مما عهدوه والذي يسمونه قبل الروح
سرا هو قلب اتصف بوصف زايد عن ما عهدوه وفي مثل هذا الترقي من الروح والقلب
تترقي النفس الي محل القلب وتنخلع من وصفه فتصير نفسا مطمينة تريد كثيرا من مرادات
القلب من قبل ان القلب اذ صار يريد ما يريد مولاه متبريا عن الحول والقوة والارادة

والاختيار

والاختيار وعندها ذاق طعم صرف العبودية حيث صار حرا عن ارادته واختياراته واما
العقل فهو لسان الروح وترجمان البصيرة والبصيرة للروح بمثابة القلب والعقل بمثابة
اللسان وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اول ما خلق الله العقل
فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال له اقعد فقعد ثم قال له انطق فنطق
ثم قال له اصمت فصمت فقال وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريايي وسلطاني وجبروتي ما
خلقت خلقا احب الي منك ولا اكرم علي منك بك اعرف وبك احمد وبك اطاع وبك آخذ
وبك اعطي واياك اعاتب ولك الثواب وعليك العقاب وما اكرمتك بشي افضل من الصبر وقال
عليه الصلوة والسلام لا يعجبنكم اسلام رجل حتي تعلموا ما عقدة عقله وسالت عايشة رضي
الله عنها رسول الله صلي الله عليه وسلم قالت قلت يا رسول الله باي شي يتفاضل الناس قال
بالعقل في الدنيا والاخرة قالت قلت اليس يجزي الناس باعمالهم قال يا عايشة وهل يعمل بطاعة
الله الا من قد عقل فبقدر عقولهم يعملون وعلي قدر ما يعملون يجزون وقال رسول
الله صلي الله عليه وسلم ان الرجل لينطلق الي المسجد فيصلي وصلوته لا تعدل جناح
بعوضة وان الرجل لياتي المسجد فيصلي وصلوته تعدل جبل احد اذا كان احسنهم عقلا
قيل وكيف يكون احسنهما عقلا قال اورعهما عن محارم الله تعالي واحرصهما علي اسباب
الخير وان كان دونه في العمل والتطوع وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله قسم
العقل بين عباده اشتاتا وان الرجلين يستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلوتهما ولكنهما
يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب احد وروي عن وهب بن منبه انه قال اني اجد
في سبعين كتابا ان جميع ما اعطي الناس من بدو الدنيا الي انقطاعها من العقل في جنب
عقل رسول الله صلي الله عليه وسلم كهيئة رملة وقعت من بين جميع رمال الدنيا واختلف
الناس في ماهية العقل والكلام في ذلك يكثر ولا يوثر نقل الاقاويل وليس ذلك من غرضنا
فقال قوم العقل من العلوم فان الخالي من جميع العلوم لا يوصف بالعقل وليس العقل جميع

العلوم فان الخالي عن معظم العلوم يوصف بالعقل وقالوا ليس من العلوم النظرية فان
شرط ابتدا النظر تقدم كمال العقل فهو اذًا من العلوم الضرورية وليس هو جميعها فان صاحب
الخواطر المختلة عاقل وقد عدم بعض مدارك العلوم الضرورية وقال بعضهم ليس
العقل من اقسام العلوم لانه لو كان منها لوجب الحكم بان الذاهل عن الاستحالة والجواز
ان لا يتصف بكونه عاقلا ونحن نرى العاقل في كثير من اوقاته ذاهلا وقالوا على هذا
صفة يتهيأ بها درك العلوم ونقل عن الحرث المحاسبي وهو من اجلة المشايخ انه قال
العقل غريزة يتهيأ بها درك العلوم وعلى هذا يتقرر ما ذكرنا في اول ذكر العقل انه لسان
الروح لان الروح من امر الله وهي المتحملة للامانة التي ابين السموات والارضون ان يحملنها
ومنها يفيض نور العقل وفي نور العقل يتشكل العلوم فالعقل للعلوم بمثابة اللوح المكتوب
وهو بصفته منكوس متطلع الى النفس تارة ومنتصب مستقيم تارة فمن كان العقل فيه منكوسا
الى النفس فرقه في اجزا الكون وعدم حسن الاعتدال بذلك واخطأ طريق الاهتدا ومن
انتصب العقل فيه واستقام تأيد العقل بالبصيرة التي هي للروح بمثابة القلب واهتدى
الى المكون ثم عرف الكون بالمكون مستوفيا اقسام المعرفة بالمكون والكون فيكون
هذا العقل عقل الهداية فكلما احب الله اقباله في امر دله على الاقبال عليه وما كره
الله دله على استدباره فلا يزال يتبع محاب الله تعالى ويتجنب مساخطه وكلما استقام
العقل وتأيد بالبصيرة كانت دلالته على الرشد ونهيه عن الغي قال بعضهم العقل
على ضربين ضرب يبصر به امر دنياه وضرب يبصر به امر آخرته وذكر ان العقل الاول
من نور الروح والعقل الثاني من نور الهداية والعقل الاول موجود في عامة ولد آدم
والعقل الثاني موجود في الموحدين مفقود في المشركين وقيل انما سمي العقل عقلا لان
للجهل ظلمة فاذا غلب النور وبصره تلك الظلمة زالت الظلمة وابصر فصار عقالا للجهل
وقيل عقل الايمان مسكنه في القلب ومنهله في الصدر بين عيني الفؤاد والذي ذكرناه من

كون

186

كون العقل لسان الروح وهو عقل واحد ليس هو على ضربين ولكنه اذا انتصب واستقام
تأيد بالبصيرة واعتدل ووضع الاشيا مواضعها وهذا العقل هو العقل المستضي
بنور الشرع لان انتصابه واعتداله هداه الى الاستضاة بنور الشرع لان الشرع ورد على
النبي المرسل صلوات الله وسلامه عليه وذلك لقرب روحه من الحضرة الالهية ومكاشفة
بصيرته التي هي للروح بمثابة القلب بقدرة الله واياته واستقامة عقله بتأيد البصيرة
فالبصيرة تحيط بالعلوم التي يستوعبها العقل والتي يضيق عنها نطاق العقل لانها تستمد
من كلام الله التي تنفد البحر دون نفادها والعقل ترجمان تؤدي البصيرة اليه من ذلك
شطرا كما يؤدي القلب الى اللسان بعض ما فيه ويستاثر ببعضه دون اللسان ولهذا
المعنى من جمد على مجرد العقل من غير استضاة بنور الشرع حظي بعلوم الكاينات التي
هي من الملك والملك ظاهر الكاينات ومن استضا عقله بنور الشرع تأيد بالبصيرة
فاطلع على الملكوت والملكوت باطن الكاينات اختص بمكاشفة ارباب البصاير والعقول
دون الجامدين على مجرد العقول دون البصاير وقد قال بعضهم ان العقل عقل الهداية
مسكنه في القلب ومتعلقه في الصدر بين عيني الفؤاد والعقل الآخر مسكنه في الدماغ
ومتعلقه في الصدر بين عيني الفؤاد فالاول يدبر امر الآخرة وبالثاني امر الدنيا
والذي ذكرناه انه عقل واحد اذا تأيد بالبصيرة دبر الامرين واذا انفرد دبر امرا
واحدا وهو اوضح وابين وقد ذكرنا في اول الكتاب من تدبيره للنفس المطمينة والامارة
ما ينبسط الانسان به على كونه عقلا واحدا مؤيدا بالبصيرة تارة ومنفرد بوصفه تارة
والله بكرمه الملهم للصواب

الباب السابع والخمسون في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها

انا شيخنا ابو النجيب السهروردي قال انا ابو الفتح الهروي انا ابو
نصر الترياقي انا ابو محمد الجراحي انا ابو العباس المحبوبي انا ابو عيسى الترمذي قال نا
هناد قال نا ابو الاحوص عن عطا بن السايب عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان
فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك
فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرا الشيطان
يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا انما يتطلع الى معرفة اللمتين وتمييز الخواطر طالب مريد
يتشوق لذلك تشوق العطشان الى الما لما يعلم من موقع ذلك وخطره وصلاحه وفساده
ويكون ذلك عبد مراد بالحظوة بصفو اليقين ومنح الموقنين واكثر التشوق الى ذلك
للمقربين ومن اخذ به في طريقهم ومن اخذ في طريق الابرار قد يتشوق الى ذلك بعض التشوق
لان التشوق اليه يكون على قدر الهمة والطلب والارادة والحظ من الله الكريم ومن هو في
مقام عامة المومنين والمسلمين لا يتطلع الى معرفة اللمتين ولا يهتم بتمييز الخواطر ومن الخواطر
ما هي رسل الله تعالى الى العبد كما قال بعضهم لي قلب ان عصيته عصيت الله وهذا حال
عبد استقام قلبه واستقامة القلب لطمانينة النفس وفي طمانينة النفس ياس
الشيطان لان النفس كلما تحركت كدرت صفو القلب واذا انكدر القلب طمع الشيطان
وقرب منه لان صفا القلب محفوف بالذكر والرعاية والذكر نور يتقيه الشيطان كما يتقى
احدنا النار وقد ورد في الخبر ان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله تولى
وخنس واذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه وقد قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان
تذكروا فالتقوى وجود خالص الذكر وبها ينفتح بابه ولا يزال العبد يتقي حتى يحمي الجوارح
من المكاره ثم يحميها من الفضول وما لا يعنيه فتصير افعاله ضرورة ثم ينتقل
تقواه الى باطنه ويطهر الباطن ويتقيه من المكاره ثم من الفضول حتى يتقي حديث النفس
قال سهل بن عبد الله رحمه الله عليه اسوأ المعاصي حديث النفس ويرى الاصغا
الى ما يحدث به النفس ذنبا فيتقيه ويتقيد القلب عند هذا الاتقا بالذكر انقياد

الكواكب

الكواكب في كبد السما ويصير القلب سما محفوظا بزينة كواكب الذكر فاذا صار كذلك
بعد الشيطان ومثل هذا العبد يدري حقيقة الخواطر الشيطانية ولماته ويكون له
خواطر النفس ويحتاج الى ان يتفقها ويميزها بالعلم لان منها خواطر لا يبصر امضاها لمطالبة
النفس لحاجاتها وحاجاتها تنقسم الى الحقوق والحظوظ ويتعين التمييز عند ذلك وابدا
النفس مطالبات الحظوظ قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق بنبا فتبينوا
اي فتثبتوا وسبب نزول الاية الوليد بن عقبة حيث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى بني المصطلق فكذب عليهم ونسبهم الى الكفر والعصيان حتى هم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقتالهم ثم بعث خالدا اليهم فسمع اذان المغرب والعشا ورأى ما يدل على
كذب الوليد بن عقبة فانزل الله تعالى الاية في ذلك فظاهر الاية سبب نزولها ظاهر
وهو صار ذلك تنبيها من الله عباده على التثبت في الامور قال سهل في هذه الاية
الفاسق الكذاب والكذب صفة النفس لانها تملي اشيا وتسول اشيا على غير حقايقها
فتعين التثبت عند خاطرها والقايها فيعمل العبد خاطر النفس بما يوجب التثبت
ولا يستفزه الطبع ولا يستعجله الهوى وقد قال بعضهم ادنى الادب ان يقف عند
الجهل واخر الادب ان يقف عند الشبهة ومن الادب عند الاشتباه انزال الخواطر
لمحرك النفس وخالقها وبارئها وفاطرها واظهار الفقر والفاقة اليه والاعتراف بالجهل
وطلب المعرفة منه فانه اذا اتى بهذا الادب يغاث ويعان ويتبين له هل الخاطر
لطلب حظ او طلب حق فان كان للحق امضاه وان كان للحظ نفاه وهذا التوقف اذا لم يتبين
له الخاطر بظاهر العلم لانه لا افتقار الى باطن العلم عند فقد الدليل في ظاهر العلم ثم
من الناس من لا يسعه في صحته الا الوقوف على الحق دون الحظ وان امضى خاطر الحظ
يصير ذلك ذنب حاله يستغفر منه كما يستغفر من الذنوب ومن الناس من يدخل
في تناول الحظ ويمضي خاطره بمزيد علم لديه من عند الله وهو علم السعة لعبد ماذون

لم في السعة عالم بالاذن فيمنع خاطر الحظ والمراد بذلك على بصيرة من امره يحسن به ذلك ويليق به عالم بزيادته ونقصانه عالم بحاله محكم لعلم الحال وعلم القيام لا يقاس على حاله ولا يدخل فيه التقليد لانه امر خاص لعبد خاص واذا كان شان العبد تمييز خواطر النفس في مقام تخلصه من لمات الشيطان يكثر لديه خواطر الحق وخواطر الملك وتصير الخواطر الاربعة في حقه ثلثا ويسقط خاطر الشيطان الا نادرا لضيق مكانه من النفس لان الشيطان يدخل بطريق اتساع النفس واتساع النفس باتساع الهوى والاخلاد الى الارض ومن ضايق النفس على التمييز بين الحق والحظ ضاقت نفسه وسقط محل الشيطان الا نادرا الدخول الا ابتلا عليه ثم من المراد بمقام المقربين من اذا صار قلبه تمكن بزينة كواكب الذكر يصير قلبه سماويا فيرقى ويعرج باطنه ومعناه وحقيقته في طبقات السموات وكلما يرقى يتصاعد النفس المطمئنة وتبعد خواطرها حتى يجاوز السموات بعروج باطنه كما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بظاهره وقالبه فاذا استكمل العروج تقطع عنه خواطر النفس ليستنير بانوار القرب وبعد النفس عنه وعند ذلك تنقطع عنه خواطر الحق ايضا لان الخاطر رسول والرسالة الى من بعد وهذا قرب وهذا الذي وصفناه نازل يتراى به ولا يدوم بل يعود في هبوطه الى منازل مطالبات النفس وخواطرها فتعود اليه خواطر الحق وخواطر الملك وذلك ان الخواطر تستدعي وجودا وما اشرنا اليه حال الفنا فلا خاطر فيه وخاطر الحق انتفى لمكان القرب وخاطر النفس بعد لبعد النفس وخاطر الملك تخلف عنه كتخلف جبريل في ليلة المعراج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لو دنوت انملة لاحترقت قال محمد بن علي الترمذي المحدث والمكلم اذا تحققا في درجتهما لم يخافا من حديث النفس فكما ان النبوة محفوظة من القا الشيطان كذلك محل المكالمة والمحادثة محفوظ من القا النفس وفتنتها ومحروسة بالحق والسكينة لان السكينة تجاوب المكلم والمحدث مع نفسه وسمعت الشيخ ابا محمد بن عبد البصري

بالبصرة

بالبصرة يقول الخواطر اربعة خاطر من النفس وخاطر من الحق وخاطر من الشيطان وخاطر من الملك فاما الذي من النفس يحس به من ارض القلب والذي من الحق من فوق القلب والذي من الملك عن يمين القلب والذي من الشيطان عن يسار القلب والذي ذكره انما يصح لعبد اداب نفسه بالتقوى والزهد وتصفى وجوده واستقام ظاهره وباطنه فيكون قلبه كالمرآة المجلوة لا ياتيه الشيطان من ناحية الا ويبصره فاذا اسود القلب وعلاه الرين لا يبصر الشيطان روى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا نكت في قلبه نكتة سودا فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل وان عاد زيد فيه حتى يعلو قلبه قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون سمعت بعض العارفين يقول كلاما دقيقا كوشف به فقال الحديث في باطن الانسان والخيال الذي يراه لباطنه ويخيل بين القلب وصفا الذكر هو من القلب ليس هو من النفس وهذا خلاف ما تقرر فسالته عن ذلك فذكر ان بين النفس والقلب مناغات ومحادثات وتالف وتودد وكلما انطلقت النفس في شي تهواه من القول والفعل تاثر القلب بذلك وتكدر فاذا عاد العبد من مواطن مطالبات النفس واقبل على ذكره ومحل مناجاته وخدمته لله تعالى اقبل القلب بالمعاتبة مع النفس وذكر النفس شيئا شيئا من فعلها وقولها كاللائم للنفس والمعاتب لها على ذلك فاذا كان الخاطر اول الفعل ومفتتحه فمعرفته من اهم شان العبد لان الافعال من الخواطر تنشا حتى ذهب بعض العلما الى ان العلم المفروض طلبه بقول الرسول صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة هو علم الخواطر لانها اول الفعل وبفسادها فساد الفعل وهذا القول لا يتوجه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب ذلك على كل مسلم وليس كل المسلمين عندهم من القريحة والمعرفة ما يعرفون ذلك ولكن يعلم الطالب ان الخواطر بمثابة البذر فمنها ما هو بذر السعادة ومنها ما هو بذر الشقاوة وسبب اشتباه الخواطر اربعة اشيا لا خامس لها اما ضعف اليقين او قلة العلم بمعرفة صفات النفس

واخلاقها او متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى او محبة الدنيا جاهها ومالها وطلب
الرفعة والمنزلة عند الناس فمن عصم عن هذه الاربعة يفرق بين لمة الملك ولمة
الشيطان ومن ابتلي بها لا يعلمها ولا يتطلبها وانكشاف بعض الخواطر دون البعض
لوجود بعض هذه الاربعة دون البعض واقوم الناس بتمييز الخواطر اقومهم بمعرفة
النفس ومعرفة النفس صعبة المنال لا يكاد تتيسر الا بعد الاستقصاء في الزهد والتقوى
واتفق المشايخ على ان من كان اكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وقال
ابو علي الدقاق من كان قوته معلوما لا يفرق بين الالهام والوسوسة وهذا لا يصح
على الاطلاق لا بقيد وذلك ان من المعلوم ما يقيم الحق سبحانه وتعالى العبد
باذن يسبق اليه في الاخذ منه والتقوت ومثل هذا المعلوم لا يحجب عن تمييز الخواطر
انما ذلك يقال في حق من دخل في معلوم باختيار منه وايثار لانه يحجب لموضع اختياره
والذي اشرنا اليه منسلخ من ارادته فلا يحجبه المعلوم وفرقوا بين هواجس النفس
ووسوسة الشيطان وقالوا ان النفس تطالب وتلح فلا تزال كذلك حتى تصل الى مرادها
والشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب يوسوس باخرى اذ لا غرض له في تخصيص
بل مراده الاغواء كيف امكن وتكلم الشيوخ في الخاطرين اذا كانا من الحق ايهما يتبع
قال الجنيد الخاطر الاول لانه اذا بقي رجع صاحبه الى التامل وهذا شرط العلم وقال
ابن عطا الثاني اقوى لانه ازداد قوة بالاول وقال عبد الله بن خفيف هما سواء لانهما
من الحق فلا مزية لاحدهما على الاخر وقالوا الواردات اعم من الخواطر لان الخواطر تختص
بنوع خطاب او مطالبة والواردات تكون تارة خواطر وتارة تكون وارد سرور ووارد
حزن ووارد قبض ووارد بسط وقيل بنور التوحيد تقبل الخواطر من الله وبنور المعرفة
تقبل من الملك وبنور الايمان تنهى النفس وبنور الاسلام يرد على العدو ومن قصر عن درك
حقائق الزهد وتطلع الى تمييز الخواطر يزن الخاطر اولا بميزان الشرع فما كان من ذلك فضلا

اوفرضا

اوفرضا يمضيه وما كان من ذلك محرما او مكروها ينفيه فان استوى الخاطران في نظر
العلم ينفذ اقربهما الى مخالفة هوى النفس فان النفس قد يكون لها هوى كامن في احدهما
والغالب من شان النفس الاعوجاج والركون الى الدون وقد يلم الخاطر بنشاط النفس
والعبد يظن انه نهوض القلب وقد يكون من القلب بمفارقة سكونه الى النفس يقول بعضهم
منذ عشرين سنة ما سكن قلبي الى نفسي ساعة فيظهر من سكون القلب الى النفس خواطر
تشتبه بخواطر الحق على من يكون ضعيف العلم ولا يدرك نفاق القلب والخواطر المتولدة
منه الا العلماء الراسخون واكثر ما تدخل الافات على ارباب القلوب والاخذين من اليقين
واليقظة والحال بسهم من هذا القبيل وذلك لقلة العلم بالنفس والقلب وبقاء نصيب
الهوى فيهم وينبغي ان يعلم العبد قطعا انه ما بقي عليه اثر من الهوى وان دق فلا
يبقى عليه بحسبه بقية من اشتباه الخواطر ثم قد يغلط في تمييز الخواطر محروم قليل العلم
لا يؤاخذ بذلك ما لم يكن عليه من الشرع مطالبة وقد لا يسامح بذلك بعض الغالطين لما
كوشفوا به من دقيق الخفايا في التمييز ثم استعجالهم مع علمهم وقلة التثبت وذكر بعض العلماء
ان لمة الملك ولمة الشيطان وجدنا الحركة للنفس والروح وان النفس اذا تحركت انقدح
من جوهرها ظلمة تنكت في القلب همة سوء فينظر الشيطان الى القلب فيقبل بالاغواء والوسوسة
وذكر ان حركة النفس تكون اما هوى وهو عاجل حظ النفس او امنية وهي عن الجهل الغريزي
او دعوى حركة او سكون وهو آفة العقل وهو محنة للقلب ولا ترد هذه الثلثة الا
باحد ثلثة بجهل او غفلة او طلب فضول ثم يكون من هذه الثلثة ما يجب نفيه فانها ترد بخلاف
مامور او على وفق منهي ومنها ما يكون نفيها فضيلة اذا وردت بمباحات وذكر ان
الروح اذا تحركت انقدح من جوهرها نور ساطع يظهر من ذلك النور في القلب همة عالية
باحد معاني ثلثة اما بفرض امر به او بفضل ندب اليه واما بمباح يعود صلاحه اليه
وهذا الكلام يدل على ان حركة الروح والنفس هما الموجبتان للمتين وعندي والله اعلم

ان اللمتين تتقدمان على حركة الروح والنفس فحركة الروح من لمة الملك والهمة العالية
من حركة الروح وهذه الحركة من الروح ببركة لمة الملك وحركة النفس من لمة الشيطان
ومن حركة النفس الهمة الدنية وهي من شؤم لمة الشيطان فاذا وردت اللمتان ظهرت
الحركتان وظهر سر العطاء والابتلاء من معطي كريم ومبلي حكيم وقد تكون هاتان اللمتان
متداركتين ويمحى اثر احديهما بالاخرى والمتنطق المستيقظ ينفتح عليه مطالعة وجود
هذه الاثار في ذاته باب انس ويبقى ابدا متفقدا احواله مطالعا اثار اللمات وذكر
خاطر خامس وهو خاطر العقل متوسط بين الخواطر الاربعة يكون مع النفس والعدو
لوجود التمييز وهو خاطر العقل واثبات الحجة على العبد ليدخل العبد في الشيء بوجود
عقل اذ لو فقد العقل سقط العقاب والعتاب وقد يكون مع الملك والروح ليوقع الفعل
مختارا ويستوجب به الثواب وذكر خاطر سادس وهو خاطر اليقين وهو روح الايمان
ومزيد العلم ولا يبعد ان يقال الخاطر السادس وهو خاطر اليقين حاصله راجع الى ما يرد
من خاطر الحق وخاطر العقل اصله تارة من خاطر الملك وتارة من خاطر النفس وليس من
العقل خاطر على الاستقلال لان العقل كما ذكرنا غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم يتهيأ بها
الانجذاب الى دواعي النفس تارة والى دواعي الروح تارة والى دواعي الملك تارة والى
دواعي الشيطان تارة فعلى هذا لا تزيد الخواطر على الاربعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يذكر غير اللمتين وهاتان اللمتان هما الاصل والخاطران الاخران فرع عليهما لان لمة
الملك اذا حركت الروح واهتز الروح بالهمة العالية قرب باهتزازها بالهمة الصالحة الى
خواطر القرب فورد عليه عند ذلك خواطر من الحق واذا تحقق بالقرب تحقق بالفناء فيثبت
للخواطر الربانية عند ذلك كما ذكرنا من قبل لموضع قربه فيكون اصل خواطر الحق لمة الملك
ولمة الشيطان اذا حركت النفس هوت بجبلتها الى مركزها من الغريزة والطبع فظهر من
حركتها خواطر ملائمة لغريزتها وطبيعتها وهواها فصارت خواطر النفس نتيجة لمة الشيطان

فاصلها

فاصلها اللمتان ينتجان اخريين وخاطر اليقين والعقل مندرج فيهما والله اعلم

الباب الثامن والخمسون في شرح الحال والمقام والفرق بينهما

كثر الاشتباه
بين الحال والمقام واختلفت اشارات الشيوخ في ذلك ووجود الاشتباه لمكان
تشابههما في نفسهما وتداخلهما فتراءى لبعض الشيء حالا وتراءى للبعض مقاما وكلا الرؤيتين
صحيح لوجود تداخلهما ولا بد من ذكر ضابط يفرق بينهما على ان اللفظ والعبارة
عنهما مشعر بالفرق فالحال سمي حالا لتحوله والمقام مقاما لثبوته واستقراره
وقد يكون الشيء بعينه حالا ثم يصير مقاما مثل ان ينبعث من باطن العبد داعية
المحاسبة ثم تزول الداعية بغلبة صفات النفس ثم تعود ثم تزول فلا يزال
للعبد حال المحاسبة يتعاهده الحال حتى يحول الحال بظهور صفات النفس الى
ان يتداركه المعونة من الله الكريم ويغلب حال المحاسبة فتنقهر النفس وتنضبط
ويتملكها المحاسبة فتصير المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه ويصير في مقام
المحاسبة بعد ان كان له حال المحاسبة ثم ينازله حال المراقبة فمن كانت المحاسبة
مقامه يصير له من المراقبة حال ثم تحول حال المراقبة لتناوب السهو والغفلة في
باطن العبد الى ان ينقشع ضباب السهو والغفلة ويتدارك الله عبده بالمعونة فتصير
المراقبة مقاما بعد ان كانت حالا ولا يستقر مقام المحاسبة قراره الا بنازل حال
المراقبة ولا يستقر مقام المراقبة قراره الا بنازل حال المشاهدة فاذا منح العبد
نازل حال المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه ونازل المشاهدة ايضا
يكون حالا يحول بالاستتار ويظهر بالتجلي ثم يصير مقاما ويتخلص شمسه عن
كسوف الاستتار ثم في مقام المشاهدة احوال وزيادات وترقيات من حال الى
حال اعلى منه كالتحقق بالفناء والتخلص الى البقاء والترقي من عين اليقين الى حق اليقين
وحق اليقين نازل يخرق شغاف القلب وذلك اعلى فروع المشاهدة وقد قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي قال سهل بن عبد الله رحمه الله
للقلب تجويفان احدهما باطن وفيه السمع والبصر وهو قلب القلب وسويداه والتجويف
الثاني ظاهر القلب وفيه العقل ومثل العقل في القلب مثل النظر في العين وهو صقال
لموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذي هو في سواد العين ومنه تنبعث الاشعة
المحيطة بالمرئيات فهكذا ينبعث من نظر العقل اشعة العلوم المحيطة بالمعلومات
وهذه الحالة التي خرقت شغاف القلب ووصلت الى سويداه وهو حق اليقين
هي اسنا العطايا واعز الاحوال واشرفها ونسبة هذه الحالة من المشاهدة كنسبة
الآجر من التراب اذ يكون ترابا ثم طينا ثم لبنا ثم آجرا فالمشاهدة هي الاولى والاصل
يكون منها البقا كالطين ثم اللقا كاللبن ثم هذه الحالة وهي اخر الفروع ولما كان الاصل
في الاحوال هذه الحالة وهي اشرف الاحوال وهي محض موهبة لا تكتسب سميت كل المواهب
من النوازل بالعبد احوالا لانها غير مقدورة للعبد بكسبه فاطلقوا القول وتداولت
السنة الشيوخ ان المقامات مكاسب والاحوال مواهب وعلى الترتيب الذي ذكرناه
كلها مواهب اذ المكاسب محفوفة بالموهبة والمواهب محفوفة بالكسب فالاحوال مواجيد
والمقامات طرق المواجيد ولكن في المقامات ظهر الكسب وبطنت الموهبة وفي الاحوال
بطن الكسب وظهرت الموهبة فالاحوال مواهب علوية سماوية والمقامات طرقها
وقول امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه سلوني عن طرق السما فاني اعرف
بها من طرق الارض اشار الى المقامات والاحوال فطرق السما التوبة والزهد
وغير ذلك من المقامات فان السالك لهذه الطرق يصير قلبه سماويا فهي طرق
السموات ومستنزل البركات وهي الاحوال لا يتحقق بها الا ذو قلب سماوي قال
بعضهم الحال هو الذكر الخفي وهذا اشارة الى شي مما ذكرناه وسمعت المشايخ بالعراق
يقولون الحال ما من الله فكل ما كان من طريق الاكتساب والاعمال يقولون هذا اما من

العبد

العبد فاذا لاح للمريد شي من المواهب والمواجيد قالوا هذا اما من الله وسموه حالا اشارة
منهم الى ان الحال موهبة وقال بعض مشايخ خراسان الاحوال مواريث الاعمال
وقال بعضهم الاحوال كالبروق فان بقي فحديث النفس وهذا لا يكاد يستقيم على الاطلاق
وانما يكون ذلك في بعض الاحوال فانها تطرق ثم تسلبها النفس فاما على الاطلاق فالاحوال
لا تمتزج بالنفس كالدهن لا يمتزج بالما وذهب بعضهم الى ان الاحوال لا تكون الا اذا دامت
فاذا لم تدم فهي لوايح وطوالع وبوادر وهي مقدمات الاحوال وليست باحوال واختلف
المشايخ في ان العبد هل يجوز له ان ينتقل الى مقام غير مقامه الذي هو فيه قبل احكام
حكم مقامه قال بعضهم لا ينبغي ان ينتقل الى غير الذي هو فيه دون ان يحكم حكم مقامه
وقال بعضهم لا يحكم له المقام الذي هو فيه الا بعد ترقيه الى مقام فوقه فينظر من
مقامه العالي الى ما دونه من المقام فيحكم امر مقامه والاولى ان يقال والله اعلم
الشخص في مقامه يعطى حالا من مقامه الاعلى الذي سوف يرتقي اليه فبوجدان ذلك
الحال يستقيم امر مقامه الذي هو فيه ويتصرف الحق فيه كذلك ولا ينصاف الشي الى
العبد انه يرتقي او لا يرتقي فان العبد بالاحوال يرتقي الى المقامات والاحوال مواهب
يرتقي الى المقامات التي تمتزج فيها الكسب بالموهبة ولا يلوح للعبد حال من مقام اعلى مما
هو فيه الا وقد قرب ترقيه الى ذلك فلا يزال العبد يرتقي الى المقامات بزايد الاحوال
فعلى ما ذكرناه يتضح تداخل المقامات والاحوال حتى التوبة ولا يعرف مقاما الا فيه حال
ومقام وفي الزهد حال ومقام وفي التوكل حال ومقام وفي الرضا حال ومقام قال ابو
عثمن الحيري منذ اربعين سنة ما اقامني الله في حال فكرهته اشارة الى الرضا ويكون
منه حالا ثم يصير مقاما ولو المحبة حال ومقام ولا يزال العبد يتوب بطروق حال
التوبة حتى يتوب وطروق حال التوبة بالانزجار اولا قال بعضهم الزجر هيجان في
القلب لا يسكنه الا الانتباه من الغفلة فيرده الى اليقظة فاذا تيقظ ابصر الصواب من

الخطا وقال بعضهم الزجر ضيا في القلب يبصر به خطا قصده والزجر في مقدمة
التوبة على ثلثة اوجه زجر من طريق العلم وزجر من طريق العقل وزجر من طريق الايمان
فمنازل التايب حال الزجر وهي موهبة من الله تقوده الى التوبة ولا يزال بالعبد ظهور
هوى النفس يمحو آثار حال التوبة والزجر حتى تستقر التوبة وتصير مقاما وهكذا في
الزهد ينازله ابرية لذة ترك الاشتغال بالدنيا ويفتح له الاقبال عليها ثم يمحوا اثر حاله حال الزهد
بدلالة شره النفس وحرصها على الدنيا ورؤية العاجلة حتى تتداركه المعونة من
الله الكريم فيزهد ويستقر زهده ويصير الزهد مقامه ولا يزال نازل حال التوكل
يقرع بابه قلبه حتى يتوكل وهكذا حال الرضى حتى يطمين على الرضى ويصير ذلك مقامه
وهاهنا لطيفة وذلك ان مقام الرضى والتوكل يثبت ويحكم ببقايه مع وجودها
داعية الطبع ولا تحكم ببقا حال الرضا مع وجود داعية الطبع وذلك مثل كراهية
يجدها الراضي بحكم الطبع ولكن علمه بمقام الرضا يغمر حكم الطبع وظهور حكم الطبع في
وجود الكراهة المغمورة بالعلم لا يخرجه عن مقام الرضا ولكن يفقد حال الرضا لان
الحال لما تجردت موهبة لم تقف داعية الطبع فيقال كيف يكون صاحب مقام في الرضا ولا
يكون صاحب حال فيه والحال مقدمة للمقام والمقام اثبت نقول لان المقام لما كان مشوبا
بكسب العبد احتمل وجود الطبع فيه والحال لما كان موهبة من الله تنزهت عن مزج
الطبع فحال الرضا الطف ومقام الرضا امكن ولا بد للمقامات من زايد الاحوال فلا
مقام الا بعد سابقة حال ولا تنفرد للمقامات دون سابقة الاحوال واما الاحوال فمنها
ما يصير مقاما ومنها ما لا يصير مقاما والسر فيه ما ذكرناه ان الكسب في المقام ظهر
والموهبة بطنت في الحال وفي الحال ظهرت الموهبة والكسب بطن فلما كان في الاحوال
الموهبة غالبة لم تتقيد وصارت الاحوال التي لا نهاية لها ولطفت سني الاحوال ان تصير
مقاما ومقدورات الحق غير متناهية ومواهبه غير متناهية ولهذا قال بعضهم لو اعطيت

روحانية

روحانية عيسى ومكالمة موسى وخلة ابرهيم لطلب ما وراء ذلك لان مواهب الحق لا تنحصر
وهذه احوال الانبيا ولا تعطى الاوليا ولكن هذه اشارة من القايل الى دوام تطلع العبد
وتطلبه وعدم قناعته بما هو فيه من الحق سبحانه لان سيد الرسل صلوات الله عليه
وسلامه نبه على عدم القناعة وقرع باب الطلب واستنزال بركة المزيد لقوله عليه
الصلوة والسلام كل يوم لم ازدد فيه علما يقربني الى الله فلا بورك لي في صبيحة ذلك اليوم
وفي دعايه عليه الصلوة والسلام اللهم ما قصر عنه رايي وضعف فيه عملي ولم تبلغه
نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب
اليك فيه واسالكه يعني حتى تعلم ان مواهب الحق لا تنحصر والاحوال مواهب وهي متصلة بكلمات
الله تعالى التي تنفد البحر دون نفادها وتنفد اعداد الرمل دون اعدادها والله المنعم
المعطي

الباب التاسع والخمسون في الاشارة الى المقامات على الاختصار والايجاز

اخبرنا شيخنا ابو النجيب السهروردي قال انا ابو منصور بن خيرون اجازة
قال انا ابو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري اجازة قال انا ابو عمرو محمد بن محمد انا ابو محمد
يحيى بن صاعد انا الحسين بن الحسن المروزي قال انا عبد الله بن المبارك انا الهيثم بن جميل
انا كثير بن سليم المدايني قال سمعت انس بن مالك رضي الله عنه قال اتى النبي صلى الله عليه
وسلم رجل فقال يا رسول الله اني رجل ذرب اللسان واكثر ذلك على اهلي فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاين انت من الاستغفار فاني لاستغفر الله في اليوم والليلة
مائة مرة وروى ابو هريرة في حديث اخر فاني استغفر الله واتوب اليه في كل يوم مائة
مرة وروى ابو بردة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي
فاستغفر الله في اليوم مائة مرة وقال الله تعالى ان الله يحب التوابين وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا التوبة اصل كل مقام وقوام كل مقام ومفتاح كل حال
وهي اول المقامات وهي بمثابة الارض للبنا فمن لا ارض له لا بنا له ومن لا توبة له لا

العبلي

قال الله وتوبوا الى الله جميعا ايه المومنون لعلكم تفلحون

حاله ولا مقام واني مبلغ علمي وقدر وسعي وجهدي اعتبرت المقامات والاحوال
وثمراتها فرايتها تجمعها ثلاثة اشيا بعد صحة الايمان وعقوده وشروطه
فصارت مع الايمان اربعة ثم رايتها في افادة الولادة المعنوية الحقيقية بمثابة
الطبايع الاربع التي جعلها الله تعالي باجرا سنته مفيدة للولادة الطبعيه
ومن تحقق تحققا بهذه الاربع يلج ملكوت السموات ويكاشف بالقدر والايات ويصير
له ذوقا وفهما لكلمات الله المنزلات ويحظي بجميع الاحوال والمقامات فكلها
من هذه الاربعة ظهرت وبها تهيات وتاكدت احد الثلث بعد الايمان التوبة
النصوح والثاني الزهد في الدنيا والثالث تحقق مقام العبودية بدوام العمل لله
ظاهرا وباطنا واما باطنا من الاعمال القلبية والقالبية من غير فتور وقصور ثم
يستعان علي تمام هذه الاربعة باربعة اخري بها تمامها وقوامها وهي قلة الكلام
وقلة المنام وقلة الطعام والاعتزال عن الناس واتفق المشايخ والعلما الزهاد
علي ان هذه الاربعة بها تستقر المقامات وتستقيم الاحوال وبها صار الابدال
ابدالا ابتنا بالله وحسن توفيقه وتبين بالبيان الواضح ان ساير المقامات تندرج
في صحة هذه ومن ظفر بها فقد ظفر بالمقامات كلها اولها بعد الايمان التوبة وهي
في مبدا صحتها تفتقر الي احوال واذا صحت تشتمل علي مقامات واحوال ولا بد في
ابتدايها من وجود زاجر ووجدان الزاجر حال لانه موهبة من الله تعالي
علي ما تقرر ان الاحوال مواهب وحال الزجر مفتاح التوبة ومبداها قال
رجل لبشر الحافي مالي اراك مهموما قال لاني ضال ومطلوب ضللت الطريق والمقصد
وانا مطلوب به ولو تبينت كيف الطريق الي المقصد لطلبت ولكن سنة الغفلة
ادركتني وليس منها خلاص الا ان ازجر فانزجر قال الاصمعي رايت اعرابيا بالبصرة
يشتكي عينه وهي تسيل منها الما فقلت الا تمسح عينيك فقال لا ان الطبيب زجرني

ولا خير فيمن لا ينزجر فالزاجر في الباطن حال يهبها الله تعالي ولا بد من وجودها
للتايب ثم بعد الانزجار يجد العبد حال الانتباه قال بعضهم من لزم مطالعة
الطوارق انتبه وقال ابو يزيد رحمه الله عليه الانتباه خمس اذا ذكر نفسه
افتقر واذا ذكر ربه استغفر واذا ذكر الدنيا اعتبر واذا ذكر الاخرة استبشر
واذا ذكر المولي افتخر وقال بعضهم الانتباه اوايل دلالات الخير اذا انتبه العبد
من رقدة غفلته اداه ذلك الانتباه الي التيقظ فاذا تيقظ الزمه تيقظه الطلب
لطريق الرشد فيطلب واذا طلب عرف انه علي غير سبيل الحق فيطلب الحق ويرجع الي
باب توبته ثم يعطي بانتباهه حال التيقظ قال فارس اول الاحوال التيقظ
والاعتبار وقيل التيقظ تبيان خطا المسلك بعد مشاهدة سبيل النجاة وقيل
اذا صحت اليقظة كان صاحبها في اوايل طريق التوبة وقيل اليقظة حردة من جهة
المولي لقلوب الخايفين تدلهم علي طلب التوبة فاذا تم يقظته نقل بذلك الي
مقام التوبة فهذه احوال ثلثة تتقدم التوبة ثم التوبة في استقامتها تحتاج
الي المحاسبة ولا تستقيم التوبة الا بالمحاسبة نقل عن امير المومنين عمر رضي
الله عنه انه قال حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتزينوا
للعرض الاكبر علي الله يوميذ تعرضون لا تخفي منكم خافية فالمحاسبة تحفظ الانفاس
وضبط الحواس ورعاية الاوقات وايثار المهمات ويعلم العبد ان الله تعالي
اوجب عليه هذه الصلوات الخمس في اليوم والليلة رحمة منه سبحانه وتعالي
لعلمه بعبده واستيلا الغفلة عليه كيلا يستبعده الهوي وتسترقه الدنيا
فالصلوات الخمس سلسلة تجذب النفوس الي مواطن العبودية لاداء حق الربوبية
ويراقب العبد نفسه بحسن المحاسبة من كل صلوة الي صلوة اخري ويسد
مداخل الشيطان بحسن المحاسبة والرعاية ولا يدخل في الصلوة الا بعد حل

عقد القلب بحسن التوبة والاستغفار لان كل كلمة وحركة على خلاف الشرع
تنكت في القلب نكتة سودا وتنعقد عليه عقده والمفتقد المحاسب يهيء
الباطن للصلوة ويضبط الجوارح ويحقق مقام المحاسبة فيكون عند ذلك
لصلوته نور يشرق على اجزا وقته الى الصلوة الاخرى فلان الصلوته منورة
تامة بنور وقته ووقته منورا معمورا بنور صلوته وكان بعض المحاسبين
يكتب الصلوة في قرطاس ويدع بين كل صلوتين بياضا وكلما ارتكب خطية من
كلمة غيبة او امر اخر خط خطا وكلما تكلم او تحرك فيما لا يعنيه نقط نقطة
ليعتبر ذنوبه وحركاته فيما لا يعنيه ليضيق بالمحاسبة مجاري الشيطان
والنفس الامارة بالسو لموضع صدقه في حسن الافتقاد وحرصه على تحقيق مقام
العبادة وهذا مقام المحاسبة والرعاية يقع من ضرورة صحة التوبة قال
الجنيد رحمه الله من حسنت رعايته دامت ولايته وقيل الواسطي اي الاعمال
افضل قال مراعاة السر والمحاسبة في الظاهر والمراقبة في الباطن ويكمل احدهما
بالاخر وبهما تستقيم التوبة والمراقبة والرعاية حالان شريفان ويصيران
مقامين شريفين يصحان بصحة مقام التوبة وتستقيم التوبة على الكمال بهما
فصارت المحاسبة والمراقبة والرعاية من ضرورة مقام التوبة اخبرنا
ابو زرعة اجازة عن بن خلف عن ابي بكر الشيرازي قال سمعت ابا عبد الرحمن السلمي
يقول سمعت الحسن الفارسي يقول سمعت الجريري يقول امرنا هذا مبني على
فصلين وهو ان تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ويكون العلم على ظاهرك قايما
وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر لملاحظة الحق في كل لحظة ولفظة
قال الله تعالى افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وهذا هو علم القيام وبذلك
يتم علم الحال ومعرفة الزيادة والنقصان وهو ان يعلم معيار حاله فيما بينه

وبين

194 وبين الله وكل هذا ملازم لصحة التوبة وصحة التوبة ملازم لها لان الخواطر
مقدمات العزايم والعزايم مقدمات الافعال لان الخواطر تحقق ارادة
القلب والقلب امير الجوارح ولا يتحرك الا بحركة القلب بالارادة والمراقبة حسم
موارد الخواطر الردية فصار من تمام المراقبة تمام التوبة لان من حصر الخواطر
كفي مونة الجوارح لان المراقبة استيصال عروق ارادة المكاره من القلب والمحاسبة
استدراك ما انفلت من المراقبة اخبرنا ابو زرعة عن بن خلف عن السلمي
قال سمعت ابا عثمن المغربي يقول افضل ما يلزم الانسان في هذا الطريق المحاسبة
والمراقبة وسياسة العمل بالعلم واذا صحت التوبة صحت الانابة قال ابرهيم
بن ادهم اذا صدق العبد في توبته صار منيبا لان الانابة ثاني درجة التوبة
وقال ابو سعيد القرشي المنيب الراجع عن كل شي يشغله عن الله تعالى الى الله
وقال بعضهم الانابة الرجوع منه اليه لا من شي غيره فمن رجع من غيره اليه ضيع احد
طرفي الانابة والمنيب على الحقيقة من لم يكن له مرجع سواه فيرجع اليه من رجوعه ثم
يرجع من رجوع رجوعه فيبقى شبحا لا وصف له قايما بين يدي الحق مستغرقا في عين
الجمع ومخالفة النفس ورؤية عيوب الافعال والمجاهدة تحقق تحقيق الرعاية
والمراقبة قال ابو سليمن ما استحسنت من نفسي عملا فاحتسبته وقال ابو
عبد الله السجزي من استحسن شيا من احواله في حال ارادته فسدت عليه ارادته
الا ان يرجع الى البداية فيروض نفسه ثانيا ومن لم يزن نفسه بميزان الصدق
فيما له وعليه لا يبلغ مبالغ الرجال ورؤية عيوب الافعال من ضرورة صحة الانابة
وهو في تحقيق مقام التوبة ولا تستقيم التوبة الا بصدق المجاهدة ولا يصدق
العبد في المجاهدة الا بوجود الصبر روى فضالة بن عبيد قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول المجاهد من جاهد نفسه ولا يتم ذلك الا بالصبر وافضل

الصبر الصبر على الله تعالى بعكوف الهم عليه وصدق المراقبة له بالقلب وحسم موارد
للخواطر والصبر ينقسم الى فرض وفضل فالفرض الصبر على اداء المفترضات والصبر
عن المحرمات ومن الصبر الذي هو فضل الصبر على الفقر والصبر عند الصدمة
الاولى وكتمان المصايب والاوجاع وترك الشكوى والصبر على اخفاء الفقر والصبر
على كتم المنح والكرامات ورؤية القدرة والايات ووجوه الصبر فرضا وفضلا
كثيرة وكثير من الناس يقوم بهذه الاقسام من الصبر ويضيق عن الصبر على
الله بلزوم صحة المراقبة والرعاية ونفي الخواطر فاذا حقيقة الصبر كاين في
التوبة لكينونة المراقبة في التوبة والصبر من اعز مقامات الموقنين وهو داخل
في حقيقة التوبة قال بعض العلماء اي شي افضل من الصبر وقد ذكره الله
تعالى في كلامه في نيف وتسعين موضعا وما ذكر شيا بهذا العدد وصحة
التوبة يحتوي على مقام الصبر مع شرفه ومن الصبر الصبر على النعمة وهو ان
لا يصرفها في معصية الله تعالى وهذا ايضا داخل في صحة التوبة وكان
سهل يقول الصبر على العافية اشد من الصبر على البلا وروي عن بعض الصحابة
بلينا بالضرا فصبرنا وبلينا بالسرا فلم نصبر ومن الصبر رعاية الاقتصاد في الرضا
والغضب والصبر عن محمدة الناس والصبر على الخمول والتواضع والذلة داخل
في الزهد وان لم يكن داخلا في التوبة وكل ما فات عن مقام التوبة من المقامات
السنية والاحوال يوجد في الزهد وهو ثالث الاربعة التي ذكرنا وحقيقة
الصبر تظهر من طمانينة النفس وطمانينتها من تزكيتها وتزكيتها بالتوبة فالنفس
اذا تزكت بالتوبة النصوح ذهبت عنها الشراسة الطبيعية وقلة الصبر وجود
شراسة النفس واباؤها واستعصاؤها والتوبة النصوح تلين النفس وتخرجها
من طبيعتها وشراستها الى اللين لان النفس بالمحاسبة والمراقبة تصفو

ونطفي

وتنطفي نيرانها المتاججة بمتابعة الهوى وتبلغ بطمانينتها محل الرضى ومقامه
وتطمين في مجاري الاقدار قال ابو عبد الله النباجي رحمه الله عباد يتحيون
من الصبر يتلقون مواقع اقداره بالرضا تلقيا وكان عمر بن عبد العزيز يقول
اصبحت ومالي سرور الا مواقع القضا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابن عباس حين وصاه اعمل لله باليقين في الرضا فان لم يكن فان في الصبر خيرا
كثيرا وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيرها ما يعطى الرجل الرضا
بما قسم الله تعالى له والاخبار والاثار والحكايات في فضيلة الرضا وشرفه
اكثر من ان تحصى والرضا ثمرة التوبة النصوح وما تخلف عبد عن الرضا الا
لتخلفه عن التوبة النصوح لان خوفه حمله على التوبة ولولا خوفه لما تاب فاذا
تجمع التوبة النصوح حال الصبر ومقام الصبر وحال الرضا ومقام الرضا والخوف
والرجا مقامان من مقامات اهل اليقين وهما كاينان في صلب التوبة النصوح
لان خوفه حمله على التوبة ولولا خوفه ما تاب ولولا رجاوه ما خاف الرجا
فالرجا والخوف متلازمان في قلب المومن ويعتدل الخوف والرجا للتايب
المستقيم في التوبة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في سياق
الموت فقال كيف تجدك قال اجدني اخاف ذنوبي وارجوا رحمة ربي فقال
ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجا وامنه مما يخاف
وجا في تفسير قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هو العبد يذنب الكباير
ثم يقول قد هلكت لا ينفعني عمل فالتايب خاف فتاب ورجا المغفرة ولا يكون
التايب تايبا الا وهو راج خايف ثم ان التايب حيث قيد الجوارح عن المكاره واستعمل
نعم الله على طاعة الله فقد شكر المنعم لان كل جارحة من الجوارح نعمة وشكرها
قيدها عن المعصية واستعمالها في الطاعة واي شاكر للنعمة اكثر من التايب

المستقيم فاذا جمع مقام التوبة هذه المقامات كلها فجمع مقام التوبة حال
الزجر وحال الانتباه وحال التيقظ ومخالفة النفس والتقوى والمجاهدة
ورؤية عيوب الافعال والانابة والصبر والرضا والمحاسبة والمراقبة والرغبة
والشكر والخوف والرجا واذا صحت التوبة النصوح وتزكت النفس انجلا مرآة
القلب وبان قبح الدنيا فيها فيحصل الزهد والزاهد يتحقق فيه التوكل لانه لا يزهد
في الموجود الا لاعتماده على الموعود والسكون الى وعد الله تعالى وهو عين التوكل
وكلما بقي على العبد من بقية في تحقق المقامات كلها بعد توبته تستدرك بزهده
في الدنيا وهو ثالث الاربعة اخبرنا شيخنا قال انا ابو منصور محمد بن عبد
الملك بن خيرون انا ابو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة انا ابو عمر محمد بن
العباس قال نا ابو محمد يحيى بن صاعد قال نا الحسين بن الحسن المروزي
نا عبد الله بن المبارك نا الهيثم بن جميل نا محمد بن سليم عن عبد الله بن بريدة
قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فبدأ بفاطمة رضي الله عنها فراها
قد احدثت في البيت سترا وذوابل في يديها فلما راى ذلك رجع ولم يدخل ثم وزوايد
جلس فجعل ينكت في الارض ويقول ما لي وللدنيا ما لي وللدنيا فرات فاطمة انه انما
رجع من اجل ذلك الستر والذوابل فاخذت الستر والذوابل فارسلت بهما مع بلال والزوايد
وقالت له اذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم وقل له قد تصدقت به فضعه حيث
شيت فاتى به بلال الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قالت فاطمة قد تصدقت
به فضعه حيث شيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت بابي وامي اذهب
فبعه وقيل في قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن
عملا قيل ازهد في الدنيا سيل امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن
الزهد فقال هو ان لا تبالي من اكل الدنيا مومن او كافر وسيل الشبلي عن الزهد فقال

ويلكم

196

ويلكم اي مقدار لجناح بعوضة ان تزهد فيها وقال ابو بكر الواسطي الى متى تصول
بترك كنيف والى متى تصول باعراضك عما لا يزن عند الله جناح بعوضة فاذا صح زهد
العبد صح توكله ايضا لان صدق توكله مكنه من زهده في الموجود فمن استقام في
التوبة وزهد في الدنيا وحقق هذين المقامين استوفى سائر المقامات وتمكن
فيها وتحقق بها وترتيب التوبة مع المراقبة وارتباط احدهما بالاخر ان يتوب العبد
ثم يستقيم في التوبة حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شي ثم يرتقي من تطهير الجوارح عن
المعاصي الى تطهير الجوارح عما لا يعني فلا يسمح بكلمة فضول ولا حركة فضول ثم ينتقل
الى الرعاية والمحاسبة من الظاهر الى الباطن ويتولى المراقبة على الباطن وهو
التحقق بعلم القيام لمحو خواطر المعصية عن باطنه ثم خواطر الفضول فاذا تمكن
من رعاية الخطرات عصم عن مخالفة الاركان والجوارح وتستقيم توبته قال الله
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فاستقم كما امرت ومن تاب معك امر الله تعالى بالاستقامة
في التوبة امرا له ولاتباعه ولامته وقيل لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب
الشمال شيا عشرين سنة ولا يلزم من هذا وجود العصمة ولكن الصادق التايب
اذا ابتلي بذنب نادر يمحي اثر الذنب عن باطنه في الطف ساعة لوجود الندم في باطنه
على ذلك والندم توبة فلا يكتب عليه صاحب الشمال شيا واذا تاب توبة نصوحا ثم
زهد في الدنيا حتى لا يهتم في غدائه لعشائه ولا في عشائه لغدائه ولا يرى الادخار
ولا يكون له تعلق هم لغد فقد جمع في هذا الزهد والفقر والزهد افضل من الفقر فهو
فقر وزيادة لان الفقير عادم للشي اضطرارا والزاهد تارك للشي اختيارا وزهده يحقق
توكله وتوكله يحقق رضاه ورضاه يحقق الصبر وصبره يحقق حبس النفس وصدق
المجاهدة وحبس النفس يتحقق خوفه وخوفه يحقق رجاه ويحظى بالتوبة والزهد
بكل المقامات والزهد والتوبة اذا اجتمعا مع صحة الايمان وعقوده وشروطه بعون

هذه الثلثه رابع به تمامها وهو دوام العمل لله لان الاحوال السنية ينكشف بعضها
بهذه الثلثه ويستتر بعضها متوقفة على وجود الرابع وهو دوام العمل وكثير من
الزهاد المتحققين بالزهد المستقيمين في التوبة تخلفوا عن كثير من سني الاحوال لتخلفهم
عن هذا الرابع ولا يزداد الزهد في الدنيا الا لكمال الفراغ المستعان به على ادامة العمل
لله والعمل لله ان يكون العبد لا يزال ذاكرا او تاليا او مصليا او مراقبا لا يشغله عن
هذه الا واجب شرعي او مهم لا بد منه طبعي واذا استولى العمل القلبي على القلب مع الشغل
الذي اداه اليه حكم الشرع لا يفتر باطنه عن العمل فاذا كان مع العمل والتقوى متمسكا بدوام
العمل فقد اكمل الفضل وما الا جهدا في العبودية قال ابو بكر الوراق من خرج من قالب
العبودية صنع به ما يصنع بالآبق وسئل سهل بن عبد الله التستري اي منزلة اذا قام
العبد بها قام مقام العبودية قال اذا ترك التدبير والاختيار فاذا تحقق العبد بالتوبة
والزهد ودوام العمل لله يشغله وقته الحاضر عن وقته الآتي ويصل الى مقام التدبير
والاختيار ثم يصل الى ان يملك الاختيار فيكون اختياره من اختيار الله لزوال هواه ووفور
علمه وانقطاع مادة الجهل عن باطنه قال يحيى بن معاذ الرازي ما دام العبد يتعرف
يقال له لا تختر ولا تكن مع اختيارك حتى تعرف فاذا عرف وصار عارفا يقال له ان
شئت اختر وان شئت لا تختر لانك ان اخترت باختيارنا اخترت وان تركت الاختيار
فباختيارنا تركت الاختيار فانك بنا في الاختيار وترك الاختيار والعبد لا يتحقق بهذا
المقام العالي والحال العزيز الذي هو الغاية والنهاية وهو ان يملك الاختيار بعد ترك
التدبير والخروج من الاختيار الا باحكام هذه الاربعة التي ذكرناها لان ترك التدبير
فنا وتملك التدبير والاختيار من الله تعالى عبده ورده الى الاختيار تصرف بالحق وهو مقام
البقا وهو الانسلاخ عن وجوده كان بالعبد الى وجود يصير بالحق وهذا العبد ما بقي عليه
من الاعوجاج ذرة واستقام ظاهره وباطنه في العبودية وغمر العلم والعمل ظاهره

وباطنه

وباطنه وتوطن حظيرة القرب بنفس بين يدي الله تعالى متمسكة بالاستكانة
والافتقار متحققة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكلني الى نفسي طرفة عين فاهلك
ولا الى احد من خلقك واضيع اكلأني كلائة الوليد ولا تتخل عني

الباب الستون في ذكر اشارات المشايخ في المقامات على الترتيب

قولهم في التوبة قال رويم معنى
التوبة ان يتوب من التوبة قيل معناه قول رابعة استغفر الله من قلة صدقي في
قولي استغفر الله وسئل الحسن المغازلي عن التوبة فقال تسألني عن توبة الانابة
او توبة الاستجابة فقال السائل ما توبة الانابة فقال ان تخاف من الله عز وجل من اجل
قدرته عليك قال فما توبة الاستجابة قال ان تستحي من الله لقربه منك وهذا الذي
ذكره من توبة الاستجابة اذا تحقق العبد بها ربما تاب في صلوته من كل خاطر يلم به
سوى الله ويستغفر الله منه وهذه توبة لازمة لبواطن اهل القرب كما قيل وجودك
ذنب لا يقاس به ذنب قال ذو النون توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من
الغفلة وتوبة الانبيا من رؤية عجزهم عن بلوغ ما ناله غيرهم سئل ابو محمد سهل عن الرجل
يتوب من الشي ويتركه ثم يخطر ذلك الشي بقلبه او يراه او يسمع به فيجد حلاوته فقال
الحلاوة طبع البشرية ولا بد من الطبع وليس له حيلة الا ان يرفع قلبه الى مولاه بالشكوى
وينكر بقلبه ويلزم نفسه الانكار ولا يفارقه ويدعو الله تعالى ان ينسيه ذلك
ويشغله بغيره من ذكره وطاعته قال وان غفل عن الانكار طرفة عين اخاف عليه ان
لا يسلم وتعمل الحلاوة في قلبه ولكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الانكار ويحزن فانه
لا يضره وهذا الذي قاله سهل كاف بالغ لكل طالب صادق يريد صحة توبته والعارف
القوي الحال يتمكن من ازالة الحلاوة عن باطنه ويسهل عليه ذلك واسباب سهولة
ذلك متنوعة للعارف ومن تمكن من قلبه حلاوة حب الله الخاص عن صفا مشاهدة
وصرف يقين اي حلاوة يبقى في قلبه وانما حلاوة الهوى لعدم حلاوة حب الله وسئل

السوسي عن التوبة فقال التوبة من كل شي ذمه العلم الي ما مدحه العلم وهذا وصف
يعم الظاهر والباطن لمن كوشف بصريح العلم لانه لا يبقا الجهل مع العلم كما لا يبقا الليل
مع طلوع الشمس وهذا ينتوعب جميع اقسام التوبة بالوصف الخاص والعام وهذا
العلم يكون علم الظاهر والباطن لتطهير الظاهر والباطن باخص اوصاف التوبة واعم
اوصافها وقال ابو الحسين النوري رحمة الله عليه التوبة ان تتوب عن كل شي سوى
الله قولهم في الورع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملاك دينكم الورع اخبرنا ابو زرعة
اجازة عن ابي بكر بن خلف اجازة عن ابي عبد الرحمن السلمي انا ابو سعيد الخلال قال نا
ابو قتيبة قال نا عمر بن عثمن قال نا بقية عن ابي بكر بن مريم عن حبيب بن عبيد عن
ابي الدردا رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا على نهر فلما فرغ من وضوه
افرغ فضله في النهر وقال يبلغه الله عز وجل قوما ينفعهم قال عمر بن الخطاب رضي لمن اخذه
الله عنه لا ينبغي بالتقوى ووزن بالورع ان يذل لصاحب دنيا قال معروف الكرخي
احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم نقل عن حارث بن اسد المحاسبي انه كان على
طرف اصبعه الوسطى عرق اذا مد يده الى طعام فيه شبهة ضرب عليه ذلك العرق
سيل الشبلي عن الورع فقال الورع ان تتورع ان لا يتشتت قلبك عن الله طرفة عين
وقال ابو سليمن الداراني الورع اول الزهد كما ان القناعة طرف من الرضا وقال يحيى
بن معاذ الورع الوقوف على حد العلم من غير تاويل سيل الخواص عن الورع فقال ان لا يتكلم
العبد الا بالحق غضب او رضي وان يكون اهتمامه بما يرضي الله اخبرنا ابو زرعة اجازة
عن ابي بكر بن خلف اجازة عن السلمي قال سمعت الحسن بن احمد بن جعفر يقول سمعت محمد بن
داود الدينوري يقول سمعت ابن الجلا يقول اعرف من اقام بمكة ثلثين سنة لم يشرب
من ما زمزم الا ما استقاه بركوته ورشاه ولم يتناول من طعام جلب من مصر شيا
وقال الخواص الورع دليل الخوف والخوف دليل المعرفة والمعرفة دليل القربة قولهم في الزهد

قال

198

قال الجنيد الزهد خلو الايدي من الاملاك والقلوب من التتبع وسيل الشبلي عن الزهد
فقال لا زهد في الحقيقة لانه اما ان يزهد فيما ليس له فليس ذلك بزهد او يزهد فيما
هو له فكيف يزهد فيه وهو معه وعنده فليس الا ظلف النفس وبذل ومواساة ويشير
الى الاقسام التي تنتوبها الاقلام وهذا الواطرد هدم قاعدة الاجتهاد والكسب ولكن مقصود
الشبلي ان يقلل الزهد في عين المعتد بالزهد ليلا يغتر بالزهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رايتم الرجل قد اوتي زهدا في الدنيا ومنطقا فاقتربوا منه فانه يلقي الحكمة وقد سمى الله
عز وجل الزاهدين علما في قصة قارون فقال وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله
خير قيل هم الزاهدون وقال سهل بن عبد الله للعقل الف اسم ولكل اسم منه الف اسم
واول كل اسم منه ترك الدنيا وقيل في قوله تعالى وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا
قيل عن الدنيا وفي الخبر العلما امنا الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم
على دينكم وجا في الاثر لا تزال لا اله الا الله تدفع عن العباد سخط الله ما لم يبالوا ما نقص
من دنياهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين
وقال سهل اعمال البر كلها في موازين الزهاد وثواب زهدهم زيادة لهم وقيل من سمي
باسم الزهد في الدنيا فقد سمي بالف اسم محمود ومن سمي باسم الرغبة في الدنيا فقد سمي بالف اسم
مذموم وقال السري الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا فيجمع هذا الحظوظ
المالية والجاهية وحب المنزلة عند الناس وحب المحمدة والثنا وسيل الشبلي عن الزهد
فقال الزهد غفلة لان الدنيا لا شي والزهد في لا شي غفلة وقال بعضهم لما راوا حقارة
الدنيا زهدوا في زهدهم في الدنيا لهوانها عندهم وعندي ان الزهد في الزهد غير هذا
وانما الزهد في الزهد الخروج من الاختيار في الزهد لان الزاهد اختار الزهد واراده
وارادته تستند الى علمه وعلمه قاصر فاذا اقيم في مقام ترك الارادة وانسلخ من اختياره
كاشفه الله تعالى بمراده فيترك الدنيا بمراد الحق لا بمراد نفسه فيكون زهده بالله حينيذ

او يعلم ان مراد الله منه التلبس بشي من الدنيا فايدخل بالله في شي من الدنيا لا ينقص
عليه زهده فيكون دخوله في الشي من الدنيا بالله ويأذن منه زهد في الزهد
والزاهد في الزهد استوي عنده وجود الدنيا وعدمها ان تركها تركها بالله وان اخذها
اخذها بالله وهذا هو الزهد في الزهد وقد راينا من العارفين من اقيم في هذا المقام
وفوق هذا المقام اخر في الزهد وهو لمن يرد الحق اليه اختياره لسعة علمه وطهارة
نفسه في مقام البقا فيزهد زهدا ثالثا ويترك الدنيا بعد ان مكن من ناصيتها واعيدت
عليه موهبة ويكون تركه الدنيا في هذا المقام باختياره واختياره من اختيار الحق
فقد يختار تركها حينا تاسيا بالانبيا والصالحين ويري ان اخذها في مقام الزهد في
الزهد رفق ادخل عليه لموضع ضعفه عن درك شاو الاقويا من الانبيا والصديقين
فيترك الرفق من الحق بالحق للحق وقد يتناوله باختياره رفقا بالنفس بتدبير يوسعه فيه
صريح العلم وهذا مقام التصرف لاقويا العارفين زهدوا ثالثا بالله كما رغبوا ثانيا بالله
كما زهدوا اولا لله فصل في الصبر قال سهل الصبر انتظار الفرج من الله وهو افضل
الخدمة واعلاها وقال بعضهم الصبر ان يصبر في الصبر اي لا يطالع فيه الفرج قال الله تعالي
والصابرين في الباسا والضرا وحين الباس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون وقيل
لكل شي جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر فالصبر عرك النفس وبالعرك
تلين والصبر جاري في الصابر مجري الانفاس لانه يحتاج الي الصبر عن كل منهي ومكروه
ومذموم ظاهرا او باطنا والعلم يدل والصبر يقبل ولا تنفع دلالة العلم بغير قبول الصبر
ومن كان العلم سايسه في الظاهر والباطن لا يتم له ذلك الا اذا كان الصبر مستقره ٥
ومسكنه والصبر والعلم متلازمان كالروح والجسد لا يستقل احدهما بدون الاخر ٥
ومصدرهما الغريزة العقلية وهما متقاربان لاتحاد مصدرهما وبالصبر تحامل علي النفس
وبالعلم يرقي الي الروح وهما البرزخ والفرقان بين الروح والنفس ليستقر كل واحد منهما

في

في مستقره وفي ذلك صريح العدل وصحة الاعتدال وبانفصال احدهما عن الاخر اعني العلم والصبر
ميل احدهما علي الاخر اعني النفس والروح وبيان ذلك يدق وناهيك بشرف الصبر قوله
تعالي انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب كل اجر اجره بحساب واجر الصابرين بغير
حساب وقال الله تعالي لنبيه واصبر وما صبرك الا بالله اضاف الصبر الي نفسه لشرف
مكانه وتكمل النعمة به قيل وقف رجل علي الشبلي فقال اي الصبر اشد علي الصابرين
فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر بالله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال
الصبر مع الله فقال لا فغضب الشبلي وقال ويحك ايش هو فقال الرجل الصبر عن الله قال
فصرخ الشبلي صرخة كادت تتلف روحه وعندي في معني الصبر عن الله وجه ولكونه
من اشد الصبر علي الصابرين ووجه ذلك ان الصبر عن الله يكون في اخص مقامات
المشاهدة يرجع العبد عن مولاه استحيا واجلالا وتنطبق بصيرته تجلا وذوبانا وتغيب
في مغاوز استكانته وتخفيه لاحساسه بعظيم امر التجلي وهذا من اشد الصبر لانه يود
استدامة هذا الحال تادية لحق الجلال والروح تود ان تكتحل بصيرتها باستمتاع نور
الجمال وكان النفس منازعة في عموم حال الصبر فالروح في هذا الصبر منازعة فاشتد
الصبر عن الله تعالي لذلك وقال ابو الحسن بن سالم هم ثلثة متصبر وصابر وصبار
فالمتصبر من صبر في الله فمرة يصبر ومرة يجزع والصابر من يصبر في الله ولله ولا يجزع يعجز
ولكن يتوقع منه الشكوي وقد يمكن منه الجزع واما الصبار فذاك الذي صبره في الله
ولله وبالله فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لا يجزع ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة
لا من جهة الرسم والخلقة واشارته في هذا ظهور حكم العلم فيه مع ظهور صفة الطبيعة
وكان الشبلي يتمثل بهذين البيتين ٥ ان صوت المحب من الم الشوق وخوف الفراق يورث
ضرا ٥ صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبرا ٥ قال جعفر الصادق
رضي الله عنه امر الله تعالي انبياه بالصبر وجعل الحظ الاعلي للرسول صلي الله عليه وسلم

حيث جعل صبره بالله لا بنفسه فقال واصبر وما صبرك الا بالله وسيل سري عن
الصبر فتكلم فيه فدبت على رجله عقرب فجعل يضربه بابرته فقيل لم لا تدفعه فقال استحي
من الله ان اتكلم في حال ثم اخالف ما اتكلم فيه اخبرنا ابو زرعة اجازة عن ابي بكر
بن خلف اجازة عن ابي عبد الرحمن السلمي قال سمعت محمد بن خالد يقول سمعت الفرغاني يقول
سمعت الجنيد يقول ان الله تعالى اكرم المومنين بالايمان واكرم الايمان بالعقل واكرم العقل
بالصبر فالايمان زين المومن والعقل زين الايمان والصبر زين العقل وانشد عن ابرهيم الخواص

صبرت على بعض الاذى خوف كله ودافعت عن نفسي لنفسي فعزت
وجرعتها المكروه حتى تدربت ولو لم اجرعها اذاً لاشمأزت
الا رب ذل ساق للنفس عزة ويا رب نفس بالتذلل عزت
اذا ما مددت الكف التمس الغنى الى غير من قال اسلوني فشلت
ساصبر جهدي ان في الصبر عزة وارضى بدنياي وان هي قلت

قال عمر بن عبد العزيز ما انعم الله على عبد من نعمة ثم انتزعها فعاضه مما انتزع منه
الصبر الا كان ما عاضه خيرا مما انتزع منه وانشد لسمنون

تجرعت من حاليه نعمى وابوسا زمانا اذا اجرى عزاليه احتسا
فكم غمرة قد جرعتني كووسها فجرعتها من بحر صبري اكووسا
تدرعت صبري والتحفت صروفه وقلت لنفسي الصبر او فاهلكي اسا
خطوب لو ان الشم زاحمن خطبها لساخت ولم يدرك لها الكف ملمسا

قولهم في الفقر قال ابن الجلا الفقر ان لا يكون لك فاذا كان لا يكون لك يعني تو نرو قال
الكتاني اذا صح الافتقار الى الله صح الغنا بالله لانهما حالان لا يتم احدهما الا بالاخر وقال
النوري نعت الفقير السكون عند العدم والبذل عند الوجود وقال غيره الاضطراب
عند الوجود قال الدراج فتشت كنف استاذي ابي بكر المكحلة فوجدت فيها قطعة

فتحيرت

وعشرين واحد

200 فتحيرت فلما جا قلت له اني وجدت في كنفك قطعة قال قد رايتها ردها ثم قال
خذها واشتر بها شيا فقلت ما كان امر هذه القطعة بحق معبودك فقال ما رزقني
الله صفرا ولا بيضا غيرها فاردت ان اوصي بها ان تشد في كفني فاردها الى الله ○
وسيل ابرهيم الخواص الفقر ردا الشرف ولباس المرسلين وجلباب الصالحين قال
سهل بن عبد الله عن الفقير الصادق فقال لا يسال ولا يرد ولا يحبس وقال ابو علي
الروذباري سالني الزقاق فقال يا ابا علي لم ترك الفقرا اخذ البلغة في وقت الحاجة قال
قلت لهم لانهم مستغنون بالمعطي عن العطايا قال نعم ولكن وقع لي شي اخر فقال هات
افدني ما وقع لك قال لانهم قوم لا ينفعهم الوجود اذا الله فاقتهم ولا تضرهم الفاقة اذا الله
وجودهم قال بعضهم الفقر وقوف الحاجة على القلب ومحوها عما سوى الرب وقال المسوحي
الفقير الذي لا تغنيه النعم ولا تغيره المحن وقال يحيى بن معاذ حقيقة الفقر ان
لا يستغني الا بالله ورسمه عدم الاسباب كلها وقال ابو بكر الطوسي بقيت سنة اسال
عن معنى اختيار اصحابنا لهذا الفقر على ساير الاشيا فلم يجبني احد بجواب يقنعني حتى سالت
نصر بن الحمامي فقال لي لانه اول منزل من منازل التوحيد فقنعت بذلك وسيل بن
الجلا عن الفقير فسكت حتى صلى ثم ذهب ورجع ثم قال انني لم اسكت الا لدرهم كان عندي
فذهبت واخرجته واستحييت من الله ان اتكلم في الفقر وعندي ذلك ثم جلس
وتكلم قال ابو بكر بن طاهر من حكم الفقير ان لا يكون له رغبة فان كان ولا بد لا تجاوز
رغبته كفايته وقال فارس قلت لبعض الفقرا مرة ورايت عليه اثر الجوع والضر
لم لا تسال فيطعموك فقال اخاف ان اسالهم فيمنعوني فلا يفلحون وانشد بعضهم

قالوا غدا العيد ماذا انت لابسه فقلت خلعة ساق عبده مجرعا
فقر وصبر هما ثوبان تحتهما قلب يرى ربه الاعياد والجمعا
احرى الملابس ان تلقى الحبيب به يوم التزاور في الثوب الذي خلعا

" الدهر لي مأتم ان غبت يا املي والعيد ما دمت لي مرأى ومستمعا "

قولهم في الشكر قال بعضهم الشكر هو الغيبة عن الشكر برؤية المنعم وقال يحيى بن
معاذ الرازي لست بشاكر ما دمت تشكر وغاية الشكر التحير وذلك ان الشكر نعمة
من الله تجب الشكر عليها وفي اخبار داود عليه السلام الهي كيف اشكرك وانا لا استطيع
ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني
ومعنى الشكر في اللغة هو الكشف والاظهار يقال شكر وكشر اذا كشف عن ثغره واظهره
فنشر النعم وذكرها وتعدادها باللسان من الشكر وباطن الشكر ان يستعين بالنعم على
الطاعة ولا يستعين بها على المعصية فهو شكر النعمة وسمعت شيخنا قدس الله
روحه ينشد عن بعضهم " اوليتني نعما ابوح بشكرها وكفيتني كل الامور بأسرها "
" فلاشكرنك ما حييت وان امت فلتشكرنك اعظمي في قبرها "
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من يدعا الى الجنة يوم القيمة الذين يحمدون
الله في السرا والضرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتلي فصبر واعطي فشكر وظلم
فغفر وظلم فاستغفر قيل فما باله قال اولئك لهم الامن وهم مهتدون قال الجنيد فرض
الشكر الاعتراف له بالنعم بالقلب واللسان وفي الحديث افضل الذكر لا اله الا الله م
وافضل الدعا الحمد لله وقال بعض العلما في قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
قال الظاهرة العوافي والغنى والباطنة البلاوي والفقر فان هذه نعم اخروية لما يستوجب
بها من الجزا وحقيقة الشكر ان يرى جميع المقضي له به نعم غيرها يتضرع في دينه لان
الله تعالى لا يقضي للعبد المومن شيئا الا وهو نعمة في حقه فاما عاجلة يعرفها ويفهمها
واما آجلة بما يقضي له من المكارم فاما ان يكون درجة له او تمحيصا وتكفيرا فاذا علم
ان مولاه انصح له من نفسه واعلم بمصالحه وان كل ما منه نعم فقد شكر قولهم في الخوف
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم راس الحكمة مخافة الله وروى عنه عليه الصلوة

والسلام

والسلام انه قال كان داود النبي عليه السلام يعوده الناس يظنون ان به مرضا وما به
مرض الا خوف الله والحيا منه قال ابو عمرو الدمشقي الخايف من يخاف من نفسه اكثر
مما يخاف من الشيطان وقال بعضهم ليس الخايف من يبكي ويمسح عينيه ولكن الخايف
التارك ما يخاف ان يعذب عليه وقيل الخايف الذي لا يخاف غير الله قيل اي لا يخاف لنفسه
انما يخاف اجلالا له والخوف للنفس خوف العقوبة وقال سهل الخوف ذكر والرجا انثى يتولد
منهما حقايق الايمان قال الله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
ان اتقوا الله قيل هذه الاية قطب القران لان مدار الامر كله على هذا وقيل ان الله
تعالى جمع للخايفين ما فرقه على المومنين وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان فقال
تعالى وهدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلما وقال
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقال سهل كمال الايمان بالعلم وكمال العلم
بالخوف وقال ايضا العلم كسب الايمان والخوف كسب المعرفة وقال ذو النون لا يسقى
المحب كاس المحبة الا من بعد ان ينضج الخوف قلبه وقال فضيل بن عياض اذا قيل لك تخاف الله
اسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت فليس وصفك وصف من يخاف قولهم
في الرجا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اخرجوا من النار من كان في
قلبه مثقال حبة من ايمان ثم يقول وعزتي وجلالي لا اجعل من آمن بي ساعة من ليل او
نهار كمن لم يومن بي وقيل جا اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يلي حساب
الخلق فقال الله تعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال النبي عليه الصلوة والسلام
مم ضحكت يا اعرابي فقال الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح قال شاه الكرماني علامة
الرجا حسن الطاعة وقيل الرجا رؤية الجلال بعين الجمال وقيل قرب القلب من ملاطفة
الرب قال ابو علي الروذباري الخوف والرجا كجناحي الطاير اذا استويا استوى الطير
وتم في طيرانه وقال عبد الله بن خفيف الرجا ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو قال مطرف

لو وزن خوف المومن ورجاوه لاعتدلا والخوف والرجا للايمان كالجناحين ولا يكون
خايفا الا وهو راج ولا راج الا وهو خايف لان موجب الخوف الايمان ومن الايمان
رجا وموجب الرجا الايمان ومن الايمان خوف ولهذا المعني روي عن لقمن انه قال
لابنه خف الله تعالي خوفا لا تامن فيه مكره وارجه اشد من خوفك قال فكيف استطيع
ذلك وانما لي قلب واحد قال اما علمت ان المومن ذو قلبين يخاف باحدهما ويرجوا
بالاخر وهذا لانهما من حكم الايمان قولهم في التوكل قال السري التوكل الانخلاع من الحول
والقوة وقال الجنيد التوكل ان تكون لله كما لم تكن فيكون الله كما لم يزل وقال
سهل كل المقامات لها وجه وقفا غير التوكل فانه وجه بلا قفا قال بعضهم يريد توكل
العناية لا توكل الكفاية والله تعالي جعل التوكل مقرونا بالايمان فقال وعلي الله فتوكلوا
ان كنتم مومنين وقال فليتوكل المومنون وقال لنبيه صلي الله عليه وسلم وتوكل علي
الحي الذي لا يموت وقال ذو النون التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول
والقوة وقال ابو بكر الزقاق التوكل رد العيش الي يوم واحد واسقاط هم غد وقال
ابو بكر الواسطي اصل التوكل صدق الفاقة والافتقار وان لا يفارق التوكل في امانيه
ولا يلتفت بسره الي توكله لحظة في عمره وقال بعضهم من اراد ان يقوم بحق التوكل
فليحفر لنفسه قبرا يدفنها فيه وينسي الدنيا واهلها لان حقيقة التوكل لا يقوم له احد
من الخلق علي كماله وقال سهل رحمه الله اول مقامات التوكل ان يكون العبد بين يدي
الله كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف اراد ولا يكون له حركة ولا تدبير وقال
حمدون القصار التوكل هو الاعتصام بالله وقال سهل ايضا العلم كله باب من التعبد
والتعبد كله باب من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد كله باب من التوكل وقيل
التقوي واليقين مثل كفتي الميزان والتوكل لسانه به يعرف الزيادة والنقصان
ويقع لي ان التوكل علي قدر العلم بالوكيل وكل من كان اتم معرفة كان اتم توكلا ومن

كل

كمل توكله غاب في روية الوكيل عن روية توكله ثم ان فوق المعرفة تفيده صرف
العلم بالعدل في القسمة وان الاقسام نصبت بازا المقسوم لهم عدلا وموازنة
وان النظر الي غير الله لوجود الجهل في النفس وكلما احس بشي يقدح في توكله يراه
من منبع النفس فنقصان التوكل يظهر بظهور النفس وكماله يثبت بغيبة النفس
وليس للاقويا اعتداد بتصحيح توكلهم وانما شغلهم في تغيب النفس بتقوية مواد
القلب فاذا غابت النفس انحسمت مادة الجهل فصح التوكل والعبد غير ناظر اليه
وكلما تخرج من النفس بقية يرد علي ضميرهم ستر ان الله يعلم ما تدعون من دونه
من شي فيغلب وجود الحق الاعيان والاكوان ويري الكون بالله من غير استقلال
الكون في نفسه ويصير التوكل حينيذ اضطرارا ولا يقدح في توكل مثل هذا المتوكل
ما يقدح في توكل الضعفا في التوكل من وجود الاسباب والوسايط لانه يري
الاسباب مواتا لا حيوة لها الا بالوكيل وهذا توكل خواص اهل المعرفة قولهم في
الرضي قال الحرث الرضي سكون القلب تحت جريان الحكم وقال ذو النون الرضي
سرور القلب بمر القضا وقال سفين عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت له اما تستحيي
ان تطلب رضا من لست عنه براض وقال سهل اذا اتصل الرضا بالرضوان اتصلت
الطمانينة فطوبي لهم وحسن ماب وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ذاق طعم
الايمان من رضي بالله ربا وقال عليه الصلوة والسلام ان الله تعالي بحكمته جعل
الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط وقال الجنيد
الرضا هو صحة العلم الواصل الي القلوب فاذا باشر القلوب حقيقة العلم اداه الي الرضا
وليس الرضا والمحبة كالخوف والرجا فانهما حالان لا يفارقان العبد في الدنيا والاخرة
لانه في الجنة لا يستغني عن الرضا والمحبة وقال ابن عطا الرضا سكون القلب الي
قديم اختيار الله للعبد انه اختار له الافضل فيرضي له وهو ترك السخط وقال ابو تراب

ليس ينال الرضا من الله من للدنيا في قلبه مقدار وقال سري خمس من اخلاق المقربين الرضا عن الله فيما تحب النفس وتكره والحب له بالتحبب اليه والحيا من الله والانس به والوحشة مما سواه وقال الفضيل الراضي لا يتمنى فوق منزلته شيا وقال ابن سمعون الرضى بالحق والرضى له والرضا عنه والرضى به مدبرًا ومختارًا والرضى عنه قاسمًا ومعطيًا والرضى له الهًا وربًا وسيل ابو سعيد هل يجوز ان يكون العبد راضيا ساخطا قال نعم يجوز ان يكون راضيا عن ربه ساخطًا على نفسه وعلى كل قاطع يقطعه عن الله وقيل للحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما ان ابا ذر يقول الفقر احب الي من الغنا والسقم احب الي من الصحة فقال رحم الله ابا ذر اما انا فاقول من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن انه في غير الحالة التي اختار الله له وقال علي رضي الله عنه من جلس على بساط الرضا لم ينله من الله مكروه ابدا ومن جلس على بساط السوال لم يرض عن الله في كل حال وقال يحيى يرجع الامر كله الى هذين الاصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى فيما عمل وتخلص فيما تعمل وقال بعضهم الراضي من لم يندم على ما فات من الدنيا ولم يتاسف عليها وقيل ليحيى بن معاذ متى يبلغ العبد الى مقام الرضا قال اذا اقام نفسه على اربعة اصول فيما يعامل به ربه يقول ان اعطيتني قبلت وان منعتني رضيت وان تركتني عبدت وان دعوتني اجبت وقال الشبلي رحمه الله بين يدي الجنيد لا حول ولا قوة الا بالله قال الجنيد قولك ذا ضيق صدر فقال صدقت قال فضيق الصدر ترك الرضى بالقضا وهذا قاله الجنيد رحمه الله تنبيها منه على اصل الرضا وذلك ان الرضا يحصل لانشراح القلب وانفساحه وانشراح القلب من نور اليقين قال الله سبحانه وتعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فاذا تمكن النور من الباطن اتسع الصدر وانفتح عين البصيرة وعاين حسن تدبير الله تعالى فينتزع التسخط والتضجر لان انشراح الصدر يتضمن حلاوة الحب وفعل المحبوب بموقع الرضا

عند

الصادق في المحبة

عند المحب يرى ان الفعل من المحبوب مراده واختياره فيفنى في لذة رؤية اختيار المحبوب عن اختيار نفسه كما قيل ،، وكلما يفعل المحبوب محبوب ،،

الباب الحادي والستون في ذكر الاحوال وشرحها

حدثنا شيخنا ابو النجيب السهروردي قال انا ابو طالب الزينبي اخبرتنا كريمة المروزية قالت انا ابو الهيثم انا ابو عبد الله الفربري انا ابو عبد الله البخاري قال نا سليمن بن حرب نا شعبة عن قتادة عن انس عن النبي عليه الصلوة والسلام قال ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما ومن احب عبدًا لا يحبه الا لله ومن يكره ان يعود في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار واخبرنا الشيخ ابو زرعة طاهر بن ابي الفضل اجازة انا ابو بكر بن خلف انا ابو عبد الرحمن انا ابو عمر بن حيوية قال ني ابو عبيد بن مؤمل عن ابيه قال نا بشر بن محمد نا عبد الملك بن وهب عن ابرهيم بن ابي عبلة عن العرباض بن سارية قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اجعل حبك احب الي من نفسي وسمعي وبصري واهلي ومالي ومن الما البارد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب خالص الحب وخالص الحب هو ان يحب الله بكليته وذاك ان العبد قد يكون في حال قايما بشروط حالة بحكم العلم والجبلة تتقاضاه بضد العلم مثل ان يكون راضيا والجبلة قد تكره ويكون النظر الى الانقياد بالعلم لا الى الاستعصا بالجبلة فقد يحب الله ورسوله بحكم الايمان ويحب الاهل والولد بحكم الطبع والحب وجوه وبواعث المحبة في الانسان متنوعة فمنها محبة الروح ومحبة القلب ومحبة النفس ومحبة العقل فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الاهل والمال والما البارد لاستيصال عروق المحبة بمحبة الله تعالى حتى يكون حب الله غالبا فيحب الله تعالى بقلبه وروحه وكليته حتى يكون حب الله اغلب في الطبع ايضا والجبلة من حب الما البارد وهذا يكون حبا خاصا لخواص تغمرهم بنوره نار الطبع والجبلة وهذا

وهذا يكون حب الذات عن مشاهدة بعكوف الروح وخلوصه الى مواطن القرب قال
الواسطي في قوله تعالى يحبهم ويحبونه كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فالهاء راجعة
الى الذات دون النعوت والصفات وقال بعضهم الحب شرطه ان يلحقه سكرات المحبة فاذا
لم يكن ذلك لم يكن فيه حقيقة فاذا الحب حبان حب عام وحب خاص فالحب العام مفسر بامتثال
الامر وربما كان حبًا من معدن العلم بالالآ والنعما وهذا الحب محركة من الصفات وقد ذكر
جمع من المشايخ هذا الحب في المقامات فيكون النظر الى هذا الحب العام الذي يكون لكسب العبد فيه مدخل
واما الحب الخاص هو حب الذات عن مطالعة الروح الذي فيه السكرات وهو الاصطناع من
اسا الكريم لعبده واصطفاوه اياه وهذا الحب يكون من الاحوال لانه محض موهبة ليس
للكسب فيه مدخل وهو مفهوم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم احب الي من الما البارد لانه كلام
عن وجدان روح تلذذ بحب الذات وهذا الحب روح والحب الذي يظهر من مطالعات الصفات
ويطلع من مطالع الايمان قالب هذا الروح ولما صحت محبتهم هذه اخبر الله عنهم بقوله اذلة على
المومنين لان المحب يذل لمحبوبه والمحبوب لمحبوبه ويتشد ؛؛ لعين تفدى الف عين وتتقى
ويكرم الف للحبيب المكرم ؛؛ وهذا الحب الخاص هو اصل الاحوال السنية وموجبها وهو
في الاحوال كالتوبة في المقامات فمن صحت توبته على الكمال تحقق بسائر المقامات من
الزهد والرضا والتوكل على ما شرحناه اولا ومن صحت محبته هذه تحقق بسائر الاحوال
من الفنا والبقا والصحو والمحو وغير ذلك والتوبة لهذا الحب ايضا بمثابة الجثمان لانها
مشتملة على الحب العام الذي هو لهذا الحب كالجسد ومن اخذ في طريق المحبين وهو طريق
خاص من طرق المحبة يتكمل فيه ويجتمع له روح الحب الخاص مع قالب الحب العام الذي تشتمل
عليه التوبة النصوح وعند ذلك لا يتقلب في اطوار المقامات لان التقلب في اطوار المقامات
والترقي من شي منها الى شي طريق المحبين ومن اخذ في طريق المجاهدة من قوله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن قوله تعالى ويهدي اليه من ينيب اثبت كسب الانابة

سببا

وهذا الحب

سببًا للهداية وفي حال المحبوب صرح بالاجتبا غير معلل بالكسب فقال الله يجتبي اليه
من يشا فمن اخذ في طريق المحبوبين يطوي بساط اطوار المقامات ويندرج فيه صفوها
وخالصها باتم وصفها والمقامات لا تقيده ولا تحبسه وهو يقيدها ويحبسها بترقيه
منها واستنزاعه صفوها وخالصها لانه حيث اشرقت عليه انوار الحب الخاص خلع
ملابس صفات النفس ونعوتها والمقامات كلها مصفية للنعوت والصفات النفسانية
فالزهد يصفيها عن الرغبة والتوكل يصفيه عن قلة الاعتماد المتولد من جهل النفس
والرضا يصفيه عن ضربان عرق المنازعة والمنازعة لبقا جمود في النفس فما اشرق
عليها شموس المحبة الخاصة فبقي ظلمتها وجمودها فمن تحقق بالحب الخاص لانتفت وذهب
جموده فماذا ينزع الزهد منه من الرغبة ورغبة الحب احرقت رغبته وماذا يصفي منه
التوكل ومطالعة الوكيل حشا بصيرته وماذا يسكن فيه الرضا من عروق المنازعة والمنا
زعة ممن لم يسلم كليته قال الروذباري ما لم تخرج من كليتك لا تدخل في حد المحبة وقال
ابو يزيد من قتلته محبته فديته رويته ومن قتله عشقه فديته منادمته اخبرنا
بذلك ابو زرعة اجازة عن ابن خلف اجازة عن ابي عبد الرحمن قال سمعت احمد بن
علي بن جعفر يقول سمعت الحسن بن علويه يقول قال ابو يزيد ذلك فاذا التقلب
في اطوار المقامات لعوام المحبين وطي بساط الاطوار لخواص المحبين وهم المحبوبون
تخلفت عن هممهم المقامات وربما كانت المقامات على مدارج طبقات السموات وهي
مواطن من يتعثر في اذيال بقاياه قال بعض الكبار لابرهيم الخواص الى ماذا ادى
بك التصوف فقال الى التوكل فقال تسعى في عمران باطنك اين انت من الفنا في التوكل
برؤية الوكيل فالنفس اذا تحركت بصفتها تقلبه من دائرة الزهد يردها الزاهد
الى الدائرة بزهده والمتوكل اذا تحركت يردها بتوكله والراضي يردها برضاه وهذه
الحركات من النفس بقايا وجودية تفتقر الى سياسة العلم وفي ذلك تنسم روح القرب

زعة

من بعيد وهو آداخو العبودية مبلغ العلم وتحسبه الاجتهاد والكسب ومن اخذ في طريق الخاص عرف طريق التخلص من البقايا بالتيسير بانوار فضل الحق ومن اكتسى ملابس نور القرب بروح دايمة العكوف محمية عن الطوارق والصروف لا يزعجه طلب ولا يوحشه سلب فالزهد والتوكل والرضى كاين فيه وهو غير كاين فيها على معنى انه كيف تقلب كان زاهدا وان رغب لانه بالحق لا بنفسه وان راى منه الالتفات الى الاسباب هو متوكل وان وجدت منه الكراهة فهو راض لان كراهته لنفسه ونفسه للحق وكراهته بالحق اعرضت اليه نفسه بدواعيها وصفاتها مطهرة موهوبة محمولة ملطوف بها صار عين الداء دواه وصور الاعلال شفاه نار طلب الله لهبها كل طالب من زهد وتوكل ورضا قالت رابعة محب الله لا يسكن حنينه وانينه حتى يسكن مع محبوبه وقال ابو عبد الله القرشي حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن احببت ولا يبقى لك منك شي وقال ابو الحسين الوراق السرور بالله من شدة المحبة له والمحبة في القلب نار تحرق كل دنس وقال يحيى بن معاذ الرازي صبر المحبين اشد من صبر الزاهدين واعجبا كيف يصبر الانسان عن حبيبه وقال بعضهم من ادعى محبة الله من غير تورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة الجنة من غير انفاق ملكه فهو كذاب ومن ادعى حب رسوله من غير حب الفقرا فهو كذاب وكانت رابعة تنشد ؛ تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع ؛

؛ لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع ؛

واذا كان الحب للاحوال كالتوبة للمقامات فمن ادعى حالا لا يعتبر حبه ومن ادعى محبة يعتبر توبته فان التوبة قالب روح الحب هذا الروح قيامه بهذا القالب والاحوال اعراض قوامها بجوهر الروح وقال سمنون ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والاخرة لان النبي عليه الصلوة والسلام قال المرء مع من احب فهم مع الله تعالى

وقال ابو يعقوب السوسي لا تصح المحبة حتى تخرج من روية المحبة الى روية المحبوب بفنا علم المحبة من حيث كان المحبوب في الغيب ولم يكن هذا بالمحبة فاذا خرج المحب الى هذه النسبة كان محبا من غير محبة وسيل الجنيد عن المحبة قال دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب قيل هذا على معنى قوله تعالى فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا وذاك ان المحبة اذا صفت وكملت لا يزال تجذب بوصفها الى محبوبها فاذا انتهت الى غاية جهدها وقفت والرابطة متاصلة متاكدة وكمال وصف المحبة ازال الموانع من المحب وبكمال وصف المحبة تجذب صفات المحبوب تعطفا على المحب المخلص من موانع قادحة في صدق المحبة ونظرا الى قصوره بعد استفاد جهده فيعود المحب بفوايد اكتساب الصفات من المحبوب فيقول عند ذلك ؛ انا من اهوى ومن اهوى انا نحن روحان حللنا بدنا ؛

؛ فاذا ابصرتني ابصرته واذا ابصرته ابصرتنا ؛

وهذا الذي عبرنا عنه حقيقة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله لانه بنزاهة النفس وكمال التزكية يستعد للمحبة والمحبة موهبة غير معللة بالتزكية ولكن سنة الله جارية ان يزكي نفوس احبابه بحسن توفيقه وتاييده واذا منح نزاهة النفس وطهارتها ثم جذب روحه بجاذب المحبة خلع عليه خلع الصفات والاخلاق ويكون ذلك عنده رتبة في الوصول وتارة ينبعث الشوق من باطنه الى ما وراء ذلك لكون عظيم امر الله غير متناهي وتارة يتسلى بما منح فيكون ذلك وصوله الذي يسكن نيران شوقه وباعث الشوق تستقر الصفات الموهوبة المحققة رتبة الوصول عند المحب ولولا باعث الشوق رجع القهقرى وظهرت صفات نفسه الحايلة بين المرء وقلبه ومن ظن ان الوصول غير ما ذكرناه او تخايل له غير هذا القدر

فهو متعرض لمذهب النصارى في اللاهوت والناسوت واشارات الشيوخ في الاستغراق
والفنا كلها عايدة الى تحقيق مقام المحبة باستيلا نور اليقين وخلاصة الذكر على القلب
وتحقيق حق اليقين بزوال اعوجاج البقايا واماطة اللوث الوجودي من بقايا صفات
النفس واذا صحت المحبة ترتبت عليها الاحوال ونعتها سئل الشبلي عن المحبة قال
كاس لها وهج اذا استقرت في الحواس وسكنت في النفوس تلاشت وقيل للمحبة ظاهر وباطن
ظاهرها اتباع رضا المحبوب وباطنها ان يكون مفتونا بالحبيب عن كل شي فلا يبقي فيه بقية
لغيره ولا لنفسه ومن الاحوال السنية في المحبة الشوق ولا يكون المحب الا مشتاقا ابدا لان
امر الحق سبحانه لا نهاية له فما من حال يبلغها المحب الا ويعلم ان وراء ذلك ما هو اعلى منها واتم ثم هذا
الشوق الحادث عنده ليس كسبه وانما هو موهبة خص الله تعالى بها المحبين قال احمد بن
ابي الحواري دخلت على ابي سليمان الداراني فرايته يبكي فقلت ما يبكيك رحمك الله قال
ويحك يا احمد اذا جن هذا الليل افترش اهل المحبة اقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم
اشرف الجليل جل جلاله عليهم وقال بعيني من تلذذ بكلامي واستراح الى مناجاتي واني مطلع
عليهم في خلواتهم اسمع انينهم واري بكاهم يا جبريل ناد فيهم ما هذا البكا الذي اراه فيكم
هل خبركم مخبر ان حبيبا يعذب احبابه بالنار بل كيف يجمل بي ان اعذب قوما اذا جنهم
الليل تملقوا الي فبي حلفت اذا وردوا القيامة على ان اسفر لهم عن وجهي وابيحهم رياض
قدسي وهذا حال قوم من المحبين اقيموا مقام الشوق والشوق من المحبة كالزهد من
التوبة اذا استقرت التوبة ظهر الزهد واذا استقرت المحبة ظهر الشوق قال الواسطي
في قوله وعجلت اليك رب لترضى قال شوقا واستهانة بمن وراه فقال هم اولاء على اثري
من شوقه الى مكالمة الله ورمي بالالواح لما فاته من وقته قال ابو عثمن الشوق
ثمرة المحبة من احب الله اشتاق الى لقايه وقال ايضا قوله تعالى فان اجل الله لات
تعزية للمشتاقين معناه اني اعلم ان شوقكم الي غالب وانا اجلت للقايكم اجلا وعن

قريب

قريب يكون وصولكم الى من تشتاقون اليه وقال ذو النون الشوق اعلى الدرجات واعلى
المقامات واذا بلغها الانسان استبطا الموت شوقا الى ربه ورجا للقايه والنظر اليه
وعندي ان الشوق الكاين في المحبين الى رتب يتوقعونها في الدنيا غير الشوق الذي
يكون يتوقع ما بعد الموت والله تعالى يكاشف اهل وده بعطايا يجدونها علما ويطلبونها
ذوقا فلذلك يكون شوقهم ليصير العلم ذوقا وليس من ضرورة مقام الشوق استبطا
الموت وربما الاصحا من المحبين يستلذون الحيوة لله كما قال الخليل صلى الله عليه وسلم
ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين فمن كانت حيوته لله منحه الكريم لذة
المناجاة والمحبة تملي عينه من التقديم يكاشفه من المنح والعطايا في الدنيا ما يتحقق بمقام
الشوق من غير الشوق الى ما بعد الموت وانكر بعضهم مقامات الشوق وقال انما يكون
الشوق الى الغايب ومتى يغيب الحبيب عن الحبيب حتى يشتاق ولهذا سيل الانطاكي عن الشوق
فقال انما يشتاق الى الغايب وما غبت عنه منذ وجدته وانكار الشوق على الاطلاق
لا ارى له وجها لان رتب العطايا والمنح من انصبة القرب اذا كانت غير متناهية كيف ينكر
الشوق من المحب فهو غير غايب وغير مشتاق بالنسبة الى ما وجد ولكن يكون مشتاقا الى
ما لم يجد من انصبة القرب فكيف يمنع حال الشوق والامر هكذا ووجه اخر ان الانسان
لا بد له من امور يردها حكم الحال لموضع بشريته وطبيعته وعدم وقوفه على حد
العلم الذي تقتضيه حكم الحال ووجود هذه الامور مثير لنار الشوق ولا يعني بالشوق
الا مطالبة تنبعث من الباطن الى الاولى والاعلى من انصبة القرب وهذه المطالبة كاينة
في المحبين فالشوق اذا كاين لا وجه لانكاره وقد قال قوم شوق المشاهدة واللقا اشد
من شوق البعد والغيبوبة فيكون في حال الغيبوبة مشتاقا الى اللقا ويكون في حال
اللقا والمشاهدة مشتاقا الى زوايد ومبار من الحبيب وافضاله وهذا هو الذي
اراه واختاره وقال فارس قلوب المشتاقين منورة بنور الله فاذا تحركت اشتياقا

أمّا النور ما بين المشرق والمغرب فيعرضهم الله على الملايكة ويقول هولآ المشتاقون إلي
اني اشهدكم اني اليهم اشوق وقال ابو يزيد لو ان الله حجب اهل الجنة عن رويته
لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث اهل النار من النار وسيل بن عطآ عن الشوق فقال
احتراق الاحشا وتلهب القلوب وتقطع الاكباد من البعد بعد القرب وسيل بعضهم
الشوق اعلى ام المحبة فقال المحبة لان الشوق يتولد منه فلا مشتاق الا من غلبه الحب
فالحب اصل والشوق فرع وقال النصراباذي للخلق كلهم مقام الشوق لا مقام الاشتياق
ومن دخل في حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له اثر ولا افرار ومنها الانس وقد سيل
الجنيد رحمة الله عليه عن الانس فقال ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة وسيل ذو النون
عن الانس فقال هو انبساط المحب الى المحبوب قيل معناه الى قول الخليل ارني كيف تحيي الموتى
وقول موسى ارني انظر اليك وانشد لرويم ؛ شغلت قلبي بما لديك فلا ينفك طول الحياة
من فكري ؛ آنستني منك بالوداد فقد اوحشتني من جميع ذا البشر ؛
؛ ذكرك لي مونس يعارضني يوعدني عنك منك بالظفر ؛
؛ وحيثما كنت يا مداهمي فانت مني بموضع النظر ؛
وروي ان مطرف بن الشخير كتب الى عمر بن عبد العزيز ليكن انسك بالله وانقطاعك
اليه فان لله عبادًا استانسوا بالله فكانوا في وحدتهم اشد استينا سًا من الناس
في كثرتهم واوحش ما يكون الناس انس ما يكونون وانس ما يكون الناس اوحش ما يكونون
قال الواسطي لا يصل الى محل الانس من لم يستوحش من الاكوان كلها وقال ابو
الحسين الوراق لا يكون الانس بالله الا ومعه التعظيم لان كل من استانست به سقط
عن قلبك تعظيمه الا الله تعالى فانك لن تزيد انسًا الا ازددت منه هيبة وتعظيما
قال الشبلي رابعة كل مطيع مستانس وانشدت في معناه شعر
؛ ولقد جعلتك في الفواد محدثي وابحت جسمي من اراد جلوسي ؛

فالجسم

؛ فالجسم مني للجليس موانس وحبيب قلبي في الفواد انيسي ؛
وقال مالك بن دينار من لم يستانس بمحادثة الله عن محادثة المخلوقين فقد قل
علمه وعمي قلبه وضيع عمره قيل لبعضهم من معك في الدار قال الله معي ولا يستوحش
من انس بربه وقال الخراز الانس محادثة الارواح مع المحبوب في مجالس القرب
ووصف بعض العارفين صفة اهل الجنة الواصلين فقال جدد لهم الود في كل طرفة
بدوام الاتصال وآواهم في كنفه بحقايق السكون اليه حتى انت قلوبهم وحنت
ارواحهم شوقًا فكان الحب والشوق منهم اشارة من الحق اليهم عن حقيقة التوحيد
وهو الوجود بالله فذهب مناهم وانقطعت آمالهم عنده لما بان منه لهم ولو ان الحق
امر جميع الانبيا يسالون لهم ما سالوه بعض ما اعد لهم في قديم وحدانيته ودوام ازليته
وسابق علمه وكان نصيبهم معرفتهم به وفرغ همهم عليه واجتماع اهوايهم فيه فصار
يحسدهم من عبيده العموم اذ رفع عن قلوبهم جميع الهموم وانشد في معناه شعر
؛ كانت لقلبي اهوآ مفرقة فاستجمعت اذ راتك النفس اهوآيي ؛
؛ فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى اذ صرت مولايي ؛
؛ تركت للناس دنياهم ودينهم شغلًا بذكرك يا ديني ودنيايي ؛
وقد يكون من الانس الالهي بطاعة الله وذكره وتلاوة كلامه وساير ابواب القربات
وهذا القدر من الانس نعمة من الله تعالى ومنحة منه ولكن ليس هو حال الانس
الذي يكون للمحبين والانس حال شريف يكون عند طهارة الباطن وكنسه بالزهد يصدق هم
وكمال التقوى وقطع الاسباب والعلايق ومحو الخواطر والهواجس وحقيقته عندي
كنس الوجود بثقل لايح العظمة وانتشار الروح في ميادين الفتوح وله استقلال بنفسه
يشتمل على القلب فيجمعه به عن الهيبة وفي الهيبة اجتماع الروح ورسوبه الى محل
الانس وهذا الذي وصفناه انس الذات وهيبة الذات تكون في مقام البقا بعد

العبور على ممر الفنا وهما غير الانس والهيبة اللذان يذهبان بوجود الفنا لان
الهيبة والانس قبل الفنا ظهرا من مطالعة الصفات من الجلال والجمال وذلك
مقام التلوين وما ذكرناه بعد الفنا في مقام التمكين والبقا من مطالعة الذات
ومن الانس خضوع النفس المطمئنة ومن الهيبة خشوعها والخضوع والخشوع يتقاربان
ويفترقان بفرق لطيف يدركه ارباب الروح ومنها القرب قال الله تعالى لنبيه
عليه الصلوة والسلام واسجد واقترب وقد ورد اقرب ما يكون العبد من ربه في
سجوده فالساجد اذا ذوق طعم السجود يقرب لانه يسجد ويطوي بسجوده بساط
الكون ما كان وما يكون ويسجد على طرف ردا العظمة فيقرب قال بعضهم اني
لاجد الحضور فاقول يا الله او يا رب فاجد ذلك اثقل علي من الجبال قيل ولم قال
لان الندا يكون من ورا حجاب وهل رايت جليسا ينادي جليسه وانما هي اشارات بتحقق
وملاحظات وملاطفات ومناغاة وهذا الذي وصفه مقام عزيز فيه القرب
ولكنه مشعر بمحو وموذن بسكر يكون ذلك لمن غاب نفسه في نور روحه لغلبة سكره
وقوة محوه فاذا صحا وافاق تخلص الروح من النفس والنفس من الروح ويعود كل من
العبد الى محله ومقامه فيقول يا الله ويا رب بلسان النفس المطمئنة العايدة الى
مقام حاجتها ومحل عبوديتها والروح تستقل بفتوحه وكان الحال عن الاقوال
وهذا اتم واقرب من الاول لانه وفى حق القرب باستقلال الروح بالفتوح واقام
رسم العبودية بعود حكم النفس الى محل الافتقار وحظ القرب لا يزال يتوفر به نصيب
الروح باقامة رسم العبودية من النفس وقال الجنيد ان الله تعالى يقرب من قلوب
عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه فانظر ماذا يقرب من قلبك وقال
ابو يعقوب السوسي ما دام العبد يكون بالقرب لم يكن قريبا حتى يغيب عن القرب بالقرب
فاذا ذهب عن روية القرب بالقرب فذاك قرب وقد قال قايلهم
قد تحققتك في السر فناجاك لساني ... فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعاني

ان يكن

ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني ... فلقد صيرك الوجد من الاحشاء داني
قال ذو النون ما ازداد احد من الله قربة الا ازداد من الله هيبة وقال سهل
ادنى مقام من مقامات القرب الحيا وقال النصراباذي باتباع السنة تنال المعرفة
وباداء الفرايض تنال القربة وبالمواظبة على النوافل تنال المحبة ومنها الحيا والحيا على
الوصف العام والوصف الخاص فاما الوصف العام ما امر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم في قوله استحيوا من الله حق الحيا قالوا انا نستحي يا رسول الله فقال ليس ذلك
ولكن من استحيا من الله حق الحيا فليحفظ الراس وما وعى والبطن وما حوى وليذكر
الموت والبلى ومن اراد الاخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق
الحيا وهذا الحيا من المقامات واما الحيا الخاص من الاحوال وهو ما نقل عن عثمان
رضي الله عنه انه قال اني لاغتسل في البيت المظلم فانطوي حيا من الله اخبرنا
ابو زرعة اجازة عن ابن خلف اجازة عن ابي عبد الرحمن قال سمعت ابا العباس البغدادي
يقول سمعت احمد بن صالح يقول سمعت محمد بن عبدون يقول سمعت ابا العباس المودب
يقول قال لي سري احفظ عني ما اقول لك ان الحيا والانس يطوفان بالقلب فاذا
وجدا فيه الزهد والورع حطا والا رحلا والحيا اطراق الروح اجلالا لعظيم الجلال
والانس التذاذ الروح بكمال الجمال فاذا اجتمعا فهو الغاية في المنى والنهاية في العطا
قال بعض الحكما من تكلم في الحيا ولا يستحي من الله فيما يتكلم به فهو مستدرج
وقال ذو النون الحيا وجود الهيبة في القلب مع حشمة ما سبق منك الى ربك
وقال ابن عطا العلم الاكبر الهيبة والحيا فاذا ذهبت عنه الهيبة والحيا لا خير فيه
وقال ابو سليمان ان العباد عملوا على اربع درجات على الخوف والرجا والتعظيم والحيا
واشرفهم منزلة من عمل على الحيا لما تيقن ان الله تعالى يراه على كل حال استحيا من
حسناته اكثر مما استحيا العاصون من سياتهم وقال بعضهم الغالب على قلوب

المستحبين الاجلال والتعظيم دآبا عند نظر الله اليهم ومنها الاتصال وقال النوري
الاتصال مكاشفات القلوب ومشاهدات الاسرار وقال بعضهم الاتصال وصول
السر الي مقام الذهول وقال بعضهم الاتصال ان لا يشهد العبد غير خالقه ولا يتصل
بسره خاطر لغير صانعه وقال سهل بن عبد الله حركوا بالبلا فتحركوا ولو سكنوا
اتصلوا وقال يحيي بن معاذ الرازي العمال اربعة تايب وزاهد ومشتاق وواصل
فالتايب محجوب بتوبته والزاهد محجوب بزهده والمشتاق محجوب بحاله والواصل لا يحجبه
عن الحق شي وقال ابو سعيد القرشي الواصل الذي يصله الله فلا يخشي عليه القطع
ابدا والمتصل الذي بجهده يتصل وكلما انا انقطع وكان هذا الذي ذكره حال المريد والمراد
لكون احدهما مبادًا بالكشوف وكون الاخر مردودًا الي الاجتهاد وقال ابو يزيد الواصلو
في ثلثة احرف همهم الله وشغلهم في الله ورجوعهم الي الله وقال السياري الوصول مقام
جليل وذاك ان الله اذا احب عبدًا ان يوصله اختصر عليه الطريق وقرب اليه البعيد
وقال الجنيد الواصل الحاصل عند ربه وقال رويم اهل الوصول اوصل الله اليهم
قلوبهم فهم محفوظون للغوي ممنوعون من الخلق ابدًا وقال ذو النون ما رجع من رجع
الا من الطريق ما وصل اليه احد فرجع عنه واعلم ان الاتصال والمواصلة اشار اليه
الشيوخ وكل من وصل الي صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو في رتبة من
الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الافعال وهو رتبة في التجلي فيفني
فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار
وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والانس بما يكاشف قلبه
به من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجلي بطريق الصفات وهو رتبة في الوصول
ومنهم من يرقي الي مقام الفنا مشتملا علي باطنه انوار اليقين والمشاهدة مغيبًا
في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهذا رتبة في الوصول
اعلي

اعلي من الرتبتين اللتين سبقتا وفوق هذا حق اليقين ويكون من ذلك في الدنيا للخواص
لمح يسير وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتي يحظي به روحه وقلبه ونفسه
حتي قالبه وهذا من اعلي رتب الوصول واذا تحققت الحقايق يعلم العبد مع هذه الاحوال
الشريفة انه بعد في اول المنزل فاين الوصول هيهات منازل الطريق الوصول لا ينقطع ابد
الآباد في عمر الاخرة الابدي فكيف بالعمر القصير الدنياوي ومنها القبض والبسط وهو حالان
شريفان قال الله تعالي والله يقبض ويبسط وقد تكلم فيهما الشيوخ واشاروا بالاشارات
هي علامات القبض والبسط ولم احد كشفا عن حقيقتهما الا انهم اكتفوا بالاشارة والاشارة
تقنع للاهل واحببت ان اشبع الكلام فيهما لعله يتشوف الي ذلك طالب ويحب بسط
القول فيه واعلم ان القبض والبسط لهما موسم معلوم ووقت محتوم لا يكونان قبله ولا
يكونان بعده ووقتهما وموسمهما في اوايل حال المحبة الخاصة لا في نهايتها ولا قبل حال
المحبة الخاصة فمن هو في مقام المحبة العامة الثابتة بحكم الايمان لا يكون له قبض
ولا بسط وانما يكون له خوف ورجا وقد يجد شبه حال القبض وشبه حال البسط
ويظن ذلك قبضًا وبسطًا وليس هو ذلك وانما هو هم يعتريه فيظنه قبضا واهتزاز
نفساني ونشاط طبيعي يظنه بسطًا والهم والنشاط يصدران من محل النفس ومن
جوهرها لبقا صفاتها وما دامت صفة النفس الامارية منها بقية علي النفس يكون
منها الاهتزاز والنشاط والهم والهم وهج شاخور النفس والنشاط ارتفاع موج النفس
عند تلاطم بحر الطبع فاذا ارتقي من حال المحبة العامة الي اوايل المحبة الخاصة يصير
ذا حال وذا قلب وذا نفس لوامة ويتناوبه القبض والبسط فيه عند ذلك لانه ارتقي
من رتبة الايمان الي رتبة الايقان وحال المحبة الخاصة فيقبضه الحق تارة ويبسطه اخري
وقال الواسطي يقبضك عما لك ويبسطك فيما له وقال النوري يقبضك اياه
ويبسطك لاياه واعلم ان وجود القبض لظهور صفة النفس وغلبتها وظهور البسط

لظهور صفة القلب وغلبته والنفس ما دامت لوامة فتارة مغلوبة وتارة غالبة والقبض والبسط باعتبار ذلك منها وصاحب القلب تحت حجاب نوراني بوجود قلبه كما ان صاحب النفس تحت حجاب ظلماني لوجود نفسه فاذا ارتقى من القلب وخرج من حجابه لا يقيده الحال ولا يتصرف فيه فيخرج من تصرف القبض والبسط حينئذ فلا يقبض ولا يبسط ما دام متخلصا من الوجود النوراني الذي هو القلب ويتحقق بالقرب من غير حجاب النفس والقلب فاذا عاد الى الوجود من الفنا والبقا يعود الى الوجود النوراني الذي هو القلب فيعود القبض والبسط اليه عند ذلك ومهما تخلص الى الفنا والبقا فلا قبض ولا بسط قال فارس اولا القبض ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لان القبض والبسط يقعا في الوجود فاما مع الفنا والبقا فلا ثم ان القبض قد يكون عقوبة الافراط في البسط وذاك ان الوارد من الله يرد على القلب فيمتلي القلب منه روحا وفرحا واستبشارا فتسترق النفس السمع عند ذلك وتاخذ بنصيبها فاذا وصل اثر الوارد الى النفس طغت بطبعها وافرطت في البسط حتى شاكل البسط نشاطا فيقابل بالقبض عقوبة وكل القبض اذا فتش لا يكون الا من حركة النفس وظهورها بصفتها ولو تادبت النفس وعدلت ولم تجر بالطغيان تارة وبالعصيان اخرى ما وجد صاحب القلب القبض دوام روحه وانسه ورعاية الاعتدال الذي يسد باب القبض متلقى من قوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم فوارد الفرح ما دام موقوفا على الروح والقلب لا يكثف ولا يستوجب صاحبه القبض سيما اذا لطف الفرح بالوارد بالالتجا الى الله واذا لم يلتجي بالالتجا الى الله استطلعت النفس واخذت حظها من الفرح وهو الفرح بما اوتي المنهي منه فمن ذلك القبض في بعض الاحايين وهذا من لطف الذنوب الموجبة للقبض وفي النفس من حركاتها وصفاتها ونبات متعددة موجبة للقبض ثم الخوف والرجا لا يعدمها صاحب القبض والبسط ولا

صاحب

صاحب الانس والهيبة لانهما من ضرورة الايمان فلا يعدمان واما القبض والبسط فيعدمان عند صاحب الايمان لنقصان الحظ من القلب وعند صاحب الفنا والبقا والقرب لخلاصه من القرب وقد يرد على الباطن قبض وبسط ولا يعلم سببهما ولا يخفى سبب القبض والبسط الا على قليل الحظ من العلم الذي لم يحكم علم الحال وعلم القيام ومن احكم علم الحال والقيام لا يخفى عليه سبب القبض والبسط وربما كان يشتبه عليه سبب القبض والبسط يشتبه عليه الهم بالقبض والنشاط بالبسط وانما علم ذلك لمن استقام قلبه ومن عدم القبض والبسط وارتقى منهما فنفسه مطمئنة لا ينقدح من جوهرها نار توجب القبض ولا تتلاطم بحر طبعها من اهوية الهوى حتى يظهر منه البسط وربما صار لمثل هذا القبض والبسط في نفسه لا من نفسه يكون نفسه المطمئنة بطبع القلب فيجري القبض والبسط في نفسه المطمئنه وما لقلبه قبض ولا بسط لان القلب مختص بشعاع نور الروح مستقر في دعة القرب فلا قبض ولا بسط ومنها الفنا والبقا فقد قيل الفنا ان يفني عنه الحظوظ فلا يكون له في شي حظ يفني عن الاشيا كلها شغلا بمن فني به وقد قال عامر بن عبد الله لا ابالي امراة رايت ام حايطا ويكون محفوظا فيما لله عليه مصروفا عن جميع المخالفات والبقا يعقبه وهو ان يفنى عما له ويبقى بما لله وقيل الباقي ان تصير الاشيا كلها له شيا واحدا فتكون كل حركاته في موافقة الحق دون مخالفته فيكون فانيا عن المخالفات باقيا في الموافقات وعندي ان هذا الذي ذكره هذا القايل هو مقام صحة التوبة النصوح ليس من الفنا والبقا في شي ومن الاشارة الى الفنا ما روي ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما سلم عليه انسان وهو في الطواف فلم يرد عليه فشكاه الى بعض اصحابه فقال له كنا نترايا الله في ذلك المكان وقيل الفنا هو الغيبة عن الاشيا كما كان فنا موسى عليه السلام حين تجلى ربه للجبل وقال الخراز الفنا التلاشي بالحق والبقا هو الحضور مع الحق وقال الجنيد الفنا استعجام الكل عن اوصافك واشتغال الكل منك بكليته وقال ابرهيم بن شيبان علم الفنا والبقا يدور على اخلاص الوحدانية وصحة العبودية

وماكان غير هذا فهو المغاليط والزندقه وسيل الخراز ما علامة الفاني قال علامة
من ادعى الفنا ذهاب حظه من الدنيا والاخرة الا من الله وقال ابو سعيد الخراز اهل الفنا
في الفنا محنتهم ان يصحبهم علم البقا واهل البقا في البقا محنتهم ان يصحبهم علم الفنا واعلم
ان اقاويل الشيوخ في البقا والفنا كثيرة فبعضها اشارات الى فنا المخالفات وبقا الموافقات
وهذا تقتضيه التوبة النصوح فهو نايب لوصف التوبة وبعضها تشير الى زوال الرغبة
والحرص والامل وهذا يقتضيه الزهد وبعضها اشارة الى فنا الاوصاف المذمومة وبقا
الاوصاف المحمودة وهذا يقتضيه تزكية النفس وبعضها اشارة الى حقيقة الفناء
المطلق وكل هذه الاشارات فيها معنى الفنا من وجه ولكن الفنا المطلق هو ما يستولي
من امر الحق سبحانه وتعالى على العبد فيغلب كون الحق سبحانه على كون العبد وهو ينقسم
الى فنا ظاهر وفنا باطن فاما الفنا الظاهر هو ان يتجلى الحق سبحانه وتعالى بطريق
الافعال ويسلب عن العبد اختياره وارادته فلا يرى لنفسه ولغيره فعلاً الا بالحق ثم
باخذه في المعاملة مع الله تعالى بحسبه حتى سمعت ان بعض من اقيم في هذا المقام من
الفنا كان يبقى اياماً لا يتناول الطعام والشراب حتى يتجرد له فعل الله فيه ويقيض الله
له من يطعمه ويسقيه كيف شا واحب وهذا العبد فنا لانه فنا عن نفسه وعن الغير
نظراً الى فعل الله تعالى بفنا فعل غير الله والفنا الباطن ان يكاشف تارة بالصفات وتارة
لمشاهدة آثار عظمة الذات فيستولي على باطنه امر الحق حتى لا يبقى هاجس ولا وسواس
وليس من ضرورة الفنا ان يغيب احساسه وقد يتفق غيبة الاحساس
لبعض الاشخاص وليس ذلك من ضرورة الفنا على الاطلاق وقد سالت الشيخ ابا محمد بن
عبد البصري وقلت له هل يكون بقا المخيلات في السر ووجود الوسواس من الشرك الخفي
وكان عندي ان ذلك من الشرك الخفي فقال لي هذا يكون في مقام الفنا ولم يذكر انه من الشرك
الخفي ام لا ثم ذكر حكاية مسلم بن يسار انه كان في الصلوة فوقعت اسطوانة في الجامع اربع

211

اهل السوق فدخلوا المسجد فراوه في الصلوة ولم يحس بالاسطوانة ووقوعها فهذا هو
الاستغراق والفنا باطناً ثم قد يتسع وعاوه حتى لعله يكون متحققاً بالفنا ومعناه روحاً
وقلبا ولا يغيب عن كل ما يجري من قول وفعل ويكون من اقسام الفنا ان يكون في كل فعل
وقول مرجعه الى الله وينتظر الاذن في كليات اموره ليكون في الاشيا بالله لا بنفسه فتارك
الاختيار منتظر لفعل الحق فان صاحب الانتظار لاذن الحق في كليات اموره راجع الى الله
بباطنه في جزوياتها فان ومن ملكه الله اختياره واطلقه في التصرف مختاراً كيف شا
واراد لا منتظر للفعل ولا منتظراً للاذن هو باق والباقي في مقام لا يحجبه الحق عن الخلق
ولا الخلق عن الحق والفاني محجوب بالحق عن الخلق والفنا الظاهر لارباب القلوب والاحوال
والفنا الباطن لمن اطلق عن وثاق الاحوال وصار بالله لا بالاحوال وخرج من القلب فصار مع
مقلبه لا مع قلبه الباب الثاني والستون في شرح كلمات مشيرة الى بعض
الاحوال من اصطلاح الصوفية اخبرنا الشيخ الثقة ابو الفتح محمد بن عبد الباقي بن سلمان
اجازة قال انا ابو الفضل حمد انا الحافظ ابو نعيم الاصفهاني نا محمد بن ابرهيم نا ابو مسلم الكشي
قال حدثنا مسعود بن عيسى نا القاسم بن يحيى نا ياسين الزيات عن ابي الزبير عن جابر عن
النبي عليه الصلوة والسلام قال ان معاذن التقوى تعلمك الى ما قد علمت علم ما لم تعلم والنقص
فيما علمت قلة الزيادة فيه وانما يزهد الرجل في علم ما لم يعلم قلة الانتفاع بما قد علم مشايخ
الصوفية احكموا اساس التقوى وتعلموا العلم لله وعملوا بما علموا لموضع تقواهم فعلمهم الله تعالى
ما لم يعلموا من غرايب العلوم ودقيق الاشارات واستنبطوا من كلام الله تعالى غرايب العلوم
وعجايب الاسرار وترسخ قدمهم في العلم قال ابو سعيد الخراز اول الفهم لكلام الله تعالى
العمل به لان فيه العلم والفهم والاستنباط واول الفهم القا السمع والمشاهدة لقوله تعالى
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وقال ابو بكر الواسطي
الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بارواحهم في غيب الغيب وفي سر السر فعرفهم ما عرفهم

واراد منهم من مقتضى الايات فلم يرد من غيرهم وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف
لهم من مذخور الخزاين والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجايب النص فاستخرجوا الدرر
والجواهر ونطقوا بالحكمة وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه سفين
ابن عيينة عن ابن جريج عن عطا عن ابي هريرة انه قال ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه
الا العلما بالله فاذا نطقوا به لا ينكره الا اهل الغرة بالله اخبرنا ابو زرعة اجازة
قال انا ابو بكر بن خلف اجازة انا ابو عبد الرحمن قال سمعت النصراباذي يقول سمعت بن عطا
يقول سمعت القرشي يقول هي اسرار الله تعالى يبديها الى امنا اوليايه وسادات النبلا من غير
سماع ولا دراسة وهي من الاسرار التي لم يطلع عليها الا الخواص وقال ابو سعيد الخراز
للعارفين خزاين اودعوها علوما غريبة وانبا عجيبة يتكلمون فيها بلسان الابدية ويخبرون
عنها بعبارة الازلية وهو من العلم المجهول فقوله بلسان الابدية وعبارة الازلية اشارة
الى انهم بالله ينطقون وقد قال الله تعالى على لسان نبيه عليه الصلوة والسلام بي ينطق
وهو العلم اللدني الذي قال الله تعالى في حق الخضر عليه السلام وآتيناه من لدنا علما فمما
تداولته السنتهم من الكلمات تفهيما من بعضهم للبعض واشارة منهم الى احوال يجدونها
ومعاملات قلبية يعرفونها قولهم الجمع والتفرقة قيل اصل الجمع والتفرقة قوله تعالى
شهد الله انه لا اله الا هو فهذا جمع ثم فرق فقال والملايكة واولوا العلم وقوله تعالى
آمنا بالله جمع ثم فرق بقوله وما انزل الينا والجمع اصل والتفرقة فرع فكل جمع بلا تفرقة زندقة
وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وقال الجنيد القرب بالوجد جمع وغيبته في البشرية تفرقة
وقيل جمعهم في المعرفة وفرقهم في الاحوال والجمع اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق فمتى
شاهد غيره فما جمع والتفرقة شهود لمن شا بالمباينة وعباراتهم في ذلك كثيرة والمقصود
انهم اشاروا بالجمع الى تجريد التوحيد واشاروا بالتفرقة الى الاكتساب فعلى هذا لا جمع
الا بتفرقة ويقولون فلان في عين الجمع يعنون استيلا المراقبة للحق على باطنه فاذا عاد

الى شي

212

الى شي من اعماله عاد الى التفرقة فصحة الجمع بالتفرقة وصحة التفرقة بالجمع وهذا يرجع
حاصله الى ان الجمع من العلم بالله والتفرقة من العلم بامر الله ولا بد منهما جميعا قال
المزين الجمع عين الفنا بالله والتفرقة والعبودية متصلة بعضها بالبعض وقد غلط
قوم وادعوا انهم في عين الجمع واشاروا الى صرف التوحيد وعطلوا الاكتساب فتزندقوا وانما
الجمع حكم الروح والتفرقة حكم القالب ومادام هذا التركيب باقيا فلا بد من الجمع والتفرقة
وقال الواسطي اذا نظرت الى نفسك فرقت واذا نظرت الى ربك جمعت واذا كنت قايما
بغيرك فانت فان بلا جمع ولا تفرقة وقيل جمعهم بذاته وفرقهم في صفاته وقد يريدون
بالجمع والتفرقة انه اذا اثبت لنفسه كسبا او نظر الى اعماله هو في التفرقة فاذا اثبت
الاشيا بالحق فهو في الجمع ومجموع الاشارات تنبي ان الكون يفرق والمكون يجمع فمن اراد
المكون جمع ومن نظر الى الكون فرق فالتفرقة عبودية والجمع توحيد فاذا اثبت طاعته نظر
الى كسبه فرق واذا اثبتها بالله جمع واذا تحقق بالفنا فهو جمع الجمع ويمكن ان يقال رؤية الافعال
تفرقة ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات جمع الجمع سيل بعضهم عن حال موسى عليه الصلوة والسلام
في وقت الكلام فقال افني موسى عن موسى فلم يكن لموسى خبر من موسى ثم كلم فكان المكلم والمكلم هو
وكيف كان يطيق موسى حمل الخطاب ورد الجواب لولا اياه سمع معنى هذا ان الله منحه قوة فبتلك
القوة سمع ولولا تلك القوة ما قدر على السمع ثم انشد القايل متمثلا شعر

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى … برق تالق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الردا ودونه … صعب الذرى متمنع اركانه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق … نظرا اليه ورده اشجانه
فالوجد ما اشتملت عليه ضلوعه … والما ما سمحت به اجفانه

ومنها قولهم التجلي والاستتار قال الجنيد انما هو تاديب وتهذيب وتذويب فالتاديب
محل الاستتار وهو للعوام والتهذيب للخواص وهو التجلي والتذويب للاوليا وهو المشاهدة

الذي الاستتار

وحاصل الاشارات في الاستتار والتجلي راجع الى ظهور صفات النفس ومنها الاستتار وهو
اشارة الى غيبة صفات النفس بكمال قوة صفات القلب ومنها التجلي ثم التجلي قد يكون بطريق
الافعال وقد يكون بطريق الصفات وقد يكون بطريق الذات والحق تعالى ابقى على الخواص
موضع الاستتار رحمة منه لهم ولغيرهم فاما لهم فلانهم به يرجعون الى مصالح النفوس
واما لغيرهم لانه لولا مواضع الاستتار لم ينتفع بهم لاستغراقهم في جمع الجمع وبروزهم
لله الواحد القهار وقال بعضهم علامة تجلي الحق للاسرار هو ان لا يشهد السر ما يتسلط عليه
التعبير وتحويه الفهم فمن عبر او فهم فهو صاحب خاطر استدلال لا ناظر اجلال وقال بعضهم
التجلي رفع حجبة البشرية لا ان يتلون ذات الحق عز وجل والاستتار ان تكون البشرية حائلة
بينك وبين شهود الغيب ومنها التجريد والتفريد اشارة منهم في التجريد والتفريد ان العبد
يتجرد عن الاعراض فيما يفعله لا يأتي بما يأتي به نظرا الى الاعواض في الدنيا والاخرة
بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه بحسب جهده عبودية وانقيادا والتفريد ان لا يرى
نفسه فيما يأتي به بل يرى منة الله عليه وغيبته عن كسبه ومنها الوجد والوجود والوجد
ما يرد على الباطن من الله يكسبه فرحا او حزنا ويغيره عن هيئته ويتطلع الى الله تعالى
وهو فرحة يجدها المغلوب عليه بصفات نفسه ينظر منها الى الله والتواجد استجلاب
الوجد بالتذكر والتفكر والوجود اتساع فرجة الوجود بالخروج الى فضاء الوجدان فلا وجد
مع الوجدان ولا خبر مع العيان فالوجد بعرضية الزوال والوجود ثابت بثبوت الجبال
وقد قيل شعر ∴ قد كان يطربني وجدي فافقدني عن رؤية الوجد من في الوجد
موجود ∴ فالوجد يطرب من في الوجد راحته والوجد عند حضور الحق مفقود ∴
ومنها الغلبة والغلبة وجد متلاحق فالوجد كالبرق يبدو والغلبة كتلاحق البرق
وتواتره يغيب عن التمييز فالوجد ينطفي سريعا والغلبة تبقي الاسرار مدة ومنها المسامرة
وهي تفرد الارواح بخفي مناجاتها ولطيف مناغاتها في سر السر بلطف ادراكها للقلب لتفرد الروح

بها

213

بها وتلزمه بها دون القلب ومنها السكر والصحو فالسكر استيلاء سلطان الحال والصحو العود الى ترتيب
الافعال وتهذيب الاقوال قال محمد بن خفيف رحمة الله عليه السكر غليان القلب عند معارضات ذكر
المحبوب وقال الواسطي مقامات الواجدين اربعة الذبول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو كمن سمع بالبحر
ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم اخذته الامواج فعلى هذا ومن بقي عليه اثر من ريان الحال فيه فعليه اثر من
السكر ومن عاد كل شيء منه الى مستقره فهو صاحي فالسكر لارباب القلوب والصحو للمكاشفين بحقائق
الغيوب ومنها المحو والاثبات المحو ازالة اوصاف النفوس والاثبات بما ادير عليهم من اثار الحب
كؤوس والمحو محو رسوم الاعمال بنظر الفنا الى نفسه ومامنه والاثبات اثباتها بما انشا الحق لهم من الموجود
به فهو بالحق لا بنفسه باثبات الحق اياه مستانفا بعد ان محاه عن اوصافه قال ابن عطا يمحو اوصافهم
ويثبت اسرارهم ومنها علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال
وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث
الصلصال بورود رائد الوصال قال فارس علم اليقين لا اضطراب فيه وعين اليقين هو العلم الذي
اودعه الله الاسرار والعلم اذا انفرد من نعت اليقين كان علما بشبهة فاذا انضم اليه اليقين
كان علما بلا شبهة وحق اليقين هو حقيقة ما يشير اليه علم اليقين وعين اليقين قال الجنيد
حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك وهو ان يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان
ويحكم على الغيب فيخبر عنه بالصدق كما اخبر الصديق رضي الله عنه حين قال لما قال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم ماذا ابقيت لعيالك قال الله ورسوله وقال بعضهم علم اليقين حال المعرفة وعين
اليقين حال الجمع وحق اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد وقيل اليقين اسم ورسم وعلم وعين
وحق فالاسم والرسم للعوام والعلم علم اليقين للاولياء وعين اليقين لخواص الاولياء وحق اليقين للانبيا
وحقيقة حق اليقين اختص به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومنها الوقت والمراد بالوقت ما هو غالب
على العبد واغلب ما على العبد وقته فانه كالسيف يمضي الوقت بحكمه ويقطع وقد يراد بالوقت
ما يهجم على العبد لا بكسبه فيتصرف فيه فيكون بحكمه يقال فلان بحكم الوقت يعني ماخوذ عما منه

بالحق ومنها الغيبة والشهود فالشهود هو الحضور وقتًا نعت المراقبة ووقتًا بوصف المشاهدة
فما دام العبد موصوفًا بالشهود او الرعاية فهو حاضر فاذا فقد حال المشاهدة والمراقبة خرج من
دايرة الحضور فهو غايب وقد يعنون بالغيبة الغيبة عن الاشيا بالحق فيكون على هذا المعنى حاصل
ذلك راجع الى المقام الفنا ومنها الذوق والشرب والري فالذوق ايمان والشرب علم والري
حال فالذوق لارباب البوادة والبوادي والشرب لارباب الطوالع واللوايح واللوامع والري لارباب
الاحوال وهي ان الاحوال هي التي تستقر فما لم تستقر فليس بحال وانما هي لوامع وطوالع وقيل
الحال لا تستقر لانها تحول فاذا استقر صار مقامًا ومنها المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة المحاضرة
لارباب التلوين والمشاهدة لارباب التمكين والمكاشفة بينهما الى ان تستقر المشاهدة والمحاضرة
لاهل العلم والمكاشفة لاهل العين والمشاهدة لاهل الحق اي حق اليقين ومنها الطوارق والبوا
والبادة والواقع والقادح والطوالع واللوامع واللوايح وهذه كلها الفاظ متقاربة المعنى ويمكن
بسط القول ويكون حاصل ذلك راجع الى معنى واحد يكثر بالعبارة فلا فايدة فيه والمقصود
ان هذه الاسما كلها مبادي الحال ومقدماته واذا صح استوعب هذه الاسما كلها ومعانيها ومنها
التلوين والتمكين فالتلوين لارباب القلوب لانهم تحت حجب القلوب وللقلوب تخلص الى الصفات وللصفات
تعدد بتعدد جهاتها فظهر لارباب القلوب بحسب تعدد الصفات تلوينات ولا جاوز القلوب
وارباب بها عن عالم الصفات واما ارباب التمكين خرجوا من مشايم الاحوال وخرقوا حجب القلوب
وباشر ارواحهم سطوع نور الذات فارتفع التلوين لعدم التغيير في الذات اذ جلت ذاته عن
حلول الحوادث والتغيرات فلما خلصوا الى مواطن القرب من انصبة تجلي الذات ارتفع عنهم التلوين
والتلوين حينيذ يكون في انفسهم لانها في محل القلوب لموضع طهارتها وقدسها والتلوين الواقع في
النفوس لا يخرج صاحبه عن حال التمكين لان جريان التلوين في النفس لبقاء رسم الانسانية وثبوت
القدم في التمكين كشف حق الحقيقة وليس المعنى بالتمكين ان لا يكون للعبد تغير فانه بشر وانما
نعني به انما كوشف به من الحقيقة لا يتوارى عنه ابدًا ولا يتناقص بل يزيد وصاحب التلوين

قد

قد يتناقص الشي في حقه عند ظهور صفات نفسه وتغيب عنه الحقيقة في بعض الاحوال ويكون
ثبوته على مستقر الايمان وتلوينه في زوايد الاحوال ومنها النفس ويقال النفس للمنتهي والوقت
للمبتدي والحال للمتوسط فكانه اشارة منهم الى ان المبتدي يطرقه من الله طارق ولا يستقر
والمتوسط صاحب حال غالب حاله عليه والمنتهي صاحب نفس متمكن من الحال لا يتناوب عليه وهذه
كلها احوال لاربابها ولهم منها ذوق وشرب والله ينفع ببركتهم وهمتهم **الباب الثالث**
في ذكر شي من البدايات والنهايات وصحتها حدثنا شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب السهروردي
نا الشريف ابو طالب الحسين بن محمد الزينبي قال اخبرتنا كريمة المروزية قالت نا ابو الهيثم محمد
بن المكي الكشميهني قال نا ابو عبد الله محمد بن يوسف الفربري قال نا ابو عبد الله محمد بن اسمعيل
بن ابرهيم البخاري قال نا الحميدي قال نا سفيان بن عيينة قال نا يحيى بن سعيد الانصاري
قال نا محمد بن ابرهيم التيمي انه سمع علقمة بن وقاص قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول
على المنبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى
فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او الى امراة
ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه النية اول العمل وبحسبها يكون العمل واهم ما للمريد في ابتدا امره في
طريق القوم ان يدخل طريق الصوفية ويتزيا بزيهم ويجالس طايفتهم لله تعالى فان دخوله في
طريقهم هجرة حاله ووقته وقد ورد المهاجر من هجر ما نهاه الله عنه وقد قال الله تعالى ومن
يخرج من بيته مهاجرًا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله فالمريد ينبغي
ان يخرج الى طريق القوم لله فانه ان وصل الى نهايات القوم فقد لحق بالمنزل وان ادركه الموت
قبل الوصول الى نهايات القوم فاجره على الله وكل من كان بدايته احكم كانت نهايته اتم اخبرنا
ابو زرعة اجازة عن ابن خلف اجازة عن ابي عبد الرحمن عن ابي العباس البغدادي عن جعفر
الخلدي قال سمعت الجنيد يقول اكثر العوايق والحوايل والموانع من فساد الابتدا فالمريد في
اول سلوك هذا الطريق يحتاج الى احكام النية واحكام النية تنزيهها من دواعي الهوى وكل

ماكان للنفس فيه حظ عاجل حتى يكون خروجه خالصا لله تعالى وكتب سالم بن عبد الله الى
عمر بن عبد العزيز اعلم يا عمر ان عون الله للعبد بقدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له ومن
قصرت عنه نيته قصر عنه عون الله بقدر ذلك وكتب بعض الصالحين الى اخيه اخلص
النية في اعمالك يكفك قليل من العمل ومن لم يهتد الى النية بنفسه يصحب من يعلمه حسن النية
قال سهل بن عبد الله التستري اول ما يومر به المريد المبتدي التبري من الحركات المذمومة
ثم التنقل الى الحركات المحمودة ثم التفرد لامر الله ثم التوقف في الرشاد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب
ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ويكون للرضا والتسليم مراده والتفويض والتوكل حاله ثم
يمن الله بعد هذا بالمعرفة فيكون مقامه عند الله مقام المتبرين من الحول والقوة وهذا مقام
حملة العرش وليس بعده مقام هذا من كلام سهل جمع فيه ما في البداية والنهاية ومتى تمسك المريد
بالصدق والاخلاص بلغ مبلغ الرجال ولا يحقق صدقه واخلاصه كشيئين متابعة امر الشرع
وقطع النظر عن الخلق فكل الافات دخلت على اهل البدايات لموضع نظرهم الى الخلق ولقد بلغنا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث انه قال لا يكمل ايمان المومن حتى يكون الناس عنده كالاباعر
ثم يرجع الى نفسه فيراها اصغر صاغر اشارة الى قطع النظر عن الخلق والخروج منهم وترك التقيد
بعاداتهم قال احمد بن خضرويه من احب ان يكون الله معه على كل حال فليلزم الصدق فان الله
مع الصادقين وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدق يهدي الى البر ولا
بد للمريد من الخروج من المال والجاه والخروج من الخلق بقطع النظر اليهم الى ان يحكم اساسه فيعلم
دقايق الهوى وخفايا شهوات النفس فانفع شي للمريد معرفة النفس ولا يقوم بواجب حق
معرفة النفس من له في الدنيا حاجة من طلب الفضول والزيادات او عليه من التقوى بقية
قال زيد بن اسلم خصلتان هما كمال امرك تصبح لا تهتم لله بمعصية وتمسي ولا تهتم لله بمعصية
فاذا احكم الزهد والتقوى انكشفت له النفس وخرجت من حجبها وعلم طريق حركاتها وخفي شهواتها
ودسايسها وتلبيساتها ومن تمسك بالصدق فقد تمسك بالعروة الوثقى قال ذو النون ان

مطلب

لله تعالى

215

لله تعالى في ارضه سيف ما وضع على شي الا قطع وهو الصدق ونقل في معنى الصدق ان
عابدا من بني اسراييل راودته ملكة عن نفسه فقال اجعلوا لي ما في الخلا استطف به ثم صعد
اعلى موضع في القصر فرمى بنفسه فاوحى الله تعالى الى ملك الهوى الزم عبدي قال فلزمه ووضعه
على الارض وضعا رفيقا فقيل لابليس الا اغويته فقال ليس لي سلطان على من خالف هواه
وبذل نفسه لله عز وجل وينبغي للمريد ان يكون له في كل شي نية لله تعالى حتى في اكله وشربه
وملبوسه فلا يلبس الا لله ولا ياكل الا لله ولا يشرب الا لله ولا ينام الا لله فهذه كلها ارفاق
ادخلها على النفس فاذا كانت لله تعالى لا تستعصي النفس وتجيب الى ما يراد منها من المعاملة لله
والاخلاص واذا ادخل في شي من رفق النفس لا بنية صالحة صار ذلك وبالا عليه وقد ورد في
الخبر من تطيب لله عز وجل جا يوم القيمة وريحه اطيب من المسك الاذفر ومن تطيب لغير الله
عز وجل جا يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة وقيل كان انس يقول طيبوا كفي بمسك فان ثابتا
يصافحني ويقبل يدي وقد كانوا يحسنون اللباس للصلوة متقربين بذلك الى الله بنيتهم فالمريد
ينبغي ان يتفقد جميع اقواله وافعاله ولا يسامح نفسه ان يتحرك بحركة او يتكلم بكلمة الا لله تعالى
وقد راينا في اصحاب شيخنا من كان ينوي عند كل لقمة ويقول بلسانه ايضا اكل هذه اللقمة لله
تعالى ولا ينفع القول اذا لم تكن النية في القلب لان النية عمل القلب وانما اللسان ترجمان فما لم يشتمل
عليه عزيمة القلب لله لا يكون نية ونادى رجل امراته وكان يسرح شعره فقال هات المدرى
اراد الميل ليفرق شعره فقالت له امراته اجي بالمراة فسكت ثم قال نعم فقال له من سمعه سكت
وتوقفت عن المراة فقال الى قلت لها هات المدرى بنية فلما قالت والمراة لم يكن لي في المراة
نية فتوقفت حتى هيا الله عز وجل لي نية فقلت نعم وكل مبتدي لا يحكم اساس بدايته بهاجرة
الالاف والاصدقا والمعارف ويتمسك بالوحدة لا تستقر بدايته فقد قيل من قلة الصدق
كثرة الخلطا وانفع ما له لزوم الصمت وان لا يطرق سمعه كلام الناس فان باطنه يتغير ويتاثر
بالاقوال المختلفة وكل من لا يعلم كمال زهده في الدنيا وتمسكه بحقايق التقوى لا يعرفه ابدا

لا لله

ثم ثلث نعم

فان معرفته له لا تنتج عليه خيراً او بواطن اهل الابتدا كالشمع يقبل كل نقش وربما يستضر المبتدي
بمجرد النظر الى الناس ويستضر بفضول النظر ايضا وفضول المشي فيقف من الاشيا كلها على الضروره
فينظر ضرورة حتى لو مشى في بعض الطرق يجتهد ان يكون نظره الى الطريق الذي يسلكه لا يلتفت
يمنة ويسرة ثم يتقي موضع نظر الناس اليه ولحاظهم منه بالرعاية والاحتراز فان علم الناس منه
بذلك اضر عليه من فعله ولا يستحقر فضول المشي فان كل شي من قول وفعل وسماع ونظر خرج عن حد الضرورة
جر الى الفضول ثم يجر الى تضييع الاصول قال سفين انما حرموا الوصول بتضييع الاصول فكل من
لا يتمسك بالضرورة في القول والفعل لا يقدر ان يقف على قدر الحاجة من الطعام والشراب والنوم
ومتى تعدى الضرورة تداعت عزايم قلبه وانحلت شيا بعد شي وقال سهل بن عبد الله من لم
يعبد الله اختيارا يعبد الخلق اضطرارا او ينفتح على العبد ابواب الرخص والاتساع ويهلك مع الهالكين
ولا ينبغي للمبتدي ان يعرف احدا من ارباب الدنيا فان معرفته لهم سم قاتل وقد ورد الدنيا سمو
اسد من تمسك بحبلها فادته الى النار وما حبل من حبالها كابنايها والطالبين لها والمحبين فمن عرفهم
انجذب اليها شا ام ابى ويحترز المبتدي من مجالسة الفقرا الذين لا يقولون بقيام الليل وصيام النهار
فانه يدخل عليه منهم اشر مما يدخل عليه من مجالسة ابنا الدنيا وربما يشيرون له ان الاعمال
شغل المتعبدين وان ارباب الاحوال ارتفعوا من ذلك وينبغي للفقير ان يقتصر على الفرايض وصوم
رمضان فحسب لا ينبغي ان يدخل هذا الكلام سمعه راسا فانا جربنا ومارسنا الامور كلها وجالسنا
الفقرا والصالحين ورايناالذين يقولون هذا القول ويرون الفرايض دون الزيادات والنوافل
تحت القصور مع كونهم اصحاب احوالهم فعلى العبد التمسك بكل فريضة وفضيلة فبذلك يثبت قدمه
في بدايته ويراعي يوم الجمعة خاصة ويجعله لله تعالى خالصا لا يمزجه بشي من احوال نفسه
ومآربها ويبكر الى الجامع قبل طلوع الشمس بعد الغسل للجمعة وان اغتسل قريبا من وقت الصلوة
اذا امكنه ذلك فحسن ويخدم بالصلوة والتضرع والدعا والتلاوة وانواع الاذكار من غير فتور الى
ان يصلي الجمعة ويجلس معتكفا في الجامع الى ان يصلي الفرض من صلوة العصر وبقية النهار يشغله

بالتسبيح

امر مهم و مطالب عظيم

بالتسبيح والاستغفار والصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فانه يجد بركة ذلك في جميع اسبوعه
وقد كان من الصادقين من يضبط اقواله وافعاله جميع الاسبوع حتى يجد ثمرة ذلك يوم الجمعة
لانه يوم المزيد لكل صادق ويكون ما يجده يوم الجمعة محكا يعتبر به ساير الاسبوع الذي مضى فانه
اذا كان الاسبوع سليما يكون يوم الجمعة فيه مزيد الانوار والبركات وما يجد في يوم الجمعة من الظلمة
وكلمة النفس وقلة الانشراح فلما ضيع في الاسبوع يعرف ذلك ويعتبر ويتقي جدا ان يلبس للناس
اما المرتفع من الثياب او ثياب المتقشفين ليرى بعين الزهد ففي لبس المرتفع للناس هوى وفي لبس
الخشن ريا فلا يلبس الا لله بلغنا ان سفين رحمه الله لبس القميص مقلوبا ولم يعلم بذلك حتى
ارتفع النهار ونبهه على ذلك بعض الناس فهم ان يخلع ويغير ثم امسك وقال لبسته بنية لله فلا اغيره
فالبسه بنية للناس فليعلم العبد ذلك ويعتبره ولا بد للمبتدي ان يكون له حظ من تلاوة القران
ومن حفظه فيحفظ من القران من السبع الى الجميع الى الاقل والاكثر كيف امكن ولا يصغي الى قول من يقول
ملازمة ذكر واحد افضل من تلاوة القران فانه يجد بالقران وتلاوته في الصلوة وفي غير الصلوة
جميع ما يتمنى بتوفيق الله وانما اختار من المشايخ بعضهم ان يديم المريد ذكرا واحدا ليجتمع الهم
ومن لازم التلاوة في الخلوة وتمسك بالوحدة تفيده التلاوة والصلوة اوفى مما يفيده الذكر الواحد
فاذا سام في بعض الاحايين يصانع النفس عن الذكر بصانعته وينزل من التلاوة الى الذكر فانه اخف
على النفس وينبغي ان يعلم ان الاعتبار بالقلب فكل عمل من تلاوة وصلوة وذكر لا يجتمع فيه بين القلب
واللسان لا يعتد به كل الاعتداد فانه عمل ناقص ولا يحتقر الوساوس وحديث النفس فانه مضر وداً
عضال ويطالب نفسه ان يصير في تلاوته معنى القران مكان حديث النفس من باطنه كما ان التلاوة على
اللسان يشغل لسانه بالتلاوة ولا يمزجه بكلام اخر هكذا يكون معنى القران الكريم يمزجه حديث النفس
ن القلب
وان كان اعجميا لا يعلم معنى القران تكون المراقبة محلية باطنه فيشتغل باطنه بمطالعة نظر الله اليه
مكان حديث النفس فان بالدوام على ذلك يصير من ارباب المشاهدة قال مالك قلوب الصديقين
اذا سمعت القران طربت الى الاخرة فليتمسك المريد بهذه الاصول ويستعين بدوام الافتقار الى

الله فبذلك ثبات نعمه قال سهل على قدر لزوم الالتجا والافتقار يعرف البلاء وعلى قدر معرفته
بالبلاء يكون افتقاره الى الله فدوام الافتقار الى الله اصل كل خير ومفتاح كل علم دقيق في طريق
القوم وهذا الافتقار مع الانفاس لا يستبد بحركة ولا يستقل بكلمة دون الله ودون الافتقا
الى الله فيها وكل كلمة وحركة خلت عن مراجعة الله والافتقار فيها لا تعقب خيرًا قطعًا علمنا ذلك
وتحققناه وقال سهل من اشتغل من نفس من غير ذكر فقد ضيع حاله وادنى ما يدخل على
من ضيع حاله دخوله فيما لا يعنيه وتركه ما يعنيه وبلغنا عن حسان بن سنان رحمة الله عليه
قال ذات يوم لمن هذه الدار ثم رجع الى نفسه فقال وما لي وهذا السوال وهل هذه الا كلمة لا
تعنيني وهل هذه الا الاستيلا نفسي وقلة ادبها والى على نفسه ان يصوم سنة كفارة لهذه
الكلمة فبالصدق نالوا ما نالوا وبقوة العزايم عزايم الرجال بلغوا ما بلغوا اخبرنا ابو زرعة
اجازة قال اخبرنا ابو بكر بن خلف قال انا ابو عبد الرحمن قال سمعت منصورًا يقول سمعت ابا عمرو
الانماطي يقول سمعت الجنيد رحمة الله عليه يقول لو اقبل صادق على الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة
لكان ما فاته منه اكثر مما ناله وهذه الجملة يحتاج المبتدي ان يحكمها والمنتهي عالم بها عامل
بحقايقها فالمبتدي صادق والمنتهي صديق قال ابو سعيد القرشي رحمة الله عليه الصادق الذي ظاهره
مستقيم وباطنه يميل احيانا الى حظ النفس وعلامته ان يجد الحلاوة في بعض الطاعة ولا يجد
في بعض واذا اشتغل بالذكر نور الروح واذا اشتغل بحظوظ النفس يحجب عن الاذكار والصديق
الذي استقام ظاهره وباطنه يعبد الله بلونين لا تحول الاحوال لا تحجبه عن الله وعن الاذكار اكل
ولا نوم ولا شرب ولا طعام والصديق يريد نفسه لله واقرب الاحوال الى النبوة الصديقية
وقال ابو يزيد رحمة الله عليه اخر نهايات الصديقين اول درجات الانبيا واعلم ان
ارباب النهايات استقامت بواطنهم وظواهرهم لله تعالى وارواحهم خلصت عن ظلمة النفوس
ووطيت بساط القرب ونفوسهم منقادة مطاوعة مصالحة مع القلوب مجيبة الى كل ما تجيب اليه
القلوب ارواحهم متعلقة بالمقام الاعلى انطفت فيهم نيران الهوى وتخمر في بواطنهم صريح العلم

والكشف

والكشفت لهم الاخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق ابي بكر رضي الله عنه من
اراد ان ينظر الى ميت يمشي على وجه الارض فلينظر الى ابي بكر رضي الله عنه اشارة منه
صلى الله عليه وسلم الى ما كوشف به من صريح العلم الذي لا يصل اليه عوام المومنين الا بعد الموت
حيث قال فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد فارباب النهايات ماتت اهويتهم وخلصت
ارواحهم قال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه وقد سيل عن وصف العارف فقال رجل معهم بائن
منهم وقال مرة عبد كان فبان فارباب النهايات هم عند الله تعالى لحقيقتهم معوقين بتوقيت الاجل
جعلهم الله تعالى من جنوده في خلقه بهم يهدي وبهم يرشد وبهم يجذب اهل الارادة كلامهم
دوا ونظرهم دوا ظاهرهم محفوظ بالحكم وباطنهم معمور بالعلم قال ذو النون رحمة الله
عليه علامة العارف ثلاثة لا يطفي نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطنا من العلم ينقض
عليه ظاهرًا من الحكم ولا تحمله كثرة نعم الله تعالى وكرامته على هتك استار محارم الله تعالى
فارباب النهايات كلما ازدادوا نعمة ازدادوا عبودية وكلما ازدادوا دنيا ازدادوا قربا وكلما
ازدادوا جاها ورفعة ازدادوا تواضعًا وذلة اذلة على المومنين اعزة على الكافرين
وكلما اتوا ولو اشتهوا من شهوات النفوس استخرجت منه شكرا ما فيا بينا ولو ان الشهوات تاتيه
رفقا بالنفوس لانها معهم كالطفل الذي يلطف بالشي ويهدى له الشي لانه مقهور ويحتاج السياسة
مرحوم ملطوف به ونازع يمنعون نفوسهم الشهوات تاسيا بالانبيا واختيارهم التقلل من الشهوات
الدنياوية قال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه الدنيا عروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد
فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف بالله مشتغل بسيده ولا يلتفت
اليها واعلم ان المنتهي مع كمال حاله لا يستغني ايضا عن سياسة النفس ومنعها الشهوات
واخذ الحظ من زيادة الصيام والقيام وانواع البر وقد غلط في هذا خلق وظنوا ان المنتهي
استغنى عن زيادات النوافل ولا على قلبه من الاسترسال في تناول الملاذ والشهوات وهذا خطا
لا من حيث انه يحجب العارف عن معرفته ولكن يعوقه عن مقام المزيد فقوم لما راوا ان هذه الا

شيا

لا تؤثر فيهم قسوة ولا تورثهم حجبة ركنوا اليها واسترسلوا فيها وقنعوا باداء الفرايض واتسعوا
في الماكل والمشرب وهذا الانبساط منهم بقية من سكر الاحوال وتقيد بنور الحال وعدم
التخلص بالكلية الى نور الحق ومن تخلص من نور الحال الى نور الحق يذهب عنه بقايا السكر ويوقف
نفسه مقام العبيد كاحاد عوام المومنين يتقرب بالصلوة والصوم وانواع البر حتى باماطة
الاذى عن الطريق ولا يستنكر ولا يستنكف ان يعود في صور عوام المومنين من اظهار
الارادة بكل بر وصلة فيتناول الشهوات وقتا رفقا بالنفس المطهرة المزكاة المنقادة
المطواعة لانها اسيرة له ويمنعها الشهوات وقتا لان في ذلك صلاحها واعتبر هذا بحال
الصبي فانه ان جاز حد الاعتدال من اعطا المراد وقتا ومنعه وقتا انفسد طبعه لان الجبلة
لا بد من قمعها بسياسة العلم ومادامت الجبلة باقية لا بد من سياسة العلم وهذا باب غامض
دخل في النهايات على المنتهين من ذلك دواخل ووقع الركون وانسد باب المزيد فالمنتهي
ملك ناصية الاختيار في الاخذ والترك ولا بد له من اخذ وترك في الاعمال والحظوظ ففي الاعمال
لا بد له من اخذ وترك ياتي بالاعمال كاحاد الصادقين وتارة يترك زيادة الاعمال رفقا بالنفس تارة
وتارة ياخذ الحظوظ والشهوات رفقا بالنفس وتارة يتركها افتقادا للنفس بحسن السياسة
فيكون في ذلك كله مختارا فمن ساكن ترك الحظوظ بالكلية زاهد تارك بالكلية ومن استرسل في
اخذها راغب بالكلية والمنتهي شمل الطرفين فانه على غاية الاعتدال واوفق على الصراط بين
التفريط والافراط وتردت اليه الاقسام في النهاية فاخذها زاهد في الزهد تحقق فهو ولم يكن مع
الحال من ترك الاختيار وتارك الاختيار الواقف مع فعل الله تعالى مقيد بالحال وكان
الزهد مقيد بالترك تارك الاختيار الزاهد في الزهد الاخذ من الدنيا ما سيق اليه لروية
فعل الله تعالى مقيد بالاخذ واذا استقرت النهاية لا يتقيد بالاخذ ولا بالترك بل يترك
وقتا واختياره من اختيار الله تعالى وياخذ وقتا واختياره من اختيار الله تعالى وهكذا
صومه النافلة وصلوته النافلة ياتي بها وقتا ويسامح النفس وقتا لانه مختار صحيح في

الاختيار

218

الاختيار في الحالين وهذا هو الصحيح ونهاية النهاية وكل حال يتنوع ويستقيم بنا كل
حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل ولا يقوم
الليل كله ويصوم من الشهر ولا يصوم الشهر كله غير رمضان ويتناول الشهوات ولما قال
الرجال اني عزمت ان لا اكل اللحم قال لا كل اللحم فاني اكل اللحم واحبه ولو سالت ربي ان يطعمني
كل يوم لاطعمني وهذا ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مختارا في ذلك ان شا
اكل وان لم يشا لم ياكل وكان يترك اختيارا وقد دخلت الفتنة على قوم كلما قيل لهم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فعل كذا يقولون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشرعا وهذا
اذا قالوه على معنى انه لا يلزمهم التاسي به جهل محض فان الرخصة الوقوف على حد قوله
والعزيمة التاسي بفعله وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لارباب الرخص وفعله لارباب
العزايم ثم ان المنتهي يحاكي حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعا الخلق الى
الحق وكل ما كان يعتمده رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي ان يعتمده فكان قيام رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصيامه الزايد لا يخلو اما ان كان ليقتدى به واما ان كان
لمزيد كان يجده بذلك فان كان ليقتدى به فالمنتهي ايضا مقتدى به ينبغي ان ياتي
بمثل ذلك والصحيح الحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك لمجرد الاقتداء
بل كان يجد بذلك زيادة وهو ما ذكرناه من تهذيب الجبلة قال الله تعالى خطابا له
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين لان له بذلك استمدادا من الحضرة الالهية وقرع باب الكريم والنبي صلى
الله عليه وسلم مفتقر الى الزيادة من الله تعالى غير مستغني عن ذلك ثم في ذلك سر غريب وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم برابطة جنسية النفس كان يدعوا الخلق الى الحق ولولا رابطة
الجنسية ما وصلوا اليه ولا انتفعوا به وبين نفسه الطاهرة ونفوس الاتباع رابطة التنفس
كما بين ارواحهم رابطة التاليف ورابطة التاليف ان النفوس الفت انها كانت الارواح
الفت ولا ولكل روح مع نفسه تاليف خاص والسكون والامتزاج واقع بين الارواح والنفوس

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم العمل لتصفية نفسه ونفوس الاتباع فما احتاجت
اليه نفسه من ذلك نال وما فضل من ذلك وصل الى نفوس الامة وهكذا المنتهي مع الاصحاب
والاتباع على هذا المعنى فلا يتخلف عن الزيادات والنوافل ولا يسترسل في الشهوات واللذات
الا بدلالة محض النفس ولا يعطي الا عند الحقيقة من ذلك الا تأييد الله تعالى ونور الحكمة وكل
من يحتاج الى الصحبة الخلوة للغير لا بد له من خلوة صحيحة بالحق حتى تكون جلوته في حماية
خلوته ومن يتراءا له ان اوقاته كلها خلوة وانه لا يحجبه شي وان اوقاته بالله ولله ولا يرى
نقصانا الا ان الله تعالى ما فطنه لحقيقة المزيد وهو صحيح في حاله غير انه تحت قصور لانه ما
نبه لسياسة الجبلة وما عرف سر تمليك الاختيار وما وقف من البيان على البيضاء النقية
وقد نقلت عن المشايخ كلمات فيها موضع الاشتباه فقد يسمعها الانسان ويبني عليها والاولى
ان يفتقر الى الله تعالى في كل كلمة يسمعها حتى يسمعه الله تعالى من ذلك الصواب نقل عن بعضهم
انه سئل عن كمال المعرفة فقال اذا اجتمعت المتفرقات واستوت الاحوال والاماكن وسقط
رؤية التمييز ومثل هذا القول يوهم ان لا يبقى تمييز بين الخلوة والجلوة وبين القيام بصور الاعمال
وبين تركها ولم يفهم منه ذلك بل يفهم منه ان القائل اراد بذلك معنى خاصا يعني ان حظ المعرفة
لا يتغير بحال من الاحوال وهذا صحيح لان حظ المعرفة لا يتغير ولا يفتقر الى التمييز وتستوي الاحوال
فيه ولكن حظ المريد يتغير ويحتاج الى التمييز وليس في هذا الكلام وامثاله ما ينافي ما ذكرناه
قيل لمحمد بن الفضل رحمه الله حاجة العارفين الى ماذا فقال حاجتهم الى الخصلة التي كملت بها
المحاسن كلها الا وهي الاستقامة وكل من كان اتم معرفة كان اتم استقامة فاستقامة
ارباب النهايات على التمام والعبد في الابتداء ماخوذ في الاعمال محجوب بها عن الاحوال وفي التوسط
محظوظ بالاحوال فقد يحجب عن الاعمال وفي الانتهاء لا تحجبه الاعمال عن الاحوال ولا الاحوال عن
الاعمال وذلك الفضل العظيم سئل الجنيد عن النهاية فقال هي الرجوع الى البداية وقد فسر بعضهم
قول الجنيد فقال معناه انه كان في ابتداء امره في جهل ثم وصل الى المعرفة ثم رد الى التحير والجهل وهو

كالطفولية

عمال

كالطفولية يكون جهل ثم علم ثم جهل قال الله تعالى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وقال
بعضهم اعرف الخلق بالله اشدهم تحيرا فيه ويجوز ان يكون معنى ذلك ما ذكرناه انه يبادي بالا
ثم يرقى الى الاحوال ثم يجمع له بين الاعمال والاحوال وهذا يكون للمنتهي المراد الماخوذ في طريق
المحبوبين تجذب روحه الى الحضرة الالهية وتستتبع القلب والقلب يستتبع النفس والنفس
تستتبع القالب فيكون بكليته قائما بالله ساجدا بين يدي الله تعالى كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي وقال الله تعالى ولله يسجد من في
السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال الظلال القوالب تسجد لسجود
الارواح وعند ذلك يسري روح المحبة في جميع اجزائهم وابعاضهم فيتلذذون ويتنعمون
بذكر الله تعالى وتلاوة كلامه محبة وودا فيحبهم الله تعالى ويحببهم الى خلقه نعمة منه
عليهم وفضلا على ما اخبرنا شيخنا شيخ الاسلام ضياء الدين ابو النجيب السهروردي قال اخبرنا
ابو طالب الزينبي قال اخبرتنا كريمة المروزية قالت انا ابو الهيثم الكشميهني قال اخبرنا ابو عبد الله
الفربري قال انا ابو عبد الله البخاري رحمة الله عليه قال حدثنا اسحق قال نا عبد الصمد قال
نا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن ابيه عن جده عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى اذا احب عبدا نادى جبريل عليه السلام ان
الله قد احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء ان الله تعالى قد احب فلانا فا
فيحبه اهل السماء ويوضع له القبول في الارض وبالله العون والعصمة والحول والقوة

مطلب

حبوه

بلغ مقابلة بحسب الطاقة

تم كتاب عوارف المعارف بحمد الله وحسن توفيقه وصلواته على خير خلقه
محمد واله وصحبه وقد فرغ من تحريره العبد الفقير المعترف بالتقصير
الراجي عفو ربه الجليل احمد بن محمد بن اسمعيل الصيدوي بلدا الشافعي مذهبا
غفر الله ذنوبه وذنوب والديه وجمع خير الدنيا والاخرة اليه وذلك
في صبيحة يوم الاثنين سادس عشرين شهر صفر الخير سنة اربع وسبعين وثمانمايه
وذلك كتبه برسم العبد الفقير ومالكه ابو عبد الله محمد بن محمد البقاعي المعروف بعجلان رحمه الله بكرمه والمسلمين



[illegible] که طاعت [illegible] زهر کار است [illegible]

[illegible] ایها الغافل [illegible]

[illegible]

[illegible] آور که وقت [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] شمس [illegible]

[illegible] کنون در خاک [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]